



٤٣٠٠٦

المملكة العربية السعودية  
وزارة التعليم العالي  
جامعة أم القرى بمكة  
كلية الشريعة - قسم الدراسات العليا  
التاريخية والحضارية

٠٠٥٠٤٣



# الثغور البحرية الحجازية

من البعثة النبوية إلى نهاية العصر المملوكي

(البعثة / ٦١١م — ٩٢٣هـ / ١٥١٧م)

— دراسة تاريخية حضارية —

لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

إعداد

الطالب : محمد بن حسين بن حامد الحارثي

إشراف

فضيلة الدكتور : محمد بن صامل السلمي

— ١٤٢٢هـ —

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

الرقم: .....

التاريخ: .....

جامعة أم القرى

المرفقات: .....

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية

موضوع (٨)

إجازة أطروحة مقدمة في صيغة النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم رباعي	محمد بن حسين بن حامد الحارثي	كلية	الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم	الدراسات العليا التاريخية والحضارية	التخصص	تاريخ إسلامي
الأطروحة مقدمة لنيل درجة :		الماجستير	

عنوان الأطروحة : ( الثغور البحرية العجازية من البعثة النبوية إلى نهاية العصر المملوكي ) .

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد ..

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه . والتي تمت مناقشتها بتاريخ ١٧/٧/١٤٢٣ هـ بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة ، وحيث قد تم عمل اللازم ، فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه .

رئيس اللجنة (الرجلي) ١٤٢٣/٧/١٧

أعضاء اللجنة:

المناقش:

المناقش:

المشرف والمقرر:

الاسم: د. محمد بن صامل السلمي / الاسم: د. بندر محمد رشيد المهزاني / الاسم: د. عدنان محمد فايز الحارثي

التوقيع: ..... / التوقيع: ..... / التوقيع: ..... / التوقيع: ..... / التوقيع: .....

التوقيع:

رئيس قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية

أ. د. يوسف بن علي الثقفي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة:

الحمد لله رب العالمين الذي جعل الحجاز ومكة البلد الأمين موطناً وسكناً لنا ولأجدادنا الأقدمين، والصلاة والسلام المباركان العاظران الدائمان إلى يوم الدين على شفيع الأمة ونبي الرحمة الذي أرسله الله تعالى رحمة للعالمين نبينا وسيدنا محمد بن عبد الله الأمين خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي سعدت الحجاز بوطاء قدميه الشريفتين عليها في سهولها وجبالها وبراريها، وعلى آله وصحبه الأكرمين الذين وفقهم الله لاتباع الحق المبين.

أما بعد :

فيقول المولى تبارك وتعالى : {أو لم نمكن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون} [القصص، آية ٥٧].

ويقول سبحانه وتعالى: {أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم} [العنكبوت، آية ٦٧]. هذا هو البلد الأمين مكة المكرمة — حرسها الله — سرّة الحجاز وقاعدته، أما طيبة الطيبة فهي دار هجرة المصطفى وهي حرم آمن، كما قال نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم "إنها حرم آمن" (١) رواه مسلم.

وما أحاط بالمدينتين المقدستين فهو ملحق بهما، بقول الإمام الشافعي رحمه الله في كتابه "الأم" ما نصه: " لا يمنع أهل الذمة من ركوب بحر الحجاز — أي على سبيل العبور — ويمنعون من المقام في سواحلها، وكذا إن كانت في بحر الحجاز

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي رقم ٤٧٩ - (١٣٧٥)، كتاب الحج، باب الترغيب في سكنى المدينة، حققه: عصام الصبابطي وآخرون، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، - ١٩٩٤م، دار الحديث، القاهرة، ج ٥، ص ١٦٢.

جزائر وجبال تسكن، متعوا من سكناها، لأنها من أرض الحجاز<sup>(١)</sup>.

وبما أن ثغور الحجاز منه فقد عقدت العزم على خوض لجة بحر البحث والدراسة في تاريخ بحر الحجاز، مجداً في طلب فريد المعلومات، تارة أغوص، وتارة أسبح، لم يقر لي قرار؛ ولم يقصر عن طرح شبابي ذراع؛ ولا يطوى لسفينتي شرع، وكلمما هاجمني الملل؛ تدافعت علي رياح الأمل، حتى دخلت في بحر عجاج متلاطم الأمواج، فاقتحمت هذا المركب الصعب، وصلت وجلت بين الموانئ والجزائر والشعب، وفي أذني يتردد قول الرحمن جل وعلا: ﴿وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها إن ربي لغفور رحيم﴾ [سورة هود، الآية ٤١]. فكان من تمام توفيق الله لي أن استوت سفينتي على الجودي وانحلت متاعبي وهمومي وطفقت مبادراً بطرح شبابي، فإذا هي قد ملئت بأصداف الجواهر والدرر واللالئ، وهانذا أنثرها أمامكم، فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

وجعلت عنوان بحثي: الثغور البحرية الحجازية من البعثة النبوية إلى نهاية العصر المملوكي "دراسة تاريخية حضارية".

(١) محمد بن إدريس: الأم، تصحيح محمد زهري النجار، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ج ٤، ص ١٧٨، ١٧٧.

## — أهمية الموضوع :

ومن دواعي وأسباب اتخاذي هذا الموضوع التالي:

أولاً: الثغور الحجازية منافذ للأراضي المقدسة سياسية واقتصادية واجتماعية. فالثغر يستعمل للمدينة القائمة على شاطئ البحر، كما يعني المنفذ الموضع المتاخم للعدو، والمنفذ جمع منافذ، أي موضع نفوذ الشيء. (١).

وقد كانت ثغور الحجاز البحرية منافذ عبور لنشر الدعوة الإسلامية إلى شرق القارة الإفريقية وغيرها، كما كانت هذه الثغور منافذ أحداث تاريخية متعددة بدءاً من تنقل الولاة والأمراء والجيوش، ومروراً بالنزاعات السياسية والأحداث التاريخية، وأيضاً كانت الثغور سداً مانعاً بأمر الله عز وجل أمام هجمات الصليبيين وأحفادهم البرتغاليين في القرن العاشر الهجري.

كما كانت لها أهميتها الاقتصادية فعن طريقها تُجلب إلى الحرمين الشريفين ثمرات كل شيء مما ينفع الناس. أما في الجانب الاجتماعي فالثغور ملتقى حجاج بيت الله الأول إلى الأراضي المقدسة، ومعبراً ومستقراً لعدد من العلماء والأدباء والرحالة على مدار التاريخ الإسلامي.

ثانياً : الثغور الحجازية تعتبر حلقة وصل مهمة بالقارتين الإفريقية والأوروبية، وكذلك بالبلاد الآسيوية المطلة على المحيط الهندي.

---

١- لويس معلوف وآخرون ، المنجد في اللغة والأعلام ، الطبعة الثامنة والعشرون ، دار المشرق ، بيروت ، ص ٧٠.

فمن ثغور الحجاز عبرت الهجرات الأولى إلى الحبشة، ومن ثغوره يعبر الحجاج قادمين إلى الحرمين الشريفين وعائدين إلى أوطانهم في إفريقيا وأوروبا وآسيا، ومن ثغوره عبر أبناء الحجاز والجزيرة العربية إلى إفريقيا وآسيا وأوروبا دعاة وفاتحين وحكاماً وعلماء وطلاباً للعلم وتجاراً.

ثالثاً : قال تعالى في كتابه الكريم : {وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتُسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلاً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَازِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ، وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ .. } [النحل، آية ١٤].

فالبحر الأحمر بجزره التي تقدر بنحو ثلاثمائة وتسع وسبعين جزيرة<sup>(١)</sup> [حسبما ورد في الخريطة التفصيلية التي أعدتها الأدميرالية البريطانية في عام ١٩٥٢م]، وموانئه المتعددة أهمية كبيرة في إمكانية قيام ملاحه بحرية لصناعة رجال البحر وفرسانه، وقيام صناعة لسفنه وأدواته المختلفة، وإعداد جيل من أبناء المسلمين يجيدون التعامل مع البحر، ويتمرسون على ذلك لحماية الأراضي المقدسة وخدمتها والذود عنها وخدمة حجاجها وزوارها ومعتريها.

ولمزيد من تبيان أهمية الموضوع اقتطع بعض العبارات من كلمة لصاحب السمو الملكي الأمير سعود الفيصل وزير خارجية المملكة العربية السعودية التي ألقاها في افتتاح ندوة البحر الأحمر بتاريخ ١٤/٨/١٤٠٥هـ مابين الأهمية القصوى

(١) مصيلحي، محي الدين محمد: الوجود العربي والأفريقي في جزر البحر الأحمر عبر التاريخ، ١٩٩١م، مكتبة الأنجلو المصرية، ص ٧.

للبحر الأحمر بموانئه الشرقية والغربية حيث قال: (إن أهمية البحر الأحمر تمتد جذورها إلى فجر التاريخ حيث نشأت على جنبات

هذا الطريق المائي أقدم الحضارات البشرية وأغرقها، كما انطلقت من المنطقة المحيطة به مشاعل النور والهداية الإلهية فكانت مهبط الرسل والأنبياء، ثم صارت مركز الإشعاع الحضاري والديني للمجتمع البشري بأسره. وترتب على جوهريّة موقعه الجغرافي كطريق ملاحي يتوسط الشمال والجنوب والشرق والغرب أن اتجهت إليه الأنظار من كافة أرجاء المعمورة فأضحى عامل جذب للتنافس والتدخل الخارجي على مر العصور، وموقعاً للتنافس والصراعات الإقليمية والدولية، خاصة بين القوى السياسية التي تسعى إلى الهيمنة وبسط النفوذ<sup>(١)</sup>. راجياً أن تكون هذه الأسباب والآراء قد أوضحت أهمية دراسة ثغور الحجاز تاريخياً وحضارياً.

وبعد اطلاعي على عدد من المصادر والمراجع التاريخية والجغرافية التي تحدثت عن تحديد الحجاز تبين لي أن هناك تفاوتاً كبيراً في تحديد الحجاز جغرافياً من جهاته الأربع، إلا أنها تكاد ترجح: (أن الحجاز يمتد من أيلة شمالاً إلى ما بعد السّرين جنوباً).

لذا سوف أقصر في دراستي للثغور الحجازية على الثغور الواقعة بين هذين الحدين. ولأجل هذه الأسباب. أخترت الكتابة في موضوع الثغور الحجازية البحرية.

---

(١) ندوة البحر الأحمر: المملكة العربية السعودية، وزارة الخارجية السعودية، معهد الدراسات الدبلوماسية، طبع في ربيع الأول، ١٤٠٦ هـ، ص ٧.

## الدراسات السابقة :

تتركز أهم الدراسات السابقة حول موضوع الثغور الحجازية البحرية ثلاثة أنواع:

النوع الأول: كتب الرحلات والمعاجم المحلية وبعض الدراسات والبحوث عن كل ثغر على حده.

النوع الثاني: الكتب والابحاث التي تحدثت عن البحر الأحمر وجغرافيته وتاريخه.

النوع الثالث: الرسائل الجامعية حول بلاد الحجاز بعامة في مختلف الجوانب.

وقد برز في ميدان الرحلات والمعاجم الجغرافية محلياً في بلادنا الغالية، وعلى مستوى ثغور الحجاز كل من الباحث عاتق بن غيث البلادي الذي صنف الكثير من الكتب العلمية القيمة في تاريخ الحجاز وجغرافيته ومنها:

— معجم معالم الحجاز: "عشرة أجزاء".

— ومجموعة: من رحلات هامة مثل (بين مكة وحضرموت) و(بين مكة واليمن) و(رحلات في بلاد العرب في شمال الحجاز والاردن).

— كتابا "قلب الحجاز" و"على طريق الهجرة".

وكذا العلامة حمد الجاسر — رحمه الله — الذي صنف الكثير في جغرافية المملكة العربية السعودية، وكذلك عدد من كتب الرحلات، ومنها

كتابه القيم في "شمال غرب الجزيرة - نصوص ومشاهدات وانطباعات" تحدث فيه عن مينائي الشعيبية والجار.

ومن كتبه كتاب "بلاد ينبع"، وكذلك عدد من الابحاث الهامة وردت متفرقة في أعداد مختلفة في مجلته "العرب".

ثم الاستاذ عبدالقدوس الانصاري - رحمه الله - الذي أعد موسوعة هامة عن مدينة جده. وله رحلة لميناء الجار عرضها في أحد اعداد مجلته "المنهل".

كما أن اتحاد المؤرخين العرب قد عقد ندوة بعنوان "الحضارة الإسلامية وعالم البحار بحوث ودراسات"، اطلعت في دوريته تلك على بحثين هاميين عن مينائين من موانئ الحجاز، هما السرّين والجار، وكان الأول للاستاذ الدكتور أحمد بن عمر الزيلعي، والآخر للأستاذ الدكتور ضيف الله بن يحيى الزهراني.

النوع الثاني: الكتب التي تحدثت عن البحر الأحمر جغرافيته وتاريخه. ويغلب على هذه الكتب التحدث عن البحر الأحمر في التاريخ الحديث منذ الغزو البرتغالي حتى انتهاء الحرب العالمية الثانية مروراً بالصراع العربي الاسرائيلي.

وعدد كبير من الكتب تحدثت عن الإمكانيات الجغرافية والملاحية والمناخية والبيئية والثروات المختلفة في البحر الأحمر.

ولعل أقرب هذه الكتب إلى دراستي هو كتاب بعنوان "الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر" تأليف الرائد وليد محمد جرادات، نشر وتوزيع دار الثقافة بالدوحة، تحدث في الربع



الأول من كتابه عن ماضي البحر الأحمر بدء  
من التاريخ الفرعوني ومروراً بالفترة الإسلامية، ثم  
تحدث تفصيلاً عن الأحداث التاريخية في العصر  
الحديث.

النوع الثالث: الرسائل الجامعية حول بلاد الحجاز في مختلف  
الجوانب (السياسية والاقتصادية والثقافية  
والاجتماعية).

وجميعها يبحث في الأوضاع الداخلية للحجاز  
والعلاقات الخارجية أو الحياة الثقافية في المدينتين  
المقدستين، دون التركيز المباشر على دور الثغور  
والموانئ الحجازية.

وفيما يلي: قائمة بأسماء الرسائل الجامعية التي لها صلة  
بالموضوع:

١ - الحركة العلمية في الحجاز من ظهور الإسلام حتى قيام  
الدولة العباسية / لطيفة البسام، ماجستير، جامعة الملك  
سعود، الآداب، التاريخ، ١٤٠١هـ.

٢ - تاريخ الحج منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى  
نهاية العصر العباسي / إلهام محمد هاشم الدجاني،  
ماجستير، الرئاسة العامة لتعليم البنات، كلية التربية للبنات  
بجدة، التاريخ، ١٤٠٢هـ.

٣ - النشاط التجاري في مكة المكرمة في العصر المملوكي/  
سعاد إبراهيم الحسن، ماجستير، أم القرى، كلية الشريعة،  
تاريخ، ١٤٠٦هـ.

٤ - الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز  
في القرنين السابع والثامن الهجريين / عواطف نواب، ماجستير،  
أم القرى، الشريعة، تاريخ، ١٤١٢هـ.

- ٥ - مجتمع الحجاز في العصر الأموي بين الآثار الأدبية والمصادر التاريخية/ عبد الله الخلف، دكتوراه، الإمام محمد بن سعود، اللغة العربية، الأدب، ١٤٠٧هـ.
- ٦ - المحاولة الصليبية لغزو الحجاز في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي/ محمد راجح حمدي، ماجستير، الملك عبد العزيز، آداب، تاريخ، ١٤٠٩هـ.
- ٧ - تجارة مصر في البحر الأحمر في عصر المماليك الجراكسة: ٧٨٤ - ٩٢٣/ يوسف حمد التويم، ماجستير، الملك عبد العزيز، آداب، تاريخ، ١٤١٤هـ.
- ٨ - الحياة الاجتماعية في مكة منذ ظهور الإسلام حتى نهاية العصر الأموي/ إلهام أحمد أبا بطين، دكتوراه، الملك سعود، الآداب، التاريخ، ١٤١٨هـ.
- ٩ - الحياة الاقتصادية والثقافية في جدة في العصر المملوكي ٦٤٨ - ٩٢٣/ سلوى عبد القادر السليمان، دكتوراه، الرئاسة العامة لتعليم البنات، كلية الآداب للبنات بالدمام، التاريخ ١٤١٥هـ.
- ١٠ - الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي: ٦٤٨ - ٩٢٣/ خالد محسن الجابري، ماجستير أم القرى، الشريعة، الحضارة، ١٤١٥هـ.

## أهم المصادر:

استغرق مني البحث جهداً ووقتاً كبيراً، في سبيل الوقوف على مصادره، ومراجعته، في مظانها المختلفة، وذلك يعود إلى أمرين، الأول: امتداد فترة البحث والدراسة زمنياً حيث امتدت من العهد النبوي حتى نهاية العهد المملوكي. والأمر الثاني: الامتداد المكاني: حيث سجلت الأحداث التي ارتبطت بالحجاز من العقبة شمالاً حتى السرين جنوباً وما ارتبط بذلك داخل الحجاز مكة والمدينة وخارجه بمصر والسودان.

- وفي الوقت الذي كنت أتبع فيه مصادر التاريخ الإسلامي العام، كنت أتبع فيه أيضاً مصادر التاريخ المحلي، التي تناولت تاريخ مكة والمدينة، وتاريخ مصر والسودان وتاريخ وجغرافية المسالك والممالك والبلدان في العالم الإسلامي، والرحلات إلى الحجاز الشريف. وبالرغم من هذه الصعوبات، فقد يسر الله لي الوقوف على عدد وافر من المصادر الهامة والأساسية، التي كان لها دور في عرض الأحداث التاريخية المرتبطة بثغور الحجاز. هذا ومع اهتمامي بالمصادر الأساسية، فأنتني لم أهمل جانب المراجع الحديثة والرسائل الجامعية، وتتبع ما نشر في الدوريات المختلفة مما له علاقة بموضوع دراستي بشكل مباشر وغير مباشر.

وبناء على ذلك، فإنه يمكن لي أن أقسم مصادر دراستي إلى أربعة أقسام:

١ - مصادر المسالك والممالك، ومراجع الملاحاة.

٢ - مصادر الرحلات.

٣ - مصادر التاريخ الإسلامي العام ، والأسباب.

٤ - مصادر التاريخ المحلي لمكة والمدينة.

٤٣٠

ولعل من أهم مصادر القسم الأول:

- ١ - كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة، وهو أبو القاسم عبيد بن عبدالله جغرافي وأديب فارسي، حياته (ما بين ٢٠٥-٣٠٠) تقريباً ولد في أسرة كبيرة خدمت الولاة العباسيين وكان جده مجوسياً وأسلم. وقد تضمن كتابه دليلاً للطرق الرئيسية ووصفاً للمدن التي تقع عليها<sup>(١)</sup>.
- ٢ - كتاب المسالك والممالك للإصطخري: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، توفي عام ٣٤٠هـ وقسم في مؤلفه ذلك ممالك العالم في زمانه إلى أربع، والدولة الإسلامية إلى عشرين قسماً وامتاز كتابه بعنايته بالخرائط<sup>(٢)</sup>.
- ٣ - كتاب: صفة جزيرة العرب للهمداني أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب، جغرافي ومؤرخ وموسوعي يماني توفي في صنعاء عام ٣٣٤هـ، ينتمي مذهبياً إلى الشيعة. ونشأ في قبيلة همدان اليمنية وعمل في "الحمالة" أي في نقل الحجاج من صعدة إلى مكة<sup>(٣)</sup>.
- ٤ - كتاب صورة الأرض لابن حوقل: أبو القاسم محمد بن علي الموصلي، جغرافي ورحالة عراقي، ولد في نصيبين بالعراق، توفي في بغداد عام ٣٦٧هـ، ويتهم بتشيعه للفاطميين "العبيديين" وتحامله على غير الشيعة، وكرهيته لحكام الأندلس. واتصف كتابه رغم دعوى أنه انتحل كتاب الإصطخري - بالخرائط - الجغرافية الرياضية والوصفية<sup>(٤)</sup>.

١- غليونجي، بول وجلال شوقي وآخرون ، موسوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين ، مكتبة المعارف بيروت. ص ٨٣.

٢- المرجع السابق ، ص ٤٧.

٣- المرجع السابق ، ص ١٧٨.

٤- المرجع السابق ، ص ٨١.

٥ - كتاب: معجم البلدان: لياقوت الحموي: أبو عبدالله يعقوب بن عبدالله شهاب الدين البغدادي الحموي الرومي، جغرافي ومؤرخ من أصل رومي أو يوناني، توفي بحلب عام ٦٢٦ هـ، وقد خصص ياقوت معجمه لدراسة أسماء البلدان والأودية والقيعان والقرى والمحال والأوطان والبحار والأنهار والغدران والأصنام والأنداد والأوثان، وقد رتب معجمه على حروف الهجاء وجعل في بدايته مقدمة من خمسة أبواب وتبحث المقدمة في الأرض، والأقاليم، والمصطلحات الجغرافية والفلكية، والبلدان الإسلامية، والممالك، والشعوب. ويلى كل اسم من أسماء المعجم طريقة نطقه، ثم ثلاثة بحوث: لغوي في إرجاع الاسم إلى أصل اشتقاقه العربي، ثم الوضع الجغرافي والمكاني له، ثم التطور التاريخي للمكان. وقد زود ياقوت معجمه بوثنائق كثيرة. ويتألف المعجم من ثمانية وعشرين قسماً بعدد الحروف العربية<sup>(١)</sup>.

- وغير ذلك من كتب المسالك والممالك والبلدان.

ومن المراجع الهامة في الملاحة مايلي:

١- العرب والملاحة في المحيط الهندي: لـ جورج فضلو حوراني، عالم أمريكي من أصل عربي وكتابه هذا لعله يعد من أهم المصادر لمن يتصدى للكتابة عن الملاحة العربية حتى القرن الخامس عشر الميلادي (التاسع والعاشر الهجريين)، متحدثاً عن الملاحة عند العرب قبل الإسلام وبعده ومتتبعاً النشاط البحري في الجزيرة العربية، مفصلاً في حال السفن العربية التي تمخر عباب البحار العربية شريقها وغربيها وجنوبيها، مبيناً أهم الطرق التجارية البحرية، وفي الفترة الإسلامية يبين موقف المسلمين من استعمال البحر وانطلاقاتهم المباركة فيه، مشيراً إلى أهم من

١- غليونجي، موسوعة العلوم الإسلامية، ص ١٨٣.

تحدث عن الملاحة والبحار والاتجار فيها من الجغرافيين والملاحين العرب والمسلمين، حتى ينتهي في القرن العاشر إلى الحديث عن الغزو البرتغالي، ويقع في خطأ نسبة مساعدة الملاح العربي ابن ماجد لفاسكودجاما حتى تمكن من دخول المياه العربية، وقد بينت خطأ هذه النسبة<sup>(١)</sup>.

٢ - كتاب تاريخ الأسطول العربي: لمحمد ياسين الحموي.

٣ - كتاب: فن الملاحة عند العرب: لحسن صالح شهاب.

#### - مصادر الرحلات:

١ - نزهة المشتاق في اختراق الآفاق: للشريف الأديسي أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن أديس الحمودي الحسني (وكان من نسل الأدارسة العلويين). جغرافي وموسوعي مغربي. وتوفي بصقلية ما بين ٥٦٠-٥٦٤هـ تقريباً<sup>(٢)</sup>.

وقد جمع أثناء رحلاته معلومات كثيرة ودقيقة، ويعد أكبر الجغرافيين العرب وأشهرهم وقد استمد مادته الجغرافية من مصادر مختلفة، وبلغ مكانة مرموقة في البلاط الصقلي وصنع للملك روجر الثاني كرة للأرض من الفضة الخالصة.

٢ - رحلة ابن جبیر: أبو الحسين محمد بن أحمد الكناني رحالة وأديب أندلسي، توفي بالأسكندرية عام ٦١٤هـ، وتعد رحلته من أفضل كتب الرحلات عند العرب، فقد تميز ابن جبیر بدقة الملاحظة وضبط القول، وقد أخذ عنه رحالة كثيرون، وقد عاصر ابن جبیر الحروب الصليبية<sup>(٣)</sup>.

١- أنور عبد العليم ، الملاحة وعلوم البحار عند العرب عالم المعرفة، المحرم/صفر ١٣٩٩هـ يناير (كانون ثاني) ١٩٧٩م، الكويت، ص ٥٥.

٢- غليونجي وآخرون ، موسوعة ..، ص ٤٠.

٣- المرجع السابق ، ص ٧٣.

٣ - كتاب "تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" لابن بطوطة وهو أبو عبدالله محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، رحالة وجغرافي مغربي، توفي في مراكش بالمغرب ما بين عامي ٧٧١-٧٧٩هـ تقريباً. كان ولعاً بالرحلات والأسفار فخرج في الثانية والعشرين من عمره في رحلته الأولى، وبدأت رحلاته الطويلة التي زار فيها كل بلدان العالم الإسلامي في آسيا وشرقي أوروبا. والتي قيل أنه قد قطع فيها ٢٠,٠٠٠ كم وأمضى فيها ٣٨ سنة، وفي رحلته أبدى اهتماماً ببعض المزارات البدعية، ويورد بعض القصص الخرافية<sup>(١)</sup>.

٤ - كتاب "مرآة الحرمين" لإبراهيم رفعت باشا المتوفي عام ١٣٥٣هـ، مؤرخ مصري، من أمراء الحج العسكريين، ولد في أسيوط، وتخرج بالمدرسة الحربية بالقاهرة، ولي إمارة الحج ثلاث مرات، ومنح رتبة "لواء" وهي رتبة عسكرية<sup>(٢)</sup>.

- وغير ذلك من كتب الرحلات الهامة إلى أرض الحجاز الشريف، التي أفدت منها في نواحي عدة منها تحديد حدود الحجاز وطرق الحج ، وأوضاع محطات الحجاج.

- ومن أهم مصادر القسم الثالث: (مصادر التاريخ الإسلامي العام ، والأنساب):

١ - تاريخ الأمم والملوك للطبري: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، مؤرخ وفقيه طبرستاني (٢٢٤/٣١٠هـ) وضمن مؤلفه تاريخ الأمم والملوك أو "أخبار الرسل والملوك" تاريخ العالم منذ بدء الخليقة حتى عصره. وهو يسير على النظام الحولي بدءاً من السنة الأولى للهجرة حتى سنة ٣٠٢هـ<sup>(٣)</sup>.

١- غليونجي وآخرون، موسوعة العلوم..، ص ٥٩.

٢- الزركلي ، خير الدين ، الأعلام ، الطبعة الرابعة عشر، ١٩٩٩ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ج ، ص ٣٩ .

٣- السلمي ، منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، ص ٥٣٦.



٢ - الكامل في التاريخ لابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن محمد، مؤرخ وأديب عراقي، توفي بالموصل في عام ٦٣٠هـ، وكتابه هذا من أهم كتبه، واعتمد فيه على الطبري في الأجزاء السبعة الأولى، وفي الخمسة الباقية على مؤلفين مختلفين، ويتناول "الكامل" من تاريخ بدء الخليقة حتى عام ٦٢٦هـ، وأفضل ما تعرض له من أحداث زمانه، نهايات الحروب الصليبية وبداية الغزوات المغولية للتتار<sup>(١)</sup>.

٣ - كُتُب المقرئزي: أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي بن علاء الدين بن محي الدين بن تميم الحسيني، مؤرخ وموسوعي مصري توفي عام ٨٤٦هـ، ومنها:

(١) اتعاض الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء.

(٢) السلوك في معرفة دول الملوك.

(٣) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار.

ومصنفات أخرى له<sup>(٢)</sup>.

وغير ذلك من كتب التاريخ الإسلامي العام الهامة أيضاً.  
وفي مجال الأنساب:

١ - الأنساب: للسمعاني: الإمام أبي سعد عبد الكريم بن محمد ابن منصور التميمي السمعاني، المتوفي ٥٦٢هـ، وهو كتاب مهم في مجاله، وقد لخصه عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن الأثير الجزري المتوفي سنة ٦٣٠هـ زاد فيه أشياء واستدرك على مافاتة وسماه "اللباب" وانتهى منه سنة ٦١٥هـ. ولخصه السيوطي وجرده عن المنتسبين

١- غليونجي وآخرون، موسوعة العلوم ..، ص ٤٠.

٢- المرجع السابق، ص ١٦٥.



وزاد عليه أشياء وسماه "لب الباب" وفرغ منه في سنة ٨٧٣هـ<sup>(١)</sup>.

٢ - كتاب "البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب" للمقريزي (ت ٨٤٦). وغير ذلك من المصادر والمراجع الهامة في مجال الملاحاة والأنساب.

٣ - كتاب "سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب" للشيخ أبي الفوز محمد أمين البغدادي الشهير بالسويدي من علماء العراق، ولد ببغداد، وتوفي في بريدة (بنجد) عائداً من الحج حوالي عام ١٢٤٦هـ<sup>(٢)</sup>.

وقد أفدت من كتب الأنساب في معرفة القبائل العربية ومواطنها في شرق إفريقية.

— ومن أهم مصادر التاريخ المحلي لمكة والمدينة:

(١) - كتب الفاسي: وهو الإمام تقي الدين أبي الطيب محمد بن أحمد الفاسي الحسني المكي، إمام الحرم، المتوفى ٨٣٢ هـ، ويعد كتابه العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين من أوفى المصادر لتراجم وأعيان أهل مكة، ومن سكنها أو مات بها من الصحابة والرواة والفقهاء والولاة والأعيان وغيرهم، في مدة ثمانية قرون<sup>(٣)</sup>.

(٢) - كتاب ابن فهد: (إتحاف الوري بأخبار أم القرى) وهو محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن فهد القرشي

---

١- البارودي ، عبد الله عمر، محقق كتاب الأنساب للسمعاني ، (المقدمة)، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٨م ، دار الفكر ، بيروت ، ص ٩.

٢- الزركلي ، الأعلام ، ج ٦ ، ص ٤٢.

٣- عطا ، محمد عبد القادر أحمد ، محقق كتاب (العقد الثمين .لفاسي) " المقدمة" ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩-١٩٩٨ ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ص ٣ .

الهاشمي المكي، وقد اشتهر بعمر، وترجمته كتب التراجم ضمن من اسمه عمر المتوفى ٨٨٥هـ، ومن منهجه في هذا الكتاب ترتيب الحوادث على السنين من مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع الاهتمام ببית الله الحرام، وكل ما يحدث بشأنه منذ واقعة الفيل حتى سنة ٨٨٥هـ، وهو مطبوع<sup>(١)</sup>.

(٣) - كتاب السمهودي: (وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى) وهو: العلامة نورالدين علي بن أحمد السمهودي المصري، نزيل المدينة المنورة، المتوفى عام ٩١١هـ، وهو مطبوع<sup>(٢)</sup>.

وكتب أخرى في تاريخ مكة والمدينة حرسهما الله جل جلاله. وقد أفدت منها في مجريات الأحداث الداخلية في الحجاز.

وكذلك عدد من الرسائل العلمية القيمة والدوريات النافعة ذات الأبحاث الجادة.

---

١- شلتوت، فهميم محمد، محقق كتاب (إتحاف الوري بأخبار أم القرى - لابن فهد)، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة، مكة المكرمة، ص ٨.

٢- عبد الحميد، محمد محي الدين، محقق كتاب (وفاء الوفاء للسمهودي)، الطبعة الرابعة، ١٤٠٤-١٩٨٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص ٢.

## خطوات البحث ومنهجه

أولاً : القيام بالقراءة الأولية حول الموضوع بصفة عامة، وذلك من خلال الجمع والاطلاع على عدد وافر من المصادر والمراجع المختلفة.

ثانياً : الدراسة الميدانية، فهي الوسيلة لمن يتصدى لدراسة مثل هذه المناطق، ولاستكمال نقص المادة العلمية، وبرفقتي أدوات البحث الميداني:

أ ) - خطاب الجامعة إلى من يهمه الأمر لتسهيل مهمتي.

ب ) - كراسة لتدوين الملاحظات والمشاهدات والتعليقات.

ج ) - خريطة للموانئ المزاراة.

د ) - آلة تصوير فوتوغرافي.

وكانت الخطة كمايلي:

(١) - زيارة ميدانية لمواقع الموانئ التالية:

أ- العقبة ب- ينبع ج- الجار د- جدة ه-  
الشعبية د- السرين

(٢) - السفر إلى خارج المملكة العربية السعودية لجمع المادة العلمية.

أ ) - السفر إلى مصر وتمت فيه زيارة الجهات العلمية والرسمية التالية:

١ - جامعة عين شمس ٢ - جامعة القاهرة ٣ - معهد  
المخطوطات ٤ - المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية ٥ -  
الهيئة العامة للمساحة المصرية.

ب ) - السفر إلى الأردن وتمت فيه زيارة الجهات العلمية والرسمية التالية:

١- الجامعة الأردنية  
٢- إدارة متحف قلعة العقبة  
(المملوكية)

٣- الوقوف على مدينة أيلة الإسلامية الأثرية.

(٣) - التنقل داخل المملكة العربية السعودية:

( أ ) - السفر إلى المدينة المنورة: زيارة مكتبة  
الملك عبدالعزيز العامة.

(ب) - السفر إلى مدينة ينبع والاطلاع وتصوير بعض  
المواقع التاريخية في ينبع النخل.

(جـ) - ومن ينبع توجهت إلى ميناء الجار، وصورت  
موقعه الأثري.

( د ) - السفر إلى الرياض ومراجعة الجهات العلمية  
والرسمية التالية:

- ١- مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. ٢
- مكتبة الملك فهد الوطنية. ٣- مكتبة الملك عبدالعزيز العامة.
- ٤- مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية. ٥-
- جامعة الملك سعود. ٦- جامعة الإمام محمد بن سعود.
- ٧- دار الملك عبدالعزيز. ٨- وزارة البترول والثروة
- المعدنية. ٩- وزارة المواصلات. ١٠- وزارة الخارجية.

(هـ) السفر إلى جدة:

(١) - جامعة الملك عبدالعزيز. (٢) - دار الوثائق الوطنية  
التابع لأمانة مدينة جدة.

(و) - التوجه إلى الشعبية:

والوقوف على ميناء الشعبية التاريخي وتصويره  
فوتوغرافياً.

( ز ) - التوجه إلى السرين :

والوقوف على موقع ميناء السرين التاريخي وتصويره فوتوغرافياً.

( ٤ ) - زيارة مراكز البحث في مكة البلد الأمين :

كانت الزيارات متكررة من بداية البحث والدراسة حتى نهايتها بفضل الله. ومنها: ١ - جامعة أم القرى. ٢ - مكتبة الحرم المكي. ٣ - مكتبة مكة المكرمة. ٤ - مكتبة نادي مكة الأدبي.

ثالثاً : مرحلة: فرز وتصنيف المادة العلمية التي جمعت على أشكال عدة على رأسها البطاقات، وكذلك المصورات، والملخصات.

رابعاً : مرحلة التحليل والتفسير وكتابة متن الرسالة:

وكان الهدف من هذه المرحلة الختامية توضيح دور الموانئ والثغور الحجازية خلال الفترات التاريخية المتعددة كمنافذ ومعايير للدعوة والحج والهجرات والجهاد في سبيل الله، والملاحة والتجارة، ونقل مؤن عمارة الحرمين الشريفين.

ونظراً لطبيعة هذه الدراسة التاريخية الحضارية المتشعبة، فقد فرض موضوع البحث استخدام أكثر من منهج علمي، فقد استخدمت المنهج التبعي الاستقرائي، والمنهج الوصفي لبيان وصف وتطور الأحداث المرتبطة بالموانئ والربط بينها، والمنهج التحليلي متبعاً في ذلك سمات المنهج العلمي الإسلامي المتمثل في:

١- استعمال الدليل والوثيقة بعد التأكد من صحتها.

٢- حسن الاستدلال باتباع التنظيم والترتيب الملائم مع حسن العرض وتحرير المسائل.

- ٣- الإيمان بكل ما دل عليه الكتاب والسنة.
- ٤- الأمانة في استقصاء الأدلة مع الجمع والترجيح بين الروايات المختلفة وفقاً للقواعد المقررة مع الاستعانة بأقوال العلماء الثقات.
- ٥- بيان المصادر والمراجع التي أخذ عنها مع الضبط المتقن في نقل الأقوال ونسبتها لأصحابها.
- ٦- الاعتماد على النصوص الشرعية والحقائق العلمية وعدم الارتباط بالأوهام والطلسمات والظنون والتحرر من ذلك.
- ٧- التجرد من الهوى والميل الذاتي.
- ٨- تحكيم اللغة والالتزام بقواعدها وبدلالة الألفاظ.
- ٩- عدم قبول المتناقضات، وتقديم المبادئ على الرجال.
- ١٠- حسن الأدب مع كلام الله سبحانه وتعالى، ومع الأنبياء والعلماء، والابتعاد عن التجريح الشخصي، والاقتصار في النقد على بيان الأخطاء<sup>(١)</sup>.

---

(١) محمد بن صامل السلمي: منهج كتابة التاريخ الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، مكة المكرمة، دار الرسالة العلمية، ص ١٣٩.

## خطة البحث

قسمت الرسالة إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة وملاحق، وحيث أن موضوع الدراسة واسع ويشمل منطقة كبيرة وزمناً طويلاً، فقد اجتهدت أن أسير على طريقة تجمع شتات الموضوع وهي الوحدة الجغرافية لثغور الحجاز. وللحديث عن ثغور الحجاز اقتضت طبيعة البحث أن أجعل الفصل الأول عن حدود الحجاز الجغرافية والتاريخية وآراء الفقهاء القدامى والمحدثين في حدود الحجاز التاريخية، وبيان فضل الحجاز وساكنيه في العصور الأولى من البعثة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم، ثم بيان أهمية البحر الأحمر الذي تقع عليه ثغور الحجاز التي هي موضوع الدراسة.

أما الفصل الثاني: فقد عالج النقاط التالية:

١- تعريف الثغر. ٢- الموقع الجغرافي والنشأة التاريخية لكل ثغر على حدة (مع ذكر أبرز من انتسب إليه من العلماء والمحدثين). ٣- عرض لأهم الأحداث السياسية والعسكرية عرضاً تسلسلياً حسب ترتيب السنوات بدءاً من [البعثة النبوية (والهجرة إلى الحبشة تحديداً) حتى سقوط دولة المماليك عام ٩٢٣هـ] والتي ارتبطت بالثغور الحجازية، ورأيت من الأنسب أن أتبع في الدراسة أسلوب الوحدة الجغرافية؛ وعرض الأحداث عرضاً تسلسلياً زمنياً مع ملاحظة أنني تعمدت تأجيل الحديث عن الوضع الاقتصادي إلى الفصل الثالث لارتباطه به بشكل مباشر إلا ما قد يرد بشكل غير مباشر.

أما الفصل الثالث: فقد عالج أخبار الملاحة وعقباتها في البحر الأحمر، وأهم الأهوال التي تعرض لها الحجاج في هذا البحر خلال الفترة الإسلامية، مع بيان مدى ارتباط المسلمين بالبحر الأحمر حتى نهاية العهد العباسي وانتهاءً بالحديث عن التجارة الشرقية التي ازدهرت في العصور عبر البحر

الأحمر التي شكلت العماد الاقتصادي والركيزة الأساسية للأحداث الاقتصادية للبلاد الإسلامية المظلة على ساحلي البحر الأحمر شعوباً وحكومات، كان ذلك في المبحث الأول.

وفي المبحث الثاني تمت معالجة نشأة صناعة السفن عند المسلمين، وأهم سفن البحر الأحمر، وماتميزت به عن السفن الأخرى، وذكر طاقم السفينة العربية، وانتهاء بأهم أنواع السفن العربية التي أبحرت في البحر الأحمر.

وقبل اختتام الفصل رأيت أنه من المناسب أن أعرض بشيء من الإيجاز للتاريخ الملاحي للمسلمين حتى نهاية القرن العاشر بهدف تكامل العرض التاريخي للملاحة وصناعة السفن في البحر الأحمر.

أما الفصل الرابع: فقد عالجت في المبحث الأول أهم الهجرات العربية وخاصة قبائل الحجاز إلى شرق أفريقيا وخاصة (وادي النيل - مصر والسودان - ) ودور هذه القبائل في نشر الإسلام واللغة العربية، ودورها في السياسة والتجارة.

وفي المبحث الثاني تمت معالجة رحلة الحج عبر الثغور مبيناً رأي الرحالة العرب في موانئ الحج على الساحل الأفريقي، ثم الحديث عن رحلة الحاج المصري من الفسطاط (القاهرة فيما بعد) إلى مكة المكرمة مبيناً أهم محطات هذه الرحلة ومن ثم ربط رحلة الحاج المغربي من أقاصي المغرب العربي والأندلسي برحلة الحاج المصري لتشكيل خطاً واحداً يربط المغرب بالمشرق في رحلة مباركة هدفها تلبية نداء إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام للحج آتين من كل فج عميق، لإقامة شعيرة من شعائر الدين الإسلامي.

وفي المبحث الثالث: رأيت من المناسب الحديث عن إمرة قافلة الحاج ربطاً بالمبحث السابق وامتداداً للحديث عن المحمل وما اختلف حوله من



آراء في نشأته وما التف حوله من تجاوزات شرعية جعلته مثار خلاف على مدى الأيام والسنين، ومنه للحديث عن دور الثغور الحجازية في نقل مؤن عمارة الحرمين الشريفين، وبالرغم من الاستفاضة عند المؤرخين عن مناحي عمارة وترميم وتجديد الحرمين الشريفين إلا أن المعلومات تقل وتتضاءل بل وتكاد تندر عند الحديث عن دور موانئ الحجاز في كونها معابر وجسور هامة للمؤن ولكسوة البيت الشريف، ولكن بالرغم من ذلك فقد وفقت بفضل الله عز وجل إلى الوصول إلى المعلومات التي ألفت الضوء على هذا الدور، مما سيفتح الباب للباحثين لمزيد من البحث والتقصي في هذا الجانب، لما أراه أنه جانب خصب يستحق البحث والدراسة رغم ندرة معلوماته، مما سيشكل تحدياً للباحث الجاد.

واختتمت هذا الفصل بالحديث عن كسوة الكعبة الشريفة نشأة وعبوراً إلى الحجاز ودور العباسيين والفاطميين والأيوبيين والمماليك والحكومات الإسلامية الأخرى في كسوة بيت الله العتيق.

أما الخاتمة، فقد تم استعراض أهم النتائج التي توصلت لها في دراستي. هذا وقد أرفقت هذه الدراسة بعدد من الملاحق احتوت على عدد من الخرائط الجغرافية عن ثغور الحجاز والبحر الأحمر، وعدد من الصور الفوتوغرافية الملتقطة من المواقع التاريخية للثغور الحجازية، وصوراً لبعض السفن القديمة التي مخرت عباب البحر الأحمر، وكذلك لبعض محطات طريق الحاج المصري.

والله سبحانه وتعالى أسأله التوفيق والسداد، وأن ينفع بدراستي هذه طلاب العلم والمعرفة في أقطاب المعمورة، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

## شكر وتقدير

الشكر أولاً لله عز وجل على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وفي صدارتها نعمة الإيمان والإسلام، وشرف الانتساب إلى طلب العلم الشرعي على منهج أهل السنة والجماعة، وخاصة في مكة البلد الأمين، وفي هذه الجامعة المباركة، فله الحمد من قبل ومن بعد وعملاً بقول المصطفى الحبيب محمد عليه وآله الصلاة والسلام: "لا يشكر الله من لا يشكر الناس"<sup>(١)</sup>.

أتوجه بالشكر والتقدير لأستاذي القدير، فضيلة الدكتور/محمد بن صامل السلمي الذي تعهدني بمحض النصح والتوجيه، واكتسبت منه إضافة إلى أصول البحث والدراسة، القدرة على الصبر والأناة وحسن الخلق، فجزاه الله عني خير الجزاء.

وسيظل جميلتي موفوراً لزوجتي أم الحسين على دعمها لي وصبرها ومجاهدتها، وتوفيرها لي الوقت والجهد والراحة في سبيل بحثي ودراستي، سائلاً المولى القدير أن يجزيها عني خير الجزاء.

ولدائرة الأهل والأحباب والمعارف والزملاء ممن وقفوا ورائي دائماً بكل المحبة والتكريس أرفع شكري وعرفاني. والشكر موصول لكل العلماء والباحثين الذين زرتهم أو اتصلت بهم هاتفياً أو بريدياً ووجدت منهم كل التجاوب. وكذلك كافة الجهات الرسمية والعلمية في مصر والأردن، وفي وطننا الغالي المملكة العربية السعودية.

كما أتقدم بالشكر أيضاً للجنة المناقشة الموقرة التي تفضلت مشكورة بقبول دراسة وتقويم هذه الرسالة، وأسأله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد إنه سميع مجيب.

---

(١) رواه أبو داود (١٥٧/٥-١٥٨ ح ٤٨١١) وسكت عليه الترمذي (٤/٣٣٩ ح ١٩٥٤م) وقال: "حسن صحيح" والطيالسي في مسنده (ص ٣٢٦)، وأحمد "المسند (٢١٢/٥) وابن حبان في صحيحه "الإحسان (١٧٣/٥) والبيهقي في الكبرى (١٨٢/٦) وإسناده صحيح: تخريج المشكاة رقم (٣٠٢٥) وصحيح الجامع، رقم (٦٦٠١).

## الفصل الأول

- تحديد إقليم الحجاز
- الحجاز — مكانته وفضله —
- الثناء على أهل الحجاز
- البحر في القرآن والسنة
- أهمية البحر الأحمر

## الحجاز

### مدخل :

ما أن يذكر الحجاز إلا وتتوق النفوس شوقاً إلى تلك الديار المقدسة. فهو عند المسلمين في موقع القلب من الجسد؛ وموقع النون من العين، ففيه بيت الله الحرام وكعبته المشرفة، ومشاعر الحج، منى وعرفات ومزدلفة، وفيه مسجد المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومرقد الشريف.

وفي الجاهلية سارت بين شعابه وفي بطون أوديته رحلتا الشتاء والصيف، وفي الإسلام كان الحجاز محور الاهتمام ونقطة الارتكاز لكثير من الأحداث.

فأرضه استقبلت رسالة الإسلام الخالدة فنزلت آيات الذكر الحكيم، وترددت أحاديث النبي الكريم وجرت غزوات وسرايا نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن الحجاز انطلقت رايات أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم لنشر دين الله الحق المبين، وإلى الحجاز يأرز الإسلام وأهله كما تأرز الحية إلى جحرها..

وسوف نتناول الحديث في هذا الفصل عن الحجاز من حيث تعريفه؛ وتحديده، وبيان مكانته، وفضله، وعن بحر الحجاز الذي تقع على شواطئه ثغور الحجاز التي هي موضوع الدراسة.

## تحديد إقليم الحجاز:

### التعريف اللغوي:

في مادة حـ جز من "لسان العرب" قال: الحـ جز: الفصل بين الشيئين، حَجَزَ بينهما يحـجز حـجزاً فاحتـجز؛ واسم ما فصل بينهما الحاجز. وقيل: الحـجز أن تحـجز بين متقاتلين، والحـجاز الاسم، وكذلك الحاجز. ومن ذلك قول الله تعالى: {أمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً} أعله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون {<sup>(١)</sup> الآية

حاجزاً أي بمعنى حـجازاً بين ماء مالح وماء عذب لا يختلطان. ويعنى الحـجاز أيضاً في لغة العرب الحبل الذي يلقي للبعير من قبل رجله ثم يناخ عليه ثم يشد به رسغا رجله الى حقويه وعجزه، فيقال منه حـجزت البعير أحـجزه حـجزاً، فهو محـجوز.<sup>(٢)</sup>

ويرى ياقوت أن الحـجاز بكسر الحاء وآخره زاي، وينقل عن الاباري أن في الحـجاز وجهين يجوز أن يكون مأخوذاً من قول العرب حـجز الرجل بـعيره يحـجزه إذا شده شداً يقيده به، ويقال للحبل حـجازاً، ويجوز أن يكون سمي حـجازاً يحتـجز بالـجبال، يقال: احتـجزت المرأة إذا شدت ثيابها على وسطها واتزرت.<sup>(٣)</sup>

ومن هذا يتبين أن المعنى اللغوي للحـجاز عند العرب يعني الفصل بين الشيئين، وهي كما ترى لا تختلف في مجملها

(١) سورة النمل آية رقم (٦١).

(٢) أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفرقي المصري:

مادة حـجز، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، ج٥، ص ٣٣١-٣٣٣

(٣) أبو بكر ابن يعقوب بن عبدالله شهاب الدين البغدادي الحموي الرومي: معجم

البلدان، المجلد الثاني، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، ص ٢١٨-٢١٩

ومؤداها عن الحجز والمنع والفصل وذلك ماينطبق جغرافياً على الحجاز.

### التحديد الجغرافي:

نعرض فيما يلي جملة من الآراء لعدد من الفقهاء والجغرافيين والمؤرخين من المتقدمين والمتأخرين والمعاصرين. التي تحدد المقصود من الحجاز جغرافياً.

يرى الأمام الشافعي رحمه الله (ت ٢٠٤) أن الحجاز مكة والمدينة واليمامة ومخاليقها كلها، ولا يجب دخول مشرك بلاد الحجاز، ولا يقيم الذمي أكثر من ثلاث ليال، لكنه لا يرى مانعاً من أن يركب أهل الذمة بحر الحجاز، ويمنعون من المقام في سواحلها، وكذلك إن كانت في بحر الحجاز جزائر، وجبال تسكن منعوا سكنها لأنها من أرض الحجاز.<sup>(١)</sup>

ويذكر عرام السلمي (المتوفى في القرن الثالث الهجري) أن الحجاز من معدن النقرة<sup>(٢)</sup> إلى المدينة، فنصف المدينة في رأيه حجازي ونصفها تهامي.<sup>(٣)</sup>

وهو يشير بذلك إلى جزء من الحد الشرقي للحجاز في رأيه.

---

(١) الأم، ج ٤، ص ١٧٧-١٧٨.

(٢) معدن النقرة: من منازل درب الحاج العراقي وتقع بين الحاجر ومغيثة الماوان والربذة. انظر: البلدان لليعقوبي ص ٣١٢ والمسالك والممالك لابن خرداذبه ص ١٢٧، والإدريسي: نزهة المشتاق، ج ١، ص ١٦٣، والمغانم المطابة في معالم طابه للفيروز آبادي، ص ١٥١ تعليق حمد الجاسر.

(٣) كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها: تحقيق عبدالسلام هارون، الطبعة الأولى، ١٣٧٣، مطبعة أمين عبدالرحمن، القاهرة، ص ٥٢.

أما الهمداني (ت ٣٣٤هـ) فيرى أن جبل السراة من أعظم جبال العرب ويمتد من قعرة اليمن حتى أطراف بوادي الشام لذا أسماه العرب حجازاً لأنه حجز بين الغور (أي تهامة) وبين نجد، فصار ماخلف ذلك الجبل في غربيه إلى أسياف البحر من بلاد الأشعريين وعك وحكم وكنانة وغيرها، ودونها إلى ذات عرق<sup>(١)</sup> والجحفة، وما صاقبها وغار من أرضها، وأما ما احتجز به في شرقيه من الجبال وانحدر إلى ناحية فيد وجبلي طيء إلى المدينة وراجعاً إلى أرض مذحج من تثليث وما دونها إلى ناحية فيد حجازاً.<sup>(٢)</sup>

ويحدد الإصطخري (ت ٣٤٠هـ) الحجاز بأنه ماكان من حد السرين على بحر فارس<sup>(٣)</sup> إلى قرب مدين راجعاً في حد المشرق على الحجر إلى جبلي طيء ممتداً على ظهر اليمامة إلى بحر فارس فمن الحجاز.<sup>(٤)</sup>

(١) ذات عرق: عرق الجبل المشرف على ذات عرق، وهو الحد بين نجد وتهامة، وتقع ذات عرق في الضريبة، انظر البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٥، ص ١٩٩، ج ٦، ص ٧٧.

(٢) الحسن بن أحمد بن يعقوب: صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص ٨٥.

(٣) إطلاق تسمية بحر فارس على البحر الأحمر من جملة تسميات أطلقت على البحر الأحمر عند الإصطخري وابن حوقل والمقدسي؛ ويرى الأخير أن سببها أن أكثر صناعات المراكب وملاحيتها فيه كانوا فرساً. مع العلم أن الجغرافيين الثلاثة من الذين عاشوا في القرن الرابع الهجري "العاشر الميلادي"، انظر المقدسي: أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٨.

(٤) ابن إسحاق إبراهيم بن محمد: المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر الحسيني، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٣٨١هـ - ١٩٦١م، ص ١٩-٢١.

ونفس التحديد يراه ابن حوقل (ت ٣٦٧هـ) بالنص. (١)

وينقل البكري (ت ٤٨٧هـ) جملة من الآراء حول تحديد الحجاز ومنها أن ذات عرق فصل ما بين تهامة ونجد والحجاز، والحجاز: ماحجز فيما بين اليمامة والعروض، وفيما بين اليمن ونجد، كما أن الحجاز اثنتا عشرة داراً: المدينة، وخيبر وفدك، وذو المروة، ودار بلي، ودار أشجع ودار مزينة، ودار جهينة، ودار بعض بني بكر بن معاوية، ودار بعض هوازن، وجل سليم، وجل هلال. وحد الحجاز الأول بطن نخل وأعلى رمة وظهر حرة ليلي. والثاني مما يلي الشام: شغب وبداء. والثالث مما يلي تهامة وبدر والسقيا ورهاط وعكاظ. والرابع مما يلي ساية وودان، ثم ينخرج إلى الحد الأول بطن نخل وأعلى رمة. ومكة من تهامة، والمدينة من الحجاز. (٢) وهو يشير بذلك إلى السراة. كذلك الحال بالنسبة لياقوت (ت ٦٢٦هـ) الذي يرى أن الحجاز يمتد من تخوم صنعاء من العبلاء وتباله إلى تخوم الشام، كما يذكر قولاً آخر أن فلسطين من الحجاز. (٣)

ولابن المجاور (ت ٦٩١هـ) رأي في تحديد الحجاز يلتقي فيه مع الاصطخري من أنه يمتد من السرين على بحر فارس إلى قرب مدين إلى حد الشرق على هجر إلى جبلي طيء ممتداً على ظهر اليمامة إلى بحر فارس من الحجاز. (٤)

أما الفاسي فإنه يناقش الآراء حول تحديد الحجاز ويفند بعضها مثل القول أن نجران من مخالفيف مكة مشيراً إلى أن

(١) وانظر أبي القاسم النصيبي: كتاب صورة الأرض، الطبعة الثانية، القسم الأول، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٣٨م، ص ١٩-٢٠.

(٢) أبي عبيد الله عبدالله بن عبدالعزيز الأندلسي: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقاء، الطبعة الأولى، ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م، القاهرة، ج ١، ص ٩-١١.

(٣) معجم البلدان، ج ٢، ص ٢١٩.

(٤) جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد الشيباني الدمشقي: صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة "تاريخ المستبصر"، طبع في ليدن، إبريل ١٩٥١م، تحقيق أو سكر لوفغرين، ص ٤٠.



نجران ليست من الحجاز وإن كانت من مخاليف مكة وينفي أيضاً أن تكون بلاد بجيلة<sup>(١)</sup> من الحجاز. ويؤيد رأي الإمام الشافعي في تحديد الحجاز<sup>(٢)</sup>.

ولا يختلف رأي الحميري (ت ٩٠٠هـ) في تحديد الحجاز عن الهمداني أو البكري أو ياقوت بل هو تكرر ونقل لأقوالهم<sup>(٣)</sup>.

ويؤكد العياشي الذي حج عام (١٠٧٤هـ) في رحلته أن العقبة هي (أول أرض الحجاز ... فإن من هنالك تخالف الأرض ماقبلها وتباين الجبال ماسواها ويشد شبها بجبال الحجاز السود ويتقوى الحر وتستمرمل الأرض)<sup>(٤)</sup>.

ويقدم السنجاري (ت ١١٢٥هـ) تحديداً عاماً غير دقيق مدخلاً اليمامة واليمن ومخالفها في الحجاز<sup>(٥)</sup>.

من خلال العرض السابق لأهم آراء المتقدمين من الفقهاء والجغرافيين والمؤرخين. في تحديد إقليم الحجاز، ورغم التفاوت الظاهر بين بعض الآراء في دقة التحديد إلا أن من المتفق عليه بينهم أن جبال السراة، تمثل الحجاز من حيث الوصف الجغرافي وتمتد من بادية الشام إلى تخوم اليمن، وينحصر مسمى الحجاز التاريخي من جنوب الطائف في السراة، والسرير في الساحل حتى العقبة وجبال الشراة في

(١) بلاد بجيلة: السراة الواقعة جنوب الطائف إلى تربة وتسمى ديار بني مالك، انظر البلادي: معجم قبائل الحجاز، الطبعة الثانية، دار مكة، ١٤٠٣هـ، ص ٣٥.

(٢) تقي الدين محمد بن أحمد: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، مكتبة نزار الباز، ج ١، ص ٦٩-٧٢.

(٣) محمد بن عبد المنعم: الروض العطار في خبر الاقطار، تحقيق احسان عباس، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م، مكتبة لبنان، بيروت، ص ١٦٣-١٦٤.

(٤) عبد الكريم كريم: بلاد الحجاز في المخطوطات المغربية المدونة خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر للهجرة، مجلة التاريخ العربي، العدد الخامس، شتاء ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، تصدر عن جمعية المؤرخين المغاربة، ص ١٠٥.

(٥) علي تاج الدين بن تقي الدين: منائح الكرم في تاريخ مكة والبيت وولاية الحرم، تحقيق جميل المصري، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ج ١، ص ٢٠٥.

تخوم الأردن، وساحل البحر بين العقبة شمالاً والسرير جنوباً يسمى تهامة الحجاز وهو جزء منه وتقع مكة في تهامة والمدينة في الحجاز.

ويظهر الاختلاف كثيراً في الحد الشرقي الا أن الرأي المتفق عليه أن شرقي السراة وما سال من ذات عرق شرقاً يسمى نجداً.

وفيما يلي عرض لأهم آراء المؤرخين والجغرافيين والفقهاء المتأخرين والمعاصرين:

يذكر فؤاد حمزة أن جبال السراة هي التي تقسم جزيرة العرب إلى قسمين شرقي وغربي، وهي محاذية لساحل البحر الأحمر من شمال مدين إلى اليمن، وقد سميت حجازاً لأنها حجزت بين ساحل البحر الأحمر وهو هابط عن مستواها وبين النجاد الشرقية المرتفعة بالنسبة إلى الساحل الغربي، وقد سمي القسم الهابط عن مستوى الحجاز إلى الغرب بتهامة، وسمي القسم الشرقي منه نجداً.<sup>(١)</sup>

ويستعرض عمر رضا كحالة مجموعة من التعاريف والآراء حول تحديد الحجاز جغرافياً.

فيقول: الحجاز يقع في الناحية الشمالية الغربية من شبه جزيرة العرب وهو إقليم مستطيل مختلف في حدوده السياسية باختلاف العصور والدول كما تعددت الأقوال في حدوده الطبيعية" وينقل رأياً لحافظ وهبه من أن الحجاز يمتد من معان ماراً برأس خليج العقبة إلى نقطة بين الليث والقنفذة على شاطئ البحر الأحمر كما ينقل عن شرف البركاتي الذي يحدد الحجاز غرباً بالبحر الأحمر وشرقاً بالبادية الكبرى وجنوباً بلاد قبيلة بني مالك بجبل السراة ووادي دوقة على الساحل، وشمالاً من جهة البحر الأحمر العقبة.

(١) قلب جزيرة العرب، الطبعة الثانية، ١٣٨٨هـ، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، ص ١٧.

أما أمين الريحاني فيوضح حدود الحجاز في جهة الغرب بالبحر الأحمر وفي الشمال بالعقبة وفي الجنوب بالقتفذة وجبال عسير، أما في الشرق فيرى أنها مختلف عليها وغير معروفة تماماً في رأيه.<sup>(١)</sup>

ويرى صالح العلي أن القول بأن السراة هي الحجاز غير وافٍ ولا دقيق، فمن المعروف أن بعض أقسام السراة وخاصة ما كان فيها في الجنوب والشمال لا تسمى حجازاً وإن مسمى الحجاز يتركز في وسط السلسلة، وبعد عرض ونقاش لآراء المؤرخين والجغرافيين المتقدمين ينتهي إلى أن الرواة العرب أدركوا الأسس الجغرافية لتحديد الحجاز فاعتبروه الحد الفاصل بين تهامة ونجد غير أن التوسع في الجهة الشرقية كان متأثراً بالتنظيمات الإدارية في زمان كل مؤلف.<sup>(٢)</sup>

ويقدم أحمد الشريف تحديداً للحجاز لعله أكثر وضوحاً حيث يرى أن الحجاز في العرف لا يقتصر على الجبال الممتدة من خليج العقبة إلى عسير بل يشمل تهامة. ويقدر المسافة من الشمال إلى الجنوب بـ سبعمائة ميل طولاً، ومائتين وخمسين ميلاً عرضاً. إلا أنه ينبغي الإشارة إلى أن هذه الأطوال قد تتفاوت من موقع إلى آخر بحسب قرب الجبال وبعدها عن البحر، ويشمل القسم الشمالي من الحجاز في رأيه أرض مدين "وحسمي"، وهي الجبال الواقعة شمال تبوك مما يلي أيلة "العقبة".<sup>(٣)</sup>

ويرى الباحث المعاصر عاتق البلادي أن أوسط الأقوال في تحديد الحجاز أنه يمتد من الشراة في الأردن إلى حلي، وتثليث،

(١) جغرافية شبه جزيرة العرب، راجعه أحمد علي، الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ/

١٩٦٤م، مكتبة النهضة الحديثة، مكة، ص ١٢٩-١٣١.

(٢) انظر: الحجاز في صدر الإسلام، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠

م، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص ٦١-٧٣.

(٣) الحجاز قبيل ظهور الإسلام، بحث في ندوة دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب

الثالث، الجزيرة العربية في عصر الرسول والخلفاء الراشدين، جامعة الملك سعود،

١٩٨٩/١٤١٠، ج ١، ص ١٩.

وجرش جنوباً، وتدخل فيه تهامة الممتدة من حلي إلى العقبة، ومن الشرق ينتهي إلى أن خير الأقوال من حدد الحجاز بالقرب من الحناكية.<sup>(١)</sup>

وفي مقدمة كتابه "معجم معالم الحجاز" يقول: (أما المعالم التي تناولها الكتاب فهي من جنوب الليث جنوباً إلى العقبة والمدورة "سرغ" شمالاً ومن الشرق على الخرمة والموية وحرّة كشب ورحرحان - شرق الحناكية - ثم شرق تيماء إلى الطيّق "جوش")<sup>(٢)</sup> فهذه حدود الحجاز عنده.

وبعد استعراض دقيق لآراء المؤرخين والجغرافيين حول تحديد الحجاز ينتهي بكر أبو زيد<sup>(٣)</sup> إلى أن الحجاز بالجملة مكة، والمدينة، ومخاليقهما، وتلك الحرار، وما انحاز عنها غرباً إلى ساحل البحر الأحمر.<sup>(٤)</sup>

---

(١) بين مكة وحضرموت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م، دار مكة، ص ١٦٣-١٦٤.

(٢) معجم معالم الحجاز، ج ١، ص ٩.

(٣) عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية والفقير المعروف).

(٤) خصائص جزيرة العرب، الطبعة الثانية، ١٤١٨/١٩٩٧، دار ابن الجوزي، الدمام، ص ٢٦.

وبعد عرض آراء الباحثين والجغرافيين والفقهاء مبتدأ برأي الإمام الفقيه الشافعي رحمه الله ومنتهاً برأي الشيخ بكر أبو زيد الفقيه المعاصر يتضح لنا أن المدينتين المقدستين مكة والمدينة، ومخاليفهما وحرارهما، وساحل البحر الأحمر من أيلة " العقبة " حتى ميناء السرين جنوب الليث وما يقابل الساحل شرقاً ويسامته من جبال السراة جنوب الطائف هو المقصود بالحجاز. وأما الاختلاف من جهة الشرق فإن للتقسيمات الإدارية عبر العصور أثراً في هذا الاختلاف حيث تتسع في زمن وتضيق في زمن آخر، فقد اعتبر الإمام الشافعي اليمامة من الحجاز لأنها كانت في عصره تابعة لوالي الحجاز.

## الحجاز "مكاته وفضله"

المكانة: المنزلة ورفعة الشأن، كذلك الفضيلة: تعني الدرجة الرفيعة في الفضل وهي المزية خلاف الرذيلة والنقيصة.

وقد قال تعالى: {وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} (١) فالله وحده يختار من الأماكن والبلاد ما يشاء سبحانه، ولا شك أن من الأماكن المختارة والمفضلة أرض الحجاز وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: " إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، وهو يأرز بين المسجدين، كما تأرز الحية في جحرها " (٢) أي بين مسجدي مكة والمدينة.

وحديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " غلظ القلوب والجفاء في المشرق والإيمان في أهل الحجاز " (٣)

وقال القاضي عياض: "جدير بمواطن عمرت بالوحي والتنزيل، وتردد بها جبريل، وميكائيل، وعرجت منها الملائكة والروح، وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح، واشتملت تربتها على جسد سيد البشر، وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر، مدارس آيات، ومساجد وصلوات، ومشاهد الفضائل والخيرات، ومعاهد البراهين والمعجزات، ومناسك الدين، ومشاعر المسلمين، ومواقف سيد المرسلين ومتبوأ خاتم النبيين، حيث انفجرت النبوة، وفاض عبابها، ومواطن مهبط

(١) سورة القصص، آية (٦٨).

(٢) صحيح مسلم، بشرح النووي، حديث رقم ٢٣٢ (١٤٦) كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود، ج ١، ص ٤٥٣.

(٣) مسلم: رقم ٩٢ (٥٣)، ص ٣٠٧، ج ١، كتاب الإيمان، باب فضائل أهل الإيمان.

الرسالة، وأول أرض مس جلد المصطفى ثرابها: أن تعظم عرصاتها، وتُسَمَّ نفحاتها".<sup>(١)</sup>

ومع أن مكة المكرمة والمدينة المنورة هما أهم مدن الحجاز وحواضره إلا أنه يوجد في الحجاز في عهد النبوة وما بعده حواضر أخرى كالتائف وخيبر ووادي العلا. وأقيمت على البحر الأحمر موانئ وثغور ومرافئ عدة لعل من أهمها العقبة وينبع، والجار، وجدة، والشعبية، والسرين، وعلى امتداد التاريخ الإسلامي ومع توالي الأحداث والأيام، كانت تتقدم مدينة أو ميناء أو مرفأ ويتأخر آخر تبعاً لأحوال العمران، والأحداث التي ارتبطت بالمدينة أو الميناء.

ومكة هي عاصمة الحجاز خاصة، والعالم الإسلامي كافة، وقد اختارها الله عز وجل مكاناً لبيته المحرم فقال تعالى: {إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً...}<sup>(٢)</sup> وقال تعالى على لسان إبراهيم الخليل: {ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادي غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون}<sup>(٣)</sup> وقال تعالى: {وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها...}<sup>(٤)</sup>

فسمى مكة أم القرى أي أن القرى كلها ترجع إليها فهي أمها. وقد جعل الله مكة بلداً آمناً وحرماً محرماً فقال تعالى: {أو لم نمكن لهم حرماً آمناً يُجبي إليه ثمرات كل شيء رزقا من

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى: تحقيق علي محمد البجاوي، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م، دار الكتاب العربي، بيروت، ج ٢، ص ٦٢٢-٦٢٣.

(٢) سورة آل عمران، آية ٩٦، ٩٧.

(٣) سورة إبراهيم، آية ٣٧.

(٤) سورة الشورى، آية ٧.



لنا ولكن أكثرهم لا يعلمون<sup>(١)</sup> وقال: {أو لم يروا أنا جعلنا  
حرماً عاماً ويتخطف الناس من حولهم...}.<sup>(٢)</sup>

[وعن أبي شريح أنه قال لعمر بن سعيد<sup>(٣)</sup> وهو يبعث  
البعوث إلى مكة ائذن لي أيها الأمير أحدثك قولاً قام به النبي  
صلى الله عليه وسلم الغد من يوم الفتح، سمعته أذناي، ووعاه  
قلبي، وأبصرته عيناي حين تكلم به: حمد الله، وأثنى عليه، ثم  
قال: إن مكة حرمتها الله، ولم يحرمها الناس، فلا يحل لامرئ  
يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا، ولا يعضد بها  
شجرة، فإن أحدًا ترخص لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فيها فقولوا له: إن الله قد أذن لرسوله، ولم يأذن لكم، وإنما  
أذن لي فيها ساعة من نهار، ثم عادت حرمتها اليوم كحرمتها  
بالأمس، وليبلغ الشاهد الغائب. فقل لأبي شريح: ما قال [لك]  
عمرو؟ قال: أنا أعلم [بذلك] منك يا أبا شريح! إن مكة (وفي  
رواية: إن الحرم) لاتعذر عاصياً، ولا فاراً بدم، ولا فاراً  
بخربة<sup>(٤)</sup>]

[وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي  
صلى الله عليه وسلم قال: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد،

(١) سورة القصص، آية ٥٧.

(٢) سورة العنكبوت، آية ٦٧.

(٣) عمرو بن سعيد بن العاص الأموي، أبو أمية الأشدق، أمير أموي كان والي مكة  
والمدينة لمعاوية وابنه يزيد بعث لقتال ابن الزبير في سنة ٦٠ هـ في مكة وذكره  
ابن شريح بحرمة مكة، فأبي، وقال: نحن أعلم بحرمتها منك أيها الشيخ. وقتله  
عبد الملك بن مروان في خلافته عام ٧٠ هـ.

انظر الطبري: تاريخ الأمم: ج ٣، ص ٢٧٤، وانظر الزركلي: الأعلام،  
ج ٥، ص ٧٨.

(٤) البخاري: حديث رقم ١٠٤، ج ١، ص ٦٠، كتاب العلم، باب ليبلغ  
الشاهد الغائب مراجعة وضبط الشيخ محمد علي القطب، والشيخ هشام  
البخاري، الطبعة الأولى، ١٤١٧، ١٩٩٧، المكتبة العصرية، بيروت.  
وخربة تعني: الثقب المستدير، وأيضاً الفساد في الدين، وفي الحديث  
يراد بها الذي يضر بشئ ما ينفرد به ويغلب عليه مما لاتجيزه  
الشريعة. انظر لسان العرب، ج ١، ص ٣٤٩.



المسجد الحرام، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم،  
والمسجد الأقصى<sup>(١)</sup>.

[وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم افتتح مكة: لا هجرة، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا، فإن هذا بلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، وهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي [ولا لأحد بعدي] ولم يحل لي إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يُعضد شوكه، ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته، إلا من عرفها، [وفي رواية: إلا لمعرف وفي أخرى: إلا لمنشد]. ولا يختلي خلاها. قال العباس: يارسول الله إلا الإنخر؛ فإنه [لأبد منه] لقيهم وليبوتهم (وفي طريق آخر فإنه لصاغتنا ولقبورنا، وفي رواية: ولسقف بيوتنا) [فسكت ثم]، قال: إلا الإنخر. [قال عكرمة: هل تدري ما (ينفر صيدها)؟ هو أن تنحيه من الظل وتنزل مكانه].<sup>(٢)</sup>

[عن جابر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا يحل لأحدكم أن يحمل بمكة: السلاح".<sup>(٣)</sup>]

أما مدينة المصطفى صلى الله عليه وسلم طيبة الطيبة فقد ورد في فضائلها الكثير من الأحاديث منها على سبيل المثال، [عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: المدينة حرم، من كذا إلى كذا، لا يقطع شجرها، ولا يحدث فيها

(١) الألباني: مختصر صحيح البخاري: كتاب الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، حديث رقم ٦١٣، ج ١، ص ٢٨١.

(٢) الألباني: مختصر صحيح البخاري: كتاب جزاء الصيد، باب لا يحل القتال بمكة، حديث رقم ٨٨٧، ج ١، ص ٤٢٩.

(٣) المنذري: مختصر صحيح مسلم: تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، كتاب الحج، باب في تحريم مكة وصيدا وشجرها ولقطتها، حديث رقم ٧٦٧، ص ٢٠١.

حدث، من أحدث فيها حدثاً [أو آوى محدثاً] فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. (١) ]

[وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمرتُ بقريّةٍ تأكلُ القرى، يقولون: يثرب، وهي المدينة، تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد. (٢)]

[عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الإيمان ليأرزُ إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها. (٣) ]

[عن سعد رضي الله عنه قال: سمعت النبي يقول: لا يكيد أهل المدينة أحدٌ إلا أنماع كما ينماع الملح في الماء. (٤)]

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ليس من بلدٍ إلا سيطوهُ الدجال؛ إلا مكة والمدينة، ليس له من نقابها نقبٌ، إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها، [فلا يقربها الدجال ولا الطاعون إن شاء الله] (وفي رواية يجي الدجال حتى ينزل في ناحية المدينة) ، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فيُخرجُ الله كل كافرٍ ومُنافقٍ. (٥) ]

---

(١) الألباني: مختصر صحيح البخاري: كتاب فضائل المدينة، باب حرم المدينة، حديث رقم ٩٠١، ج ١، ص ٤٣٦.

(٢) المصدر السابق: كتاب فضائل المدينة، باب فضل المدينة وأنها تنفي الناس، حديث رقم ٩٠٣، ج ١، ص ٤٣٦.

(٣) المصدر السابق: كتاب فضائل المدينة، باب فضائل المدينة، حديث رقم ٩٠٦، ج ١، ص ٤٣٧.

(٤) المصدر السابق: كتاب فضائل المدينة، باب : ثم من كاد أهل المدينة، حديث رقم ٩٠٧، ج ١، ص ٤٣٨.

(٥) الألباني: البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة، حديث رقم ٩١١، ج ١، ص ٤٣٨/٤٣٩.

[عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي.]<sup>(١)</sup>

[عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، وعك أبو بكر وبلال [رضي الله عنهما، قالت: فدخلت عليهما، فقلت: يا أبت كيف تجدك؟ ويا بلال كيف تجدك؟ قالت] فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

كل امرئ مصبّح في أهله والموت أدنى من شراك نعلِه

وكان بلال إذا أفلح عنه الحمى يرفع عقيرته يقول:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة  
بـوَادٍ وحولي إنخرّ وجليلُ

وهـل أردن يوماً مياه مجنةٍ وهل يبدون لي شامة وطفيلُ

قال اللهم العن شيبه بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وأميه بن خلف كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء. [قالت عائشة: فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته] قال: اللهم حبيب إلينا المدينة، كحبنا لمكة أو أشدّ اللهم بارك لنا في صاعنا، وفي مدّنا، وصححها لنا، وانقل حمّاها إلى الجحفة. قالت: فكان بطحان يجري نجلاً تغني ماء آجناً.]<sup>(٢)</sup>

[عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إني أحرم ما بين لابتي المدينة أن يقطع عضائها أو يقتل صيدها وقال: المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، ولا يدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من هو

(١) المصدر السابق: كتاب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة، حديث رقم ٩١٤، ج ١، ص ٤٤٠.

(٢) الألباني: مختصر صحيح البخاري: كتاب فضائل المدينة، حديث رقم ٩١٥، ج ١، ص ٤٤٠. (والآجن هو ما تغير لونه وطعمه).

خير منه، ولا يثبت أحدٌ على لأوائها وجهدها إلا كنتُ له شفيعاً  
أو شهيداً يوم القيامة" (١).

[عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: نظر رسول الله إلى  
أحدٍ فقال "إن أحداً جبل يحبنا ونحبه" (٢)].

[عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى  
الله عليه وسلم يأتي مسجد قباء راكباً وماشياً فيصلّي فيه  
ركعتين (٣)].

---

(١) المنذري: مختصر صحيح مسلم: كتاب الحج، باب تحريم المدينة،  
حديث رقم ٧٧٤، ص ٢٠٣.

(٢) المصدر السابق: كتاب الحج، باب أحد جبل يحبنا ونحبه، حديث رقم  
٧٨٨، ص ٢٠٦.

(٣) المصدر السابق: كتاب الحج، باب في مسجد قباء وفضله، حديث رقم  
٧٩٢، ص ٢٠٦.

ويرى ابن الجوزي ان سبب توقان النفس إلى مكة ثلاثة أمور منها: دعاء الخليل عليه السلام حين قال: { ... فأجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم }<sup>(١)</sup> ومنها: أن الله تعالى ينظر إلى الكعبة ليلة النصف من شعبان فتحن القلوب إليها<sup>(٢)</sup> ومنها: أن الله تعالى أخذ ذرية آدم بأرض نعمان.<sup>(٣)</sup>

والإمام مالك رحمه الله يرى أن التفاضل بين مكة والمدينة بسبب تشريف المسجدين الا أنه يؤكد على أفضلية مكة على المدينة. ومالك وأكثر المدنيين (أي علماء أهل المدينة وفقهائهم من التابعين) وأهل مكة والكوفة ومنهم أبو حنيفة وأصحابه وأحمد بن حنبل وسفيان الثوري وحماد وعلقمة وأصحاب الشافعي ذهبوا إلى تفضيل مكة. لحديث النسائي وابن ماجه والترمذي وحسنه وصححه عن عبدالله بن الحمراء، قال رأيت رسول الله على الحزوة فقال: والله إنك لخير أرض الله إلى الله تعالى ولولا أني أخرجت منك ما خرجت (وهو قول عطاء) وهو من أكابر التابعين (وابن وهب وابن حبيب من أصحاب مالك وحكاه الساجي). وفي رسالة الحسن البصري رحمه الله إلى أهل مكة أن الدعاء يستجاب في حرمها وعند البيت والركن الأسود والملتزم وتحت الميزاب، ويذكر عن الحسن البصري قوله أنه سمع أن عثمان بن عفان رضي الله عنه أقبل ذات يوم فقال لأصحابه ألا تسألونني من أين جئت؟ قالوا من أين جئت

(١) سورة إبراهيم، آية رقم (٣٧).

(٢) هذا القول لا أدري ما مستنده فيه؟ وقد ذكر أهل العلم أنه لم يثبت في فضل ليلة النصف من شعبان حديث (انظر المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن القيم)، تحقيق عبدالفتاح أبو غده، ص ٩٩.

(٣) الإمام جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن محمد بن علي الجوزي: مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن، تحقيق أبو عبدالله محمد حسن إسماعيل، الطبعة الأولى، ١٤١٦-١٩٩٦، دار الكتاب العلمية، ص ٣٣.

يا أمير المؤمنين؟ قال ما زلت قائماً على باب الجنة، وهو يقصد بذلك قيامه تحت الميزاب للدعاء والذكر. (١)

مع العلم أن الميزاب لم يرد فيه حديث صحيح والقاضي عياض يذكر الأحاديث الضعيفة عفا الله عنا وعنه.

وكما كانت مكة حرسها الله مبدأ الوحي والهداية كانت المدينة طيبة الطيبة نهاية الوحي ومنزل الرسول الحبيب ومرقده الشريف.

وبما أن مكة ربّت النبي صلى الله عليه وآله وسلم صبياً فقد آوته المدينة نبياً. (٢)

---

(١) القاضي عياض: الشفاء، شرح الفاضل على القاري، ١٣١٦، ص ١٦٢-١٦٨.

(٢) محمد بن سليمان: مفاخرة بين مكة والمدينة، تحقيق محمد الششتاوي، الطبعة الأولى، ١٤١٩/١٩٩٩، دار الآفاق العربية، القاهرة، ص ١٣-١٤.

## الثناء على أهل الحجاز:

نال أهل هذه الديار من ثناء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ماورد في عدة أحاديث شريفة منها:

[عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "قريش والأنصار وجهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار، موالي؛ ليس لهم مولى دون الله ورسوله".<sup>(١)</sup>]

[وقد أتى نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم على قريش فقال: "الناس تبع لقريش في هذا الشأن، مسلمهم تبع لمسلمهم، وكافرهم تبع لكافرهم".<sup>(٢)</sup>]

قال الإمام أبو بكر بن أبي عاصم حدثنا أبو بكر بن أبي شيبه حدثنا وكيع عن سفيان عن ابن خثيم عن إسماعيل بن عبيد الله بن رفاعه عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (إن قريشاً أهل صدق وأمانة، من بغاهم العوائر أكبه الله لوجهه).<sup>(٣)</sup>

(١) أخرجه البخاري في: ٦١- كتاب المناقب: ٢- باب مناقب قريش. وانظر الألباني مختصر صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب دعاء النبي الغفار، باب في فضل مزينة وجهينة وغفار، ص ٤٦٢-٤٦٣

(٢) أخرجه البخاري في: ٦١- كتاب المناقب: ١- باب قوله تعالى {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى}، انظر: اللؤلؤ والمرجان في ما اتفق عليه الشيخان، كتاب الأمانة، باب الناس تبع لقريش، حديث رقم ١١٩٣، ج ١، ص ٢٣٩. وانظر: المنذري: مختصر صحيح مسلم: كتاب الأمانة، باب الخلفاء من قريش، حديث رقم ١١٩٥، ص ٣٢٦.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده (٣٤٠/٤) عن وكيع به. والبخاري في الأدب المفرد (٧٥) والحاكم في مستدركه ٧٣/٤. انظر: لذة العيش في فضائل قريش (عبدالعزیز الراجحي)، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، ص ٧٢-٧٣. وانظر: السنة لابن أبي عاصم: الطبعة الأولى، ١٤٠٠، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية، بيروت، ج ٢، ص ٦٣٥.

[وعن أنس رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى صبياناً ونساءً مقبلين من عرس، فقام نبي الله مُثلاً، فقال: "اللهم أنتم من أحب الناس إليّ، اللهم أنتم من أحب الناس إليّ" يعني الأنصار. (١)]

[عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم "اللهم أغفر للأنصار، ولأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار". (٢)]

ذلك يسير من كثير مما ذكره المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم في الثناء على بعض قبائل الحجاز خاصة والجزيرة العربية عامة، وهذا مما يدل على مكانة العرب في الإسلام وأنهم أفضل من غيرهم، وأن محبتهم سبب قوة الإيمان فالذي عليه أهل السنة والجماعة كما يقول ابن تيمية رحمه الله - اعتقاد أن جنس العرب أفضل من جنس العجم وأن قريشاً أفضل العرب وأن بني هاشم أفضل قريش، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أفضل بني هاشم فهو أفضل الخلق نفساً وأفضلهم نسباً. وليس فضل العرب، ثم قريش، ثم بني هاشم: بمجرد كون النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليه وآله وسلم منهم، وإن كان هذا من الفضل، بل هم في أنفسهم أفضل. وبذلك ثبت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه أفضل نفساً ونسباً، وينقل ابن تيمية رحمه الله قول الكرمانى صاحب الإمام أحمد في وصفه للسنة التي قال فيها: هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الأثر، وأهل السنة المعروفين، المقتدى بهم فيها، بل يرى أن من خالف شيئاً من هذه المذاهب أوطعن فيها أو عاب قائلها فهو مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن منهج السنة، وسبيل الحق، ويرى أن الله تعالى خص العرب ولسانهم بأحكام تميزوا بها، ثم خص قريشاً على سائر العرب بما جعل فيهم خلافة النبوة، ثم

(١) المنذري: مختصر صحيح مسلم: كتاب فضائل أصحاب النبي باب في فضائل الأنصار، ص ٤٦١.

(٢) المصدر السابق: ص ٤٦١.



خص بني هاشم بتحريم الصدقة واستحقاق قسط من الفيء إلى غير ذلك مما فصله ابن تيمية رحمه الله.<sup>(١)</sup>

فهذا الحجاز بأرضه وسكانه كان وما زال وسيبقى بإذن الله ذا أهمية بالغة، فقد كان في الجاهلية شرياناً رئيساً من شرايين التجارة العالمية من طرق برية أو بحرية، كما كان الحجاز ذا أهمية كبيرة في الإسلام من عدة نواح أبرزها المكانة الدينية والعلمية ثم الناحية العسكرية والاقتصادية لكونه جسراً يصل ما بين بلاد الشام وحوض البحر المتوسط وبين بلاد اليمن والمحيط الهندي، وما يقع على سواحل من مناطق غنية بالمعادن الثمينة، حتى صارت موانئه منازل للتجار وملاجئ لسفنهم المحملة بالخيرات.<sup>(٢)</sup> وقد تسابقت وتنافست الدول الإسلامية على مدار التاريخ من عهد بني أمية وبني العباس والعبيديين في مصر والأيوبيين والمماليك في جعل الحجاز من ولايتها والاستفادة من موانئه تجارياً، حيث أن قيام دولة الإسلام منح العرب بعامّة وسكان الحجاز خاصة الفرص الملائمة تماماً للسيطرة على تجارة البحر الأحمر فأصبح بحراً عربياً خالصاً حتى القرن العاشر الهجري، وانعكس ذلك على ازدياد أهمية مكة والمدينة تجارياً لأنهما احتاجتا إلى منافذ بحرية تصلهما بالعالم المجاور عبر البحر الأحمر.<sup>(٣)</sup> كما سيأتي تفصيل ذلك لاحقاً.

فإذا كان الحجاز أساس تاريخ العرب والإسلام ومحوره الذي يدور عليه لذا فإن معرفة مكانته ومكانة الجزيرة العربية أصل من أصول الملة كما يرى العلامة بكر أبو زيد، فهي دار

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم: مطبعة الحكومة، ١٣٨٩هـ، مكة المكرمة، ص ١٤٨-١٥٤.

(٢) أحمد إبراهيم الشريف: دور الحجاز في الحياة السياسية في القرنين الأول والثاني الهجري، دار الفكر العربي، ص ٣ - ٤.

(٣) محمد أحمد الرويثي: التطور المكاني والتاريخي لمواني شبه الجزيرة العربية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، المدينة المنورة، ص ٧٦.

النصرة والقبلة وحبية المسلمين وعدوة الكافرين، فدين الإسلام هو قدر الله في هذه الجزيرة؛ وقاعدة انطلاقاته إلى كل الخليقة في المعمورة، فإذا سلمت الجزيرة العربية والحجاز من الأمراض والعلل بقى الإسلام في حضانة أهله مزدهراً مشعة أنواره؛ ظاهرة شعائره، مؤمنة سبله، وتبقى الجزيرة مركزاً للإسلام، ودار قيادة للأمة الإسلامية، وأهلها قدوة للمسلمين، من ذلك يتضح أهمية هذا الأصل العقدي وضرورة معرفة ما هُجر من خصائصه.<sup>(١)</sup>

---

(١) خصائص جزيرة العرب، ص ٥-٧.

## البحر في القرآن الكريم والسنة مع بيان أهمية البحر الأحمر

البحر في اللغة: الماء الكثير ملحاً كان أو عذباً، وهو خلاف البرّ، سمي بذلك لعمقه واتساعه، وقد غلب على الملح حتى قل في العذب.

وسمي البحر بحراً لسعته وانبساطه وقد أجمع أهل اللغة على أن اليم هو البحر.<sup>(١)</sup> وقد يطلق على النهر بحراً.

وقد وردت لفظة البحر في القرآن الكريم إحدى وأربعين مرة، ولفظ اليم ثمان مرات.

وكان ورودها في آية أو عدة آيات لغرض أو دلالة أو فائدة معينة ومن هذه الأغراض:

أولاً: في سياق الحديث عن النعم التي أنعم الله بها على بني البشر التي لا حصر لها ومن جملتها ما أنعم الله به من خيرات البحار، ففي البحر اللحم الطري كالسمك، وغيره، والحلية التي يلبسها النساء، كالجواهر النفيسة، واللؤلؤ والمرجان، والفلك التي تسير في البحر بأمره سبحانه وتعالى تشق عباب البحر وتحمل الامتعة، والأقوات، كل ذلك مسخر للإنسان ابتغاء فضل الله من الانتفاع بالنعم السابقة والشكر لله وحده، وبيان ما أحله الله له من طعام البحر حتى لو كان محرماً "من الإحرام".<sup>(٢)</sup>

فالبحر مصدر هام من مصادر قوت الإنسان، وكذلك توفير الطاقة له، فبالنظر لثلاثة مظاهر أبدية في البحر هي حركة أمواج البحر، وفروق درجات الحرارة بين طبقات مياهه ثم لظاهرة المد والجزر فيه. بل أصبح البحر في العصر الحديث

(١) انظر ابن منظور: لسان العرب، مادة بحر، ص ٤١-٤٧، ج ٤.

(٢) محمد علي الصابوني: صفوة التفسير، الطبعة الرابعة، ١٤٠٢-١٩٨١، دار القرآن الكريم، بيروت، ج ٢، ص ١٢١، ج ١، ص ٣٦٥.

مصدراً للماء العذب بعد تحليلته. ولا تقتصر ثروة البحار على الأسماك والأعشاب البحرية كالمحالب بل توجد حيوانات أخرى نافعة للإنسان، وقد يستفيد الإنسان من هياكل تلك الحيوانات أو قشورها أو أصدافها.

والإسفنج في البحر من الكائنات الغريبة التي تعيش حياتها مغمورة تحت سطح الماء، وتنتشر حقول الإسفنج على القاع لمسافات طويلة تتراوح ما بين ١٥-٥٠ م. ويُعرف الإسفنج التجاري بلونه الأسود؛ والمخاطي الملمس أثناء الحياة، ويتم تصنيعه بتنظيفه وتبييضه.

كما أن مياه البحار والمحيطات مصدراً من مصادر الأملاح والمواد الخام. وقد قدرت كميات المعادن الموجودة في البحار والمحيطات من معدلات تركيزها، فوجد أنها تبلغ نحو ١٥ مليار طن من النحاس، ونحو ٧ تريليون طن من البورون، وعلى نحو ١٥ مليار طن من خام المنجنيز، وعلى نحو ٢٠ مليار طن من اليورانيوم اللازم لصناعة القنابل الذرية وعلى نحو ٥٠٠ مليون طن من الفضة، وعلى نحو ١٠ ملايين طن من الذهب ويقدر المخزون البترولي بنحو ٤٠٠,٠٠٠ مليون برميل تحت سطح البحر.<sup>(١)</sup> تلك بعض نعم الله التي عرفها البشر، وما زال العلم الحديث وسيبقى إلى أن يشاء الله يكتشف ما قدر الله لبني البشر اكتشافه من النعم في ملكوت الله الواسع، ومنها البحار، وما البحر الأحمر إلا واحد من هذه البحار التي تعج بنعم كثيرة لا حصر لها.

ومن هذه الآيات:

قوله تعالى: {أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم والسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً واتقوا الله الذي إليه تحشرون} <sup>(٢)</sup>

(١) انور عبدالعليم: ثروات من البحار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م، ص ١٤٨-٢٥٥.

(٢) سورة المائدة: آية (٩٦).

وقال تعالى: {الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار} (١)

وقال تعالى: {وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله لعلمكم تشكرون} (٢)

وقال تعالى: {ربكم الذي يرزقي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله إنه كان بكم رحيماً} (٣)

وقال تعالى: {ولقد كرمتنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً} (٤)

وقال تعالى: {ألم ترى أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم} (٥)

وقال تعالى: {ألم ترى أن الفلك تجري في البحر بنعمت الله ليريكم من آياته إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور} (٦)

وقال تعالى: {وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلمكم تشكرون} (٧)

(١) سورة ابراهيم: آية (٣٢).

(٢) سورة النحل: آية (١٤).

(٣) سورة الاسراء: آية (٦٦).

(٤) سورة الاسراء: آية (٧٠).

(٥) سورة الحج: آية (٦٥).

(٦) سورة لقمان: آية (٣١).

(٧) سورة فاطر: آية (١٢).

ثانياً: في سياق الحديث عن دلائل قدرة الله عز وجل والبراهين الدالة على وحدانيته وصفاته القدسية، وعظمته وجلاله وسائر صفات الجلال والجمال، وترد معظمها في سور مكية، تدور موضوعاتها حول العقيدة والتوحيد والرسالة والبعث. (١)

فمشهد الفلك في بحر متلاطم الأمواج ورياح عاتية يمثل أخرج اللحظات لركاب السفينة، ويلف الإنسان شعور طاغ بقدرة الله وحده على تسيير الأمور وإنقاذه من هذا الهلاك. فيهتز قلب الإنسان ويتذكر الله ويلجأ إليه ويطلب رحمة الله به. (٢)

كما أن الجوار وهي السفن الجارية في البحر كأنها الجبال السائرة في خضم الأمواج المتلاطمة تمخر عبابها وتصل إلى مرادها كل ذلك من دلائل قدرة الله سبحانه وتعالى: ومن الآيات الدالة على ذلك.

قوله تعالى: {إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض آيات لقوم يعقلون}. (٣)

وقال تعالى: {قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين} (٤) وقال تعالى: {وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون} (٥)

(١) الصابوني: صفوة التفاسير، ج ١، ص ٣٩٥-٣٩٦.

(٢) سيد قطب: في ظلال القرآن، الطبعة العاشرة، ١٤٠٢-١٩٨٢، دار الشروق. ج ٤، ص ٢٢٤٠.

(٣) سورة البقرة: آية (١٦٤).

(٤) سورة الأنعام: آية (٦٣).

(٥) سورة الأنعام: آية (٩٧).

وقال تعالى: {هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه ل نكونن من الشاكرين} (١).

قال تعالى: {أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته أعله مع الله تعالى الله عما يشركون} (٢).

قال تعالى: {ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام} (٣)  
وقال تعالى: {وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام} (٤)  
ثالثاً: وفي مواضع أخرى تعبر الآيات عن سعة علم الله وإحاطته بما لم يحط به بشر، فالعلم البشري محدود بالقياس إلى العلم الإلهي الذي ليست له حدود، ولذا يورد الله عز وجل في كتابه أمثلة لبني البشر محسوسة، من مثل ماء البحر الذي يراه الإنسان واسعاً وغييراً، ولكنه على سعته وغازته محدود، وكلمات الله تمثل العلم الإلهي الذي لا حدود له، والذي لا يدرك البشر نهايته. (٥)

كما أن العلم البشري لم يدرك إلا مؤخراً وباستخدام تلسكوبات دقيقة أن أعماق البحار تموج بأمواج وتيارات أظلم وأكثر مما بسطحه وهو ما تقرر في الآية التي نتحدث عن ظلمات البحر اللجي.

وكذلك ورد في كتاب الله استحالة انتشار الأملاح من البحار إلى الأنهار العذبة بفضل خاصة الانتشار الغشائي "الأسموزي"

(١) سورة يونس: آية (٢٢).

(٢) سورة النمل: آية (٦٣).

(٣) سورة الشورى: آية (٣٢).

(٤) سورة الرحمن: آية (٢٤).

(٥) سيد قطب: في ظلال القرآن، ج ٤، ص ٢٢٩٩٦.



التي تدفع جزئيات الماء العذب إلى الانتشار في اتجاه الماء  
الملح لا العكس في الآية التي تشير إلى مرج البحرين. (١)

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ  
الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ  
وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ  
إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} (٢).

وقوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ  
يَمْدُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَاتَفَدْتَ كُلَّمَا اللَّهُ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ  
حَكِيمٌ} (٣)

وقوله تعالى: {أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لَجِيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ  
فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ  
يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا، وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ} (٤)

وقوله تعالى: {مَرْجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ؛ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ  
لَا يَبْغِيَانِ} (٥)

وقوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فَرَاتٌ  
وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْرٌ مَحْجُوراً} (٦)

رابعاً: ترد لفظه البحر في آيات متعددة في سياق الحديث  
عن قصة نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام وقومه بني  
إسرائيل مع فرعون مصر. وكيف أن الله امتن على بني  
إسرائيل بنعم كثيرة، وأنجاهم من عدوهم وأغرقه في اليم ومكن  
لهم في الأرض.

(١) نبيل عبد السلام هارون: ماهو بقول بشر، مكتبة ابن سينا، القاهرة،  
ص ٢١-٢٢.

(٢) سورة الأنعام: آية (٥٩).

(٣) سورة لقمان: آية (٢٧).

(٤) سورة النور: آية (٤٠).

(٥) سورة الرحمن: آية (١٩، ٢٠).

(٦) سورة الفرقان: آية (٥٣).



كذلك ترد في سياق قصة موسى عليه الصلاة والسلام مع الخضر عليه السلام التي تدل على أن فوق كل ذي علم عليم وأن الله وحده علام الغيوب. ومنها قوله تعالى: {وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون} (١) وقال تعالى: {وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم لهم قالوا ياموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم ءالهة قال إنكم قوم تجهلون} (٢)

وقال تعالى: {وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين} (٣).

وقال تعالى: {فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم} (٤) وقال تعالى: {وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين} (٥) وقال تعالى: {وإذ قال موسى لفتهاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا، فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فأتخذ سبيله في البحر سرباً} (٦)

قال تعالى: {أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا} (٧)

وغير ذلك من آيات في كتاب الله الكريم تحدثت عن قصة موسى عليه الصلاة والسلام مع قومه بني إسرائيل، وعن بني إسرائيل في قريتهم التي على البحر فلما عصوا الله مسخهم قردة وخنازير.

(١) سورة البقرة: آية (٥٠).

(٢) سورة الأعراف: آية (١٣٨).

(٣) سورة يونس: آية (٩٠).

(٤) سورة الأعراف: آية (١٣٦).

(٥) سورة القصص: آية (٧).

(٦) سورة الكهف: آية (٦١، ٦٠).

(٧) سورة الكهف: آية (٧٩).

خامساً: كما تشير الآيات التي وردت فيها لفظه البحر إلى حال الكافرين وقدره الله على تعذيبهم، وكيف أن أعمالهم كالسراب بل هم يعيشون في ظلمات متكاثفة متراكمة بعضها فوق بعض، ومصيرهم يوم القيامة إلى ظلمات النار، فهم يتخبطون في ظلمات الكفر والضلال، ويمثل ذلك بظلمات البحر اللجي، لأن الكفر ظلمة منقطعة عن نور الله، وضلال لايهتدي فيه الإنسان إلا بهدي الرحمن إذ شاء سبحانه. (١)

كذلك من الأسباب الموجبة للمحنة والابتلاء الكفر وانتشار المعاصي وكثرة الفجور والموبقات. (٢)

قال تعالى: { أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور } (٣) وقال تعالى: { ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون } (٤)

سادساً: وفي مواضع أخرى ورد فيها ذكر البحر ترد في سياق عرض مشاهد يوم القيامة وأهوالها وما يصاحبها من انقلاب كونها هائل كالبحر المسجور الموقد ناراً يوم القيامة، والبحار التي تتأجج ناراً وتضطرم وتلتهب، والبحار التي فتحت وفجرت على بعضها البعض وبالتالي لا يمكن تصور حجم هذه النيران الهائلة التي تنطلق من هذه البحار الواسعة مهما وصل الإنسان بعلمه المحدود. (٥)

(١) الصابوني، صفوة التفاسير، ج٢، ص ٣٤٢.

(٢) المصدر السابق، ج٢، ص ٤٨١.

(٣) سورة النور: آية (٤٠).

(٤) سورة الروم: آية (٤١).

(٥) سيد قطب؛ في ظلال القرآن، ج٦، ص ٣٨٣٦ - ٣٨٣٩.

ومن ذلك قوله تعالى: {والبحر المسجور} (١)

وقوله تعالى: {وإذا البحار سجرت} (٢)

وقوله تعالى: {وإذا البحار فجرت} (٣).

سابعاً: وفي الحديث الشريف وردت لفظة البحر في مواضع متعددة قد لا تشير إلى البحر بمعناه المعلوم ولكنها تشير إلى ما يشبهه من مثل وصف الحصان الذي ركبّه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبحر لسعته، وفي حديث آخر عندما سأل أعرابي عن الهجرة في صحيح مسلم بين له الرسول مدى عظم شأن الهجرة، وأنه يمكنه العمل من وراء البحار، والمقصود بها القرى. كما ورد الحديث عن البحر عند ذكر علامات الساعة.

---

(١) سورة الطور: آية (٦).

(٢) سورة التكويد: آية (٦).

(٣) سورة الانفطار: آية (٣).

ولكن الذي يهمنا هو البحر الحقيقي الذي تمثل في الحديثين  
التاليين ونص فيهما على أمرين هامين هما:

١ - دور البحر في الجهاد، ونبوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأن المسلمين سيجاهدون في البحر.

٢ - بيان حل طعام البحر وميته.

- ففي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كان الرسول صلى الله عليه وسلم يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت، فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأطعمته، وجعلت تقلي رأسه، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم استيقظ وهو يضحك. قالت: فقلت وما يضحكك؟ يارسول الله! قال: "ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر، ملوكاً على الأسيرة" أو "مثل الملوك على الأسيرة" قالت فقلت يارسول الله! ادع الله أن يجعلني منهم. فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم وضع رأسه، ثم استيقظ وهو يضحك. فقلت: ما يضحكك؟ يارسول الله! قال: "ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله" كما قال في الأول. قالت: فقلت يارسول الله! ادع الله أن يجعلني منهم، قال: "أنت من الأولين". فركبت البحر، في زمان معاوية بن أبي سفيان، فصرعت عن دابَّتِها، حين خرجت من البحر فهلكت<sup>(١)</sup>.

(١) البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء والشهادة للرجال والنساء.

- وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَمِائَةَ رَاكِبٍ، أَمِيرِنَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، نَرُصِدُ عِيرَ قَرِيْشٍ، فَأَقْمُنَا بِالسَّاحِلِ نَصْفَ شَهْرٍ، فَأَصَابَنَا جُوعٌ شَدِيدٌ حَتَّى أَكَلْنَا الْخَبْطَ، فَسَمِيَ ذَلِكَ الْجَيْشُ جَيْشَ الْخَبْطِ. فَأَلْقَى لَنَا الْبَحْرُ دَابَّةً يُقَالُ لَهَا الْعَنْبَرُ، فَأَكَلْنَا مِنْهُ نَصْفَ شَهْرٍ، وَادَّهَنَا مِنْ وَدَكِهِ، حَتَّى ثَابَتَ إِلَيْنَا أَجْسَامُنَا ... فَأَخَذَ أَبُو عُبَيْدَةَ ضِلْعًا مِنْ أَضْلَاعِهِ فَنَصَبَهُ، فَعَمَدَ إِلَى أَطْوَلِ رَجُلٍ مَعَهُ ، وَأَخَذَ رَجُلًا وَبَعِيرًا فَمَرَّ تَحْتَهُ.

قال جابر: وكان رجلٌ من القوم نحر ثلاث جزائر ثم نحر ثلاث جزائر ثم نحر ثلاث جزائر. ثم إن أبا عبيدة نهاه<sup>(١)</sup>.

---

(١) البخاري: كتاب المغازي: ٦٥ - باب غزوة سيف البحر.

## أهمية البحر الأحمر

### تحديده عند الجغرافيين المتقدمين:

يرى ابن رسته (ت بعد ٢٩٠هـ) أن البحر الأحمر جزء من البحر الهندي الممتد من أقصى أرض الحبش إلى أقصى الهند، واصفاً إياه بأنه يخرج خليج من عند أرض الحبش يمر إلى ناحية البربر، ويسميه الخليج البربري ويقدره بخمس مائة ميل وعرض طرفه مائة ميل، ويخرج منه خليج آخر نحو أيله طوله ألف وأربع مائة ميل، وينتهي إلى القول أن بين خليج أيله وخليج فارس تقع أرض الحجاز واليمن وسائر بلاد العرب<sup>(١)</sup>.

أما الهمداني (ت ٣٣٤هـ) فإنه عند حديثه عن جزيرة العرب وما يحيط بها من بحار يشير إلى أن عنقاً من البحر مال إلى حضر موت وناحية أبين وعدن ودهلك، فاستطال ذلك العنق في رأيه حتى مر ببلاد فرسان وجده والجار وساحل الطور وخليج أيله وساحل راية حتى يصل إلى القلزم<sup>(٢)</sup>.

والاصطخري (ت ٣٤٠هـ) يصف البحر الأحمر كجزء من بحر فارس، رغم ما يعدد له من تسميات حسب المدينة أو الميناء الذي يطل على ساحله، فقد يُسمى بحر القلزم، أو بحر جدة، أو بحر الجار، أو بحر اليمن، أو بحر الحبش، فيرى أن بحر القلزم جزء من بحر فارس<sup>(٣)</sup>، ويقدره بنحو ثلاثين مرحلة طولاً، وعرضه مسير ثلاث ليال ثم لا يزال يضيق حتى يرى من بعض جنباته الجانب الآخر، ويرى أن أخبت<sup>(٤)</sup> مافيه جزر تاران بين خليجي القلزم وأيلة<sup>(١)</sup>.

(١) أبي علي أحمد بن عمر : الأعلام النفيسة، المجلد السابع، طبع في مدينة ليدن المحروسة، بمطبع بريل، ١٨٩١م، ص ٨٤.

(٢) صفة جزيرة العرب، ص ٨٤.

(٣) أي متصلاً به.

(٤) المقصود بالخبث وجود الشعب المرجانية، والتنوءات الحادة، والدوامات البحرية مما يعرض السفن المارة بهذا الجزء لمخاطر

أما المسعودي (ت ٣٤٦هـ) فيسمى البحر الأحمر بالبحر الحبشي ويذكر أنه ينتهي إلى مدينة القلزم من أعمال مصر، وعليه مدينة أيله والحجاز وجدة واليمن وفي الطرف المقابل بلاد مصر وأرض البجة وأرض الحبشة<sup>(٢)</sup>.

وابن حوقل (ت ٣٦٧هـ) يذكر تقريباً ما يذكره الاصطخري من أن بحر فارس وهو ما يحيط بديار العرب ولكنه يؤكد على تسميته ببحر القلزم إلى ان يحاذي بطن اليمن، فإذا قابل بطن اليمن يسمى بحر عدن.. وهكذا<sup>(٣)</sup>.

والإدريسي (ت ٥٦٠هـ) يجعل البحر الأحمر جزءاً من البحر الصيني، فيتشعب منه خليج القلزم، ومبدؤه من باب المنذب وحيث انتهى البحر الهندي فيمر في جهة الشمال مغرباً قليلاً فيتصل بغربي اليمن ماراً بتهامة والحجاز ثم إلى مدين، وأيلة، وفاران<sup>(٤)</sup> حتى ينتهي إلى مدينة القلزم واليه ينسب كما يرى ثم ينعطف ريفه راجعاً في جهة الجنوب. مشيراً إلى أنه يمر ببلاد مصر والسودان مروراً بعيداب حتى جزيرة سواكن<sup>(٥)</sup> وزالغ منتهاً إلى بلاد الحبشة<sup>(٦)</sup>.

شديدة. انظر عطية القوسي: تجارة مصر في البحر الأحمر، دار النهضة العربية، ص ١٣.

(١) المسالك والممالك، ص ٢٩ - ٣١.

(٢) أبي الحسين علي بن الحسين بن علي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق قاسم الشماخي الرفاعي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ - ١٩٨٨، دار القلم، بيروت، ج ١، ص ١٠٧.

(٣) صورة الأرض، ص ٤٤ - ٤٦.

(٤) فاران المقصودة: هذا جبل أو بلدة في سيناء، وليست من جبال الحجاز، وانظرها في معجم البلدان ج ٤، ص ٢٢٥.

(٥) جزيرة سواكن: على الساحل السوداني يقابلها ميناء سواكن الذي استخدم كميناء طيلة الفترة الإسلامية ثم استبدل بميناء بور سودان في الوقت الحاضر، انظر ص ٣٢٨ من البحث.

(٦) أبي عبد الله محمد بن عبد الله ابن إدريس الحموي الحسني (الشريف الإدريسي): نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ - ١٩٨٩ م، عالم الكتب، بيروت، ج ١، ص ١٠.

وقد نتساءل عن سبب تسمية هذا البحر بالبحر الأحمر؟ فقد يذهب البعض إلى الاعتقاد بأن لون مياهه حمراء، وبالتأكيد ليس هذا الاعتقاد صحيحاً. ويرجح الدكتور القوصي أن سبب التسمية نسبة إلى اسم قديم باسم "بحر الملك الأحمر" ثم اختصر إلى البحر الأحمر<sup>(١)</sup>. وهناك من يرى أنها نسبة إلى لون الشعب المرجانية التي تكثر فيه<sup>(٢)</sup>. وقد وردت في كتاب العهد القديم كلمة Redsea تحت اسم (بم سوف) أي بحر سوف، وكلمة سوف تعني في العبرية النبات المعروف باسم نبات البردي الذي كان ينمو على أطراف الأنهار والبحيرات ويعرف بلاتينية بـ Reed ، لذا فإن تسميته بـ Redsea هي تحريف لكلمة Reed أي بحر البردي<sup>(٣)</sup>.

### تحديده ووصفه عند الجغرافيين المعاصرين:

ولا يختلف تحديد الجغرافيين المعاصرين عن السابقين كثيراً إلا بكونه أكثر دقة وتوضيحاً فالبحر الأحمر يفصل بين شبه جزيرة العرب وقارة أفريقيا ويمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي بين خطي عرض ٣٢ شمالاً، ١٢,٣٠ شمالاً لمسافة ٢١٠٠ كيلو متر ويبلغ أقصى اتساع له بين جازان ومصوع حوالي ٣٥٠ كم ويشتمل على شعب مرجانيه تشكل

(١) عطيه: تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية، ص ١٠.

(٢) نخبة من الأساتذة المختصين: تاريخ البحرية المصرية، جامعة الإسكندرية، ١٩٧٣، ص ٥٩٥.

(٣) برج، محمد عبد الرحمن: البحر الأحمر عبر التاريخ، بحث في كتاب ندوة البحر الأحمر التي عقدت في معهد الدراسات الدبلوماسية بالرياض - وزارة الخارجية، ١٤٠٥هـ، طبع ١٤٠٦هـ، ص ٢١.



شواطئ مرجانية مرتفعة، وعلى امتداد البحر الأحمر. ويتفرع في شماله إلى فرعين تفصل بينهما شبه جزيرة سيناء، ويقع غربها خليج السويس والفرع المقابل في شرقها خليج العقبة، وطول الأخير ٩٧ ميلاً وهو أعمق من خليج السويس إذ يصل عمقه في بعض مناطقه إلى ١٤٦٠ م<sup>(١)</sup>.

وخليج السويس المقابل لخليج العقبة منخفض وممتد بين خطي عرض ٢٧، ٢٩ إلى الشمال، ويقدر طوله بـ مائتي ميل، وعرضه بـ عشرين ميلاً في المتوسط وقد يضيق عند نهايته إلى حوالي ١٨ ميلاً.

أما مدخل البحر الأحمر الجنوبي فهو بلا شك باب المندب الذي يشكل ممراً ضيقاً وهاماً وتقسمة جزيرة بريم (ميون) إلى ممرين، فالممر الشرقي يقل عرضه عن ميلين ويبلغ عمقه ٨٥ قدم، والممر الغربي ١٦ ميلاً ويصل عمقه إلى ٩٩٠ قدماً، ويمثل الممر الوحيد الصالح للملاحة<sup>(٢)</sup>.

وفي الجزء الشمالي للبحر الأحمر عند مدخل خليج العقبة تقع مضائق نيران، ويصبح الممر المائي الصالح للملاحة شديد الضيق لاعتراض جزيرتي تيران وصنافير، وتتسببان في تقسيمه إلى ثلاث قنوات، القناة الأولى عرضها حوالي ٣ أميال بين ساحل سيناء وجزيرة تيران، والقناة الثانية عرضها قرابة الميل ونصف الميل بين الجزيرتين أما القناة الثالثة فتتحصّر بين الجزيرتين والساحل الحجازي، وتعتبر القناة الأولى هي الوحيدة الصالحة للملاحة أما القناتين الأخرتين فغير صالحتين

(١) العرفج، ناصر عبد العزيز: أهمية الممرات المائية في البحر الأحمر (بحث ضمن كتاب ندوة البحر الأحمر) ص ٣٦ - ٤٨.

(٢) السلطان، عبد الله عبد المحسن: البحر الأحمر والصراع العربي الإسرائيلي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، ١٩٨٤، ص ٢٨-٣٠.

لاعتراض الجزر المرجانية ذات النتوءات الحادة وضحالة المياه فيهما<sup>(١)</sup>.

مع العلم أن القناة الثالثة يبلغ عرضها ثلاثة أميال، ولكنها لا تصلح لعبور السفن لكثرة الصخور والشعاب المرجانية فيها.<sup>(٢)</sup>

كما توجد جزر أخرى عند مدخل خليج العقبة مثل جزيرة شوشة، وجزيرة برقان، أما الجزر الواقعة بالقرب من مدخل خليج السويس فهي جزيرة شاكر، وجزيرة الأخوين، وجزيرة أبو الكيزان<sup>(٣)</sup>. وفي المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، باب المندب" تقع عند مدخله وفي وسطه عدة جزر منها جبل الطير، وجزر الزبير، وجزيرة الذكور، وجزيرة حانيش، وجزيرة بريم، وجزر فرسان وسجيد اللتان تقعان غرب مدينة جازان. وكذلك مجموعة جزر دهلك في مواجهة جزر فرسان بالقرب من الساحل الغربي للبحر الأحمر وأهمها جزيرة دهلك الواقعة على بعد ٤٠ كيلو إلى الشرق من مصوع، وجزيرة قمران الواقعة إلى الشمال الغربي ورأس البياض إلى الشمال الغربي من الحديدة<sup>(٤)</sup>.

وعلى كل فإن البحر الأحمر تكثر فيه الجزر حيث يقدر عدد جزر البحر الأحمر بحوالي ٣٧٩ جزيرة معظمها جزر صغيرة جداً، ويوجد في كل ميل مربع من المسطح المائي ٢,١ جزيرة، وتتركز غالبيتها في الجزء الجنوبي للبحر الأحمر، وتقل في

(١) جرادات، الرائد وليد محمد، الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر بين الماضي والحاضر، دار الثقافة، الدوحة، ص ٢٤.

(٢) العرفج: أهمية الممرات المائية في البحر الأحمر: ندوة البحر الأحمر، ص ٤٨.

(٣) المصدر السابق: ص ٥١ - ٥٢.

(٤) العرفج: أهمية الممرات المائية في البحر الأحمر، ص ٣٧ - ٣٨.

المناطق الشمالية، وبعض الجزر بركانية، وبعضها مرجانية غير مسكونة<sup>(١)</sup>.

## أهمية البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي:

تبرز أهمية البحر الأحمر في عدد من العناصر هي:

### ١ - وسطيته وتميزه:

سبق الحديث بشيء من التفصيل عن امتداد البحر الأحمر وجغرافيته وممراته وجزره، ومن خلاله يتضح لنا أهمية الموقع المتميز للبحر الأحمر فإنه يقع تقريباً في منتصف الكرة الأرضية سواء من الشمال والجنوب أو من الشرق أو الغرب، يمر مدار السرطان ينصفه، وفي شماله البحر المتوسط وفي جنوبه بحر العرب والمحيط الهندي. وهو في منتصف المسافة بين القارات الثلاث (آسيا وأفريقيا وأوروبا).

كما يمتاز باستطالته، واتصاله بعدد من بحار العالم وله خليجان مستطيلان في شماله متخذاً - بقدرة الله عز وجل - شكل رقم (٧) هما خليج العقبة وخليج السويس<sup>(٢)</sup>.

### ٢ - الأهمية الدينية:

كان وما زال وسيبقى البحر الأحمر - بإذن الله عز وجل - طريقاً ومعبراً من معابر الدعوة الإسلامية، فمنذ انبثاق نور

(١) السلطان، عبدالله عبد المحسن، البحر الأحمر والصراع العربي الإسرائيلي، ص ٣٠. وعن جزر البحر الأحمر خاصة انظر: الوجود العربي الأفريقي في جزر البحر الأحمر عبر التاريخ (الدكتور محي الدين محمد مصيلحي، ص ٧. وانظر: فارسي، زكي محمد علي: دليل الطرق السعودية ودليل السياحة، الطبعة الأولى، ١٩٩٥/١٤١٥ خرائط رقم ب١٢، ب١٤، ب١٨، ب٢٢، ١، ٢٢، ٢٦، ٣٢.

وانظر خريطة جزيرة العرب: ١ : ٢٠٠٠،٠٠٠، وزارة البترول، الثروة المعدنية، الرياض، طبعة عام ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، وخريطة جمهورية مصر العربية: ١ : ٢٠٠٠،٠٠٠، الهيئة العامة للمساحة المصرية.

(٢) محمد: عبد الغني عبد الرحمن: مكة أم القرى .. لماذا؟، الطبعة الأولى ١٤١١ - ١٩٩٠، دار الفكر العربي، القاهرة، ص ١٠٧ - ١٠٨.

الإسلام بمبعث المصطفى محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: استخدم البحر الأحمر طريقاً للدعوة الإسلامية فانطلقت عبره أول هجرة في الإسلام إلى بلاد الحبشة<sup>(١)</sup>. كما انطلقت عبره هجرات القبائل العربية إلى البلاد الإفريقية لنشر الدعوة والاستقرار في تلك المناطق.

وسارت قوافل الحجيج ومراكبه تمخر عباب البحر الأحمر عبر موانئه الشرقية والغربية ذهاباً وإياباً مشتملة على حجاج إفريقية وأوربا "الأندلس" ملبية لنداء ربها "وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق"<sup>(٢)</sup>. ولم يقتصر دور البحر الأحمر على نقل الحجاج بل نقلت مراكبه وسفنه واستقبلت موانئه الحجازية مؤن عمارة الحرمين الشريفين وكسوة الكعبة الشريفة من فترات مبكرة في التاريخ الإسلامي.<sup>(٣)</sup>

### ٣ - الأهمية التجارية:

اشتهرت قريش بالتجارة وفي ذلك يقول الله تعالى: "إيلاف قريش \* إلفهم رحلة الشتاء والصيف \* فليعبدوا رب هذا البيت \* الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف".<sup>(٤)</sup>

وذلك لأن موقع مكة في ملتقى طريقين تجاريين عالميين من قبل الإسلام وهما طريق اليمن والشام، وطريق اليمن والعراق وفارس مما صنع منها نقطة إلتقاء تجاري هام، ومحطة سير القوافل التجارية إلى مختلف أرجاء شبه الجزيرة العربية.

وبسقوط دولة الفرس في الفتح الإسلامي: استعاد البحر الأحمر سابق ازدهاره وتجدد نشاطه التجاري، وانطلق النشاط التجاري الإسلامي بقناة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي

---

(١) سيأتي الحديث عنها تفصيلاً في الفصل التالي عند الحديث عن ميناء الشعبية.

(٢) سورة الحج: آية رقم (٢٧).

(٣) كما سيأتي تفصيل ذلك في الفصل الرابع.

(٤) سورة قريش.

الله عنه بين البحر الأحمر ونيل مصر وازداد الاهتمام التجاري بالبحر الأحمر في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه باتخاذ جدة ميناءً، ثم توالى الاهتمام الأموي بتجارة البحر الأحمر، وحاربوا قراصنة البحر الأحمر، إلا أن الاهتمام التجاري في العهد العباسي تقلص إلى حد ما في البحر الأحمر وتحول إلى الخليج العربي (الفارسي) لقربه من عاصمة الخلافة العباسية بغداد، وفي العهد العبيدي "الفاطمي" في مصر عاود النشاط التجاري في البحر الأحمر دورته وازدهرت تجارة الشرق من وإلى مصر عبر البحر الأحمر لوجود طريق منافس يحمل تجارة الشرق إلى الغرب<sup>(١)</sup>.

#### ٤ - الأهمية السياسية والعسكرية:

كان البحر الأحمر طريقاً للدعوة الإسلامية وقوافل الحجيج، وطريقاً تجارياً هاماً بين الشرق والغرب، إلا أن هذه التجارة لم تبق حرة بل استغلت سياسياً وحوصرت ومنعت عن أهالي الحجاز في فترات متقطعة للضغط السياسي والاقتصادي كما حصل في عهد العباسيين إزاء ثورات العلويين في الحجاز وكذلك في العهد العبيدي "الفاطمي"، والعهد الأيوبي، والعهد المملوكي للضغط على أشرف الحجاز لحد من بعض تصرفاتهم، أو كسب ولائهم في ظل الصراعات السياسية في العالم الإسلامي. وتسببت الضغوط السياسية والاجتماعية والاقتصادية في هجرة عدد من القبائل العربية عبر البحر الأحمر من الجزيرة العربية إلى القارة الإفريقية وخاصة شرق أفريقيا ووادي النيل على وجه الخصوص، وساهمت هذه الهجرات بدور فاعل في الأحداث السياسية والعسكرية في شرق إفريقيا بل وبناء إمارات إسلامية في بلاد السودان والحبشة عاشت رداً من الزمن.

وفي القرن السادس الهجري (في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي) تعرض البحر الأحمر للغزو الصليبي، وهدد

(١) كما سيأتي توضيح ذلك في الفصل الثالث.

الصليبيون الحجاز عبر موانئ وثغور البحر الأحمر، حتى حفظ الله عز وجل الحجاز على يد صلاح الدين الأيوبي رحمه الله. وفي القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) غزا البرتغاليون العالم الإسلامي وسعوا إلى الوصول إلى الحجاز عبر البحر الأحمر وتصدى لهم المماليك، وبالرغم من دفعهم عن الحجاز إلا أن استعمارهم واحتلالهم لبلاد عربية وإسلامية أخرى استمر فترة من الزمن<sup>(١)</sup>.

---

(١) وسيأتي تفصيل ذلك في الفصل الثاني والرابع.

## الفصل الثاني

### نشأة الثغور الحجازية

أ - تعريف الثغر

ب - الثغور البحرية

١ - العقبة " أيلة "

٤ - جدة

٢ - ينبع

٥ - الشعبية

٣ - الجار

٦ - السرين

ج - أهم الأحداث السياسية والعسكرية  
التي ارتبطت بالثغور الحجازية.

سيتم الحديث في هذا الفصل إن شاء الله على النحو الآتي:

- ١ - تعريف الثغر.
  - ٢ - الموقع الجغرافي والنشأة التاريخية لكل ثغر على حده ( مع ذكر أبرز من انتسب إليه من العلماء والمحدثين ).
  - ٣ - عرض لأهم الأحداث السياسية والعسكرية التي لها ارتباط بالثغور الحجازية عرضاً تسلسلياً حسب ترتيب السنوات بدءاً من : [البعثة النبوية " ومن الهجرة إلى الحبشة تحديداً " حتى سقوط دولة المماليك عام ٩٢٣هـ ] نظراً لما تشكله الثغور الحجازية من وحدة جغرافية؛ فكان الأنسب عرض الأحداث عرضاً تسلسلياً زمنياً ..).
- وقد تم تأجيل الحديث عن الأحداث الاقتصادية للفصل الثالث لارتباطها به بشكل مباشر.



## تعريف الثغر :

الثغر بالفتح ثم السكون كل موضع قريب من أرض العدو يسمى ثغراً، والثغرة الفرجة في الحائط<sup>(١)</sup>. وكل فرجة في جبل أو بطن وادٍ أو طريق مسلوك.

والثغرة : الثلثة ، يقال ثغرناهم أي سددنا عليهم ثلث الجبل. والثغر مايلي دار الحرب، وهو موضع المخافة من فروج البلدان، وأيضاً يوصف الفم بالثغر، وكذلك توصف الأسنان، وثغرة أي كسر أسنانه<sup>(٢)</sup>.

كما يستعمل للمدينة القائمة على شاطئ البحر<sup>(٣)</sup>.

والمرابطة والرباط تعني ملازمة ثغر العدو، حتى صار لزوم الثغر رباطاً، والمرابطون يُسمون المسلّحة واحدهم مسلّحي والجمع المسالّح، وهم الموكل بهم مراقبة العدو لئلا يغزّوهم على غفلة منهم؛ فهم يتجسسون خبر العدو؛ وسموا بذلك لأنهم كانوا ذوي سلاح أو لأنهم يرابطون في المسلّحة، وهي الثغر والمرقب<sup>(٤)</sup>. وورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله : (لاتجمروا الجيش فتفتنّوهم) وتجمير الجيش: جمعهم في الثغور وحبسهم عن العودة إلى أهلهم<sup>(٥)</sup>.

---

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج ٢، ، دار الفكر، بيروت، ص ٧٩.

(٢) ابن منظور: لسان العرب: ج ٣، ص ١٠٣.

(٣) معلوف: المنجد في اللغة والاعلام: ص ٧٠.

(٤) ابن منظور: لسان العرب: ج ٢، ص ٤٨٧.

(٥) المصدر السابق: ج ٤، ص ١٤٦.

ومن أسماء الثغور البحرية، الكلاءُ : أي مرفأ السفن وهو عند سيبويه فعال مثل جبار لأنه يكلاً السفن من الريح والمكلاً بالتشديد: شاطئ النهر، ومرفأ السفن<sup>(١)</sup>.

وكذلك الميناء: مرفأ السفن يمد ويقصر والمد أكثر وسمي بذلك لأن السفن تني فيه أي تفتر عن جريها<sup>(٢)</sup>.

وأيضاً يسمى الثغر أو الميناء المرفأ من رفا السفينة: أدناها من الشط<sup>(٣)</sup>. ويسمى الميناء القرضة والجمع فرض، وفراض وهي التلثة التي تكون في النهر، وفرضة البحر: محطة السفن<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن منظور، لسان العرب: ج ١، ص ١٤٦.

(٢) المصدر السابق: ج ١٥، ص ١٤٦.

(٣) الفيروز آبادي: محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، ج ١، ص ٥٢.

(٤) ابن منظور: مصدر سابق، ج ٧، ص ٢٠٦.

وانظر كتاب المصباح المنير: احمد بن محمد المغربي الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، ج ١، ص ٨١ مادة ثغر، ج ١، ص ٢١٥.

وانظر العين: الفراهيدي: تحقيق د/ مهدي المخزومي، د/ ابراهيم السامرائي، ج ٣، ص ١٤٢، مادة المسلحة، ومادة ثغر ج ٤، ص ٤٠٠.

وفي الاصطلاحات الجغرافية الحديثة يوجد ثمة فارق بين المرفأ والميناء فالمرفأ هو موقع ساحلي نشأ نتيجة عوامل جغرافية وجيولوجية وطبيعية مختلفة، ويظهر في الغالب في صورة منطقة مائية مقفلة جزئياً ومثل ذلك الشرم أو الخلجان الصغيرة، وتقدم مرسى لحماية وتأمين السفن، ومن خصائصها عمق المياه إلى حد ما تكفي لرسو السفن الصغيرة. وقد يكون المرفأ طبيعياً مثل الخلجان ومصبات الانهار الخليجية. أو صناعياً من فعل الانسان كبناء حواجز الامواج.

أما الميناء فهو المرفأ الذي تتوفر فيه الاستعدادات والتسهيلات لنقل البضائع أو المسافرين من السفن وإليها بصفة مستمرة، ويلحق به عدد من الارصفة ومخازن الشحن والتفريغ. انظر لمزيد من التفاصيل، د/ محمد أحمد الرويثي: الموانئ السعودية على البحر الأحمر، ص ١٨١-١٨٢.

## نشأة الثغور البحرية الحجازية وتطورها:

سوف نعرض للثغور البحرية الحجازية متدرجين من شمال الحجاز إلى جنوبه بدءاً بثغر وميناء العقبة " أيلة " ثم ينبع ثم الجار ثم جدة ثم الشعيبية ثم السرين. ونعرض لكل ميناء أو ثغر على حده : بمقدمة جغرافية وتاريخية عن موقعه ونشأته. وفي مبحث آخر يتم عرض الأحداث السياسية والعسكرية التي ارتبطت بهذه الثغور من بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ( ٦١١م ) ( ١٣ق هـ ) إلى نهاية العصر المملوكي ( ٩٢٣هـ - الموافق ١٥١٧م ).

## ١ - أيلة "العقبة" (١) :

في مادة أيل في لسان العرب، أيل اسم من أسماء الله عز وجل عبراني أو سرياني، لأن إيلا لغة في إل وهو الله عز وجل<sup>(٢)</sup>، وفي رأي آخر أيلة مشتقة من (أيل) الواردة في نص "جلجاميش" بمعنى الله وكان (أيل) إله الأكاديين والكنعانيين والعبرانيين فهي بالتالي سامية وتعني (الله) وبهذا تتفق مع تفسير علماء اللغة العربية<sup>(٣)</sup>. وتقع أيلة في رأس خليج العقبة على ساحل البحر الأحمر في الركن الشمالي الشرقي بين خطي العرض (٢٩ - ٣١) شمالاً، وخط طول (٣٥) شرقي غرينتش<sup>(٤)</sup>.(٥)

وذكرت أيلة في عدة مصادر تحدثت عن جزيرة العرب وبلاد الشام ومصر وطرق الحج، ومن أقدم المصادر الجغرافية العربية التي تم الاطلاع عليها كتاب اليعقوبي (ت ٢٨٤) الذي ذكر أنها مدينة جليلة على ساحل البحر المالح (أي البحر الأحمر) وبها يجتمع حاج الشام ومصر والمغرب، وبها التجارات الكثيرة، وأهلها أخلاط من الناس، مضيفاً أنه وجدها قوماً يذكرون أنهم موالى عثمان بن عفان رضي الله عنه، ورأى بها بُرد حبرة يُقال إنه بُرد رسول الله صلى الله عليه

(١) انظر الخرائط والصور عن أيلة والعقبة وآثارها في الملاحق، ص ٣٧٧-٣٧٢.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، ج ١١، ص ٤٠.

(٣) يوسف حسن درويش غوانمه: أيلة (العقبة) والبحر الأحمر، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م، دار هشام، أربد، ص ١٣-١٤.

(٤) رائد رزق محمد الشرع: مدينة أيلة وتخطيطاتها في الفترة الإسلامية المبكرة "دراسة معمارية مقارنة" رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، ص ١٨.

(٥) انظر خريطة جزيرة العرب: ٢٠٠٠،٠٠٠١، وزارة البترول والثروة المعدنية، طبعة عام ١٤٠٣هـ. وخريطة جمهورية مصر العربية: ١: ٢٠٠٠،٠٠٠١، الهيئة العامة للمساحة المصرية.

وسلم وأنه وهبه لرؤية بن يُحَنِّه<sup>(١)</sup>، أو يُحَنِّه بن رؤية ، وهو الأرجح<sup>(٢)</sup>.

ونذكرها ابن خرداذبه (ت ٣٠٠) في عدة مواقع من كتابه على أنها ملتقى للحاج من مصر والمغرب والشام إلى الأراضي المقدسة<sup>(٣)</sup>.

وكذلك ذكرها كل من الاصطخري<sup>(٤)</sup> (ت ٣٤٠)، وابن حوقل (ت ٣٦٧)<sup>(٥)</sup> على أنها مدينة صغيرة عامرة وبها زرع يسير، ويشيران إلى سكن اليهود بها الذين حرم الله عليهم صيد السبت. أما البكري (ت ٤٨٧) فيصفها بأنها مدينة على شاطئ البحر في منتصف الطريق ما بين مصر ومكة<sup>(٦)</sup>.

قال الحافظ بن كثير في تفسيره عند قوله تعالى :  
 {وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ}<sup>(٧)</sup> هي بسط لقوله تعالى {وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ}<sup>(٨)</sup> يقول تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام (وَأَسْأَلُهُمْ) أي وأسأل هؤلاء اليهود الذين بحضرتك عن قصة أصحابهم الذين خالفوا أمر الله فانتقم منهم الله على صنيعهم واعتدائهم واحتيالهم في المخالفة، وفي المقابل حذرهم من كتمان صفتك التي يجدونها في كتبهم لئلا يحل بهم ما حل بإخوانهم وسلفهم، ويؤكد ابن كثير أن القرية

- 
- (١) البلدان: الملحق بكتاب الأعلام النفيسة لابن رسته، ص ٣٤١، ٣٤٠.  
 (٢) انظر ابن هشام : السيرة النبوية ، ج ٤، ص ١٢٥، والطبري : الأمم والملوك ، ج ٢، ص ١٨٥ ، وابن الأثير : الكامل ، ج ٢، ص ١٩١.  
 (٣) المسالك والممالك: ص ٨١، ٨٣، ١٤٩.  
 (٤) المسالك والممالك: ص ٣١.  
 (٥) صورة الأرض: ص ٤٨.  
 (٦) معجم ما استعجم، ج ١، ص ٢١٦.  
 (٧) سورة الأعراف: آية (١٦٣).  
 (٨) سورة البقرة: آية (٦٥).

المذكورة هي أيلة الواقعة على شاطئ بحر القلزم ويذكر أن ابن عباس رضي الله عنهما قال : هي قرية يقال لها أيلة بين مدين والطور .. وقوله تعالى : {إذ يعدون في السبت} أي يعتدون ويخالفون أمر الله فيه لهم بالوصاية بهم إذ ذاك تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً) قال الضحاك عن ابن عباس أي ظاهرة على الماء من كل مكان. وقوله (ويوم لايسبتون لاتأتيهم كذلك نبلوهم) أي نختبرهم بإظهار السمك لهم على ظهر الماء في اليوم المحرم عليهم صيده وإخفائها عنهم في اليوم الحلال لهم صيده (كذلك نبلوهم) نختبرهم بما كانوا يفسقون) بفسقهم عن طاعة الله وخروجهم عنها وهؤلاء قد احتالوا على انتهاك محارم الله بما تعاطوا من الأسباب الظاهرة التي معناها في الباطن تعاطي الحرام.<sup>(١)</sup>

وكان قد حرم الله عليهم العمل والصيد يوم السبت فزين لهم إبليس الحيلة وقال إنما نهيتم عن أخذ الحيتان يوم السبت، فاتخذوا الحياض فكانوا يسوقون الحيتان إليها يوم الجمعة فتبقى فيها فلايمكنها الخروج منها لقلة الماء فيأخذونها يوم الأحد، وتلك حيلة نهتهم عنها طائفة أخرى من بني إسرائيل إلا أنهم أصروا على ارتكاب المحذور فقسموا القرية بدار، وفي يوم من الأيام والطائفة التي نهتهم وحذرتهم في مجالسهم وإذا بالمعتدين لا يخرجون كعادتهم، فشعروا أن في الأمر شأن جديد، فعلوا ذلك الدار وإذا بالمعتدين قد مسخهم الله قردة وخنازير، فدخلوا عليهم فعرفت القردة أنسابها من الأس فجعلت تأتيهم فتشم ثيابهم وتبكي، فيقول المنذرون لهم والذين حذروهم الم ننهكم فتقول برأسها نعم، فصارت الشباب قردة والشيوخ خنازير، فما نجا منهم إلا الذين تهوا، وهلك سائرهم. وقيل أن ذلك كان في زمن نبي الله داود عليه السلام.<sup>(٢)</sup>

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، الطبعة الأولى ١٤٠٠-١٩٨٠، دار الفكر - دمشق، ج ٢، ص ٢٥٧، ٢٥٨.

(٢) المقرئزي: الخطط، ج ١، ص ١٨٤-١٨٥.

ويذكر المقرئزي<sup>(١)</sup> والحميري<sup>(٢)</sup> أن أيلة أول حد الحجاز.

وتصفها الباحثة سوسن الفاخري بأنها تحتل موقعاً استراتيجياً بالغ الأهمية، وإنها حلقة وصل بين طرق المواصلات البرية والبحرية بين كل من البحر الأحمر والقارات الثلاث آسيا وأفريقيا وأوروبا، وذات مناخ دافئ ومياه عذبة، وبرز مجد أيله الإسلامي في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه وانتهاءً بالعصر الفاطمي "العبيدي"<sup>(٣)</sup>.

وقد زالت هذه المدينة فلم يبق من بنائها القديم إلا آثار مطمور بعضها.

— وينسب إلى أيلة عدد من المحدثين والعلماء منهم:

١ — عقيل بن خالد الأيلي (ت ١٤١) مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه يصفه ابن سعد<sup>(٤)</sup> بأنه صاحب الزهري وكان ثقة. روى عن أبيه وعمه نافع مولى ابن عمر، وعكرمة والحسن وسعيد بن أبي سعيد الخدري، وسعيد بن سليمان بن ثابت، ومسلمة بن كهيل، وغيرهم. كان من حفاظ الحديث، وهو كبير أسرة عقيل الأيليين الذين برزوا في علم ورواية الحديث<sup>(٥)</sup>.

(١) المقرئزي: الخطط، ج ١، ص ١٨٤.

(٢) الروض المعطار في خبر الاقطار: ص ٧٠.

(٣) "أيلة": مجلة آثار الاردنية، العدد الثاني، أيلول ١٩٩٨م، عمان، الاردن، ص ٥٤.

(٤) الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ٥١٩.

(٥) الامير الحافظ ابن ماکولا: الإكمال في رفع الارتياح عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، ج ١، ص ١٢٧، وانظر ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، دار صادر، بيروت، ج ٧، ص ٢٥٥، ٢٥٦، وانظر الغوانمة، أيلة (العقبة) والبحر الأحمر، ص ١١١.

٢ - يونس بن يزيد بن أبي النجاه الأيلي (ت ١٥٢)، يصفه ابن سعد<sup>(١)</sup> بأنه كان حلو الحديث، وليس بحجة وربما جاء بالشيء المنكر ويذكر أنه مولى معاوية بن أبي سفيان، وروى عن أخيه أبي علي بن يزيد والزهرى، ونافع مولى ابن عمر وهشام بن عروة وعمارة بن غزية وعكرمة وغيرهم. وروى عنه جرير وعمر بن الحارث، وابن أخيه عنبسة بن خالد بن يزيد الأيلي والليث والأوزاعي وسليمان بن بلال وطلحة بن يحيى الزقي وابن المبارك وابن وهب والقاسم بن مسرور ومفضل بن فضالة وشبيب بن سعيد الحبطي وبقية بن الوليد وحسان بن إبراهيم الكرماني، وعبدالله بن رجاء المكي، وأبو صفوان عبدالله بن سعيد الأموي، وعبدالله بن عمر النميري وعثمان بن عمر وآخرون، ويورد بعض الآراء التي اختلفت فيه من حيث الحفظ والثقة، فهناك من وثقه، وهناك من اتهمه بسوء الحفظ وإيراد الأحاديث المنكرة<sup>(٢)</sup>.

٣ - عبدالحكم بن أعين بن الليث القرشي الأيلي (ت ١٧١هـ): مولى عثمان بن عفان، وقيل مولى عفيرة: امرأة من موالي عثمان، وهو والد بني عبدالحكم الأسرة التي انتقلت من أيلة إلى مصر، وسكنت الإسكندرية، وعرفوا بالعلم والمعرفة<sup>(٣)</sup>.

٤ - سلامة بن روح بن خالد بن عقيل الأيلي: (ت ١٩٨هـ)

(١) الطبقات، ج ٧، ص ٥٢٠.

(٢) ابن حجر: المصدر السابق، ج ١١، ص ٤٥١، ٤٥٠، والغوامة، ص ١١٢.

(٣) الغوامة: أيلة (العقبة)، ص ١١٢-١١٣.



روى الحديث عن عمه عقيل بن خالد، وروى عنه محمد بن عزيز الأيلي<sup>(١)</sup>.

٥ - عنبة بن خالد بن يزيد بن أبي النجاه الأيلي: (ت ١٩٨).  
روى الحديث عن عمه يونس بن يزيد الأيلي السابق ذكره<sup>(٢)</sup>.

٦ - خالد بن نزار بن المغيرة بن سليم الغساني الأيلي: (ت ٢٢٢هـ):  
ويكنى أبا يزيد روى عن إبراهيم بن طهمان، وعن مالك والقاسم بن مبرور، والأوزاعي، ونافع بن عمر الجمحي، وابن عيينه، وابن أبي الزناد، ومحمد بن إدريس الشافعي، ويذكر ابن حجر أن خالد بن نزار من أقران الشافعي، ووصفه بأنه ثقة ويخطئ. وروى عن خالد بن نزار كل من أحمد بن صالح المصري وأبو الطاهر بن السرح وابنه طاهر بن خالد ومحمد وعبدالله بن عبدالحكم، وهارون بن سعيد الأيلي وجماعة<sup>(٣)</sup>.

٧ - هارون بن سعيد بن الهيثم الأيلي السعدي مولى بني سعد بن بكر (ت ٢٥٣هـ): أبو جعفر، روى عن ابن عيينه وابن وهب، وأبي ظمرة، وخالد بن نزار، وآخرون، وروى عنه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه وأبو حاتم ومحمد بن وضاح، ووصفه ابن حجر بالثقة، وأنه كان فقيها من أصحاب ابن وهب، وأنه كان مقدماً في الحديث فاضلاً<sup>(٤)</sup>.

---

(١) ابن ماكولا: الإكمال، ج ١، ص ١٢٨، وابن حجر: المصدر السابق، ج ٩، ص ٣٤٥، والغوامة، ص ١١٣.

(٢) ابن ماكولا: المصدر السابق، ج ١، ص ١٢٨، والغوامة، ص ١١٣.

(٣) ابن ماكولا: الإكمال، ج ١، ص ١٢٥، وابن حجر: تهذيب التهذيب، ج ٣، ص ١٢٣.

(٤) ابن ماكولا: المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٠، وابن حجر: المصدر السابق، ج ١١، ص ٧، والغوامة، ص ١١٤.

٨ - محمد بن سعيد الأيلي (ت ٢٥٨) محدث روى عن أخيه هارون بن سعيد<sup>(١)</sup>.

٩ - إسحاق بن إسماعيل بن عبد الأعلى بن عبد الحميد الأيلي: (ت ٢٥٨) أبو يعقوب، روى عن سفیان بن عيينه وعبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد، وسلامة بن روح وغيرهم، وروى عنه النسائي وابن ماجه ومكحول. توفي بأيلة<sup>(٢)</sup>.

١٠ - عبد الجبار بن عمر الأيلي: (ت ٢٦٠ - ٢٧٠ هـ) : يصفه ابن سعد بأنه ثقة، وابن ماکولا يصفه بأنه منكر الحديث، وروى عن محمد بن المنكدر وابن شهاب، وروى عنه إسماعيل بن عياش وغيره، ووصفه كل من البخاري والترمذي وابن أبي حاتم وأبو داود والدوري بالضعف<sup>(٣)</sup>.

١١ - محمد بن سلام بن عبدالله بن عقيل بن خالد الأيلي: (ت ٢٦٣ هـ) من أسرة عقيل الأيليين رحل إلى العراق واستقر بسامراء، روى الحديث عن يونس بن يزيد الأيلي، وروى عنه أبوبكر محمد بن يزيد وخالد بن نزار، وظاهر بن خالد، والطبري<sup>(٤)</sup>.

١٢ - محمد بن عزيز بن عبدالله بن زياد بن خالد بن عقيل الأيلي (ت ٢٦٧ هـ) : مولى بني أمية، روى عن عمه سلامة بن روح وسليمان بن سلمة الخبائري، وروى عنه النسائي وابن ماجه وأبو داود في غير السنن، ومحمد بن عبدالله بن عبد الحكم، ويصفه ابن حجر نقلاً عن المحدثين

(١) الغوامة: المرجع السابق، ص ١١٤.

(٢) ابن ماکولا: المصدر السابق، ج ١، ص ١٢٩، وابن حجر: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٢٦.

(٣) الطبقات، ج ٢، ص ٥٢٠، والإكمال، ج ١، ص ١٢٨.

(٤) الغوامة: أيلة..، ص ١١٥.

مرة بأنه لأبس به، ومرة بأنه ليس بثقة وضعيف، ومرة صدوقاً. توفي بأيلة<sup>(١)</sup>.

١٣- عبدالرحمن بن هارون بن سعيد بن الهيثم الأيلي (ت ٢٧٨هـ): اشتغل بتدريس الحديث وروايته<sup>(٢)</sup>.

١٤- حسان بن أبان بن عثمان الأيلي (ت ٣٢٢هـ) من رهط خالد بن نزار توفي بدمياط<sup>(٣)</sup>.

١٥- إبراهيم بن عون الأيلي حدث عن عثمان بن المهلب الأيلي، وحدث عنه عبدالحكم بن عبدالله بن عبدالحكم<sup>(٤)</sup>.

١٦- إبراهيم بن عقيل الأيلي: من أسرة علمية محدثه، روى عن أبيه، وروى عنه ابنه عقيل، وعلي بن القاسم<sup>(٥)</sup>.

١٧- أيوب بن سليمان بن عبدالواحد بن أبي حجر الأيلي: روى عن بكر بن صدقه وروى الحديث عن والده<sup>(٦)</sup>.

١٨- إسماعيل بن صخر الأيلي: روى عنه محمد بن جعفر بن أبي كثير<sup>(٧)</sup>.

١٩- أبو علي بن يزيد الأيلي: أخو يونس، روى عن أخيه يونس<sup>(٨)</sup>.

٢٠- الحكم بن محمد السعدي من آل هارون بن سعيد الأيلي، روى عن إبراهيم بن مرزوق وغيره<sup>(٩)</sup>.

(١) تهذيب التهذيب، ج ٩، ص ٣٤٤، ٣٤٥.

(٢) الغوامة: المرجع السابق، ص ١١٦.

(٣) ابن ماكولا: المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٠.

(٤) ابن ماكولا، الإكمال، ج ١، ص ١٢٨.

(٥) المصدر السابق، ج ١، ص ١٢٨.

(٦) المصدر السابق، ج ١، ص ١٢٩.

(٧) المصدر السابق، ج ١، ص ١٢٧.

(٨) المصدر السابق، ج ١، ص ١٢٧.

(٩) المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٠.

- ٢١- الحكم بن عبدالله بن سعد بن عبدالله الأيلي: يقال مولى الحارث بن الحكم بن أبي العاص، يكنى أبا عبدالله، سمع أنس بن مالك، ويصفه ابن مأكولا بأنه منكر الحديث<sup>(١)</sup>.
- ٢٢- حكيم بن رزيق بن حكيم الأيلي حدث عنه ابن المبارك<sup>(٢)</sup>.
- ٢٣- حسين بن رستم الأيلي: أمير أيله في خلافة عمر بن عبدالعزيز الأموي، روى عن عطاء بن يسار ومحمد بن المنكدر وهشام بن عروة، روى عنه مالك بن أنس وسعيد بن أبي أيوب، وهمام بن نافع<sup>(٣)</sup>.
- ٢٤- خالد بن يزيد بن عبدالله الأيلي مولى قريش حدث عن أبيه عن الحكم بن عبدالله بن سعد، أبو يزيد<sup>(٤)</sup>.
- ٢٥- خالد بن يزيد بن محمد الأيلي أبو الوليد، روى عن والده يزيد بن محمد الأيلي<sup>(٥)</sup>.
- ٢٦- داود بن أيوب بن سليمان بن عبدالواحد الأيلي حدث عن أبيه، وعن هشام بن عمار وإبراهيم بن المنذر<sup>(٦)</sup>.
- ٢٧- رجاء بن جميل بن ثوبان الأيلي، روى عن المسيب والقاسم بن محمد وسالم والزهرى، وحدث عنه عنبسه بن خالد وضمرة بن ربيعة<sup>(٧)</sup>.

---

(١) المصدر السابق، ج ١، ص ١٢٧.

(٢) المصدر السابق، ج ١، ص ١٢٧.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ٥٢٠، وابن مأكولا: الإكمال، ج ١، ص ١٢٨.

(٤) ابن مأكولا: المصدر السابق، ج ١، ص ١٢٩.

(٥) ابن مأكولا: المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٠.

(٦) الغوامة: أيلة..، ص ١١٨.

(٧) ابن مأكولا: المصدر السابق، ص ١٢٧.

٢٨- رزيق بن حكيم أبو حكيم الأيلي، يصفه ابن سعد بأنه كان ثقة، روى عن سعيد بن المسيب، وروى عنه عمرو بن الحارث، وسفيان ابن عيينه وابنه حكيم<sup>(١)</sup>.

٢٩- زياد بن عقيل الأيلي، يروي عن أسماء بنت أبي بكر، وروى عنه ابن أخيه عقيل بن خالد<sup>(٢)</sup>.

٣٠- زهير الأيلي يروي عن ابن عباس، وروى عنه يحيى بن أبي عمرو السيباني<sup>(٣)</sup>.

٣١- سعد بن عبدالله بن سعد الأيلي، روى عن محمد بن كعب القرظي، والقاسم بن محمد، وروى عنه ضمرة بن ربيعة، وينقل ابن حجر وصف المحدثين له بأنه لا بأس به وأنه ثقة<sup>(٤)</sup>.

٣٢- سعيد بن عبدالله بن سعيد الأيلي: يروي عن عقيل بن خالد، وروى عنه عمر بن طلحة<sup>(٥)</sup>.

٣٣- سعيد يزيد الأيلي روى عنه أخوه يونس<sup>(٦)</sup>.

٣٤- سعدان بن سالم الأيلي أبا الصباح روى عنه القاسم بن أبي أيوب وبكر بن مضر وابن المبارك وضمرة وخالد بن نزار، وينقل ابن حجر عن صفته أن أبا داود أثنى عليه، وذكره ابن حبان في الثقات<sup>(٧)</sup>.

---

(١) الطبقات: ج٧، ص٥٢٠، ابن ماكولا: المصدر السابق، ج١، ص١٢٧

(٢) ابن ماكولا: المصدر السابق، ج١، ص١٢٩.

(٣) المصدر السابق، ج١، ص١٢٦.

(٤) تهذيب التهذيب، ج٣، ص٣٧٦.

(٥) ابن ماكولا: المصدر السابق، ج١، ص١٢٩.

(٦) المصدر السابق، ج١، ص١٢٨.

(٧) ابن ماكولا: المصدر السابق، ج١، ص١٢٨، وتهذيب التهذيب، ج١، ص٧.

- ٣٥- طلحة بن عبد الملك الأيلي، يصفه ابن سعد بأنه ثقة وروى عنه مالك بن أنس وغيره<sup>(١)</sup>.
- ٣٦- عقيل بن ابراهيم بن عقيل بن خالد الأيلي روى عن أبيه عن جده، وروى عنه يحيى بن عثمان بن صالح<sup>(٢)</sup>.
- ٣٧- عمر بن سعد الأيلي، حدث عنه عمر بن زبان الأيلي<sup>(٣)</sup>.
- ٣٨- عمر بن زبان الأيلي، روى عن عمر بن سعد الأيلي، وروى عنه حسن بن علي الحلواني<sup>(٤)</sup>.
- ٣٩- يحيى بن صالح الأيلي، روى عن اسماعيل بن أمية، وروى عنه يحيى بن عبدالله بن بكير<sup>(٥)</sup>.
- ٤٠- يزيد بن عبدالله الأيلي، روى عن الحكم بن عبدالله بن سعد، وروى عنه ابنه خالد بن يزيد<sup>(٦)</sup>.
- ٤١- يزيد بن محمد الأيلي، روى عن يونس بن يزيد وابن لهيعة، وروى عنه الفسوي، وإسماعيل بن عبدالله الاصبهاني (سمويه)<sup>(٧)</sup>.
- ٤٢- يزيد بن يونس الأيلي: روى عن أبيه، وروى عنه ابن وهب ومحمد بن مهدي الاخميمي<sup>(٨)</sup>.
- ٤٣- يزيد بن أبي سميه الأيلي أبا صخر يصفه ابن سعد بأنه صالح الحديث. روى عن ابن عمر وعمر بن عبدالعزيز وأبي بكر بن عبدالرحمن وهشام بن إسماعيل، وروى عنه

---

(١) الطبقات، ج ٧، ص ٥١٩.  
(٢) ابن ماكولا: الإكمال، ج ١، ص ١٢٩.  
(٣) المصدر السابق، ج ١، ص ١٢٨.  
(٤) المصدر السابق، ج ١، ص ١٢٨.  
(٥) المصدر السابق، ج ١، ص ١٢٨.  
(٦) المصدر السابق، ج ١، ص ١٢٩.  
(٧) المصدر السابق، ج ١، ص ١٢٩.  
(٨) المصدر السابق، ج ١، ص ١٢٩.

هشام بن سعد المدني وأبو الصباح سعدان بن سالم،  
وعبد الجبار بن عمر وحسين بن رستم الأيليون، وينقل ابن  
حجر قول أبو زرعه بأنه ثقة، وقول الواقدي أنه كان من  
العباد<sup>(١)</sup>.

وقد تم بحمد الله الوقوف على موقع آثار مدينة أيلة  
الإسلامية وتصويره فتوغرافياً بتاريخ ٦/٤/٢٠١٤ هـ الموافق  
(١٩٩٩/٧/١٩).

وقد أجريت على الموقع دراسات أثرية وأعمال تنقيب في  
الفترة الواقعة ما بين ١٩٨٦-١٩٩٣ م قام بها فريق تابع  
للمعهد الشرقي التابع لجامعة شيكاغو بإشراف الأستاذ الدكتور  
دونالد ويتكومب، حيث أسفرت الدراسة والتنقيب عن اكتشاف  
بقايا مدينة تتخذ شكلاً مستطيلاً تقدر أبعادها ١٦٠ ×  
١٢٠ م . وقدّر تاريخ الإنشاء بناء على اللقى الفخارية إلى  
(القرن الأول الهجري) منتصف القرن السابع الميلادي،  
واستمرت السكنى إلى نهاية القرن الثاني عشر الميلادي أي إلى  
نهاية القرن السادس الهجري تقريباً.

ويتخذ شكل المدينة مستطيلاً ينحصر في مساحة تقدر بـ (٢  
١٩٢٠٠ م) وسمك الجدران المحيطة بها والمشيدة بكتل  
حجرية مابين (١,٥-٢,٦ م) وما تزال قائمة إلى اليوم بارتفاع  
يتراوح مابين (٣-٤,٥ م).

والمدينة أربع بوابات هي باب مصر في منتصف السور  
الشمالي الغربي ويقابل باب الحجاز في منتصف السور الجنوبي

---

(١) الطبقات، ج٧، ص٥١٩، وابن ماكولا: المصدر السابق، ج١، ص  
١٢٦. وتهذيب التهذيب، ج١١، ص٣٣٤، والغوامة: المصدر السابق،  
ص١٢٢.

الشرقي، وباب البحر في السور الجنوبي الغربي وباب الشام في منتصف السور الشمالي الشرقي، وعلى كل بوابة برجان يتخذان شكلاً بيضاوياً.

وأظهرت الدراسة بيتاً يُستدل من موقعه وزخرفته أنه بيت الوالي أو دار الإمارة. كما بينت الدراسة والتنقيبات بمحاذاة السور مرور بنائه بثلاث مراحل تاريخية:

١ - الإسلامية المبكرة الأولى (الراشدية والامويين) ٦٥٠ - ٨٠٠ م.

٢ - الإسلامية المبكرة الثانية (العباسية المبكرة) ٨٠٠ - ٩٥٠ م.

٣ - الإسلامية المتوسطة الأولى (العباسية المتوسطة والفاطمية) ٩٥٠ - ١١٠٠ م.

وبُنيت الأبراج في أركان المدينة على امتداد الاسوار المحيطة، وتم الاستفادة منها عسكرياً وتجارياً، وفي الجانب التجاري لخرن السلع حيث تخرن السلع وتعرض على القوافل التجارية بيعاً أو نقلاً بطريق البر أو البحر.

وبرزت أهمية أيلة التجارية خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين حيث عثر على جرار السيلادون والأواني الخزفية المزججة والأسرجة والقدور والدنانير الفاطمية.

كما أن النشاط التجاري الذي عاشته أيلة خاصة التجارة البحرية خلال فترة الخلافة العباسية والفاطمية "العبيدية" انعكس على التغيرات التي طرأت على بوابة مصر مما يدل على أن باب البحر كان قد أصبح المدخل الرئيسي والهام بالمدينة.



وأما عن مسجد المدينة فيقع في المنطقة التي تتوسط بوابة الشام وبيت الإمارة. كما تم الكشف عن عدد من البيوت السكنية في عدة مناطق من المدينة<sup>(١)</sup>.

وقد كان مسجد المدينة بجانب مهمته الأساسية - مكاناً لإقامة الصلوات - ساهم في خدمة الاجتماعات السياسية والقضائية، وكان ملتقى لتدريس العلوم الشرعية.

ويرى بعض الباحثين أن مخطط المدينة قد استفاد من التخطيط البيزنطي للجدران والأبراج والشوارع، وبالتالي أصبحت مدينة أيلة الإسلامية مزيج من الخبرات البيزنطية والاتجاهات الإسلامية المتمدة<sup>(٢)</sup>.

---

(١) رائد رزق محمد الشرع: مدينة أيلة، رسالة ماجستير، ص ٥٥-٨٤.  
(٢) سوسن الفاخري: "أيلة" مقال، مجلة آثار الاردنية، العدد الثاني، ص ٥٥.

أما اسم العقبة فبرز في العصر المملوكي، حيث كانت المدينة تذكر بأيلة أو عقبة أيلة رداً طويلاً من الزمن، حتى غلب اسم العقبة عليها في العصر المملوكي<sup>(١)</sup>.

### العقبة في اللغة:

الطريق الوعر في الجبل والجمع عقب، وعقاب، وعقبات<sup>(٢)</sup>. وكان الطريق إلى أيلة يمر عبر عقبات، فأخذت الاسم من ذلك. ويشرف على خليج العقبة شرقاً جبال عالية هي جبال "الشرف" وجبل "اللوز" وجبال "حسمى" وقمم "رم"، ومن الغرب تشرف عليه جبال تحول بينه وبين صحراء سيناء هي جبال "طور سيناء"<sup>(٣)</sup>.

وقد قامت العقبة على أنقاض أيلة، وقد كانت منسوبة إلى العقبة فيقال: "عقبة أيلة" حتى طغى اسم العقبة وتوسعت المدينة فأصبحت أيلة نفسها جزء من العقبة.

وتملك العقبة عدة آثار تاريخية هامة مثل القلعة المملوكية التي شاهدها الباحث (بتاريخ ١٤٢٠/٤/٦ هـ الموافق ١٩/٧/١٩٩٩م) وتجول في جنباتها والتقط عدة صور فتوغرافية لها خاصة النص المبرز لاسم السلطان المملوكي قانصوه الغوري<sup>(٤)</sup> في القرن العاشر الهجري، وهذه القلعة أو خان العقبة كما يسميها الغوانمة الذي يؤكد بالأدلة التاريخية أن القلعة لم تُبن في عهد السلطان قانصوه الغوري ٩٠٦ هـ —

(١) يوسف غوانمة: (أيلة والبحر الأحمر ...)، ص ١٦.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، ج ١، ص ٦٢١.

(٣) حمود القنّامي: معجم المواضع والقبائل والحكومات، "شمال الحجاز"، ج ٢، ص ١١.

(٣) سلطان مملوكي جركسي، مستعرب، خدم السلاطين، وبويع بالسلطنة في القاهرة، بنى الآثار المتعددة، هزم في معركة مرج دابق بالشام أمام العثمانيين، ومات قهراً وضاعت جثته ٩٢٢ هـ. انظر الزركلي: الأعلام، ج ٥، ص ١٨٧.

٩٢٢هـ — كما يشير بذلك النص<sup>(١)</sup> المنقوش على مدخل القلعة بل بُنيت في فترة سابقة في العهد المملوكي، ويرجح أن الذي أمر بإنشائها السلطان الملك الظاهر بيبرس ٦٥٨-٧٧٦هـ<sup>(٢)</sup>، لأن بيبرس ومن أتى بعده من السلاطين اهتموا ببناء الأبراج في جميع بلاد الشام وكانت هذه الأبراج عبارة عن قلاع صغيرة أستخدمت منها تدعيم الدفاع عن الساحل، فبرج العقبة يقوم بمهمتين خاناً للتجار والمسافرين وأيضاً برجاً حصيناً لحماية التجار والحجاج مابين مصر والأراضي المقدسة، وتأمين التجارة البحرية. ومن الأدلة رنك بيبرس (أي خاتمه وتوقيعه أو علامته) الأسد الذي يشاهد على البرج الشمالي الشرقي من القلعة، وكذلك الإشارات التي وردت لدى عدد من المؤرخين مثل أبي الفدا والمقريزي التي تقطع بسبق بناء القلعة لفترة حكم قانصوه الغوري، واقتصر دور السلطان قانصوه الغوري على ترميمه وتجديده وتدعيم بنائه لمواجهة القوة البحرية البرتغالية في القرن العاشر الهجري، ولحماية قوافل الحجاج من هجمات الأعراب<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر صورة النص ص ٣٧٦.

(٢) سلطان مملوكي بويع بالسلطنة عام ٦٥٨هـ وتلقب بالظاهر ، صاحب فتوحات وأثار ، وكان شجاعاً جباراً وفي أيامه انتقلت الخلافة للديار المصرية وتوفي بدمشق ٦٧٦هـ، وأقيمت حوله المكتبة الظاهرية .انظر الزركلي : الأعلام ، ج ٢، ص ٧٩.

(٣) أيلة (العقبة) والبحر الأحمر: ص ١٢٩ ، ١٣٠.

ومن المعالم التاريخية أيضاً التي قد تسجل للعقبة قلعة جزيرة فرعون وهذه الجزيرة حالياً تحت السيادة المصرية، وتقع هذه الجزيرة<sup>(١)</sup> في خليج العقبة جنوب طابا وعلى مسافة (٨) أميال (٢ كم) إلى الجنوب الغربي من العقبة وتبعد ٢٥٠ متراً من ساحل سيناء، وقلعتها تعرف باسم قلعة فرعون وتتكون من مباني قلعتين تامتين تماماً بحيث تستطيع أن تعمل كل منهما بمفردها إذا ما حوصرت إحداهما أو استولي عليها، ويطلق عليها سكان المنطقة القلعة أو القليعة أو "القرية" بتشديد الياء، ومرجح أنها بنيت في عهد صلاح الدين الأيوبي، وكان لها دور في الحروب الصليبية<sup>(٢)</sup>.

---

(١) انظر خريطة الجزيرة ص ٣٧٧.

(٢) احمد رمضان احمد: شبه جزيرة سيناء، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، ص ١٦٦، ١٦٧، وانظر الغوانمه: المرجع السابق، ص ١٢٥.

ومن الجدير ذكره أن مدينة إيلات التي أنشأها اليهود بعد أن احتلوا القرية العربية "أم الرشراش" بتاريخ ١٠/٣/١٩٤٩م، وأطلقوا عليها اسم "إيلات" ليست أيلة الإسلامية التاريخية التي تقع داخل حدود مدينة العقبة الحالية.

وأم الرشراش تقع بجوار العقبة وكلاهما على رأس خليج العقبة والمسافة لاتذكر بينهما. وقد تمكن - أعداء الله - بذلك من بناء ميناء لهم على البحر الأحمر وبالتالي عزل سكان الجزيرة العربية من الذهاب براً إلى سيناء، بل وأطلقوا على خليج العقبة اسم خليج إيلات<sup>(١)</sup>.

---

(١) حمود القنامي: معجم المواضع والقبائل والحكومات (شمال الحجاز)، ص ٩، ١٠.

## ينبع (١) :

ينبع بالفتح ثم السكون وضم الموحدة، وعين مهملة، مضارع نبع، ونبع الماء: ظهر. وسميت ينبع بذلك لكثرة ينباعها. قال الشريف سلمة بن عياش الينبعي: عدت بها مائة وسبعين عيناً<sup>(٢)</sup>.

وتقع على خط عرض (٦-٢٤) شمالاً، وخط طول ٣-٣٨٠ شرقاً<sup>٣</sup>. وتلك ينبع الميناء أو الثغر البحري أو ماتسمى حديثاً "ينبع البحر" التي لا تبعد كثيراً عن "ينبع النخل"، وفي الفترة الإسلامية المبكرة كانت الأحداث ترتبط أكثر بينبع النخل، ومن العهد الأيوبي وما بعده ارتبطت الأحداث بينبع البحر والنخل على السواء حتى نهاية العهد المملوكي. وما إضافة البحر إلا للتفريق وإن كانتا لا تختلفان في القبائل والعادات والتاريخ المشترك، وتمثل بينبع النخل الجزء الأعلى من المدينة، وينبع البحر تشكل الجزء الأدنى منها، وينبع البحر جزء أصيل من ينبع النخل وما المسافة الموجودة بينهما اليوم إلا مناطق العيون التي اندثرت معالمها، ومما يؤكد تلاحمهما وأنها بلدة واحدة قول العباس بن الحسن للرشيد:

يا وادي القصر نعم القصر والوادي \* من منزل حاضر إن شئت أو بادي  
تلقى قراقره بالعقر واقفة \* والضب والنون والملاح والحادي

- 
- (١) انظر الخرائط والصور عن ينبع في ملاحق البحث، ص ٣٧٨-٣٨٠.  
(٢) الفيروز آبادي: المغامم المطابة في معالم طابة، ص ٤٤٠، وانظر السمهودي: وفاء الوفاء، ج ٤، ص ١٣٣٤.  
(٣) محمد أحمد الرويثي: الموانئ السعودية على البحر الأحمر، ص ٢٩٨، وانظر خريطة "ينبع" التخطيطية: ٥٠٠,٠٠٠، لوحة رقم ٧٧ NG ٣٧ - S، طبعت عام ١٤٠٤ هـ وزارة البترول والثروة المعدنية، وخارطة طرق المواصلات: ١ : ٣٠٠٠,٠٠٠ وزارة المواصلات.

فجمع الشاعر بين السفن ومرفأها والملاح، وحادي الإبل<sup>(١)</sup>  
(والضب صيد البر والنون صيد البحر).

ويحددها عرام السلمي (المتوفى في القرن الثالث) على  
أنها يمين رضوى الجبل ويصفها بأنها قرية كبيرة غناء،  
سكانها من الأنصار وجهينة وليث وفيها عيون<sup>(٢)</sup>. ويصفها  
الاصطخري (ت ٣٤٠) بأنها حصن به نخل وماء وزروع، وبها  
وقوف لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يتولاها أولاده،  
ويصف جبل رضوى بأنه أخضر ويرى من ينبع<sup>(٣)</sup>.

وقد أقطع النبي صلى الله عليه وسلم علياً رضي الله عنه  
أربع أرضين في ينبع هي الفقيرين وبئر قيس، والشجرة،  
وأقطعه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ينبع مضافة إلى  
غيرها. وينسب إلى كثير قوله:

أهاجتك سلمى أم أجد بكورها \* وخفت بأنطاكي رقم خدودها  
على هاجرات الشول قد خف خطرهما \* وأسلمها للضاعنات حضورها  
قوارض حفتي بطن ينبع خطرهما \* قواصد شرقي العناقين عبرها

وممن ينسب إلى ينبع أبو عبدالله حرملة المدلجي له صحبة  
ورواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٤)</sup>.

(١) وانظر الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٢١-٢٢. وعبدالكريم  
محمود الخطيب: تاريخ ينبع، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ - ١٩٨٥، مطابع  
الشرق الأوسط، الرياض، ص ١٢.

(٢) أسماء جبال تهامة وسكانها: ص ٨.

(٣) المسالك والممالك: ص ٢٥، وانظر ابن حوقل: صورة الأرض، ص  
٣٢.

(٤) الفيروز آبادي: المغانم المطابة في معالم طابة، ص ٤٤٠، وانظر  
السمهودي: وفاء الوفاء، ج ٤، ص ١٣٣٤.

ومن أبرز من نسب إلى ينبع من التابعين عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أبو محمد تابعي من أهل المدينة كان ذا عارضه وهيبة ولسان وشرف، وكانت له منزلة عند عمر بن عبدالعزيز، ويقول الخطيب البغدادي مارأيت أحداً من علمائنا يكرمون أحداً مايكرمون عبدالله بن حسن، وعنه روى مالك الحديث، ويضيف أن لعبدالله بن الحسن رواية عن أبيه وعن أمه فاطمة بنت الحسين، ويروي عنه سوى مالك عبدالعزيز بن محمد الداراوردي والمنذر بن زياد الطائي.

وكان واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد شيخا المعتزلة يأتیان إليه في بلدته (سويقة) يتلقيان عنه العلم، وأنجب من الأبناء من كان لهم أثر بارز في العالم الإسلامي أمثال محمد (النفس الزكية) وأخوه ابراهيم، (مع العلم أن ابراهيم هذا هو جد الأشراف أهل "ينبع").

وكذلك من الأبناء يحيى الذي خرج في عهد الرشيد، وسليمان الذي قتل بفخ وإدريس الذي هرب إلى المغرب وموسى الذي حبسه المنصور.

وقد ولد عبدالله بن الحسن سنة ٧٠، وتوفي في سجن أبي جعفر المنصور في الكوفة سنة ١٤٥هـ<sup>(١)</sup>.

ومن الشعراء العباس بن الحسن من أهل القرن الثاني الهجري ومحمد ابن صالح الحسني من أهل القرن الثالث الهجري. ومن الجغرافيين مسعر بن مهلهل الخزرجي من أهل القرن الرابع الهجري، وكذلك الشريف قتادة الذي أسس الطبقة

(١) أحمد بن علي أبوبكر الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٩، ص ٤٣١-٤٣٢، وانظر الأعلام للزركلي، الطبعة الرابعة عشر، ١٩٩٩، دار العلم للملايين، بيروت، ج ٤، ص ٧٨، وانظر حمد الجاسر: بلاد ينبع، ص ١٣٧، ١٣٨.



الرابعة من الأشراف أمراء مكة في القرن السادس الهجري حتى الرابع عشر الهجري<sup>(١)</sup>.

ومن علماء ينبع "محمد بن أبي بكر بن عبدالعزيز بن محمد أبو عبدالله عز الدين الكناني" ولد في ينبع عام ٧٤٩هـ، وعُرف باسم "ابن جماعة" من تلاميذ ابن خلدون وأشتهر بعلم اللغة والبيان والأصول<sup>(٢)</sup>.

ويتوسع عبد الكريم الخطيب في الحديث عنه نقلاً عن ابن خلدون الذي التقاه في ينبع عام (٧٨٩هـ) والمقريري والسيوطي بأن ابن جماعة عالم متقن متكلم جدلي نظار نحوي لغوي بياني أخذ عن السراج الهذلي والضياء القرخي، وابن خلدون والتاج السبكي وأخيه البهاء وغيرهم، وله من المؤلفات الكثير، وبرز في الحكمة والطب وصناعة النفط والكيمياء، وكان يجله كثيراً ابن خلدون، وتوفي بالقاهرة عام ٨١٩هـ ذلك هو محمد بن جماعة الينبعي<sup>(٣)</sup>. وممن ينسب إلى ينبع مولداً تقي الدين ابن دقيق العيد (محي الدين أبي الحسن علي بن وهب بن مطيع بن أبي الطاعة القشيري النسب، المنفلوطي الأصل الينبعي المولد، القصصي المربي القاهري المنزل) وكان مولده بينبع في الخامس والعشرين من شعبان سنة ٦٢٥هـ، وتوفي سنة ٧٠٢هـ. اشتهر بمعرفته الواسعة للفقه والأسانيد والمتون، وتولى الافتاء في المذهبين المالكي والشافعي وأقرأ الحديث بالكامل، وتولى قضاء قضية الشافعية بمصر<sup>(٤)</sup>.

(١) حمد الجاسر: بلاد ينبع، ص ١١.

(٢) حمد الجاسر: بلاد ينبع، ص ١١٨.

(٣) تاريخ ينبع، ص ٩٢، ٩٣، (وقد عاش ابن جماعة في ينبع ٤٠ عاماً وتلقى العلم فيها واتجه لمصر لمزيد من التعلم والتعليم حتى توفي بالقاهرة).

(٤) القاسم بن يوسف التجيبي السبتي: مستفاد الرحلة والاغتراب، تحقيق عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب ليبيا، ١٩٧٥م، ص ١٦-٣٧.

أما قرى ينبع فقد ارتبطت بكثير من الأحداث التاريخية الهامة على مدار الفترة الإسلامية خاصة المبكرة منها.  
ومن أهم هذه القرى:

١ - البغيبة: بإعجام الغينين تصغير البغيغ، وهي البئر القريبة الرشاء، ولما صارت ينبع لعلي رضي الله عنه جعل عيون البغيغات صدقه على المساكين وابن السبيل، وارتبطت بهذه القرية أحداث سياسية في عهود مختلفة.

٢ - البليدة: قرية لآل علي.

٣ - سويقة: تصغير ساق، يسكنها آل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهي أيضاً عين عذبة كثيرة الماء. وارتبطت أيضاً بأحداث سياسية عرضتها لكثير من الاضطرابات بل إلى الحرق في عدة مرات وعقر نخلها وتخریب منازلها.

٤ - العشيرة: تصغير عشرة من العدد، أو تصغير عُشْرَة واحدة العشر للشجر المعروف، وهي حصن صغير يُفضل تمره على سائر تمر الحجاز، وفي هذا المكان كانت غزوة العشيرة على زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وفي الوقت الحاضر تغير اسمها إلى القرية أو "القرية" تصغير قرية. (١)

---

(١) الفيروز آبادي: المغانم المطابة ص ١٩٤/١٩١/٦٥/٥٩ والسمهودي: وفاء الوفاء، ج ٤، ص ١١١٥/١١٥٥/١٢٣٩/١٢٦٦، وحمد الجاسر: بلاد ينبع، ص ١٢-١٩، وانظر أحمد عبد الحميد العباسي: عمدة الاخبار في مدينة المختار، ص ٢٨٠/٣٢٠/٢٢٥/٢٢١.

٥ - العلقمية<sup>(١)</sup>: ارتبطت هذه القرية بأنها كانت موطن قتادة أمير مكة ومؤسس الطبقة الرابعة من الأشراف أمراء مكة من القرن السادس إلى الرابع عشر الهجري<sup>(٢)</sup>.

وقد تم الوقوف على بعض هذه القرى والمواقع الأثرية والتقطت بعض الصور الفوتوغرافية لمسجد العشيرة<sup>(٣)</sup> المرتبط بغزوة العشيرة وجبل رضوى ومواقع أخرى بتاريخ ٢٧/٣/١٤٢٠هـ. ورغم اندثار بعض هذه القرى لقلة الماء ولنضوب الآبار إلا أنه لا تزال هناك بعض الآثار في ينبع النخل كالنقوش الكوفية القريبة من سويقة، ونقوش جبل لؤلؤة، وبقايا الحصون القديمة. وكذلك ما نسب إلى ينبع من آثار نبوية (شعرات من شعر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومكحلة ومروود وقطعة من قميص للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وسيف من سيوفه ومصحف لعثمان بن عفان رضي الله عنه وآخر لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه نقلت إلى القاهرة في القرن السابع الهجري اشتراها صاحب بهاء الدين بن حنا الوزير المملوكي<sup>٤</sup> من أسرة بني إبراهيم من بني الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما من سكان مدينة ينبع<sup>(٥)</sup>،

(١) انظر صورة بقايا قرية العلقمية، ص ٣٨٠.

(٢) الفيروز آبادي: المغانم المطابة ص ١٩٤/١٩١/٦٥/٥٩ والسمهودي: وفاء الوفاء، ج ٤، ص ١١١٥/١١٥٥/١٢٣٩/١٢٦٦، وحمد الجاسر: بلاد ينبع، ص ١٢-١٩، وانظر أحمد عبد الحميد العباسي: عمدة الأخبار في مدينة المختار، ص ٢٨٠/٣٢٠/٢٢٥/٢٢١.

(٣) انظر الصورة، ص ٣٨٠.

(٤) هو علي بن محمد بن سليم المصري (٦٠٣-٦٧٧) كان من أكابر رجال عصره حزما وعزما، ولد وتوفي بمصر وعين وزيرا في عهد الظاهر واستمر في عهد ابنه سعيد حتى توفي. انظر الزركلي: الأعلام، ج ٤، ص ٣٣٣.

(٥) حمد الجاسر: بلاد ينبع، ص ١٤٥ - ١٤٦.

واستقرت هذه الآثار الآن في مسجد الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما المزعوم وجوده قبره بمصر<sup>(١)</sup>.

أما ينبع البحر، فيضاف البحر للتفريق بينها وبين ينبع النخل ولأنها تقع على ساحل البحر مباشرة، وهي ميناء المدينة، ورغم ما ذكر من أنها قد عُرِفَت كميناء حتى قبل ميلاد المسيح عليه السلام وأنها كانت تسمى في كتب اليونان القديمة (RANE) أو (NEGRA) إلا أن ميناء الجار سبق ميناء ينبع على الأقل في الفترة الإسلامية المبكرة واكتسب شهرة كبيرة لم يكن لينبع الميناء وجوداً معه ولم يظهر ميناء ينبع إلا بعد انهيار واضمحلال الجار في أواخر القرن السادس الهجري، وعندما اختاره الأيوبيون عام ٦٢١هـ ميناءاً رئيسياً للمدينة المنورة، ودفعوا ثمنه للأشراف الحسنيين أصحاب ينبع، وعاود الأشراف الاستيلاء عليه وتنقلت السلطة على الميناء مابين الأشراف والأيوبيين والمماليك فيما بعد، وأصبح الميناء الثاني في الحجاز لنقل مؤن الحجاج، ومؤن عمارة الحرمين الشريفين بعد ميناء جدة<sup>(٢)</sup>، وقد نشأ الميناء على نقطة تقع بين شرم ينبع في الشمال ومصب وادي الفرعة في الجنوب، ويقدر متوسط مابينهما (١٥ كم) وبالتالي يصب في وادي ثمر، وهو بوابة المدينة المنورة، ومنفذ الحجاز الأوسط<sup>(٣)</sup> ويبعد شرم ينبع عن الميناء بحوالي ١٥ كم شمالاً، وهو من المعالم الجغرافية الجميلة في ينبع، ويمتاز بمنظره الخلاب ومياهه الصافية، وتبرز حوله الصخور المرجانية، وهي بالتالي تساعد على حماية الشرم. وخليج ينبع لا يزيد عرضه عن ٣ كم، وأضيق أجزائه  $\frac{1}{2}$  كم، وتنتشر فيه شعاب مرجانية وبينها جزر صغيرة،

(١) انظر: محمد قناوي: (المدينة في رحاب الآثار النبوية بالمسجد الحسيني) جريدة المدينة، العدد (١٣٠٨٣) السبت ٢٧/١٠/١٤١٩هـ، والعدد (١٣٠٨٦) الثلاثاء ٣٠/١٠/١٤١٩هـ.

(٢) حمد الجاسر: بلاد ينبع، ص ٤٦ - ٥٠.

(٣) محمد الرويثي: الموانئ السعودية، ص ٢٩٨-٢٩٩.

وانتشار الشعاب المرجانية في منطقة الميناء المائية ساهم في تمدد ممرات ضيقة نحو الشمال الشرقي والجنوب. ويتم الوصول إلى الميناء عن طريق قنال طوله ١٦٠٩ م وعمقه ١٠,٣٦ م. وساهم الموقع الطبيعي للميناء على تطور مهمة الميناء من مرحلة صيد إلى ميناء تجاري وعسكري من القرن السابع حتى القرن العاشر الهجري<sup>(١)</sup>.

وازدهرت ينبع في عهد سلاطين المماليك الجراكسة نتيجة الإصلاحات المتعددة التي نفذت في طريق الحج ومشاعر الحرمين، وأدت بالتالي إلى زيادة عدد الحجاج، وأصبحت ينبع محطة برية وبحرية لحجاج مصر والشام، وأضحت سوقاً لبيع وشراء أنواع مختلفة من البضائع وساهمت بالتالي بدور فاعل في تجارة البحر الأحمر زمن المماليك<sup>(٢)</sup>.

---

(١) محمد الرويثي: الموانئ السعودية، ص ٣٠٤-٣٠٧.

(٢) علي بن حسين السليمان: العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك، الشركة المتحدة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٣٩٣/١٩٧٣، ص ١٩٠.

### ٣ - الجار (١):

الجار ما قُرِبَ من المنازل من الساحل<sup>(٢)</sup>. وبتخفيف الراء هو الذي تجيره أن يُضام<sup>(٣)</sup>. ويحدد عرام (المتوفى في القرن الثالث الهجري) موقع الجار بأنها على شاطئ البحر "البحر الأحمر" ومرفأ السفن القادمة من الحبشة ومصر والبحرين والصين.

ويصفها بأنها قرية كبيرة أهلة، وبها قصور كثيرة، مضيفاً إليها جزيرة في البحر مقابلة لها في الساحل وهي مرفأ الحبشة خاصة هي جزيرة "قراف"<sup>(٤)</sup>.

ولا يختلف عنه اليعقوبي (ت ٢٨٤ أو ٢٩٣ هـ) الذي يصفها بأنها ساحل المدينة وتستقبل مراكب التجار والمراكب التي تحمل الطعام من مصر<sup>(٥)</sup>. أما الإصطخري (ت ٣٤١ هـ) فيصفها بأنها فرضة المدينة وعلى ثلاث مراحل من المدينة<sup>(٦)</sup>. ويضيف الإدريسي (ت ٥٦٠)، أن المراكب إليها قاصدة ومقلعة وليس بها كبير تجارات<sup>(٧)</sup>.

ويحددها ياقوت (ت ٦٢٦) بأنها تقع على ساحل بحر القلزم وأن بينها وبين المدينة يوم وليلة، وبينها وبين أيلة نحو من عشر مراحل، وتبعد عن الجحفة بنحو ثلاث مراحل، وهي فرضة للسفن القادمة من الحبشة ومصر وعدن والصين،

(١) انظر خرائط وصور ميناء الجار في الملاحق، ص ٣٨١-٣٨٢

(٢) ابن منظور: لسان العرب، مادة جور ص.

(٣) ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٩٢.

(٤) أسماء جبال تهامة: ص ٩، ١٠.

(٥) البلدان: الملحق بكتاب الاعلاق النفسية لابن رسته، ص ٣١٣.

(٦) المسالك والممالك: ص ٢٣.

(٧) نزهة المشتاق، ج ١، ص ١٤٤.

ويذكر أن شرب أهلها من البحيرة. وقد أصبح البحر الذي تطل عليه الجار يسمى بحر الجار من القلزم إلى جدة<sup>(١)</sup>.

ويضيف الحميري (ت ٩١١) بأنها لها أسواق ومسجد جامع، ولها أحساء خارج المدينة، ولها مواجل لماء المطر، ومنها يصعد من أراد المدينة، ويقدر المسافة بين الجار وبدر بنحو عشرين ميلاً<sup>(٢)</sup>.

ويرى البلادي أن التقديرات للمؤرخين السابقين فيها شيء من الوهم والمبالغة، ومنها القول بأن بين الجار والمدينة يوم وليلة والصواب في رأيه بينها وبين المدينة ٢٠٠ كم وعلى حساب القوافل القديمة خمس مراحل، من المدينة إلى الفريش أو السيالة متقاربتيين ثم الروحاء أو المنصرف لقربهما من بعض ثم الحمراء، ثم بدر، ثم البريقة "الجار".

ويصح القول بأن بين الجار وأيلة "العقبة" عشر مراحل. والعشر مراحل لاتزيد عن ٤٥٠ كم بينما المسافة بين الجار والعقبة تزيد عن (١٠٠٠ كم)، مشيراً إلى أن المسافة بين مكة والمدينة ٤٦٠ كم أي (١١) مرحلة فقط<sup>(٣)</sup>.

---

(١) ياقوت: معجم البلدان، مادة الجار، ج ٢، ص ٩٢.

(٢) الروض المعطار، ص ١٥٣،

وانظر ناصر خسرو: سفرنامه، ترجمة خالد البدلي، الطبعة الأولى،

١٤٠٣-١٩٨٣، جامعة الملك سعود، ص ١١٩.

(٣) معجم معالم الحجاز، ج ٢، ص ١٠٤.



وتقع البريكة التي هي ميناء الجار القديم على درجة ٣٠/٣٨ طول شرقاً، و ٢٣/٤٠ عرضاً شمالاً<sup>(١)</sup>.

وسبب إطلاق اسم البريكة على الجار لعله يعود إلى وجود البحيرة التي يفيض منها ماء وادي يليل، بالجار، فبعد اندثار الجار استمر ارتياد البدو رعاة الأنعام لهذه البحيرة، وأخذوا يطلقون عليها "البريكة" تصغير البركة.

وأما جزيرة قراف فمازالت ماثلة أمام الميناء (خليج البريكة) وتحمل عند العامة اسم "السَّجِيَّة" بكسر السين المهملة واللام مع تشديدها وبالجيم المكسورة المشددة بعد اللام فياء مفتوحة مشددة فتاء مربوطة<sup>(٢)</sup>.

وكان حمد الجاسر يرى أن الرانس هي الجار التاريخية إلا أنه بعد الدراسة والبحث وقيامه بجولة على الموقع عام ١٣٩٠ هـ — تأكد له أن الجار هي البريكة الحالية وشاهد آثارها في مرتفع من الأرض يحفه البحر من جهتيه الغربية والشمالية، حيث يظهر رأس بحر ليس بعميق وتمتد البلدة غرباً في البحر لظهور بعض أساسات البناء القديم قد طمرت المياه فشاهد أمكنة المساكن وأكوام الرماد وكسر الزجاج والفخار وبقايا أسس أبنية، وآثار قناة، وأفواه حفر ضيقة<sup>(٣)</sup>.

---

(١) حمد الجاسر: شمال غرب الجزيرة، الطبعة الثانية، ١٤٠١-١٩٨١، دار اليمامة - الرياض، ص ١٩٢.

وانظر لوحة الحجاز الجنوبي: أبحاث جيولوجية، خريطة رقم I-210B، وزارة البترول والثروة المعدنية، خريطة جزيرة العرب: ١: ٢٠٠٠,٠٠٠، وخارطة طرق المواصلات ١: ٣٠٠٠,٠٠٠، وزارة المواصلات، وخرائط ميناء الجار بملاحق البحث، ص ٣٨١-٣٨٢.

(٢) عبدالقدوس الأنصاري (رحلة الجار): مجلة المنهل، جدة، جماد الأولى ١٣٩١، ص ٣٧، ص ٤٦٨.

(٣) في شمال غرب الجزيرة، ص ١٦٧-١٩١.



ومن الآثار التي شاهدها الأنصاري في رحلته إلى الجار عام ١٣٩١هـ وجود آثار رصيف بحري متآكل ومتداعي بفعل الأمواج، وهو مبنى بالحجارة المنقبية البيض المنحوتة بناءً قوياً، وأكوام مرتفعة ظهر تحتها حجارة منقبية لعلها أسس قصور ومباني، وآثار سور ممتد من البحر في الجنوب الغربي إلى الشمال الغربي ومن الشمال الغربي إلى الشمال الشرقي ومن الشمال الشرقي إلى الجنوب الشرقي كما وجدت شظايا الزجاج الإسلامي متناثرة وملونة، وقطع الفخار الإسلامي القديم. ويرجح الأنصاري أن لسور مدينة الجار عدة أبواب تغلق مساءً وتفتح نهاراً أحدها ناحية المدينة المنورة، وأن في الأبواب أبراج للحراسة والمراقبة لأن سوقها كانت عامرة بالتجارة والبيع والشراء<sup>(١)</sup>.

ويؤكد علي غبان في دراسة أثرية أن بيوت الجار مبنية من الحجر المرجاني المستخرج من البحر أو المقطوع من محاجر الساحل، وأن بعض المستويات السكنية المتتابعة يرجع إلى عصر ما قبل الإسلام، وأحدثها يرجع إلى القرن الخامس وبداية القرن السادس الهجري، مشيراً أيضاً إلى وجود أنظمة لتصريف المياه المستعملة<sup>(٢)</sup>.

وقد تم الوقوف على تلال هذه المنطقة التاريخية بتاريخ ٢٨/٣/١٤٢٠هـ، ووجدت كثيراً مما ذكره الباحثون السابقون عن الموقع والميناء والخليج، وبعض الآثار التي طمرتها الرمال الناعمة، ومن بين تلك الآثار قطع الزجاج الملون.

وممن يُنسب إلى الجار من المحدثين أبو عبد الله سعد بن نوفل الجاري، مولى عمر بن الخطاب وعامله على الجار،

---

(١) رحلة الجار، مجلة المنهل (سبق ذكره)، ص ٤٧١-٤٧٤، (الحجار المنقبية: الحجار البحرية المستخرجة من الشعاب المرجانية وتميل إلى اللون الداكن).

(٢) الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة، الكتاب الثاني، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص ١٨-٢١.

وروى عنه ابنه عبدالله بن سعد. وعمر بن سعيد الجاري،  
وروى عن ابن عمر رضي الله عنه وأبي هريرة، وروى عنه  
زيد بن أسلم، وعبد الملك بن أعين. ومن المحدثين أيضاً  
عبد الملك ابن الحسن الجاري الأحول مولى مروان بن الحكم  
يروى كما يذكر السمعاني المراسيل والمقاطيع، وروى عنه أبو  
عامر العقدي، وعمر بن راشد الجاري القرشي مولى  
عبد الرحمن بن أبان بن عثمان، يقال له الساحلي يضع الحديث  
على مالك وابن أبي ذئب وغيرهما من الثقات، ويشير السمعاني  
إلا أنه لا ينبغي أن يذكر إلا على سبيل القبح فيه، وسليمان بن  
محمد بن سليمان الأسلمي العساري الجاري المدني، روى عن  
عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وإسحاق بن إبراهيم ومالك بن  
أنس وابن أبي ذئب ونافع بن أبي نعيم، ويحيى بن محمد  
الجاري يروي عن الداروردي، روى عنه مؤمل بن إهاب، يذكر  
السمعاني أنه يقع في المناكير في روايته، ويرى وجوب التنكب  
عما انفرد به من الروايات وإن احتج به محتج فيما وافق  
الثقات لم أر به بأساً.

وممن نسب إلى الجار الصحابي عبدالله بن سويد الحارثي  
رضي الله عنه<sup>(١)</sup>.

(١) أبو سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني: الأنساب،  
تعليق عبدالله عمر البارودي، الطبعة الأولى، ١٤١٩-١٩٩٨، دار  
الفكر، بيروت، ج ٢، ص ١٠.

وانظر ياقوت: معجم البلدان: مادة الجار، ج ٢، ص ٩٣، والانصاري  
"رحلة الجار" ص ٤٩٤، والجاسر: في شمال غرب الجزيرة، ص  
٢٠٨، ٢٠٩.

## عوامل اندثار مدينة الجار :

عاشت الجار في عهود ساد فيها الأمن وتوفرت فيها الخيرات التي تجلب للحجاز من مختلف الأقطار، وطوال تلك الفترة ظلت تعتمد على جيرانها في الطعام والشراب، فكان الطعام يُجلب من مصر والماء من الأدوية المجاورة للجار. لكن مما ساهم مباشرة في انهيار الجار من جملة أسباب أخرى هو اختلال الأمن في منطقة الجار وهجوم بعض القبائل العربية على المنطقة والفتك بها، كما حدث في سنة ٢٣٠هـ عندما هاجمت قبيلة بنو سليم الجار فأوقعوا بناس من بني كنانة وباهلة فأصابوهم وقتلوا بعضهم، وكان على رأسهم عزيزة بن قطاب السلمي، وكان ذلك في خلافة الواثق بالله العباسي<sup>(١)</sup>.

كذلك قد يعتبر الغزو الصليبي لبعض موانئ الحجاز في القرن السادس الهجري، وعدم قدرة ميناء الجار على صد الهجمات والغارات البحرية مما أدى إلى تفرق وهروب سكان الجار سبباً من الأسباب التي أدت إلى اندثار الجار. إلا أن اتخاذ الأيوبيين لبنين ميناءً رسمياً للمدينة النبوية في عام ٦٢١هـ كان عاملاً مهماً في تضائل شأن الجار وبالتالي اختفائها كميناء، واستمرت الجار كطريق بري للحاج للتزود بالماء من بحيرتها أو بركتها إلى القرن العاشر الهجري<sup>(٢)</sup>.

وبما أن ميناء الجار ميناء استيراد فقد أدى عدم وصول السفن من مصر أو غيرها إلى انهيار هذا الميناء. فإن انقطاع

(١) تاريخ الطبري: المجلد الخامس، الطبعة الثانية ١٤٠٨، ١٩٨٨، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٢٧٨، وعزيزة المذكور أحد كبار قادة قبيلة بني سليم في زمانه كما يصفه الطبري. (وتفصيل الأحداث ص ١٤٦).

(٢) انظر الأنصاري: رحلة الجار، ص ٤٨٦-٤٩٣، وحمد الجاسر: في شمال غرب الجزيرة، ص ٢٠٩. وضيف الله الزهراني: (الجار ميناء ومدينة) بحث في دررية اتحاد المؤرخين العرب (الحضارة الإسلامية وعالم البحار) جمادى الأولى ١٤١٤، ص ٢٥١-٢٥٢.

وصول السفن مع انعدام خدمة الظهير يؤدي لا محالة إلى زوال أي ميناء، فالموانئ لا يمكن أن تحيا دون تنظيم حركة وصول البضائع والسلع من مراكز الإنتاج وبالتالي انتقالها إلى مواقع استهلاكها<sup>(١)</sup>. فساهم كل ذلك مجتمعاً في هجرة أهالي الجار وخاصة طبقة التجار مما أدى في نهاية الأمر إلى زوال واندثار مدينة الجار وبقيت أثراً بعد عين وأكواماً من التلال وساحلاً خالياً من الحياة البشرية التي كان يعج بها فسبحان من له البقاء والدوام.

---

(١) محمد أحمد الرويثي: التطور المكاني والتاريخي لموانئ شبة الجزيرة العربية، الطبعة الأولى ١٤١٥-١٩٩٥/٩٤، المدينة المنورة، ص ٨٦-٨٧.

## جُدَّة (١):

الجُدُّ بالضم : شاطئ النهر، والجُدَّة أيضاً وبه سميت المدينة التي عند مكة جُدَّة. وجُدَّة كل شئ : طريقته وجُدَّتْه : علامته، وكل طريقة جُدَّة وجادة<sup>(٢)</sup>.

ويقول ياقوت : جُدَّة بالضم والتشديد، والجُدَّة في رأيه الطريقة<sup>(٣)</sup>. وذلك موافق لما تبناه الأنصاري؛ وشدد عليه من أن الضبط الصحيح لصيغة جُدَّة الضم للجيم وتشديد الدال بعدها تاء مربوطة، ونقل عدة آراء لعدد من اللغويين والجغرافيين والمؤرخين تؤكد صحة ما ذهب إليه<sup>(٤)</sup>.

وتقع مدينة جُدَّة عند منتصف البحر الأحمر عند التقاء خط العرض ٢١، ٢٩ شمالاً والطول ٣٩،٠٧ شرقاً<sup>(٥)</sup>. على السهل الساحلي "سهل تهامة" ويحدها من الشرق مجموعة تلال صغيرة تليها سلاسل غير متصلة من الجبال الموازية لسلسلة جبال الحجاز<sup>(٦)</sup>.

ويتأثر مناخ جُدَّة تأثراً مباشراً بموقعها الجغرافي، فترتفع فيها نسبة الرطوبة غالب أيام العام، وتقل في فصل الشتاء<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر خريطة جُدَّة في الملاحق، ص ٣٨٣.

(٢) ابن منظور: لسان العرب: ج ٣، ص ١٠٨.

(٣) معجم البلدان: ج ٢، ص ١١٤.

(٤) موسوعة تاريخ مدينة جُدَّة، المجلد الأولى، الطبعة الثانية ١٤٠١-١٩٨٠م، ص ٤٥.

(٥) عبدالقادر بحيري: جُدَّة والبحر الأحمر "مقال" (جُدَّة عروس البحر الأحمر تقدم وحضارة)، إصدار من أمانة مدينة جُدَّة - الدار العربية للموسوعات، القاهرة، ص ٦٨.

(٦) حمزه إبراهيم عامر: موقع مدينة جُدَّة وطبيعة أرضها، الدورية السابقة، ص ٦٥.

(٧) أحمد إبراهيم: المناخ، الدورية السابقة، ص ٦٧.

وموقعها الجغرافي جعلها ملتقى لعدد من طرق المواصلات البرية والبحرية، فتحقق لهذا الموقع أن يكون رابطاً بين البر والبحر، فتبعد جدة عن المدينة بـ ٢٥ كم وعن مكة ٧٥ كم وعن العقبة ٩٥٠ كم، وبذلك أصبحت جدة بوابة مكة المكرمة<sup>(١)</sup>.

أما الجغرافيون الأوائل فيصفونها بأنها فرضة مكة، يقول اليعقوبي (ت ٢٨٤هـ) أن الخراج والصدقات والميرة تُحمل إلى مكة من مصر عبر ساحلها وهو جدة<sup>(٢)</sup>. كذلك يصفها الاصطخري (ت ٣٤٠) بأنها عامرة كثيرة التجارات والأموال، وليس بالحجاز بعد مكة أكثر مالاً وتجارة منها، وجل تجارها في زمانه الفرس<sup>(٣)</sup>.

وقد زار ناصر خسرو (ت ٤٨١) جدة في عام (٤٤٢هـ) أثناء إمارة الشريف شكر بن أبي الفتوح الملقب بتاج المعالي، وفي عهد الحاكم العبيدي في القاهرة المستنصر، والقائم بأمر الله العباسي في بغداد، ويصفها بأنها مدينة كبيرة ذات سور حصين، وإن عدد سكانها في زيارته لها يقدرون بنحو (٥٠٠٠ نسمة)<sup>(٤)</sup>. قريباً من هذا يصفها الإدريسي (ت ٥٦٠) بأنها عامرة بالتجارة وأهلها مياسير، ولها مراكب كثيرة تتصرف إلى جهات متعددة، وبها مصائد للسماك<sup>(٥)</sup>. إلا أن ابن جبير (ت ٦١١) والذي زار جدة يتحدث في رحلته الشهيرة عن أوضاع جدة في زمانه، فيقول أن أكثر بيوتها من أخصاص (بيوت من القصب والشجر) وأهلها يعيشون في شظف من العيش، مشيراً

(١) محمد أحمد الرويثي: الموانئ السعودية على البحر الأحمر، ص ٢١٤-٢١٧.

(٢) البلدان: ص ٣١٧.

(٣) المسالك والممالك: ص ٢٣، وانظر ابن حوقل، ص ٣١.

(٤) سفر نامه: ص ١٣٥.

(٥) نزهة المشتاق في افتراق الآفاق، ج ١، ص ١٣٩.

إلى آثارها ومساجدها<sup>(١)</sup>. ووافقه أيضاً الرحالة القاسم بن يوسف التجيبي السبتي (ت ٧٣٠) الذي زار جدة سنة (٦٩٦ هـ) فيقول بأن أهلها في زمانه من أشد الناس فقراً ومن أكثرهم على الجوع صبراً وقد تهدم أكثر بنائها، وشرب أهلها من جياب منقورة<sup>(٢)</sup>.

إلا أن الوضع تحسن كثيراً في القرن التاسع الهجري ومابعده، ويصفها الظاهري بأنه ربما يردّها كل سنة مايزيد عن مائة مركب، ومن ذلك مركب بسبعة قلع وتؤخذ الموجبات والرسوم تحمل إلى أمير مكة ويشاركه فيها السلطان المملوكي الملك الأشرف أبو النصر برسباي<sup>(٣)</sup>، وقد يصل متحصل جمرك جدة (٢٠٠,٠٠٠) دينار في كل سنة قد يزيد وقد ينقص<sup>(٤)</sup>.

ويدل ذلك على زيادة دخلها بزيادة عدد الحجاج وقوة الحركة التجارية<sup>(٥)</sup>.

ومما تحدث عنه الرحالة السابقون مساجد جدة وآثارها فتحدثوا عن قبر حواء وما بُني عليه من قبة وما قامت حوله من اعتقادات باطلة ما أنزل الله بها من سلطان...! ومنهم من ذكر أنه موقع مزعوم وهو الصواب، ومن المساجد مسجد منسوب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقيل لعمر بن عبدالعزيز رحمه الله، ومسجد الأبنوس له ساريتان من خشب الأبنوس وقد نسب إلى هارون الرشيد، وهو على الأرجح

(١) رحلة ابن جبیر: ص ٥٣ ، ٥٤.

(٢) مستفاد الرحلة والاعترا ب: تحقيق عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، ١٩٧٥م، ص ٢١٨ - ٢٢٢.

(٣) برسباي الدقماقي الظاهري صاحب مصر، جركسي الأصل ويصفه ابن إياس بأنه كان ملكاً جليلاً، إلا أنه يطمع في الأموال، وله أعمال في الحرم المكي. انظر الزركلي: الأعلام، ج ٢، ص ٤٨.

(٤) خليل بن شاهين: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تحقيق بولس راويس، باريس، المطبعة الجمهورية، ١٨٩٤، ص ١٣-١٦.

(٥) علي بن حسين السليمان: العلاقات الحجازية المصرية، ص ١٩٣.



مسجد عثمان بن عفان رضي الله عنه وبعض السكان يسميه "زواية ابن عفان" ومساجد وزوايا أخرى يذكرها ابن فرج<sup>(١)</sup> والحضراوي<sup>(٢)</sup>.

وتحقق الأنصاري مما ذكر من أن صنماً يقال له سعد بجدة فوجد أن جزيرة مجاورة لساحل جدة تسمى سعد أو أبي سعد وأمامها سهل أفيح إلى ناحية الشرق فترجح لديه أن الصنم كان في هذا السهل المقابل للجزيرة، وسميت الجزيرة باسمه.

ويورد قصة الراعي الذي ورد بإبله على الصنم ليتبرك به فلما أدناها من الصنم نفرت وتفرقت في كل وجه وأسف وتناول حجراً فرمى به الصنم "سعداً" وقال :

أتينا لسعد ليجمع شملنا \* فشتتنا سعد فلا نحن من سعد

وهل سعد إلا صخرة في تنوفة<sup>(٣)</sup> \* من الأرض لا يدعى لغى ولا رشد<sup>(٤)</sup>

وعن سكان جدة ومن ينسب لها من المحدثين والعلماء يذكر ياقوت الحموي أن قضاة وأبناءهم أول من سكن جدة، بل إن من ولده من يسمى جدة بن حزم بن ريان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاة<sup>(٥)</sup>. وارتبط اسم جدة بالفرس في فترات تاريخية لم يثبت منها إلا في القرن الثالث والرابع الهجري "العاشر الميلادي" لكثرة ارتياد تجار الفرس وسيطرتهم على التجارة في الخليج العربي وبحر العرب والبحر الأحمر حتى أطلق كثير من الجغرافيين اسم بحر فارس على البحر

(١) السلاح والعدة في تاريخ جدة: تحقيق مصطفى الحدرى، الطبعة الأولى ١٤٠٨-١٩٨٨، دار ابن كثير، دمشق، مكتبة دار التراث، المدينة، ص ١٠٢-١٠٤.

(٢) الجواهر المعدة في فضائل جدة: مجلة العرب، ج ١١ و ١٢، ص ١٣ (جمادى الثانية سنة ١٣٩٩)، ص ١٢٥-١٢٧.

(٣) التنوفة : البرية لا ماء فيها ولا أنيس . انظر المنجد ، ص ٦٦.

(٤) موسوعة تاريخ جدة ، ص ٧٠-٧١.

(٥) ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ١١٥.



الأحمر بل واستوطنوا جدة وغلبوا عليها وبنوا بها قصوراً، فأكثر صناع المراكب وملاحيتها من الفرس<sup>(١)</sup>.

وممن ينسب إلى جدة عبد الملك بن إبراهيم الجدي، وقد قال فيه البخاري "حجازي سمع شعبة وسعيد بن خالد أبو عبد الله مولى بني عبد الدار القرشي مات ٢٠٥ أو ٢٠٤"، وزاد محمد بن طاهر المقدسي أنه روى عنه عبد الله بن منير المروزي في الشهادات، وذكره الحافظ المزي وقال: روى له البخاري مقروناً بغيره وأبو داود والترمذي والنسائي.

ومن المنسوبين إلى جدة قاسم بن محمد الجدي، وكذلك جابر بن مرزوق الجدي<sup>(٢)</sup>. ومن العلماء كذلك في القرن التاسع الهجري أبو المعالي عبد الرحمن الشيرازي، وقد حج الحافظ ابن حجر العسقلاني سنة ٨٠٦ هـ وعاد إلى جدة وقرأ بها في المحرم سنة ٨٠٧ هـ على أبي المعالي وعاد إلى بلده مصر<sup>(٣)</sup>.

ويورد بعض المؤرخين الذين كتبوا عن جدة كابن فرج<sup>(٤)</sup> والحضراوي<sup>(٥)</sup> عدداً من الأحاديث التي تنسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضل جدة، (وفضل المراقبة بها، ولكن لم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منها شيء) ومنها على سبيل المثال ما ورد في الطبقات عن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب أنه لما أسير ببدر قال له رسول الله

(١) جورج حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة د/ السيد يعقوب بكر، مطابع دار الكتاب، مكتبة الانجلو المصرية، ص ٢٢٩-٢٣٠.

(٢) السمعاني: الأنساب، ج ٢، ص ٣٢، وأنظر مصطفى الحدي: محقق مخطوطة السلاح والعدة لابن فرج، ص ٢٢-٢٣.

(٣) الأنصاري: موسوعة تاريخ جدة، ص ١٨٥-١٨٦.

(٤) السلاح والعدة في تاريخ جدة: ص ٧٧-٧٩.

(٥) الجواهر المعدة في فضائل جدة: مجلة العرب، العدد، ج ٥ و ٦، ص ١٣، القعدة والحجة، سنة ١٣٩٨، ص ٤١٨، العدد، ج ٧/٨، ص ١٣، محرم وصفر، سنة ١٣٩٥، ص ٥٤٣-٥٤٧.

صلى الله عليه وسلم: افد نفسك يا نوفل، قال: ما لي شيء افدي به نفسي يا رسول الله، قال: افد نفسك برماحك التي بجدة، قال: أشهد أنك رسول الله. ففدى نفسه بها وكانت ألف ربح. وأسلم نوفل بن الحارث، وكان أسن من أسلم من بني هاشم<sup>(١)</sup>. كما ناقش محقق مخطوطه ابن فرج جملة من الأحاديث، وأشار إلى أنها وردت في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة<sup>(٢)</sup>.

---

(١) ابن سعد: دار صادر، بيروت، ج ٤، ص ٤٦.

وقد علق الأستاذ علي رضا بن عبدالله (المختص في علم الحديث) في زاوية له بجريدة المدينة بعنوان فرعي (جدة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم) عدد رقم ١٣٠٦٤، وتاريخ ١٤١٩/١٠/٨ هـ، على الحديث السابق بأن الحديث ضعيف ولا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

(٢) مصطفى الحدرى: محقق مخطوطة السلاح والعدة في تاريخ جدة، ص ٢٠-٢١.

## الشعبية (١):

شعبية تصغير شعبة، والشعبة : المسيل من الارتفاع إلى قرارة الرمل. والشعبة: المسيل الصغير، وقيل الشعبية ما انشعب من القلعة والوادي أي عدل عنه وأخذ في طريق غير طريقه فتلك الشعبية، والجمع شعب وشعاب<sup>(٢)</sup>.

ويرى البلادي أن الشعبية هي الوادي الذي يعرف اليوم بالشعبية ولكن دخل عليه تحريفاً، وفي رأيه أن اسمه القديم الشعبة. والشعبية الميناء، ولا يزال معروفاً بهذا الاسم وشهرته التاريخية تقدمه على الوادي<sup>(٣)</sup>.

وتقع الشعبية بقرب الخط ٢٠/٥٩ على الشاطئ في جون من البحر يقع في الشمال الغربي من جبل شداد وعلى الشمال من مستابه "المصطبة" وهو في موقع "الشعبية المقفلة" لأن الشعبية الآن موضعان "الشعبية المقفلة" وغربها في داخل الجون البحري "الشعبية المفتوحة"<sup>(٤)</sup>. وقد وقف تم الوقوف على الموقعين والتقطت لهما صوراً فوتوغرافية بتاريخ ٢٠/٥/١٤٢٠هـ، ووجدت التسميات المحلية تطلق إما مغلقة أو مسدودة، وكان ذلك بعد الحصول والاطلاع على خريطة جيولوجية<sup>(٥)</sup> وأخرى تخطيطية<sup>(١)</sup>، وبعد مراجعة ودراسة

(١) انظر خرائط وصور عن ميناء الشعبية في الملاحق، ص ٣٧٨-٣٨٠

(٢) ابن منظور: لسان العرب، مادة (شعب) ج ١، ص ٤٩٩.

(٣) معجم معالم الحجاز، ج ٥، ص ٧٢-٧٣.

(٤) الجاسر: في شمال غرب الجزيرة، ص ١٧٢-١٧٣.

(٥) خريطة رقم I-210B أبحاث جيولوجية، لوحة الحجاز الجنوبي، وزارة البترول والثروة المعدنية. ←

أبحاث ودراسات الجاسر والأنصاري اتضحت الصورة للموقع الحقيقي للشعبية. والمتجه لها من جنوب مكة بحي الكعكية على طريق الجنوب الساحلي وبعد ٦٠ كم تقريباً ومن نقطة الأمن يُتجه غرباً في حدود ٢٤ كم تقريباً ليجد الشعبية أمامه.

ويذكر الشعبية ابن خرداذبة (ت ٣٠٠) في الطريق من عُمان إلى مكة على الساحل مروراً بعدد من المنازل حتى الوصول إلى مكة<sup>(٢)</sup>. ويرى ابن المجاور (ت ٦٩١) أن الشعبية مرسى قديم وأنه كان قبل جدة لأنه في رأيه لا يوجد في تلك النواحي مرسى أدنى منه ولا آمن عاقبه<sup>(٣)</sup>. ويعلق الأنصاري على ذلك الرأي بأن من الواقع المشاهد أن جدة أدنى من الشعبية إلى مكة ولذلك طلبت قريش من الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه اتخاذ جدة ميناءاً لمكة، أما عن قدم الشعبية على جدة فلا يمكن الإقرار به إلا إذا قصد به من فترة اتخاذ عثمان رضي الله عنه جدة ميناءاً رسمياً لمكة فبالتالي تعتبر الشعبية أقدم<sup>(٤)</sup>.

وارتبط ميناء الشعبية تاريخياً بحادثة تجديد بناء الكعبة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم بخمس سنوات، تلك

→ (إن الموضع المسمى في الخريطة "مستابة Mastabah" صوابه "المصطبة" وأنه يقع شمالاً عن موضعه الذي رسم فيه في هذه الخريطة، وأن موقعه ينبغي أن يكتب فيه (الشعبية المقفلة) إذ إسم الشعبية يطلق على موضعين بالشاطئ أحدهما هذا الموضع والآخر غربه في داخل الجون ويدعى الشعبية المفتوحة ..) عن حمد الجاسر في شمال غرب الجزيرة: ص ١٧٢ ولتعلييل التسمية: بأن المقفلة يكاد يكون المدخل إليها مقفلاً بخلاف الأخرى، كما تبين الخرائط الملحقة انظرها.

(١) خارطة تخطيطية: ٥٠٠,٠٠٠:١، لوحة رقم NF37 - SE - وزارة البترول والثروة المعدنية (خريطة مكة المكرمة).

(٢) المسالك والممالك: ص ١٤٨.

(٣) تاريخ المستبصر: ص ٤٣.

(٤) موسوعة تاريخ مدينة جدة: ص ٥٩-٦١.

الحادثة التي أوردتها الأزرقي (ت ٢٤٤هـ) تقريباً عندما عزمت قريش في الجاهلية على بنيان الكعبة فتصادف أن سفينة للروم أقبلت حتى إذا كانت بالشعبية وهي يومئذ ساحل مكة قبل جدة فانكسرت فسمعت بها قريش فركبوا إليها وأخذوا خشبها ورومياً كان فيها يقال له باقوم نجاراً بئاء...<sup>(١)</sup>.

وعن وهب بن منبه قال: إن سفينة دفعتها الرياح إلى الشعبية وهو مرفأ السفن من ساحل بحر الحجاز، وقد كان مرفأ مكة ومرسى سفنها قبل جدة، فاستعانت قريش بخشب تلك السفينة في تجديد عمارة الكعبة<sup>(٢)</sup>.

وبعد اختيار عثمان بن عفان جدة سنة ٢٦هـ ميناء لمكة بدأت الشعبية في الضمور ثم الاختفاء من ساحة الأحداث، وإن استمرت لما بعد القرن السادس ميناءً صغيراً للسفن الواردة من اليمن، ماعدا حادثة عمارة المسجد الحرام في عهد الخليفة العباسي المهدي الذي أمر بنقل الأساطين من مصر والشام ونقلت بحراً إلى ميناء الشعبية. وبعدها بقي الميناء لا ترتاده إلا السفن الصغيرة وصيادي الأسماك<sup>(٣)</sup>. وعلى الرغم من الخصائص الطبيعية لميناء الشعبية التي تميزه عن ميناء جدة، حيث انعدام الشعاب المرجانية، وتوفر المياه البحرية العميقة التي تتراوح ما بين ١٠٠-٢٠٠م، وبالتالي مرساها محمي من الرياح مما يساعد في وصول السفن إلى البر وذلك للاقتراب من خط الساحل، بخلاف جدة لأن مرساها تقف فيه السفن بعيدة عن البر إلا أنه تم اختيار جدة ميناءً لقربها من مكة وسهولة الطريق بينها وبين مكة وهو مسامت لمكة من جهة الغرب، ولعل ذلك يعود لأسباب عدة منها السياسية والطبيعية، ومن

(١) أخبار مكة: تحقيق رشدي الصالح ملخص، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣.

١٩٨٣، مطابع دار الثقافة، مكة المكرمة، ج ١، ص ١٥٧.

(٢) ياقوت: معجم البلدان، ج ٣، ٣٥١ (وسياتي الحديث عن الهجرة لاحقاً).

(٣) الجاسر: شمال غرب الجزيرة، ص ١٧٤.

ذلك قرب جدة لمكة، وكذلك معرفة قريش لميناء جدة قبل الشعبية، وقد يكون أيضاً نقل الميناء إلى جدة من طريق اليمن خشية تأثير الحكم اليمني على ميناء الشعبية، وبالتالي ضرورة رعاية وحماية الثغور الإسلامية من قراصنة البر والبحر. وساعد على اندثار الشعبية النجاح الكبير لميناء جدة وتدفق التجارة والملاحة ورحلات الحجاج<sup>(١)</sup>.

---

(١) الأنصاري: تاريخ جدة، ص ٦١، ٦٠، وانظر: الرويثي: التطور المكاني لموانئ شبه الجزيرة العربية، ص ١٠٥-١١١.

٦ - السرين<sup>(١)</sup>:

السرّين بلفظ تثنية السر الذي هو الكتمان مجروراً أو منصوباً<sup>(٢)</sup>. ومن معاني السر: سرّ الوادي وهو أكرم موضع فيه، وأرض سرّ كريمة طيبة، وقيل هي أطيب موضع فيه<sup>(٣)</sup>.

والسرّين بكسر السين المهملة المشددة، وفتح الراء المهملة المشددة أيضاً، بعدها الياء الساكنة المنقوطة بأثنتين من تحتها آخره النون<sup>(٤)</sup>. ورتقة السرين تسمية يوردها الفيروز آبادي<sup>(٥)</sup>.

ويطلق السكان الآن على موقع السرين تسمية المصنع أو المصنعة<sup>(٦)</sup>. وفي اللغة الصنع هو الحوض أو شبه الصهرج يجمع فيه ماء المطر. وقال تعالى: {وَتَتَخَذُونَ مِصْنَعَكُمْ تِلْكَ} <sup>(٧)</sup> قال بعض المفسرين: هي أحباس تتخذ للماء واحداً مصنعة ومصنع<sup>(٨)</sup>.

ويتسم وصف الجغرافيين المتقدمين لموقع السرين الميناء والبلدة بالإجمال والتقريب، فيشير إليها اليعقوبي (ت ٢٨٤هـ) على أنها من أعمال مكة أي مضمومة إلى عامل مكة<sup>(٩)</sup>.

- 
- (١) انظر خرائط وصور عن موقع وميناء السرين ، ص ٢٨٧-٣٨٩.
- (٢) ياقوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢١٦.
- (٣) ابن منظور: لسان العرب: مادة السر: ج ٤، ص ٣٥٦-٣٥٩.
- (٤) الفقيه: حسن ابراهيم: مدينة السرين الأثرية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ص ٣٨.
- (٥) القاموس المحيط، ج ١، ص ١١٤٣.
- (٦) الزيلعي: أحمد بن عمر: ميناء السرين (بحث منشور) في مجلة اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ١٤١٤-١٩٩٤ (الحضارة الإسلامية وعالم البحار)، ص ١٧٦-١٧٧.
- (٧) سورة الشعراء: آية رقم (١٢٩).
- (٨) ابن منظور: لسان العرب: مادة صنع، ج ٨، ص ٢١١.
- (٩) البلدان: ص ٣١٦.

وفي الطريق من عُمان<sup>(١)</sup> إلى مكة على الساحل يذكر ابن خرداذبة (ت ٣٠٠) السرين مابين حلي<sup>(٢)</sup> جنوباً وأعيار<sup>(٣)</sup> شمالاً<sup>(٤)</sup>. أما الهمداني فيذكر السرين في عدة مواضع مشيراً إلى أنها من ساحل كنانة، ويورد قصيدة لشاعر تهامي يقال له أبو الجياش الحجري من الحجر بن الهنو يصف مناطق تهامة ومن ذلك قوله:

---

(١) عُمان: بضم أوله وتخفيف ثانيه بلد عربي على ساحل بحر اليمن والهند، أنظر ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ١٥٠. والمسمى الحديث سلطنة عُمان إحدى دول الخليج العربي وتطل على خليجي عُمان والخليج العربي.

(٢) حلي: تقع جنوب القنفذة على ساحل البحر الأحمر على بعد ٦٠ كم منها. انظر ياقوت ج ٢، ٢٩٧، والبلادي: بين مكة واليمن، ص ١٧٦.

(٣) أعيار: وادي صغير يأتي من الجبال الواقعة على السفوح القريبة للسرارة فيأخذ مياة جبال ذهب، ثم ينحدر بين الليث شمالاً وجبل عفف جنوباً، ومعظم مياهه تأتيه من جبل عفف. انظر البلادي: بين مكة واليمن، ص ٥٢.

(٤) المسالك والممالك: ص ١٤٨.



فقتونا<sup>(١)</sup> فأرض دوقة<sup>(٢)</sup> فاللـ يث<sup>(٣)</sup> فعشم<sup>(٤)</sup> السرين فالسراء<sup>(٥)</sup>  
والاصطخري (ت ٣٤٠) يحدد الحجاز جنوباً بالسرين<sup>(٦)</sup>، وكذلك  
ابن حوقل (ت ٣٦٧هـ)<sup>(٧)</sup>. ويصف الادريسي (ت ٥٦٠هـ)  
السرين بأنها مدينة ساحلية بينها وبين حلي الواقعة جنوبها  
خمسة أيام، وأنها حصن حصين، حسن موضعه كثيرة مياهه،  
ولواليه جباية شيء معلوم ورسم ملزوم على المراكب الصاعدة

(١) الليث: وادي بأسفل السراة يدفع في البحر، وعليه مدينة بحرية نشأت  
في القرن السابع الهجري تقريباً بعد اندثار السرين تقع على الطريق  
بين مكة وجازان وتبعد عن مكة جنوباً حدود ١٨٠ كم، انظر ياقوت: ج  
٥، ص ٢٨، والبلادي: بين مكة واليمن، ص ٣٠.

(٢) عشم، بالتحريك، جنوب السرين بالقرب من حلي، وتقع آثارها في  
صدر وادي قرماء في أول سفوح جبال تهامة، وتقع عند منازل قبيلتي  
كنانة والأزد، ولم تتطرق لها المصادر الجغرافية بتفصيل لموقعها  
الداخلي من تهامة، وللاستاذ حسن بن إبراهيم الفقيه دراسة حول آثار  
مدينة عشم. انظر البلادي، بين مكة واليمن، ص ٨٤.

(٣) صفة جزيرة العرب، ص ٣٣٦.

(٤) قنونا: من أودية تهامة الحجاز، تسيل مياهه من سراة خثعم، وينحدر  
غرباً ماراً بين وادي الأحبة ووادي يبه، وتصب فروعه شمال وجنوب  
القنفذة. انظر البلادي: بين مكة واليمن، ص ١٣٩.

(٥) دوقة: بلدة جنوب السرين والأصل اسم الوادي محل من أودية تهامة ثم  
قامت على مصبه قرية، انظر البلادي، بين مكة واليمن، ص ٦٧، والآن  
هي مركز تابع لمحافظة القنفذة.

(٦) المسالك والممالك: ص ٢١

(٧) صورة الأرض: ص ١٩.

والنازلة من اليمن بالتجارات والمتاع والرقيق<sup>(١)</sup>. وعمارة اليمنى (ت ٥٩٦) يذكر السرين عند حديثه عن المساجد التي بناها الوزير اليمني حسن بن سلامة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري في مناطق الساحل إلى مكة<sup>(٢)</sup>. كما يصف ياقوت (ت ٦٢٦هـ) السرين بأنها بليد قريب من مكة على ساحل البحر بينها وبين مكة كما يرى أربعة أيام إلى خمسة<sup>(٣)</sup>.

أما ابن المجاور (ت ٦٩١هـ) فيقدر المسافة بين السرين ومكة بحوالي (١٧) فرسخاً<sup>(٤)</sup>. ويصف الحميري (ت ٩٠٠) السرين بأنها مدينة عظيمة في طريق مكة واليمن وبمقربة من يلملم، وفيها أسواق ومسجد جامع، وسورها في البحر، وأكثر بنائها بالخشب والحشيش، إلا المسجد الجامع فإنه مبنى من المدر، وهي من عمل مكة، وأكثر زروع أهلها الذرة والسمسم<sup>(٥)</sup>. من ذلك يتضح لنا أن بلدة السرين تقع جنوب بلدة الليث بحوالي (٤٣) كم على طريق مكة جازان عند تقاطع خط الطول (٣٣، ٤٠) شرقاً، بدائرة العرض (٥٤، ١٩) شمالاً تقريباً، ولا تتجاوز مساحتها  $(\frac{1}{4})$  كم طولاً و  $(\frac{1}{2})$  كم عرضاً من الشمال إلى الجنوب، ويعتقد أن طرفها الجنوبي لشاطئ البحر أستخدم رصيفاً لتفريغ البضائع المحملة بالسفن المرساة بساحل السرين<sup>(٦)</sup>. ويمكن الوصول إليها حالياً بعد تجاوز محطة الوسقة الواقعة على

(١) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق: ج ١، ص ١٣٨.

(٢) تاريخ اليمن (المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد..)، الطبعة الثانية، ١٣٩٦-١٩٧٦، تحقيق محمد بن علي الاكوع، مطبعة السعادة، ص ٧٨.

(٣) معجم البلدان: ج ٣، ص ٢١٩.

(٤) تاريخ المستبصر: ص ٥٢-٥٣. (وتقديره للمسافة غير دقيق)

(٥) الروض المعطار في خبر الأقطار: ص ٣١٢.

(٦) الفقيه: مدينة السرين الأثرية، ص ١٦، وانظر خريطة جزيرة العرب: ١: ٢٠٠٠،٠٠٠، وخارطة طرق المواصلات: ١: ٣٠٠٠،٠٠٠.

طريق مكة جازان الساحلي إلى الجنوب الغربي باتجاه البحر ماراً بحلة الأشراف "البراكيت" ثم السبخة وإلى الموقع، أو من جنوبي الوسقة باتجاه الجنوب الغربي مباشرة عبر السبخة حتى الوصول إلى تلال رملية مرتفعة تمثل موقع السرين المندثر<sup>(١)</sup>. والموقع محاط الآن بسيج حديدي من عمل إدارة الآثار وعليه تحذير حكومي من التعدي على المناطق الأثرية، وقد تم الوقوف على تلك التلال وتتبع موقع الميناء والتقطت عدة صور فوتوغرافية بتاريخ ٨/٥/٢٠١٤هـ<sup>(٢)</sup>.

وعن نشأة السرين لم يتوفر في المصادر المطالع عليها تحديد دقيق لنشأة هذه المدينة، عدا ما ذكره ابن المجاور، أنها من بناية الفرس، إلا أن معلومات ابن المجاور تتسم بالاضطراب وعدم الدقة<sup>(٣)</sup>.

ولعل أول إشارة للسرير في كتب التراث وردت على لسان الشاعر ابو خراش الهذلي (الشاعر الجاهلي الذي أدرك الإسلام ومات في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه) وقد قال:

فروع الأباء من عميم .: عذاه من السرير أو بطن  
السوائل حلية

(١) الزيلعي: ميناء السرين، ص ١٨١.

وللباحثين حسن بن ابراهيم الفقيه وأحمد بن عمر الزيلعي جهوداً قيمة في مجال البحث والمسح الأثري في ساحل تهامة بعمامة ومدينة السرين بخاصة منشورة في كتب ودوريات متخصصة ورسائل علمية.

(وللفقيه رأي في الجزيرة المسماة في الخرائط الحديثة بـ(سرير) وتقع غرب "دوقة" أنها تسمية خاطئة بل أن اسمها "أم علي" أو "جزيرة بيوضة" وهي من الجزر الواقعة في الشمال الغربي من موقع رأس (محيسن) وليس رأس الحسن كما تذكره بعض المراجع، ص ١٠-١١).

(٢) انظر في الملاحق، ص ٣٨٩.

(٣) الزيلعي: ميناء السرين، ص ١٨٧، الفقيه، مدينة السرين، ص ٤٧.

مما يشير إلى أن نشأة السرين كانت قبل الإسلام<sup>(١)</sup>.

كما أن الموقع البحري المناسب في منتصف الطريق بين اليمن والحجاز جعل للسرین أهمية تجارية وعسكرية، فهي تستقبل منتجات السروات، وسهول تهامة من حبوب وتمور وغيرها، ثم مايجلب من الحبشة من الرقيق والمتاع، وأيضاً موقعها كمحطة للحاج اليمني براً وبحراً إلى مكة. إلا أن الملاحظ أن السرين لم تبرز كميناء هام في القرون الثلاثة الهجرية الأولى، حتى حل القرن الرابع الهجري فبدأت تظهر تباشير هذا الميناء، ووصل قمة مجده في القرنين الخامس والسادس الهجريين، حتى وصفها الرحالة والجغرافيون المسلمون كالمقدس والبكري والإدريسي والحميري بأنها مدينة عظيمة كما سبق عرضه<sup>(٢)</sup>، ولعل من أبرز أسباب ذلك ظهور أمراء من الأشراف لهذه البلدة عملوا على ازدهارها<sup>(٣)</sup>.

وأشارت النقوش الشاهدية التي وجدت في موقع مدينة السرين إلى أسماء رجال كان لهم على ما يبدو إسهامات علمية، ولعل أبرز من ثبت انتسابه إلى السرين من العلماء هو أبوهارون موسى بن محمد بن محمد بن كثير السريني الذي روى عن عبد الملك بن إبراهيم الجدي روى عنه الطبراني وغيره<sup>(٤)</sup>، وقد عاش الطبراني من عام ٢٦٠-٣٦٠هـ<sup>(٥)</sup>. مما يرجح أن أبا هارون السريني أيضاً ممن عاش في القرن الثالث

(١) الفقيه: مدينة السرين، ص ٢٠-٢٢، والزليعي: ميناء السرين: ص ١٧٨

(٢) الزليعي: المصدر السابق، ص ١٨٨-١٩١، والفقيه، المصدر السابق، ص ٤٩-٥١.

(٤) راجع ص ١٥٢ - وما بعدها.

(٤) ياقوت: معجم البلدان: ج ٣، ص ٣١٩، وانظر الفقيه: مدينة السرين، ص ٨٥.

(٥) الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللحمي الشامي، أبو القاسم، من كبار المحدثين، عاش (٢٦٠-٣٦٠هـ)، الزركلي: الاعلام، ج ٣، ص ١٢١.

الهجري<sup>(١)</sup>. وممن وردت أسماؤهم في النقوش الشاهدية، ويرجح الفقيه أنهم من العلماء الذين عاشوا في السرين وهب بن موسى بن رزق مولى محمد بن عبدالله بن مسافع المعروف بأبي قتوعد الحجبي، من رجال القرن الرابع الهجري ومحمد بن جعفر بن عبدون أيضاً من رجال القرن الرابع، ومحمد بن الحسين بن أحمد الشافعي الذي عاش في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، ومحمد بن عبدالرحمن بن محمد بن خلف النبيت ممن عاش في منتصف القرن الرابع، وكذلك علي بن محمد بن زيد النداف، وقد توفي عام ٣٧٩هـ، ومنصور بن نصر بن منصور، وبالرغم مما تشير إليه الشواهد من لمحات علمية إلا أنها لاتقطع بأنهم علماء. إضافة إلى ما ذكر من موت بعض علماء وفقهاء اليمن في السرين أمثال الفقيه محمد بن منصور الجنيد الفتوح المشيرقي الصمعي الذي توفي آخر ذي الحجة سنة ٥٨١هـ، وكذلك القاضي عمر بن عبدالعزيز بن أبي قرة الذي مات بالسرين أثناء عودته من الحج<sup>(٢)</sup>.

إلا أن هذه المدينة والميناء بدأت تزول من خارطة الأحداث التاريخية الحجازية منذ نهاية القرن الثامن الهجري، ولعل ذلك يعود لجملة أسباب منها، اضطراب الأمن في المنطقة الحجازية وكثرة الحروب بين أمراء مكة في تلك الفترة، وربما تغير مجرى طريق الحج اليمني قليلاً إلى البر شرقاً عن السرين، وأيضاً قيام مينائي الليث شمالاً ودوقة جنوباً، كل ذلك وغيره ساهم في اندثار المدينة والميناء وزوالهما من ساحة الأحداث، وطمس اسم الواديين اللذين هما (حلية، وعليب) والمعروفين اليوم بالشاقتين الشامية واليمانية على اسم ومنطقة السرين واختفى ذكر السرين نهائياً من كتابات المؤرخين المكيين بعد هذا التاريخ وذلك لاتخاذ بعض أمراء مكة من الأشراف هذين الواديين ملجأ لهم أو مستقراً أو

(١) الفقيه: المرجع السابق، ص ٨٦.

(٢) الفقيه: المرجع السابق، ص ٨٧-٩٣.

إقطاعاً، وما زال إلى اليوم يسكنهما بعض قبائل الأشراف، وكذلك الموقع المجاور مباشرة للموقع الاثري للسرين أشراف من سلالة أمراء مكة السابقين<sup>(١)</sup>.

---

(١) انظر الفقيه: مدينة السرين الأثرية، ص ٩٦-١٠٤، والزيلعي: ميناء السرين، ص ١٩٩-٢٠٠.

## أهم الأحداث السياسية والعسكرية التي ارتبطت بالثغور الحجازية من البعثة المحمدية إلى نهاية الفترة المملوكية

### العهد النبوي: (من البعثة)

كانت أولى أهم الأحداث التي ارتبطت بأحد الثغور الحجازية ألا وهو "الشعبية" "حادثة الهجرة إلى الحبشة" وهي أول هجرة في الإسلام، ففي السنة الخامسة لبعثة المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم اشتد أذى المشركين لمن أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورأى أنه لا يقدر أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه<sup>(١)</sup>.

وخرج الذين هاجروا الهجرة الأولى متسللين سراً، وكانوا أحد عشر رجلاً وأربع نسوة، حتى انتهوا إلى الشعبية؛ منهم الراكب والماشي، ووفق الله للمسلمين ساعة جاؤوا سفينتين للتجار حملوهم فيها إلى أرض الحبشة بنصف دينار، وكان ذلك في شهر رجب من السنة المذكورة<sup>(٢)</sup>. فكان جوارهم بها خير جوار، آمنوا على دينهم، وعبدوا الله لم يؤذوا ولم يسمعوا شيئاً يكرهونه.

وكان أول من خرج من المسلمين عثمان بن عفان رضي الله عنه وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٨٠، وابن سعد: الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ج ١، ص ٢٠٤.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ج ١، ص ٢٠٤، والطبري: الأمم والملوك، ج ١، ص ٥٤٦.



وسلم رضي الله عنهما، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وامراته سهلة بنت سهيل بن عمرو، وآخرون، ثم خرج جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه في الفوج الثاني، وتتابع خروج المسلمين حتى اجتمعوا بأرض الحبشة، فمنهم من خرج بأهله، ومنهم من خرج بنفسه لا أهل معه، وقدر عدد المهاجرين بـ (٨٢) رجلاً و ١١ امرأة<sup>(١)</sup>. ولكن هل كان الخروج من الشعيبة بحراً إلى الحبشة المسماة "أثيوبيا" حالياً، ممكناً؟ وهي بلد داخلي لا سواحل له ! وإن كانت أرتيريا ضمن ممالك الحبشة فميناؤها مصوع المعروف قديماً باسم "باضع" الواقع على الساحل الغربي للبحر الأحمر وهو يقابل جزر دهلك<sup>(٢)</sup> في عرض البحر التي تقابل جزر فرسان<sup>(٣)</sup> القريبة من ميناء جازان<sup>(٤)</sup> على الساحل

(١) الطبري: الأمم والملوك، ج ١، ص ٥٤٧.

(٢) جزر دهلك وجزر فرسان: في جنوب البحر الأحمر، وكانت في سابق عهدها منفى للفساق والمخالفين للخلفاء والحكام، وتبعد دهلك عن مصوع ٤٠ كم شرقاً.

(٣) وجزر فرسان تقع جنوب غرب جازان وتبعد عن الساحل ٢٠,٥ كم. انظر ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٩٢، ج ٤، ص ٢٥٠، وأنظر ناصر العرفج: أهمية الممرات المائية، ندوة البحر الأحمر، ص ٣٥.

(٤) جازان: موضع على طريق حاج صنعاء، وظهرت كفرضة أو ميناء في القرن السابع الهجري، وهي اليوم مدينة مشهورة ومركز لإمارة منطقة جازان. انظر ياقوت: ←



الشرقي للبحر الأحمر، ويبعد ميناء جازان عن الشعبية مسافة برية تقدر بـ ٦٥٠ كم تقريباً؟!.

هذا سؤال أثاره بعض الباحثين حيث يرجح عبدالله الطيب أن هجرة الصحابة لم تكن ناحية الهضبة الأثيوبية، بل إن أول ساحل نزله الصحابة في رأيه هو ساحل سواكن من أرض السودان وأنها أول أرض مستها أقدام الصحابة المهاجرين مشيراً إلى أن الحبشة المقصودة في الهجرة هي السودان الممتدة من جنوب مصر وتشمل السودان الحالي وأرتيريا والصومال والهضبة الأثيوبية<sup>(١)</sup>. والموقع المقابل لجده والشعبية في الساحل الغربي من البحر الأحمر هو سواكن، وهو أقرب<sup>(٢)</sup>. إلا أن هناك من الباحثين من أشار إلى أن سفن المهاجرين رست في ميناء (مصدر) أو (معدر) جنوبي ميناء "عدوليس" الميناء الارتيري القديم المندثر الذي أسسه الأغريق البطالمة ويقع على بعد ٦٠ كم جنوب مصوع، ويسميه العرب باسم (عدولي). ومن (معدر) أو (مصدر) اتجه المهاجرون نحو "أكسوم" الحبشة<sup>(٣)</sup>.

وتوالت الأحداث بحسب ترتيب السنين فمن ذلك (غزوة ودان) التي وقعت في السنة الثانية من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم حيث خرج غازياً في شهر

→ معجم البلدان، ج ٢، ص ٩٤، والرويثي: التطور المكاني والتاريخي، الموائئ شبه الجزيرة العربية، ص ١٢١-١٢٣.

(١) هجرة الحبشة وما وراءها من نبأ: بحث في إصدار دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثالث (الجزيرة العربية في عصر الرسول والخلفاء الراشدين)، جامعة الملك سعود، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ص ٩٦-٩٧.

(٢) انظر: خريطة جزيرة العرب: ١: ٢٠٠٠,٠٠٠.

(٣) عبدالشافى غنيم عبدالقادر: البحر الأحمر طريقاً للدعوة الإسلامية: البحر الأحمر في التاريخ والسياسة، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٨٠، ص ٧٦، وانظر: ناود: محمد سعيد: العروبة والإسلام بالقرن الأفريقي، ص ٣٢، ص ١٣٩.

صفر حتى بلغ ودان وهي بجوار الالبواء، يريد قريشاً وبني  
ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة فوادعته فيها بني ضمرة،  
ووادعه مخشى ابن عمرو الضمري، ثم رجع رسول الله صلى  
الله عليه وآله وسلم إلى المدينة، ولم يلق كيداً، وهي أول  
غزوة غزاها<sup>(١)</sup>.

ويذكر عبدالكريم الخطيب أن ودان هذه قرية منورة الغربية  
من ينبع البحر<sup>(٢)</sup>. كما غزا رسول الله صلى الله عليه وآله  
وسلم في شهر ربيع الأول يريد قريشاً حتى بلغ (بواط) من  
ناحية رضوى ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً فلبث بها بقية  
شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الأولى<sup>(٣)</sup>. ورضوى كما  
سبق ذكره جبل بينبع<sup>(٤)</sup>. ومن الرايات التي عقدها رسول الله  
صلى الله عليه وآله وسلم لبعض أصحابه باتجاه ساحل البحر  
الأحمر بهدف اعتراض قوافل قريش، سرية عبيدة بن الحارث،  
والتي عدها ابن هشام أول راية عقدها عليه الصلاة والسلام،  
وسار بها حتى بلغ ماء بالحجاز بأسفل ثنية المرة<sup>(٥)</sup>، ولقي بها  
جمعاً كبيراً من قريش إلا أنه لم يكن بينهم قتال، إلا أن سعد بن  
أبي وقاص رضي الله عنه رمى فيها بسهم، فكان أول سهم  
رمى به في الإسلام<sup>(٦)</sup>. وتلت هذه السرية سرية حمزة بن  
عبدالمطلب رضي الله عنه إلى سيف البحر من ناحية العيص  
من المهاجرين، ولقي أبا جهل في ثلاثمائة راكب من أهل مكة

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، تحقيق طه عبدالرؤوف سعد، ١٩٧٥، دار  
الجيل، بيروت، ج ٢، ص ١٧٠-١٧١.

(٢) تاريخ ينبع، ص ١٨٥.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ١٧٦.

(٤) مع العلم أن ودان وبواط ليستا بحريتين.

(٥) ثنية المرة بالكسر وتشديد الراء، قرب ماء يدعى الإحياء من رابغ،  
انظر السمهودي: وفاء الوفاء، ج ٤، ص ١١٦٧.

(٦) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٢، ص ١٧١.

إلا أن مجدي بن عمرو الجهني حجز بينهما، وكان موادعاً  
للفريقين، فلم يقع قتال<sup>(١)</sup>.

### غزوة العشيرة:

نزل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم العشيرة من بطن  
ينبع غازياً، فأقام بها جمادى الأولى وليالي من جمادى الآخرة،  
من السنة الثانية للهجرة وادع فيها بني مدلج وحلفاءهم من  
بني ضمرة ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً في تلك الغزوة  
وقال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه مالك يا أبا تراب؟ لما  
يرى عليه من التراب، فقد حدث عمار بن ياسر رضي الله عنه  
قال: كنت أنا وعلي بن أبي طالب رفيقين في غزوة العشيرة؛  
فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأقام بها؛  
رأينا أناساً من بني مدلج يعملون في عين لهم وفي نخل. فقال  
لي علي بن أبي طالب: يا أبا اليقظان، هل لك في أن نأتي  
هؤلاء القوم، فننظر كيف يعملون؟ قال: قلت: إن شئت؛ قال:  
فجئناهم، فنظرنا إلى عملهم ساعة، ثم غشنا النوم. فانتظمت  
أنا وعلي حتى اضطجعا في صدر من النخل وفي دقعاء من  
التراب فقمنا، فوالله ما أهبنا إلا رسول الله صلى الله عليه وآله  
وسلم يحركنا برجله. وقد تتربنا من تلك الدقعاء التي نمنا فيها،  
وبعد قوله يا أبا تراب قال: ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين؟  
قلنا: بلى يا رسول الله؛ قال: أحيمر ثمود الذي عقر الناقة،  
والذي يضربك يا علي على هذه - ووضع يده على قرنه -  
حتى يبيل منها هذه. وأخذ بلحيته<sup>(٢)</sup>.

(١) ابن هشام، ج ٢، ص ١٧٤.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية: ج ٢، ص ١٧٦-١٧٧، إلا أن وصف علي  
بن أبي طالب رضي الله عنه بأبي تراب ورد في حديث سهل بن  
سعد. قال: جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بيت فاطمة فلم  
يجد علياً في البيت. فقال: "أين ابن عمك؟" قالت: كان بيني وبينه  
شيء، فغاضبني، فخرج، فلم يقلْ عندي. فقال رسول الله صلى الله عليه  
وآله وسلم لإنسان: "انظر أين هو" فجاء، فقال: يا رسول الله! هو في

## عودة مهاجري الحبشة:

ارتبطت هذه الحادثة بميناء المدينة "الجار"، فلما كان شهر ربيع الأول سنة سبع من هجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة كتب إلى النجاشي كتاباً يدعو فيه إلى الإسلام وبعث به مع عمرو بن أمية الضمري، فلما قرىء عليه الكتاب أسلم وقال لو قدرت أن آتية لأتيته وكتب إليه رسول الله أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب وكانت فيمن هاجر إلى أرض الحبشة إلا أن زوجها عبيد الله بن جحش اعتنق النصرانية بالحبشة ومات عليها، فزوجه النجاشي وأصدق عنه، وكتب إليه رسول الله أن يبعث إليه من بقي عنده من أصحابه، ويحملهم ففعل وأعد لهم سفينتين مع مندوب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الضمري، فأرسلوا بهم إلى ساحل بولا<sup>(١)</sup> المحتمل أنه الجار، وقدموا المدينة فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد فتح خيبر<sup>(٢)</sup>.

وقدم وفد الأشعريين على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم خمسون رجلاً فيهم أبو موسى الأشعري وإخوة له ومعهم رجلان من عك، وقدموا في سفن في البحر وخرجوا بجدة فلما دنا الوفد من المدينة أخذوا يرددون:

المسجد راقد. فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو مضطجع، قد سقط رداؤه عن شقه، وأصابه ترابٌ. فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمسحه عنه، ويقول: "قم أبا تراب! قم أبا تراب" متفق عليه وأخرجه البخاري في كتاب الصلاة باب نوم الرجال في المسجد، انظر محمد فؤاد عبد الباقي: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، ج ٣، ص ١٣٣.

(١) يحتمل أنه اسم قديم للجار إلا أنه لم يرد لا في لسان العرب ولا في القاموس في مادة (بول) ولا معجم البلدان، ومعجم ما استعجم، سواء في مادة بولا أو الجار. انظر الأنصاري: رحلة الجار، ص ٤٨٧.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ج ١، ص ٢٠٧، وانظر الطبري: الأمم والملوك، ج ٢، ص ١٣٢.

غداً نلقي الأحبة محمداً وحزبه

ثم قدموا فوجدوا رسول الله في سفره بخيبر ثم لقوه  
وبايعوا وأسلموا<sup>(١)</sup>.

وارتبطت بجدة أيضاً سرية علقمة بن مجزز المدلجي في  
السنة التاسعة للهجرة من شهر ربيع الآخر عندما بلغ رسول  
الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أناساً من الحبشة تراياهم أهل  
جدة فبعث إليهم علقمة في ثلاثمائة، ووصل بهم إلى البحر  
وخاضه إلى جزيرة في البحر فهربوا منهم<sup>(٢)</sup>.

أما أيلة فقد وصل صاحبها يحنة ابن رؤبة إلى رسول الله  
في تبوك في السنة التاسعة للهجرة من شهر رجب وصالح  
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأعطاه الجزية، فكتب  
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتاباً لهم فهو عندهم:  
ونصه:

(بسم الله الرحمن الرحيم، هذه أمانة من الله ومحمد النبي  
رسول الله ليحنة بن رؤبة وأهل أيلة، سفنهم وسيارتهم في البر  
والبحر لهم ذمة الله، وذمة محمد النبي، ومن كان معهم من  
أهل الشام، وأهل اليمن، وأهل البحر، فمن أحدث منهم حدثاً،  
فإنه لا يحول ما له دون نفسه، وإنه طيب لمن أخذه من الناس،  
وإنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه، ولا طريقاً يريدونه، من بر  
أو بحر.<sup>(٣)</sup>)

ويضيف ابن سعد أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم  
كساه بردة يمنية وأمر بإنزاله عند بلال، ووضع عليهم من  
الجزية ثلاثمائة دينار<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى: ج ١، ص ٣٤٨.

(٢) ابن سعد، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٦٢.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ١٢٥.

(٤) الطبقات الكبرى: ج ١، ص ٢٨٩-٢٩٠.

من خلال النص السابق لكتاب رسول الله لصاحب أيلة يظهر مدى اهتمام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بموقع أيلة البحري الاستراتيجي والاقتصادي على رأس خليج العقبة، فأراد أن يأمن ذلك الطريق، كما أراد أن يمارس أهلها وهم رواد بحر ومن يأتيهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر نشاطهم التجاري البحري بكل حرية في التنقل براً وبحراً، وبذلك يضمن المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم استمرار دور أيلة الاقتصادي في تجارة البحر الأحمر وانتفاع المسلمين من ذلك الدور فهذه المدينة تربط ما بين الحجاز والشام ومصر<sup>(١)</sup>.

ومما سبق عرضه يتبين الدور الهام الذي لعبته بعض ثغور الحجاز في العهد النبوي سياسياً وعسكرياً.

---

(١) غوانمة: يوسف حسن درويش: أيلة (العقبة) والبحر الأحمر، ص ٣٢.

العهد الراشدي : ١١هـ - ٤٠هـ

حدثت في العام (١٨هـ) في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مجاعة شديدة وسمي ذلك العام عام الرمادة، وكانت الرياح تسفي تراباً كالرمادة، وقد اشتد الجوع بالناس، وضرب الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أروع الأمثلة في الإيثار وأقسم أن لا يذوق سمناً ولا لبناً ولا لحماً حتى يحيا الناس، وقال: كيف يعنيني شأن الرعية إذا لم يصبني ما أصابهم؟ رضي الله عنه وأرضاه فلقد أتعب من أتى بعده إلى يوم القيامة. ! وكتب إلى أمراء الأمصار يستغيثهم لأهل المدينة ومن حولها، فحمل الطعام من الشام ومصر<sup>(١)</sup>، ومن ذلك ما كتب إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه في مصر أن يبعث إليهم الطعام على الإبل، وفي البحر حتى يصل به إلى ساحل الجار، فحمل الطعام إلى القلزم في عشرين مركباً (ثلاثة آلاف إردب) حتى وافى الجار، ولما علم عمر رضي الله عنه قدم إلى الجار ومعه عدد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنظر السفن ثم وكل من قبض ذلك الطعام، وبني قصرين وجعل ذلك الطعام فيهما، ثم أمر زيد بن ثابت أن يكتب الناس على منازلهم وأمره أن يكتب لهم صكاً من قراطيس ثم يختم أسافلها<sup>(٢)</sup>.

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣، ١٩٨٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ج ٢، ص ٣٨٨-٣٨٩.

(٢) ابن سعد في الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ٣١١ اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر العباسي: تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، ج ٢، ص ١٥٤.



من ذلك نلاحظ مساهمة ميناء "الجار" في نقل البضائع والسلع من مصر إلى المدينة، كما ذكرت بعض المراجع أن الخليفة عمر بن الخطاب وافق عمرو بن العاص على حفر قناة تراجان لتربط النيل بالبحر الأحمر منطلقاً إلى الشمال من حصن بابلليون بقليل حتى يمر بعين شمس ثم وادي الطميلات إلى موضع القنطرة حتى يتصل بالبحر الأحمر عند مدينة القلزم، وساهمت تلك القناة التي سميت بخليج امير المؤمنين في نقل المؤن من مصر إلى القلزم ومنه إلى الجار ميناء المدينة<sup>(١)</sup>.

ويتواصل دور الثغور الحجازية في حركة الأحداث السياسية والعسكرية في العهد الراشدي.

ولمتابعة حركة الفتوحات الإسلامية في الشام يخرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه من المدينة وقد استخلف عليها علياً رضي الله عنه، ومر في طريقه بأيلة "العقبة" فنزل بها ومعه المهاجرون والأنصار، وما أن وصل إلى تلك البلدة ومن طول المسير تمزق قميصه الذي يرتديه حتى تأخر عن قعدته، وقدمه إلى أسقف أيله وطلب منه أن يغسله ويرقععه، فقام الأسقف بذلك وزاد عليه بأن خاط لعمر بن الخطاب قميصاً آخر مثله وذهب به إلى عمر فقال ما هذا؟ قال الأسقف: أما هذا فقميصك قد غسلته ورقعته وأما هذا فكسوة لك مني، فنظر إليه عمر ومسحه، ثم لبس قميصه ورد عليه ذلك القميص، وقال: هذا أنشفهما للعرق<sup>(٢)</sup>.

وعوداً إلى جدة ميناء مكة وإلى علقمة المدلجي عندما هاجم الأحباش ساحل جدة للمرة الثانية، وما الأحباش في المرتين إلا قراصنة بحر وليسوا جيشاً من قبل دولة الحبشة، إلا أن جيش علقمة هلك في بحر جدة في سنة ٢٠هـ للهجرة،

(١) سعاد ماهر: البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية، الطبعة الثانية، دار المجمع العلمي، جدة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩، ص ٧٥.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٢، ص ٤٨٩-٤٩٠، وانظر بن الأثير: الكامل، ج ٢، ص ٣٩٣.



ولما علم عمر بن الخطاب رضي الله عنه جعل على نفسه ألا يحمل في البحر أحداً أبداً<sup>(١)</sup>.

وفي عهد الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه شجعتة قريش على اتخاذ جدة ميناءً وبندراً رئيسياً لمكة بدل الشعبية لقربها من مكة، فخرج بنفسه رضي الله عنه إلى جدة واغتسل من البحر وأمر من معه بالغسل منه، وأمر بنقل البندر إليه، وكان ذلك في العام السادس والعشرين من الهجرة<sup>(٢)</sup>.

وقد سبقت الإشارة إلى أن الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم قد أقطع علياً رضي الله عنه أربع أرضين بينبع، ثم أقطعه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بينبع.

---

(١) انظر الطبري: ج ٢، ص ٥١٧، وابن الأثير: ج ٢، ص ٣٩٨، وانظر: أبوبكر: علي الشيخ أحمد: معالم الهجرتين إلى أرض الحبشة، الطبعة الأولى، ١٤١٣-١٩٩٣، مكتبة التوبة، الرياض، ص ٢٤٢-٢٤٥.

(٢) الفاكهي: محمد بن إسحاق بن العباس، تاريخ مكة أو (أخبار مكة)، الطبعة الثانية، ١٤١٤، دار خضر، بيروت، تحقيق عبدالمالك بن دهيش، ج ٣، ص ٢٣١، وانظر الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، الطبعة الأولى، ١٤١٧، مكتبة الباز والمكتبة التجارية، ج ١، ص ١٨٢، وانظر: السنجاري: منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاية الحرم، تحقيق د/ جميل المصري، ج ١، ٥٣٠، وانظر: الأنصاري، موسوعة تاريخ مدينة جدة، ص ٥٩-٦١.

فعن عمار بن ياسر قال: أقطع النبي صلى الله عليه وآله وسلم علياً بذي العشيرة من ينبع، ثم أقطعه عمر بعدما تولى الخلافة قطيعة، وأضاف علي إليها قطيعة، فكانت أموال علي بينبع عيوناً متفرقة تصدق بها. وسر علي رضي الله عنه بينبع وكان أول شيء عمله فيها البغيغة، ثم قال: هي صدقة على المساكين وابن السبيل وذوي الحاجة الأقرب، واشترط في كتاب له إلا أن يحتاج إليهما الحسن أو الحسين، فهما طلق لهما ليس لأحد غيرهما<sup>(١)</sup>.

ومع الأيام أصبحت ينبع النخل مستقراً للكثير من أبناءه وسلااتهم، وسكنوا قراها كما تفرقوا على ساحل ينبع البحر يتنقلون في مياهها ومراعيها<sup>(٢)</sup>.

---

(١) السمهودي: وفاء الوفاء، ج٤، ص ١٣٣٤ وج٤، ص ١١٥٠، وانظر:

حمد الجاسر، بلاد ينبع، ص ٢٣.

(٢) الخطيب: تاريخ ينبع، ص ١٩٣.

العهد الأموي : ٤١هـ - ١٣٢هـ

واستكمالاً لما سبق الحديث عنه بشأن ينبع وبالذات "البغيغة" فقد ذكر أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه كتب إلى واليه بالمدينة مروان بن الحكم يطلب منه أن يخطب لابنه يزيد، ابنة عبدالله بن جعفر "أم كلثوم" وكانت أمها زينب بنت علي فأوكل عبدالله أمر ابنته لخالها الحسين بن علي رضي الله عنهما، وكان في ينبع فلما قدم الحسين وأخبر بأمر الخطبة، دخل على ابنة أخته ورغبها في الزواج من القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب وأحقيقته بها، ونحلها "البغيغات"، فلما حضر مروان للخطبة وتحدث برغبة معاوية تكلم الحسين رضي الله عنه وزوجها القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب.

فلم تزل هذه الضيعة في يدي عبدالله بن جعفر من ناحية أم كلثوم يتوارثونها، حتى استخلف المأمون فذكر ذلك له. فقال: كلا! هذه وقف علي بن أبي طالب رضي الله عنه على ولد فاطمة رضي الله عنهم، فانتزعها من أيديهم وأبدلهم عنها وردها إلى ما كانت عليه<sup>(١)</sup>.

وبعد موت يزيد بن معاوية وتولى ابنه معاوية الخلافة لمدة يسيره تنازل بعدها عنها، وتمت البيعة لعبدالله بن الزبير بالخلافة في مكة. على إثر ذلك اجتمع بنو أمية وبايعوا مروان بن الحكم خليفة في شهر ذي القعدة من عام ٦٤هـ، وكانت قد سيطرت قوات ابن الزبير على مصر بعد الحجاز، فأرسل مروان ابنه عبدالعزیز في جيش إلى أيلة على أمل أن يدخل مصر من تلك الناحية، واستعد والي مصر من قبل ابن الزبير وهو عبدالرحمن بن عتبة بن جحدم لمقاتلة مروان وابنه، ومن ذلك مابعثه إلى أيلة جيشاً بقيادة زهير بن قيس البلوي ليمنع

(١) الفيروز آبادي: المغانم المطابة في معالم طابة: تحقيق حمد الجاسر، ص ٦٠-٥٩.

عبد العزيز من المسير إليها والتقى الجيشان ببُصَاق وهي سطح عقبة أيلة، وانهزم جيش ابن الزبير<sup>(١)</sup>.

وفي خلافة عبد الملك بن مروان والصراع مازال مستمراً على الخلافة بين ابن الزبير وبني أمية، كان محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما بمكة فطلب منه ابن الزبير المبايعة فرفض ابن الحنفية، ثم غادر مكة فعلم بذلك عبد الملك بن مروان وبعث كتاباً إلى محمد بن الحنفية يدعوه إلى جواره، فسار حتى نزل بأيلة ومعه أتباعه ويقدرون بسبعة آلاف رجل وكان ذلك في العام التاسع والستون للهجرة، واستقر به المقام في أيلة حتى أن أهلها أحبوا أبا القاسم حباً شديداً وعظموه وأصحابه، فأمر بالمعروف فيهم ونهى عن المنكر ولا يظلم أحد بقربه ولا بحضرته، إلا أن هذه المنزلة والمكانة لم تكن لتريح عبد الملك بن مروان، وهو يعلم طموح آل علي رضوان الله عليهم للخلافة، فما كان منه إلا أن طلب من ابن الحنفية المبايعة أو الانصراف عنه إلى داخل الحجاز، فقال له في كتاب: (إنك قدمت بلادي فنزلت في طرف منها وهذه الحرب بيني وبين ابن الزبير كما تعلم وأنت لك ذكر ومكان وقد رأيت أن لا تقسيم في سلطاني إلا أن تباع لي فإن بايعتني فخذ السفن التي قدمت علينا من القلزم وهي مائة مركب فهي لك وما فيها ولك ألف درهم أعجل لك منها خمسمائة ألف وألف ألف وخمسمائة ألف آتيتك مع ما أردت من فريضة لك ولولدك ولقربائك ومواليك ومن معك وإن أبيت فتحول عن بلدي إلى موضع لا يكون لي فيه سلطان).

فكتب إليه محمد بن الحنفية بكتاب:

(من محمد بن علي إلى عبد الملك بن مروان سلام عليك  
فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد:

(١) الكندي: أبي عمر محمد بن يوسف: الولاة وكتاب القضاة، تحقيق رفن كست، مطبعة الآب اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨، ومكتبة المثنى ببغداد، ص ٤٢ - ٤٣.

فقد عرفت رأيي في هذا الأمر قديماً، واني لست أسفه  
على أحد، والله لو اجتمعت هذه الأمة عليّ إلا أهل الزرقاء  
ماقاتلتهم أبداً، ولا اعتزلتهم حتى يجتمعوا، نزلت مكة فراراً مما  
كان بالمدينة فجاورت ابن الزبير فأساء جواري وأراد مني أن  
أبايعه فأبيت ذلك حتى يجتمع الناس عليك أو عليه ثم أدخل فيما  
دخل فيه الناس فأكون كرجل منهم، ثم كتبت تدعوني إلى  
ماقبلك فأقبلت سائراً فنزلت في طرف من أطرافك والله ما  
عندي خلاف ومعى أصحابي فقلنا بلاد رخيصة الأسعار، وندنوا  
من جوارك ونتعرض صلتك فكتبت بما كتبت به ونحن  
منصرفون عنك إن شاء الله<sup>(١)</sup>.

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٥، ص ١٠٦-١٠٩.

## العصر العباسي: ١٣٢ - ٦٥٦هـ

لعل أول وأهم الأحداث التي ارتبطت بالحجاز وأحد ثغوره في العهد العباسي "ثورة محمد بن عبدالله ذي النفس الزكية" رحمه الله.

وهو محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أبو عبدالله الملقب بالأرقط، وبالمهدي، وبالنفس الزكية، ولد ونشأ بالمدينة، وكان يقال له صريح قريش، لأن أمه وجداته لم يكن فيهن أم ولد،<sup>(١)</sup>.

ولما أعلن أبو العباس السفاح الخلافة عباسية رفض النفس الزكية مبايعته، ولما تولى أبو جعفر المنصور الخلافة لم تكن له همة إلا طلب النفس الزكية والسؤال عنه، واختار أبو جعفر رجلاً من رجاله يقال له عقبة بن أسلم، أعده لمهمة كشف حقيقة ما يخبئه آل علي له، واستطاع عقبة هذا أن يأخذ ما أراد من عبدالله بن الحسن بالحيلة والدهاء وعرف منه أن ابنه محمد وإبراهيم خرجا لطلب الخلافة، فنقل ذلك لأبي جعفر، وفي رحلة حج للمنصور سجن عبدالله بن الحسن، ولم يكتف بذلك بل بعث عيناً له وكتب معه كتاباً على السنة الشيعية، إلى محمد يذكرونه طاعتهم، ومسارعتهم، وبعث معه بمال وأطاف، فقدم الرجل المدينة، فدخل على عبدالله بن حسن فسأله عن محمد فذكر له أنه في جبل جهينة (أي جبل رضوى بينبع) وقال: امرر بعلي بن حسن، الرجل الصالح، الذي يدعى الأغر وهو بذي الإبر، فهو يرشدك، فأتاه فأرشده. ولكن كان لأبي جعفر كاتب على سره متشيعاً، فكتب إلى عبدالله بن حسن بأمر ذلك العين، وما بعث له، فقدم الكتاب على عبدالله، فارتاعوا وبعثوا أبا هبار إلى علي بن الحسن وإلى محمد ليحذروهم

(١) انظر: ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ١٢، وابن الطقطقا: محمد بن علي بن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر - بيروت، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م، ص ١٦٥-١٦٦، وانظر الزركلي: الأعلام، ج ٦، ص ٢٢٠.

الرجل، فخرج أبو هبار حتى نزل بعلي بن حسن، فسأله فأخبره أن قد أرشده إليه، قال أبو هبار: فجئت محمد إلى موضعه الذي هو به، فإذا هو جالس إلى كهف معه عبدالله بن عامر الأسلمي، وابني شجاع وغيرهم، والرجل معهم أعلاهم صوتاً، وأشدهم انبساطاً، فلما رأيته ظهر عليه بعض النكرة، فجلست مع القوم، فتحدثت ملياً، ثم أصغيت إلى محمد، فقلت: إن لي حاجة فنهض، ونهضت معه فأخبرته بخبر الرجل، فاسترجع، وقال: فما الرأي؟ فقلت: إحدى ثلاث أيها شئت فافعل، قال: وما هي؟ قلت، تدعني فأقتل الرجل قال ما أنا بمقارف دماً إلا مكرهاً: أو ماذا؟ قلت توقره حديداً وتنقله معك حيث انتقلت قال: وهل بنا فراغ له من الخوف والإعجال: وماذا؟ قلت تشده، وتوثقه وتودعه بعض أهل ثقتك من جهينة. إلا أن هذا الرجل عين أبي جعفر هرب منهم وأبلغ المنصور بأمرهم. واشتد طلب المنصور لمحمد بن عبدالله، وخرج إلى محمد النفس الزكية والي ينبع من قبل المنصور بالخيال والرجال، فهرب النفس الزكية من جبل رضوى، وأثناء ذلك أفلت له ولد صغير من الجبل فتقطع<sup>(١)</sup>.

ولما حج المنصور سنة ١٤٤هـ وفي عودته من الحج أخذ معه بني الحسن وجعلت القيود والسلاسل في أرجلهم وأعناقهم، وكان يراقب هذا الموقف جعفر الصادق من وراء ستر وهو يبكي ودموعه تجري على لحيته وهو يدعو الله ثم قال: والله لا يحفظ الله حرميه بعد هؤلاء، وكان محمد وأخوه إبراهيم يأتیان إلى أبيهما ويستأذناناه بالخروج ويقول لاتعجلا حتى يمكنكما ذلك.

(١) الطبري: الأمم والملوك، ج ٤، ص ٤٠٢-٤١٢ (أحداث سنة ١٤٤).

وسجنهم المنصور بقصر ابن هبيرة شرقي الكوفة، وأحضر المنصور محمد بن ابراهيم بن الحسن - وكان أحسن الناس صورة. فقال له: أنت الديباج الأصغر: قال: نعم قال: لأقتلك قتلة لم أقتلها أحداً ثم أمر به فبنى عليه اسطوانة وهو حي فمات فيها، وكان ابراهيم بن الحسن أول من مات منهم، ثم عبدالله بن الحسن. وذكر أن المنصور أمر بقتلهم وقيل بل سقوا سماً<sup>(١)</sup>.

دفعت هذه الأحداث، وإلحاح المنصور في طلبه محمداً أن يخرج فخرج قبل وقته الذي فارق عليه أخاه ابراهيم، فأنكر ذلك، ولكن ابراهيم تأخر عن وقته لجدرى أصابه، وقد خرج في أول يوم من رجب (١٤٥هـ) وفي رواية لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة، واستطاع السيطرة على المدينة<sup>(٢)</sup>.

كلف أبو جعفر المنصور عيسى بن موسى بقتال النفس الزكية وقال: لا أبالي أيهما قتل صاحبه، وارسل معه ٤٠٠٠ من الجند وكتب إلى عيسى بن موسى من لقيك من آل أبي طالب فاكتب إلى باسمه ومن لم يلقك فأقبض ماله، فقبض عين أبي زياد "في ينبع"، وكانت لجعفر بن محمد "الصادق"، فلما قدم على أبي جعفر كلمه جعفر، قال: مالي قال: قد قبضه مهديكم<sup>(٣)</sup>.

وأمر أبو جعفر بالبحر فأقفل على أهل المدينة فلم يحمل إليهم من ناحية (الجار) شيء، حتى كان المهدي فأمر بالبحر ففتح لهم<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٣٧٤-٣٧٦.

(٢) الطبري: الأمم والملوك، ج ٤، ص ٤٢٢ - ٤٢٣.

(٣) المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٣٧.

(٤) الطبري: المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٥٠، ولم ترد لفظة "الجار" بل "البحار" وأرى أنها خطأ مطبعي، والأصح "الجار" كما أوردها حمد الجاسر: في شمال غرب الجزيرة، ص ٢٠٩، والأنصاري: رحلة إلى الجار، مجلة المنهل، جدة، جمادى الأولى، ١٣٩١هـ، ص ٣٧، ص ٤٨٨.



وتؤوب مسيرة الأحداث إلى جدة، حيث أغار في العام ١٥١هـ الأحباش على جدة في البحر، ولما عاد المنصور من مكة إلى البصرة في العام ١٥٣هـ جهز جيشاً لحرب الأحباش في بحر جدة<sup>(١)</sup>.

وفي عام ١٦١هـ أثناء عمارة المهدي الخليفة العباسي للمسجد الحرام نقلت أساطين الرخام في السفن حتى أنزلت جدة، ثم جرّت بالعجل من جدة إلى مكة<sup>(٢)</sup>.

وما زالت جدة تتعرض لغزو قراصنة البحر من الأحباش ففي سنة ١٨٣هـ هاجم الأحباش جدة، وخرج أهل مكة للدفاع عن جدة يتقدمهم أميرهم عبدالله بن محمد بن إبراهيم من بني العباس غزاة في البحر<sup>(٣)</sup>.

وفي عام ١٨٥هـ استأذن يحيى بن خالد البرمكي الرشيد في العمرة، فاعتمر في رمضان وتوجه إلى جدة مقيماً فيها بنية الرباط إلى وقت الحج<sup>(٤)</sup>.

بعد سلسلة الأحداث التي توالى على جدة تظهر مدينة الجار في خضم الأحداث ففي عام ٢٣٠هـ هاجم بنو سليم الناس حول المدينة، وأوقعوا بناس في "الجار" من بني كنانة وباهلة فأصابوهم وقتلوا بعضهم، وجرى ذلك في جمادى الآخرة من العام المذكور، وتزعّمهم عزيزة بن قطاب السلمي، فوجه اليهم عامل المدينة العباسي حماد بن جرير الطبري الذي

---

(١) الطبري: الأمم والملوك، ج ٤، ص ٤٩٨-٥٠٤، وانظر: النجم عمر بن فهد: إتحاف الوري بأخبار أم القرى، تحقيق فهد محمد شلتوت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤، ١٩٨٣م، مكتبة الخانجي، القاهرة، إصدار مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ج ٢، ص ١٩٠-١٩١.

(٢) الأزرقى: أخبار مكة، ج ٢، ص ٨٠، وابن فهد، إتحاف الوري، ج ٢، ص ٢٠٩.

(٣) انظر ابن فهد: المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٣٢.

(٤) المصدر السابق: ج ٢، ص ٢٣٣.

لقي بني سليم وأغلبهم من بني عوف من بني سليم إلا أن حماد قتل وعامة أصحابه، فاستولت بنو سليم على سلاحهم وثيابهم واشتد أمر بني سليم، فاستباحوا القرى والمناهل فيما بين مكة والمدينة، فوجه لهم الخليفة العباسي قائده التركي بُغا الكبير أبا موسى في الشاكرية والأتراك والمغاربة، فوصل في شعبان إلى حرة بني سليم، والتقى بهم وقتل منهم خمسون رجلاً وأسیر مثلهم فانهزم من تبقى منهم، فدعاهم إلى الأمان والنزول على حكم الخليفة العباسي الواصل<sup>(١)</sup>.

وفي سوقة بينبع في خلافة المتوكل قضي على ثورة لآل علي، وكان يقودها محمد بن صالح بن عبدالله بن موسى بن عبدالله بن حسن بن حسن ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه<sup>(٢)</sup>، فوجه له المتوكل قائده أبا الساج في جيش كبير فظفر به وبجماعة من أهله، فأخذهم وقيدهم وقتل بعضهم، وأخرب سوقة وعقر نخلها وخرب منازل بني الحسن، ونقل محمد بن صالح إلى سامراء<sup>(٣)</sup>.

(١) الطبري: الامم والملوك، ج ٥، ص ٢٧٨، أحداث سنة ٢٣٠، وانظر: الأنصاري: رحلة إلى الجار، مجلة المنهل، سبق ذكره، ص ٤٨٩، وحمد الجاسر: شمال غرب الجزيرة، ص ٢٠٩.

ولم يرد لفظ "الجار" في الطبعة التي بين يدي للطبري وهي الطبعة الثانية، ١٤٠٨ - ١٩٨٨، دار الكتب العلمية، بيروت. ولا شك أنها خطأ مطبعي كما تقدم ذكره. (الخطأ في فترة الأحداث في العهد العباسي، وقد سبق ذكر الجار في مواضع أخرى منها، ج ٢، ص ١٣٢).

(٢) من أمراء وشعراء وشجعان آل علي رحمهم الله، ولي المدينة للواصل العباسي ٢٢٩هـ، وعزله المتوكل فخرج عليه، وحبسه المتوكل في سامراء ثلاث سنين وأطلقه، ومات في أيام المقتدر العباسي. انظر الزركلي: الأعلام، ج ٦، ص ١٦٢.

(٣) ياقوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٨٦ مادة سوقة. وانظر السهمودي: وفاء الوفاء، ج ٤، ص ١٢٣٩، وانظر حمد الجاسر، بلاد بينبع، ص ٢٤ - ٢٥.

ويعبر أحد الشعراء عن خراب سويقه بقوله :

إني مررت على دار فأحزنني	∴	لما مررت عليها منظر الدار
وحشاً خراباً كأن لم تكن عامرة	∴	بخير أهل، لمعتد، وزوار
لا يبعد الله قوماً كان يجمعهم	∴	جنباً سويقة أخياراً لأخيار
الرافعين لساري الليل نارهم	∴	حتى يؤم على ضوء من النار
والدافعين عن المحتاج خلّة	∴	حتى يحوز الغنى، من بعد إقتار <sup>(١)</sup>

أما جُدة فقد قطعت بنو عقيل طريقها، فقاتلهم أمير مكة  
وكان ذلك في العام ٢٥١هـ، فقتل من أهل مكة نحو ٣٠٠  
رجل، وقد أدى قطعهم الطريق إلى غلاء في الأسعار بمكة.

وفي هذا العام أيضاً خرج بمكة اسماعيل بن يوسف بن ابراهيم الحسني، فاضطر عامل مكة العباسي للهرب، فذهب الحسني أموال بني العباس في مكة وقتل وأحرق واستولى على ما في الكعبة من ذهب، وذهب إلى المدينة، ثم عاد إلى مكة فحاصر أهلها حتى كادوا أن يموتوا جوعاً، وتوجه إلى جدة وأخذ أموال التجار وأصحاب المراكب، ومات سنة ٢٥٢هـ بالجدري<sup>(٢)</sup>.

أما الجار فوَقعت بجوارها في المدينة فتنة تركت آثارها عليها، وكانت الفتنة بين بني جعفر وبني علي، وذلك في العام ٢٦٦هـ، فقد قام إسحاق بن محمد بن يوسف الجعفري بتولية عامل من قبله على وادي القرى، فقتله أهل الوادي، وقتلوا أخوين لإسحاق، ولما خرج لهم مرض ومات، فتولى أمر المدينة أخوه موسى، فثار عليه عدد من بني علي فقتل موسى الجعفري، ودخل المدينة أحمد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد فضبط المدينة، وكانت قد ارتفعت بها الأسعار واشتد

(١) البكري: معجم ما أستعجم: ج ٣، ص ٧٦٨ - ٧٦٩.

(٢) الطبري: الامم والملوك، ج ٥، ص ٤٠٥، وانظر ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٢، ص ٣٢٩ - ٣٣١.

الغلاء، فوجه الحسني لتجار "الجار" من يطمئنهم على أموالهم، ورفع الجباية، فرخصت الأسعار وسكنت المدينة<sup>(١)</sup>. وفي عام ٢٦٨هـ تعرضت جدة لمحنة أخرى عندما هاجمها محمد بن عيسى بن محمد المخزومي أثناء ثورة الزنج في العراق، فنهب الطعام بجدة وأحرق بيوت أهلها، حتى صار الخبز بمكة الأوقيتان بدرهم، حتى تمكن العباسيون من القضاء عليه في ذلك العام<sup>(٢)</sup>.

---

(١) الطبري: الامم والملوك، ج ٥، ص ٥٢٥.

(٢) ابن فهد إتحاف الوري بأخبار أم القرى، ج ٢، ص ٣٤٢ - ٣٤٣. وانظر: السباعي، أحمد: تاريخ مكة، الطبعة السادسة، ١٤٠٤، نادي مكة الثقافي الأدبي، ص ١٦٦.

**— العهد العبيدي "الفاطمي" ٣٥٨ — ٥٦٧هـ —**

للحديث عن أهم الأحداث التي ارتبطت بالثغور الحجازية في العهد العبيدي نشير إلى أن الحكومات التي قامت في مصر وانفصلت عن الخلافة العباسية كانت تهتم بالسيطرة على الحجاز سياسياً واقتصادياً لما له من مكانة دينية وموقع استراتيجي يربط غرب آسيا بأفريقيا، وكذلك رغبة في إعطاء ولايتهم الصبغة الشرعية بإشرافهم على الحرمين الشريفين ؛ والدعاء باسمهم على منابرهما.

وكانت أولى الدول التي انفصلت عن الخلافة العباسية وحكمت مصر الدولة العبيدية منذ سنة ٣٥٨هـ عندما دخل قائدهم جوهر الصقلي مصر، فاهتموا بالسيطرة على الحجاز سياسياً واقتصادياً، وكانوا يرضون من حكام الحجاز الأشراف بإعلان التبعية الاسمية لهم والدعاء لهم في الخطبة بالحرمين الشريفين، ويفعل حكام الحجاز ذلك حتى تصلهم المعونات والمساعدات المختلفة، وتفاوتت هذه السيطرة من ضعف إلى قوة ومن قوة إلى ضعف حسب الأحوال السياسية لحاكم مصر وحاكم الحجاز، واستمر نفوذ حكام مصر على الحجاز بعد الفاطميين في العهد الأيوبي ثم العهد المملوكي ثم العهد العثماني حتى قيام الحرب العالمية الأولى وقيام الثورة العربية الكبرى التي أعلنها الشريف حسين بمكة المكرمة ضد الحكم العثماني.

ولقد كانت الحجاز تتمتع باستقلالها بحكومة محلية من أسر الأشراف إلا أن إشراف حكومات مصر كان واضحاً، ولعل ذلك مرده إلى عوامل سياسية واقتصادية متعددة منها:

١ — ضعف الحكومات التي قامت في مكة والمدينة سياسياً وعسكرياً وكثرة الاضطرابات والصراعات فيما بينها.

٢ - ضعف الموارد الاقتصادية الداخلية للحجاز مما جعلها تضطر إلى الاستعانة بالخارج، فكانت أقوى الحكومات الإسلامية خارج الحجاز وأقربها حكومات مصر.

٣ - قوة الحكومات التي قامت في مصر سياسياً وعسكرياً بدءاً من الفاطميين ومروراً بالأيوبيين وانتهاءً بالمماليك، ودخولهم في صراعات سياسية وعسكرية إقليمية وخارجية جعلت منهم في فترات متعددة قوى كبيرة في المنطقة الإسلامية فالفاطميون دخلوا في تنافس وصراع سياسي وديني مع العباسيين نجحوا فيه إلى حد كبير، في حين قابله ضعف سياسي عباسي. ثم خلف الأيوبيون حكومة العبيديين في مصر وتمتعوا بقوة كبيرة، وكان اصطدامهم بالصلبيين، الذي حققوا فيه النجاح باستعادة بيت المقدس. وتلا الأيوبيين المماليك الذين تربوا على يد الأيوبيين وكانوا قوتهم الضاربة، والذين أيضاً دخلوا في صراعات قوية مع المغول ونصرهم الله عليهم، ثم مع الصليبيين وكانت لهم نجاحات بارزة، واستمر حكمهم "٢٧٥" عاماً تقريباً ويدل ذلك على قوة هذه الدولة.

فكانت هذه الدول الثلاث القوية التي توالى على حكم مصر تشرف على الحجاز سياسياً واقتصادياً مع بقاء حكومة الأشراف في الحجاز (مكة والمدينة).

وكان قيام حكومة الأشراف في الحجاز "مكة". بعد موت كافور الإخشيدي الذي حكم مصر باسم العباسيين من ٣٥٥-٣٥٧هـ، فقد قام جعفر بن محمد بن الحسن بإمارة مكة. واختلف المؤرخون في التاريخ الدقيق لقيام جعفر بن محمد بتأسيس إمارته في مكة ما بين ٣٥٧-٣٥٨هـ، ولكنهم مجمعون على أن قيام أول حكومة للأشراف في الحجاز بعد

موت كافور الاخشيدي. وقد تزامن قيام حكومة الأشراف مع سقوط مصر في يد العبيديين<sup>(١)</sup>.

وهذه الأسرة تمثل الطبقة الأولى من أربع طبقات من الأشراف حكموا مكة وأجزاء كبيرة من الحجاز في فترات متعددة منذ قيام إمارتهم حتى القرن الرابع عشر الهجري، وتسمى الطبقة الأولى "الموسويون" نسبة إلى جدهم (موسى الجون)<sup>(٢)</sup>. كما قام للأشراف الحسينيين إمارة في المدينة أولهم (طاهر بن مسلم الحسيني من سلالة الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وذلك في سنة ٣٦٠هـ).

(١) هو جعفر بن محمد بن الحسين بن محمد الثائر بن موسى الثاني بن عبدالله الثاني بن موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) عن أول طبقة من طبقات الأشراف حكام مكة ونسب مؤسسها، انظر الفاسي: العقد الثمين، ج ٣، ص ٢٧٩، وعزالدين عبدالعزيز بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمي القرشي: غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، تحقيق فهد محمد شلتوت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ - ١٩٨٦م. دار التراث بجدة، من إصدارات مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ج ١، ص ٤٨٠، وانظر: أحمد زيني دحلان: خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، الطبعة الأولى، المطبعة الخيرية، مصر، ١٣٠٥هـ، ص ١٦.

وانظر: السباعي: تاريخ مكة، ص ١٩١، وانظر: أيوب صبري باشا: مرآة جزيرة العرب، ترجمة وتعليق أحمد فؤاد متولي والصفصافي أحمد المرسى، الطبعة الأولى ١٤١٩ - ١٩٩٩م، دار الآفاق العربية، ص ٩٣-١٠١، وانظر محمد جمال الدين سرور، النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب، ص ١٣ - ١٥، وانظر: سليمان عبدالغني مالكي: بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد، الرياض، ١٤٠٣-١٩٨٣، مطبوعات دار الملك عبدالعزيز، ص ٣٠.



ولامتدنا المصادر بكثير معلومات سياسية عن الثغور البحرية الحجازية في العصر العبيدي مما ينبئ عن قلة الاهتمام بهذه الثغور، وضعف مشاركتها في الأحداث العامة حتى تسجل أخبارها.

لكن تبرز مدينة السرين الثغر البحري الحجازي مع قيام حكومة الأشراف في مكة، فظهر عدد من الأمراء لهذه البلدة حيث وجدت أسماؤهم في نقوش شاهده على القبور في مقبرة السرين، إضافة إلى ما ذكر في بعض المصادر والمراجع. فالسرين في تلك الفترة كانت من موانئ مكة الهامة ومن أعمالها، وهي صلة الوصل بينها وبين اليمن، فقد كانت تستقبل مختلف السلع والأمتعة والرقيق، وكان لصاحب السرين رسم على المراكب الصاعدة والنازلة من اليمن<sup>(١)</sup>.

وقد عُرف من خلال شواهد القبور التي وُجدت في بلدة السرين أسماء بعض ولاية السرين، وهم من أسر الأشراف التي حكمت مكة، حيث وجد نقش باسم يحيى بن علي بن الحسين، ويرجح أنه أول ولاية السرين في عهد حكومة الأشراف الموسويين، وقد توفي سنة ٣٦١هـ<sup>(٢)</sup>. وتلاه الأمير عبدالله بن علي بن الحسين، ولا يعرف على التحقيق تاريخ وفاته، ولكن يرجح أنه مزامناً لوفاة جعفر بن محمد أمير مكة أو بداية

---

حوص ٦٠، وانظر المستشرق: ك. سنوك هور خرونيه، صفحات من تاريخ مكة المكرمة، ترجمة د/ علي عوده الشيخ، صياغة د/ محمد السرياني ود/ معراج مرزا، إصدار دار الملك عبدالعزيز - الرياض، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ج ١، ص ١٤٧ - ١٤٩.

(١) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٢٥.

(٢) انظر الفقيه: مدينة السرين، ص ٦١، وأحمد الزيلعي: أضواء جديدة على الأسرة الموسوية من خلال ثلاثة نقوش كوفية من موقع السرين الأثري، بحث بمجلة العصور، المجلد السادس، ج ١، ١٦٩-١٨٩ ( ١٩٩١م)، ص ١٧٤، وانظر ابن عنبه: عمدة الطالب: ص ١٥٧، والسباعي: تاريخ مكة، ص ١٩١-١٩٢.



فترة حكم عيسى بن جعفر ما بين ٣٨٠-٣٨٤هـ<sup>(١)</sup>. وأعقبه الأمير الحسين بن علي<sup>(٢)</sup>.

وتلاه الأمير يحيى بن الحسن بن علي بن الحسين الأمير بن محمد النائر، واتصف هذا الأمير بالقسوة والعنف حتى أنه قتل ابنه. وهو آخر من عُرف من أمراء السريين من الأسرة الموسوية حكام مكة<sup>(٣)</sup>. ثم ظهر من الطبقة الثالثة من أمراء مكة الأشراف "طبقة الهواشم" نسبة إلى أبي هاشم محمد بن جعفر بن محمد حفيد الحسين الأمير وهو بذلك يجتمع في الحسين مع الطبقة الأولى وامتد حكمهم من (٤٥٥-٥٩٧) أو (٥٩٨هـ-)<sup>(٤)</sup>. وعُرف واحد فقط من هذه الأسرة حكم السريين، ولا يشترط أن يكون الوحيد فمن المرجح لدى عدد من الباحثين في تاريخ هذه البلدة أن هناك عدد من الأمراء لم تذكر أسماؤهم في المصادر ولم توجد في الشواهد القبورية، ولعلها اندثرت بشكل أو بآخر.

فمن أمراء الهواشم الذين حكموا السريين الأمير محمد بن قاسم بن أبي هاشم محمد فوالده وجده تقلدا إمارة مكة وكذلك أخوه فليته.

---

(١) انظر الفقيه: المرجع السابق، ص ٦٢، والزيلعي: المرجع السابق، ص ١٧٤-١٧٥، وانظر ابن عنبه، المصدر السابق، ص ١٥٧.

(٢) الفقيه: المرجع السابق، ص ٦٣، والزيلعي: المرجع السابق، ص ١٧٥، وانظر ابن عنبه: المصدر السابق، ص ١٥٧.

(٣) الفقيه: مدينة السريين، ص ٦٣، الزيلعي: تاريخ الأسرة الموسوية، المرجع السابق، ص ١٧٥، وابن عنبه: عمدة الطالب، ص ١٥٧.

(٤) انظر تقي الدين الفاسي: العقد الثمين، ج ٢، ص ١٣٣-١٣٥، وانظر: عبدالعزيز بن فهد: غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، ج ١، ص ٥٠٩-٥١٦، وانظر السباعي: تاريخ مكة، ص ٢٠٢.

وهؤلاء الأمراء هم فقط من توصلت اليهم الأبحاث الأثرية في موقع السرين الأثري من خلال النقوش الشاهدية أو من إشارات بعض المصادر على قتلها عن أمراء السرين<sup>(١)</sup>.

وفي عام ٤٣٩هـ حج ناصر خسرو الفارسي صاحب رحلة "سفرنامه" منطلقاً من مصر معظماً لحكامها العبيديين لتوافقه المذهبي معهم، فقد رافق كسوة الكعبة التي أرسلت عن طريق بحر القلزم "البحر الأحمر" حتى وصلت بهم الباخرة إلى ميناء الجار، ثم اتجه بعدها إلى المدينة براً.

وفي العام ٤٤١هـ حج الرحالة المذكور إلى أرض الحجاز، وفي هذه الرحلة يصف بعض مآلقاته في البحر من عيذاب إلى جدة، ويصف جدة بأنها مدينة كبيرة ذات سور حصين، وأن عدد سكانها نحواً من ٥٠٠٠ نسمة، وأمير جدة من مماليك أمير مكة وهو "تاج المعالي بن أبي الفتوح" الذي تمكن من السيطرة على المدينة النبوية في تلك الفترة<sup>(٢)</sup>.

وفي العام ٤٥٩هـ وقعت زلزلة بالشام والحجاز على ما يذكر ابن تغري بردي تأثرت بها الرملة وبيت المقدس، وتأثر بها الحجاز، وانشقت في أيلة الأرض وانفجرت منها عين ماء فأهلك الناس بها<sup>(٣)</sup>.

---

(١) الفقيه: المرجع السابق، ص ٦٣، وانظر الزيلعي: ميناء السرين، مرجع سبق ذكره، ص ١٩٧.

(٢) خسرو: سفرنامه، ص ١١٩، وص ١٣٥ - ١٣٦.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص ١٠٦ في حوادث سنة ٤٦٠هـ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر - مصر، ج ٥، ص ٨٠.

## العهد الأيوبي : ٥٦٧ - ٦٤٨ هـ

الغزو الصليبي للثغور الحجازية: (في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) من ٥١٠/١١١٦ - ٥٧٨ هـ/ (١١٨٢

كانت الحروب الصليبية علامة فاصلة في حياة الأمة الإسلامية، ومحنة ابتلي بها المسلمون أيما ابتلاء، وجثى على صدورهم استعمار بغيض لبلادهم في الشام مايزيد على مائتي عام من ٤٩١ هـ/ ١٠٩٧ م إلى ٦٩٢ هـ/ ١٢٩٢ م.

وتعرضت ثغور الحجاز للغزو حتى كاد يصل الغزو لمكة والمدينة لولا أن حفظهما الله عز وجل.

وللحديث عن هذه المرحلة من تاريخ الأمة الإسلامية سنطرح بشيء من الإيجاز تعريفاً للحروب الصليبية وجملة من أبرز أسباب هذه الحروب كتمهيد للغزو الصليبي للحجاز.

### فالحروب الصليبية:

عدة حملات شنّها نصارى أوروبا على الشرق العربي الإسلامي، بهدف انتزاع الأماكن المقدسة في فلسطين من أيدي المسلمين، وبالتالي استعمار بلاد الشرق الإسلامي الغنية بخيراتها، وثرواتها، وذات الموقع الاستراتيجي الهام.

ولعل من أبرز أسباب هذه الحروب مايلي:

١ - ضعف الدولة الإسلامية في تلك الفترة: والذي تمثل في ضعف الدولة العباسية وتفككها وانقسامها إلى دويلات مستقلة متنازعة ومتصارعة فيما بينها.

٢ - روح التعصب الديني: الذي غلب على النصارى في تلك الفترة ضد ما هو إسلامي، فأخذوا يرددون مزاعم أن المسلمين يتعرضون للنصارى بالأذى لدى زيارتهم لأماكنهم المقدسة بفلسطين، فأخذ بابا النصارى في روما يوجب هذه الروح الشريرة في نفوس المسيحيين، ويستحثهم على

تخليص وإنقاذ الأماكن المقدسة لديهم من أيدي المسلمين، وهو يسعى من باب خفي إلى دعم سلطته الدينية، ونفوذه على ملوك أوروبا وأمرائهم في ذلك الحين.

٣ - سوء الأحوال الاقتصادية في أوروبا: فقد ساهم النظام الإقطاعي في أوروبا المعتمد على النشاط الزراعي إلى تسلط طبقة من النبلاء والأمراء والملوك على رقاب الشعوب الأوروبية في اضطهادها، وفي المقابل سيطر المسلمون على التجارة خاصة في حوض البحر المتوسط، فوجد تجار أوروبا وخاصة تجار المدن الإيطالية في الحروب الصليبية فرصة سانحة لتأسيس مراكز تجارية لهم وفتح أسواق جديدة لتجارهم، فكان أن قدم هؤلاء التجار كل المساعدة الممكنة للجيش الصليبي لغزو الشرق الإسلامي ليحققوا طموحاتهم وأطماعهم.

٤ - سوء الأحوال الاجتماعية في أوروبا: فقد كان المجتمع الأوروبي يتكون من ثلاث طبقات هي: طبقة رجال الدين برئاسة بابا النصارى، وطبقة النبلاء والفرسان، وطبقة الأتقان (وهم رقيق الأرض)، فكانت العلاقة بين هذه الفئات الثلاث تقوم على التسلط والاستعباد والعداء، ولهذا تجاوزت فئات المجتمع الأوروبي مع دعوة البابا رغبة في الخلاص من الآخر.

٥ - توغل السلاجقة الأتراك في آسيا الصغرى: فقد كان انتصار السلاجقة بقيادة "ألب أرسلان" على الروم البيزنطيين في معركة "ملاذكرد" أو "منزكرت" سنة ٤٦٢هـ (١٠٧١م) وتهديدهم للقسطنطينية سبباً في تخوف الامبراطور البيزنطي "الكسيوس كومنين الأول" واستنجاده ببابا روما وملوك أوروبا.

فكانت الحملة الصليبية الأولى عام ٤٩١هـ (١٠٩٧م) بقيادة عدد من الأمراء الذين التقوا في القسطنطينية ثم زحفوا على بلاد المسلمين وانتصروا على السلاجقة، وكونوا

مستعمرات لهم في بلاد الشام وهي: إمارة الرها، وإمارة أنطاكية، وإمارة طرابلس، ومملكة بيت المقدس<sup>(١)</sup>.

وجدير بالذكر أن يشار إلى أن أول من رفع راية الجهاد ضد الصليبيين وأقام علمه هو عماد الدين زنكي الذي أسس إمارة له في الموصل شمال العراق وتلاه ابنه نور الدين زنكي، ثم كانت ذروة جهاد الصليبيين في عهد صلاح الدين الأيوبي مؤسس دولة بني أيوب في مصر والحجاز والشام واليمن وفتح بيت المقدس.

---

(١) عاشور: سعيد عبدالفتاح: الحركة الصليبية، الطبعة الثالثة، ١٩٧٨، مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة، ج ١، ص ١٩ - ٩٩.

من هذا التمهيد عن الحروب الصليبية يتعرض البحث لأول  
ثغر حجازي تعرض للغزو الصليبي الا وهو "أيلة - العقبة -".

فقد قام بلدوين الأول ملك مملكة بيت المقدس الصليبي  
بهدف توسعة حدود مملكته الاستعمارية في عام ٥١٠هـ/  
١١١٦م في إحدى حملاته بالإستيلاء على أيلة مسيطراً بذلك  
على ساحل خليج العقبة، وبنى له في أيلة قلعة حصينة بهدف  
التحكم في الطريق البري للقوافل بين مصر والشام، كما قام  
أيضاً ببناء قلعة أخرى في جزيرة فرعون الواقعة أمام أيلة في  
الخليج. وسقوط أيلة في أيدي الصليبيين مكنهم من قطع طريق  
القوافل بين القاهرة من ناحية ودمشق وبغداد من ناحية أخرى،  
كما أسهم في تهديد حجاج بيت الله وهم في طريقهم إلى  
الأراضي المقدسة، فصار طريق المواصلات مقطوعاً بين مصر  
والشام، مما أدى إلى انقطاع الصلة بين مصر والشام،  
ونور الدين في الشام وصلاح الدين في مصر فيما بعد<sup>(١)</sup>، وزاد  
الأمر سوءاً عندما تزايدت اعتداءات الصليبيين على القوافل  
السائرة بين الحجاز ومصر والشام<sup>(٢)</sup>.

ولكن المسلمين تمكنوا من استعادة أيلة بعد ستة وخمسين  
عاماً من الاحتلال الصليبي، وكان ذلك على يد صلاح الدين  
الأيوبي عام ٥٦٦هـ بعدما سيطر على مصر في خلافة العاضد  
الفاطمي العبيدي، وأرسل لنور الدين زنكي أن يرسل أباه نجم  
الدين أيوب وأهله إليه بالقاهرة، ولما خرجت القافلة بهم من  
دمشق خاف صلاح الدين عليهم من الصليبيين فخرج في  
النصف من ربيع الأول سنة ٥٦٦ (١١٧٠م) متوجهاً إلى أيلة  
فأنشأ المراكب وحملها مفصلة على الجمال إلى أيلة، وعلى  
مقربة من هذا الميناء أمر صلاح الدين بتركيب المراكب

(١) مع العلم أن صلاح الدين دخل مصر مع عمه أسد الدين شيركوه عام  
٥٦٠هـ/١١٦٤م. انظر عاشور، المصدر السابق، ج ٢، ص ٦٦٢-٦٦٤.

(٢) عاشور: المصدر السابق، ج ١، ص ٣١٨-٣١٩ وص ٣٣٠، وج ٢،  
ص ٦٩١.

وشحنها بالمقاتلة وزحف بها على القلعة براً وبحراً، وفي شهر ربيع الثاني استولى على أيلة وقضى على حاميتها الصليبية، وأسكن بها من يثق به وأمدهم بما يحتاجون من السلاح والمؤن، وبقي صلاح الدين بأيلة حتى اجتمع بأهله ثم سار بهم إلى القاهرة التي وصلها في جمادى الأولى من العام المذكور<sup>(١)</sup>.

وقد ورد ذكر أيلة وتحرير صلاح الدين لها من النصارى في قصيدة لمجد الدين محمد بن الظهير الإريلي<sup>(٢)</sup> يمدح فيها صلاح الدين ويسجل فتوحاته حيث يقول:

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ج٩، ص١١٠، أحداث سنة ٥٦٦هـ، وانظر ابن خلدون ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، المسمى (تاريخ ابن خلدون)، تحقيق خليل شحادة، الطبعة الأولى ١٤٠١-١٩٨١، دار الفكر، بيروت، ج٥، ص٣٣٢-٣٣٣، وانظر ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٥، ص٣٨٥-٣٨٦، وانظر عاشور: الحركة الصليبية، ج٢٢، ص٦٩٣، وانظر: أحمد رمضان أحمد: شبه جزيرة سيناء في العصور الوسطى، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧، ص١٠٨.

(٢) هو محمد بن أحمد بن عمر بن أحمد بن أبي شاعر الإريلي، مجد الدين ابن الظهير، شاعر أديب، من فقهاء الحنفية. ولد بإربل، وتثقل في العراق والشام، ومات بدمشق، ومن مصنفاته (تذكرة الأريب وتبصرة الأديب)، و"مختصر أمثال" ← الشريف الرضي"، و"ديوان شعر". ويرجح الزركلي أنه حياته امتدت ما بين ٦٠٢هـ - ٦٧٧هـ. انظر الاعلام، ج٥، ص٣٢٣.

مليك من القوم الذين رماهم	∴	دعائم هذا الدين في كل مشهد
هم نصروا التوحيد نصراً مؤزراً	∴	به عز في الآفاق كل موحد
وهم قهروا غلب الفرنج ببأسهم	∴	فدانوا لهم بالرغم لا عن تودد
وردوا إلى البيت المقدس نوره	∴	وقد كان في ليل من الشرك أسود
وقد ركبت فرسانه بحر أيلة	∴	يخوضون في بحر من الكيد مزبد
وهم رجّعوا مصرأ إلى دعوة الهدى	∴	بعزم ورأي في العظام محصد
وهم شيدوا ركن الخلافة بالذي	∴	أعادوه من حق طريف وملتد <sup>(١)</sup>

وكانت المحاولة الصليبية الأخيرة التي هُدفوا من ورائها إلى ضرب المدينتين المقدستين مكة والمدينة، بقيادة الأمير الصليبي الذي تسميه المصادر الإسلامية "أرناط" وهو "الأمير رينودي شاتيون"، أحد الأمراء الفرنسيين، وقد اتصف بالغدر وعدم الوفاء بالعهد، وجاء هذا الأمير مع الحملة الصليبية الثانية عام ٥٤٢هـ/١١٤٧م، وتمكن نور الدين زنكي من القبض عليه وسجنه، وبقي في سجنه ١٦ عاماً من (٥٥٦هـ/ ٥٧٢هـ)، فأطلق سراحه، ثم أصبح أميراً على الكرك بعد زواجه من أميرة الكرك<sup>(٢)</sup>.

(١) أبو شامة: شهاب الدين عبدالرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسي: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق ابراهيم الزبيق، الطبعة الأولى، ١٩٩٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج ٢، ص ١٩٧.

(٢) أحمد رمضان أحمد: شبه جزيرة سيناء، ص ١١٢-١١٣.



ويصفه ابن الأثير بأنه كان من شياطين الإفرنج ومردتهم وأشدّهم عداوة للمسلمين<sup>(١)</sup>.

فكانت حملته الأولى عام ٥٧٧هـ/١١٨١م البرية في فصل الشتاء تلافياً لحرارة الصيف في البرية العربية حتى وصل إلى تيماء بهدف الوصول إلى المدينة، وقد سلب إحدى القوافل التجارية، فما كان من نائب صلاح الدين على دمشق عز الدين فروخشاه إلا أن هاجم إمارة الكرك ونهبها وخرّبها واكتسح نواحيها، مما دفع بأرناط إلى العودة سريعاً إلى إمارته، وقطع مشروعه بمهاجمة الحرمين الشريفين وبهذا فشلت المحاولة الأولى<sup>(٢)</sup>. إلا أنه استفاد من هذه التجربة الفاشلة بالتعرف على طبيعة البرية العربية ودروبها وممراتها.

ولما علم صلاح الدين غضب مما فعله أرناط، فأرسل إلى ملك بيت المقدس الصليبي يلومه على فعلة أرناط ويذكره بالهدنة المعقودة بينهما، ويطالب برد ماسلبه أرناط من القافلة التجارية من أموال وأسرى، إلا أن أرناط رفض رد المسلوبات ولم يرضخ لطلب بلدوين الرابع ملك بيت المقدس وقابلهم صلاح الدين بالاستيلاء على سفن نصرانية تحمل عدد من النصارى فأسرهم وعرض مبادلتهم بالأسرى المسلمين فرفض أيضاً أرناط، فأضطر صلاح الدين للاحتفاظ بالأسرى النصارى<sup>(٣)</sup>.

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ج ٩، ص ١٥٢-١٥٣، حوادث سنة ٥٧٧هـ.

(٢) عاشور: الحركة الصليبية، ج ٢٢، ص ٧٤٠-٧٤٢، وانظر: حمدي محمد راجح، المحاولة الصليبية لغزو الحجاز: رسالة ماجستير، جامعة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٥-١٩٨٥، ص ١٦١-١٦٢، وانظر: أحمد رمضان: شبه جزيرة سيناء، ص ١١٦-١١٧.

وانظر: المقرئزي: السلوك في معرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ١، ص ١٨٧، حوادث سنة ٧٧٥هـ.

(٣) عاشور: الحركة الصليبية، ج ٢، ص ٧٤٢-٧٤٣.

ثم كانت المحاولة الثانية لأرناط لغزو الحرمين الشريفين والسيطرة على البحر الأحمر هي الغزو بحراً، وقيل تلك المحاولة توجه صلاح الدين إلى دمشق في سنة ٥٧٨هـ عبر طريق أيلة وأخبر أن الصليبيين يجتمعون بالكرك لقطع الطريق إلى دمشق فأرسل إلى ابن أخيه عز الدين فرخشاه وأمره بمهاجمة مناطق الصليبيين لإشغالهم عنه حتى يواصل طريقه إلى دمشق، ونجح في ذلك، وتحرك صلاح الدين من أيلة بالجنود، وأخذ يهاجم أطراف بلاد الصليبيين حتى دخل دمشق وفي هذه الأثناء واستغلالاً لإشغال صلاح الدين بهجماته في الشمال<sup>(١)</sup>، تحرك أرناط باتجاه أيلة والاستيلاء عليها، وهـدف كذلك إلى السيطرة على جزيرة فرعون فبنى عدة سفن حملت أجزائها مفككة على ظهور الجمال حتى خليج العقبة وتمكن من محاصرة الجزيرة، وأوقف أمامها مركبين لمنع أهالي القلعة بالجزيرة من جلب ماء الشرب، وواصلت بقية السفن زحفها في البحر الأحمر باتجاه ميناء عيذاب الواقع على الساحل المصري المقابل للساحل الحجازي<sup>(٢)</sup>، فأحرقوا في البحر ١٦ مركباً،

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ١٥٥، أحداث سنة ٥٧٨هـ، وانظر: المقرئزي: السلوك، ج ١، ص ١٨٩-١٩٠، وانظر عاشور: الحركة الصليبية، ج ٢، ص ٧٤٣-٧٥٥، وانظر: أحمد رمضان أحمد: شبه جزيرة سيناء، ص ١١٧-١١٨. وانظر أبو شامة: الروضتين، ج ٢٣، ص ١٠٥.

(٢) أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين، ج ٣، ص ١٣٤، وانظر: أحمد رمضان أحمد، شبه جزيرة سيناء، ص ١١٨-١١٩، وانظر راجح: المحاولة الصليبية لغزو الحجاز، رسالة ماجستير، ص ١٦٤-١٦٧.

وفي عيذاب نفسها أخذوا مركباً آتياً بالحجاج من جدة، كما استولوا على قافلة برية قادمة إلى عيذاب من قوص، واستولوا على مركبين لتجار قادمين من اليمن، وقتلوا وأحرقوا أطعمة كثيرة على ذلك الساحل كانت معدة لمكة والمدينة<sup>(١)</sup>.

ولم يقف أرناط عند ذلك الحد بل انتقل من الساحل المصري إلى الساحل الحجازي متوجهاً إلى المدينة، وساعده في معرفة الدروب والنواحي بعض البدو، وهذه المحاولة أحدثت رعباً وخوفاً لدى كثير من المسلمين وخاصة أهالي المدينة النبوية، حتى ذكر المؤرخون أنه نزل بساحل الحوراء<sup>(٢)</sup>.

وأكد عدد من المؤرخين على أنه لم يبق بينهم وبين المدينة سوى مسيرة يوم واحد، وكان أرناط قد أخذ الحيلة من إرسال مدد بري، فأرسل فرقة عسكرية إلى تبوك، فما كان من نائب قلعة أيلة إلا أن أرسل كتاباً إلى صلاح الدين وهو في الموصل يخبره بما جرى على ساحل الحجاز، فأمر صلاح الدين أخاه العادل بمصر بإعداد الأسطول لرد الغزاة، وأعد العادل قائده حسام الدين لؤلؤ لهذه المهمة، وحملت المراكب المفككة على ظهور الجمال إلى مدينة أيلة، وفي البحر قسم أسطوله إلى فرقتين فرقة حاصرت المحاصرين لقلعة أيلة في جزيرة فرعون واستولت على مراكب الصليبيين وقتلت أكثر رجالها إلا من هرب إلى الهضاب أو الشعاب، فتولى العربان تتبع آثارهم وإحضارهم، فلم يفلت منهم أحد، وفريق من الأسطول توجه إلى ميناء عيذاب، فاستطاع أن يطلق سراح الأسرى، ورد المسلوبات، وتوجه إلى الساحل الحجازي فوجد بعض الصليبيين في ساحل الحوراء، وأدرك الباقيين في الطريق إلى

(١) ابن جبير: الرحلة: ص ٣٤.

(٢) الحوراء: تقع على الساحل الحجازي على بعد ١٠ كم شمال مدينة أملج، انظر علي غبان: الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة، ص ٢٤.

المدينة، فهرب أدلتهم من البدو لما شاهدوا الجيش الأيوبي فما كان من الصليبيين الغزاة إلا أن لجأوا إلى جبل يعصمهم من الجيش الأيوبي ولكن لا عاصم اليوم من أمر الله، وتساقطوا فاستسلموا وحملوا إلى القاهرة، وأثنان من أعيانهم حملا إلى منى ونحرا هنالك كما تنحر "البدن" هدايا الحجاج، وقد أمر صلاح الدين بقتل أولئك الأسرى ليكونوا عبرة لكل من تحدثه نفسه بالاعتداء على حرم الله وحرم رسوله عليه الصلاة والسلام<sup>(١)</sup>.

ويتبين لنا مدى الجرأة التي بلغت بالصليبيين لمهاجمة الحرمين الشريفين، وقد أشار عدد من المؤرخين إلى أن من أهداف هذا الغزو الصليبي للحجاز السيطرة على البحر الأحمر وتجارته ثم الوصول إلى المدينة ونبش قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونقل جثمانه إلى بلادهم، وتدمير الحرمين إن أمكنهم ذلك بما يعتمل في صدورهم من حقد صليبي أسود على الإسلام والمسلمين ومقدساتهم<sup>(٢)</sup>.

وعوداً على الأحداث الداخلية في الحجاز، فإن نجد أثناء الصراعات بين أمراء مكة أن تعرضت جدة للاعتداء والنهب بجيش من هذيل يقوده الشريف مالك بن فليته في صراعه مع أخيه الشريف عيسى بن فليته في العام ٥٦٧هـ<sup>(٣)</sup>.

(١) المقرئزي: السلوك، ج ١، ص ١٩٠، وانظر ابن الاثير: الكامل، ج ٩، ص ١٥٩، وانظر أبو شامة: الروضتين، ج ٣، ص ١٣٣-١٤٠. وانظر: عاشور: الحركة الصليبية، ج ٢، ص ٧٥٥-٧٦١. وانظر: أحمد رمضان: شبه جزيرة سيناء، ص ١١٨-١٢١، وانظر راجح: المحاولة الصليبية لغزو الحجاز، ص ١٦٧-٢٠٠.

(٢) ابن الاثير: المصدر السابق، ج ٩، ص ١٦٠، وأبو شامة: المصدر السابق، ج ٣، ص ١٣٩، وعاشور: المصدر السابق، ج ٢، ص ٧٥٨-٧٥٩، وراجح: المصدر السابق، ص ١٦٣-١٦٥.

(٣) السنجاري: منائح الكرم، ج ٢، ص ٢٥٣، وانظر السباعي: تاريخ مكة، ص ٢٢٢.

وإن من مآثر السلطان صلاح الدين الأيوبي رحمه الله إبطال المكوس على الحجاج في مينائي عيذاب وجدة في عام ٥٧٢هـ، وكان يؤخذ من كل حاج مبلغ سبعة دناتير ونصف مصرية في عيذاب ومن لم يدفع تؤخذ منه في جدة عنوة وتحت التعذيب، فأوقف ذلك صلاح الدين وعوض أمير مكة ألف دينار، وألقي إردب من القمح وإقطاعات بصعيد مصر وجهة اليمن تحمل إليه كل عام، بعد أن بين له أمير مكة حاجتهم لهذا المكس واضطرارهم إليه لعدم وجود مورد مادي لمكة غير ذلك، فأبطلت المكوس على الحجاج من ذلك العام<sup>(١)</sup>.

وفي العام ٥٧٩ وصل إلى جدة الرحالة المغربي الأندلسي ابن جبير حاجاً، وكان ذلك في شهر ربيع الآخر من العام المذكور، ووصف جدة بأن أكثر بيوتها من الأخصاص، وأكثر سكانها أشراف علويون (حسنيون وحسينيون وجعفريون) وهم في رأيه في شظف من العيش بحال يتصدع له الجمداء إشفاقاً مبدياً حسرة على وضع أهل البيت في جدة في زمانه<sup>(٢)</sup>.

ومن قرية العلقمية ينبع ظهر مؤسس الطبقة الرابعة من أمراء مكة الأشراف في العام ٥٩٧هـ (الشريف قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبدالكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن علي بن عبدالله بن محمد بن موسى بن عبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ويكنى أبا عزيز الينبعي المكي) وكان هو وأهله يسكنون العلقمية من ينبع، وأصبح في قومه رئيساً، فجمعهم، وأركبهم الخيل، وحارب الأشراف بني حراب، من ولد عبدالله بن الحسن

(١) النجم عمر بن فهد: إتحاف الوري بأخبار أم القرى، ج ٢، ص ٥٣٨-٥٤٠، وانظر ابن جبير: الرحلة، ص ٣٠-٣١، وانظر عبدالعزيز بن فهد: غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، ج ١، ص ٥٤٠، وانظر السنجاري: ج ٢، ص ٢٥٨، وانظر السباعي: تاريخ مكة، ص ٢٢٤، وانظر سنوك: صفحات من تاريخ مكة، ج ١، ص ١٦٥-١٦٦.

(٢) ابن جبير: الرحلة، ص ٥٣.

بن الحسن، وبني علي، وبني أحمد، وبني إبراهيم. ومن دوافع توجهه إلى مكة ما وصله من أخبار بني عمه الهواشم بني فليته من انهماكهم في اللهو، وتبسطهم في الظلم، وأعد نفسه وقومه وتوجه إلى مكة وقيل انه لم يذهب بنفسه بل بعث ابنه حنظلة فملك مكة، وخرج منها مكثر بن عيسى بن فليته آخر أمراء مكة من الهواشم (وهم الطبقة الثالثة).

وكان قتادة مهيّباً، وقوراً قوي النفس شجاعاً مقداماً، فاضلاً وله شعر، ومن شعره عندما طلبه الخليفة العباسي الناصر أن يقدم عليه ببغداد وافق في أول الأمر ثم تراجع خشية أن يغدر به:

ولي كف ضرغام أصول ببطشها	..	وأشرى بها بين الورى وأبيع
تظل ملوك الارض تلثم ظهرها	..	وفي بطنها للمجـديين ربيع
أجعلها تحت الثرى ثم أبتغي	..	خلاصاً لها إني إذا لرقـيع
وما أنا إلا المسك في كل بلدة	..	أضوع وأما عندكم فأضيـع

ويذكر ابن الأثير أن ولايته اتسعت من حدود اليمن إلى المدينة، وله قلعة بينبع،، وأكثر من العسكر والمماليك، وخاف العرب في تلك البلاد منه خوفاً عظيماً، وكان أول ملكه حسن السيرة، فقد أزال عن مكة العبيد المفسدين، وحمى البلاد، فأحسن إلى الحجاج وأكرمهم، إلا أنه بعد ذلك وفي آخر أيامه ساءت سيرته، وتوفي في ٦١٧ أو ٦١٨ هـ في شهر جمادى الأولى أو الآخرة<sup>(١)</sup>.

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص٣٤٥ حوادث سنة ٦١٨ هـ، وانظر ابن عنبه: عمدة الطالب، ص١٦٦، وانظر تاريخ ابن خلدون،

وبعد تولى قتادة الحسني أمر مكة، دخلت بعض ثغور الحجاز كجدة وينبع في جملة من الأحداث السياسية والصراعات المتعددة، وكجزء من طموح هذا الأمير لتوسيع حدود إمارته دخل في صراع مع بني عمه بني الحسين أمراء المدينة أملاً في السيطرة عليها بدءاً من عام ٦٠١هـ حتى وفاته ٦١٧هـ أو ٦١٨هـ، فقد ذكر ابن الأثير في حوادث سنة ٦٠١هـ بدء القتال بين قتادة الحسني وسالم بن قاسم الحسيني أمير المدينة، وكانت هذه الجولة لغير صالح قتادة فقد هُزم فيها وعاد إلى مكة<sup>(١)</sup>.

في سنة ٦١٢هـ وفي خضم الصراع بين الأميرين، وأثناء توجه الأمير سالم الحسيني إلى مكة توفي بالطريق، فتولى ولد أخيه جماز الإمارة وأكمل المسيرة إلى مكة، وخرج له قتادة في وادي الصفراء، فكان الانتصار للأمير المدينة وهرب قتادة منهزماً إلى ينبع فتبعه المهاجمون وحاصروه في قلعته بينبع<sup>(٢)</sup>. وفي العام الذي يليه، وفي سلسلة الحروب بين أمير مكة والمدينة، قام نواب الكامل الأيوبي بتسلم ينبع من نواب قتادة خشية عليها من قاسم الحسيني، وكان قد استولى

ج ٤ ص ١٣٤-١٣٦، الفاسي: العقد الثمين، ج ٥، ص ٤٦٣-٤٧٥، وانظر عبدالعزيز بن فهد، غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، ج ١، ص ٥٥٠-٥٥٥، وانظر عبد الملك بن حسين وانظر العصامي: النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ١٣٧٩، المطبعة السلفية، القاهرة، ج ٤، ص ٢٠٧-٢١٤، وانظر السنجاري: منائح الكرم، ج ٢، ص ٢٦٦-٢٦٩ وانظر: الدحلان خلاصة الكلام، ص ٢٣، وانظر سنوك: صفحات من تاريخ مكة، ج ١، ص ١٧٣-١٧٦، وانظر: السباعي: تاريخ مكة، ص ٢٢٤-٢٢٧.

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ٢٦٩، وانظر الفاسي: العقد الثمين، ج ٥، ص ٤٦٤.

(٢) أبو شامة: تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بـ "الذيل على الروضتين"، الطبعة الثانية، ١٩٧٤، تحقيق محمد زاهد الكوثري والسيد عزت العطار الحسيني، دار الجيل، بيروت، ص ٨٩-٩٠.



على مناطق أخرى كان يسيطر عليها قتادة<sup>(١)</sup>. وفي نفس العام ٦١٣هـ أغار الشريف قاسم الحسيني على جدة، فخرج له قتادة وانتصر عليه يوم عيد النحر<sup>(٢)</sup>.

وفي العام ٦١٩هـ توالى الأحداث السياسية والصراعات العسكرية لتتوالى الثغور نصيباً منها، فقد وصل صاحب اليمن الملك المسعود يوسف بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب إلى مكة، وكان يتولى إمرتها الشريف حسن بن قتادة، الذي ساءت سيرته في مكة، وكان برفقة الملك المسعود الشريف راجح بن قتادة فوصل في ربيع الأول وقتل حسن، فانتصر عليه، فما كان من حسن إلا أن توجه إلى ينبع ليعاود الكرة بالهجوم على مكة واستردادها إلا أن محاولاته باءت بالفشل، ومكافأة لراجح الذي ساعد الملك المسعود ولأه السرين وحلي ونصف المخلاف<sup>(٣)</sup>. إلا أن الزيّلعي يرجح أن راجحاً يتولى إمرة السرين قبل تولية الملك المسعود له في عام ٦١٩هـ، وما كانت هذه التولية إلا منح الصفة الرسمية لراجح لحكم السرين، مستنداً إلى رواية ابن الأثير أن راجحاً كان يسكن بظاهر مكة عند الأعراب، ورواية ابن فهد أنه يسكن بالواديين وتطلق على المنطقة المحيطة بالسرين، وبالتالي فسكناه وأهله بالسرين تجعل منه أميراً عليها، ولعل أخاه حسن أقصاه عن الإمارة، فولاه المسعود إمارة السرين أو أعاده إليها، وتلك من الأسباب التي دفعت براجح أن يتعاون مع المسعود ضد أخيه حسن بن قتادة بل وانفرد الزيّلعي برأي أن راجح بن قتادة لم يتولى إمرة مكة وإنما قد يكون حصل له نفوذ بمكة في بعض

(١) المصدر السابق، ص ٩٢.

(٢) المقرئزي: السلوك، ج ١، ص ٣٠٥ حوادث سنة ٦١٣هـ.

(٣) ابن فهد: إتحاف الوري: ج ٣، ص ٣٤-٣٥، وانظر: المقرئزي: السلوك، ج ١، ص ٣٣٣.



السنين ولفترات قصيرة<sup>(١)</sup>. بالرغم من أن الفاسي وابن فهد يشيران إلى توليه إمارة مكة أوقاتاً متعددة<sup>(٢)</sup>.

وفي العام ٦٢١هـ وفي خضم التنافس بين حكام مصر وحكام اليمن على مكة اشترى الأيوبيون في مصر ينبع من الأشراف بني الحسن وقصدوا بذلك الإشراف المباشر على ميناء ينبع، وقدر المبلغ الذي تم دفعه للأشراف بأربعة آلاف مثقال، ولم تزل بأيدهم إلى سنة ٦٣٠هـ، وأقاموا فيه بعض الإنشاءات، ورغم استعادة الأشراف السيطرة على الميناء إلا أن الأيوبيين استرجعوه وبنوا فيه قلعة حصينة ووضعوا فيه عسكرياً لحمايته، وبالتالي أصبحت ينبع الميناء سيدة الأحداث القادمة، اتخذت الميناء الرئيسي للمدينة وأصبحت في المرتبة الثانية بعد جدة<sup>(٣)</sup>. وبالرغم من سيطرة الأيوبيين بقيت ينبع ملاذاً لأمرأء مكة في صراعاتهم الداخلية، فكانت أحياناً تؤوب إليها الأحداث من مكة، وأحياناً تتطلق منها بخروج أمير من بني الحسن منها أو بدخول أمير من بني الحسن إليها كما سيتبين من الأحداث التالية أيضاً.

(١) الزيلعي: حاكم السرين (راجح بن قتادة) ودوره في العلاقات المصرية واليمنية في مكة، بحث في مجلة العصور، المجلد الأول، الجزء الأول، ١٩٨٦م، ص ٢١-٢٤.

وانظر: ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ٣٤٥.  
(٢) العقد الثمين، ج ٤، ص ٧٨، وغاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، ج ١، ص ٦١٦، وانظر السنجاري: منائح الكرم، ج ٢، ص ٣١٥، وانظر الدحلان: خلاصة الكلام، ص ٣٦.

(٣) المقرئزي: السلوك، ج ١، ص ٣٣٧، والنجم عمر بن فهد: إتحاف الوري، ج ٣، ص ٣٩. وانظر حمد الجاسر: بلاد ينبع، ص ٤٩.

وعوداً إلى الشريف راجح بن قتادة أمير السرين الذي اتخذ من هذه البلدة قاعدة عسكرية في صراعه مع إخوته في مكة، وأقام قريباً من هذه البلدة قلعة له يرجح أنها بقرية الصهوة الواقعة في الطرف الشمالي أسفل وادي عليب حيث يوجد موقع أثري يقع شرقاً بمقدار ٤ كم ويوجد به آثار أساسات حجرية ترجح هذه الاحتمال<sup>(١)</sup>.

ومن الأحداث السياسية والعسكرية التي ارتبطت بالسريرين أو انطلقت منها ما كان عام ٦٢٩هـ<sup>(٢)</sup> عندما شجع الشريف راجح بن قتادة حاكم اليمن عمر بن علي بن رسول الذي أعلن نفسه ملكاً وتلقب بالمنصور (مؤسس الدولة الرسولية في اليمن)<sup>(٣)</sup> على دخول مكة وطرد الوالي الأيوبي طغتكين، فلبى دعوته كجزء من الصراع بينه وبين الأيوبيين في مصر ورغبة في ضم مكة إلى ملكه، فأعد جيشاً بقيادة ابن عبدان، ومعه خزانة إلى الشريف راجح.

(١) الفقيه: مدينة السريرين، ص ٦٩.

(٢) الفاسي: العقد الثمين: ج ٤، ص ٧٨-٧٩، وانظر ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٣، ص ٤٩، وانظر: الزيلعي: حاكم السريرين (راجح بن قتادة) بحث في مجلة العصور، سبق ذكره، ص ٢٥.

(٣) اسمه (محمد) ابن هارون الغساني التركماني، أحد الدهاة والشجعان، ولد بمصر ونشأ أديباً فاضلاً، دخل مع الأيوبيين اليمن ولما مات الملك المسعود الأيوبي استولى على اليمن وحارب الأيوبيين وودامت الدولة الرسولية ٢٣٢ عاماً. انظر الزركلي: الأعلام، ج ٥، ص ٥٦.

واستطاع راجح أن يستميل أهل مكة ودخل الجيش اليمني مكة وخرج الحاكم الأيوبي فاراً إلى ينبع التي أصبحت قاعدة أيوبية فتلقى مدداً عسكرياً من الملك الكامل فعاد في رمضان وسيطر على مكة وأخرج منها الجيش اليمني الرسولي وعاقب أهل مكة. إلا أن راجحاً لم ييأس من تكرار المحاولة، فعاد الكرة في العام التالي ٦٣٠هـ<sup>(١)</sup> واستعاد مكة بمدد عسكري من الملك المنصور الرسولي حاكم اليمن في شهر صفر، وفر منها الحاكم الأيوبي فخر الدين ابن الشيخ، وفي آخر هذه السنة عاد الجيش المصري للاستيلاء على مكة وإخراج راجح والجيش اليمني، وفي سنة ٦٣١هـ<sup>(٢)</sup> جهز الملك الرسولي جيشاً برفقة الشريف راجح واستطاع الاستيلاء على مكة وأخرجوا المصريين، إلا أن السيطرة على مكة عادت إلى سلطة الأيوبيين، وتوجه راجح إلى اليمن، وعادت المحاولات فعاد الشريف راجح سنة ٦٣٣هـ<sup>(٣)</sup> بجيش للمنصور الرسولي وعدد من الأعراب من سكان السرين وتهامة وفي الطريق بين مكة والسرين التقى مع الجيش المصري، فانهزم الجيش اليمني والأعراب الذين برفقه راجح، وفي سنة ٦٣٥هـ أو ٦٣٦هـ<sup>(٤)</sup> دخل المنصور مكة واستولى عليها، ولكن ما أن حل عام ٦٣٧هـ حتى خرج منها الجيش اليمني ودخلها الشريف شبحه بن قاسم بن مهنا الحسيني أمير المدينة في ألف فارس من

(١) الفاسي: العقد الثمين: ج ٤، ص ٧٩، وانظر الدحلان: خلاصة الكلام،

ص ٢٥، وانظر: الزيلعي: حاكم السرين، المرجع السابق، ص ٢٦.

(٢) الفاسي: العقد الثمين: ج ٤، ص ٨١، وانظر الدحلان: خلاصة الكلام،

ص ٢٥، وانظر: السنجاري: منائح الكرم، ج ٢، ص ٢٩٩، وانظر

الزيلعي: حاكم السرين، المرجع السابق، ص ٢٦.

(٣) الفاسي: العقد الثمين: ج ٤، ص ٨١، وانظر الدحلان: المصدر السابق،

ص ٢٦، وانظر: السنجاري: المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٩٩-٣٠٠،

وانظر الزيلعي: حاكم السرين، المرجع السابق، ص ٢٦.

(٤) الفاسي: العقد الثمين: ج ٤، ص ٨٢، وانظر النجم عمر بن فهد: إتحاف

الورى، ج ٣، ص ٥٣-٥٥، وانظر: الزيلعي: المرجع السابق، ص ٢٧.

مصر، إلا أن المنصور الرسولي لم ييأس وكرر المحاولة واسترد مكة، ثم عاود الجيش المصري السيطرة على مكة سنة ٦٣٨هـ<sup>(١)</sup> وفي سنة ٦٣٩هـ<sup>(٢)</sup> بعث المنصور بجيش كبير برفقة الشريف راجح إلا أن راجحاً علم بوصول مدد للجيش الأيوبي في مكة فتراجع إلى السرين وطلب المدد من المنصور، فتقدم المنصور على رأس جيش كبير، ولما علم الأيوبيون خروجاً من مكة بعد أن خربوا دار السلطنة، فدخلها الملك المنصور في نفس السنة، وكان برفقة المنصور، علي بن قتادة، وأرسل يستميل صاحب ينبع أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة واستطاع المنصور الرسولي أن يشتري منه قلعة ينبع التي يسيطر عليها الأيوبيون، وأمر بهدمها، وعينه والياً على وادي فاطمة وولى مكة مملوكه الأمير فخرالدين الشلاح، وعاد إلى اليمن سنة ٦٤٠هـ<sup>(٣)</sup>.

(١) الفاسي: المصدر السابق: ج ٤، ص ٨٢، وانظر ابن فهد: المصدر السابق، ج ٣، ص ٥٥-٥٧، والزيلعي: المرجع السابق، ص ٢٧.

(٢) الفاسي: المصدر السابق: ج ٤، ص ٨٢، وانظر ابن فهد: المصدر السابق، ج ٣، ص ٥٧-٥٨، وانظر: الدحلان: خلاصة الكلام، ص ٢٦، وانظر السنجاري: منائح الكرم، ج ٢، ص ٣٠٢، وانظر الزيلعي: المرجع السابق، ص ٢٧.

(٣) الفاسي: العقد الثمين: ج ٤، ص ٨٢، وانظر: الدحلان: خلاصة الكلام، ص ٢٦، وانظر الزيلعي: حاكم السرين، ص ٢٧.

وانتقلت ولاية مكة إلى ابن المسيب نيابة عن الملك المنصور، إلا أن أباسعد الحسن بن علي دخل مكة عام ٦٤٧ هـ واستولى عليها وقيد ابن المسيب وصادر أمواله وفر راجحاً الموالي للملك المنصور إلى السرين، رغم إعلان أبي سعد ولاءه للملك المنصور<sup>(١)</sup>. وما كان من راجح بن قتادة إلا أن توجه إلى المدينة واستعان بأمرها من بني حسين وأعانه بـ ٧٠٠ فارس إلا أن أبا سعد تمكن من قطع الطريق عليه بأن أرسل إلى ابنه أبي نمي في ينبع الذي لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره فالتقى أبانمي براجح ورجال المدينة في الطريق بين المدينة ومكة واستطاع التغلب عليهم فغادروا من حيث أتوا<sup>(٢)</sup>. وفي هذه الفترة ينتهي العهد الأيوبي، وتظهر دولة المماليك في مصر وتبسط سلطانها على الحجاز تبعاً لذلك كما سنوضحه في المبحث التالي:

---

(١) الفاسي: العقد الثمين: ج ٤، ص ٨٢، ج ٣، ص ٣٩٧-٣٩٩، وانظر: الدحلان: خلاصة الكلام، ص ٢٦، وانظر الزيلعي، المرجع السابق، ص ٢٨.

(٢) الدحلان: المصدر السابق، ص ٢٦، والسباعي: تاريخ مكة، ص ٢٣٧.

## العهد المملوكي : ٦٤٨ - ٩٢٣ هـ

واستمراراً للأحداث السابقة وفي عام ٦٥١ هـ لم يهنأ أبا سعد الحسن بن علي بن قتادة في الحكم إذ خرج عليه الشريف جماز بن حسن بن قتادة بعد أن طلب العون من الأيوبيين بدمشق فدخل مكة واستولى عليها وقتل الحسن بن علي في شهر شعبان أو رمضان، إلا أنه هو أيضاً لم تستقر له الأمور بمكة إذ خرج عليه صاحب السرين راجح بن قتادة صاحب المحاولات العديدة، فما كان من الشريف جماز إلا أن خرج من مكة وفر إلى ينبع التي تعتبر ملاذاً لبني قتادة في صراعاتهم السياسية<sup>(١)</sup>.

ولم يهنأ الحاكم الجديد لمكة بالأمر، فخرج عليه ابنه الشريف غانم بن راجح وأنتزع منه إمارة مكة ٦٥٢ هـ<sup>(٢)</sup>، فما كان من راجح إلا أن عاد إلى مقره القديم السرين<sup>(٣)</sup>، ولكن الأمور أيضاً لم تستقر لابنه غانم في مكة فخرج عليه إدريس بن قتادة وابن أخيه أبو نمي في نفس السنة<sup>(٤)</sup>.

---

(١) ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٣، ص ٧٤-٧٥، وانظر: العصامي: سمط النجوم العوالي، ج ٤ ص ٢٢٠-٢٢١ وانظر الدحلان: خلاصة الكلام، ص ٢٧، وانظر الزيلعي: حاكم السرين (راجح بن قتادة) سبق ذكره، ص ٢٨.

(٢) ابن فهد: المصدر السابق، ج ٣، ص ٧٥، الزيلعي، ص ٢٨.

(٣) الزيلعي: المرجع السابق، ص ٢٨.

(٤) ابن فهد: المصدر السابق، ج ٣، ص ٧٦، وانظر المقرئزي: السلوك، ج ١، ص ٤٨٦، وانظر الدحلان: المصدر السابق، ص ٢٧، وانظر الزيلعي: حاكم السرين، ص ٢٨.

فلم يرق ذلك لحاكم اليمن الملك المظفر الرسولي، فاستولى على مكة بقيادة ابن برطاس في ذي القعدة ٦٥٢ هـ<sup>(١)</sup>، فما كان من إدريس وأبي نمي إلا أن أعادا المحاولة واستعانوا بأمرير المدينة جماز بن شيحه الحسيني، واستطاع الثلاثة دخول مكة والتغلب على ابن برطاس والقبض عليه فافتداه الشريف راجح بن قتادة أمير السرين الموالي لحكام اليمن الرسوليين، وعاد ابن برطاس إلى اليمن عام ٦٥٣ هـ<sup>(٢)</sup> إلا أن الأحداث لم تنتهي إلى ذلك فقد تنازع الأميران إدريس وأبونمي على الإمارة، وانفرد أبونمي بالإمارة، وتوجه إدريس إلى راجح بن قتادة أمير السرين، فتوجه معه إلى مكة وتمكن من أن يعقد بينهما صلحاً به يمكنهما حكم مكة اشتراكاً وكان ذلك في العام ٦٥٤ هـ، وكانت تلك السنة هي نهاية الشريف راجح بن قتادة أمير السرين إذ توفي فيها<sup>(٣)</sup>.

وبالرغم من وفاة الأمير راجح بن قتادة أهم أمراء السرين في مجريات الأحداث السياسية والعسكرية في الحجاز إلا أن السرين لم تختفي من الأحداث نهائياً، إلا أنها بدأت في التراجع السياسي والدخول في ظل الأحداث حتى الأندثار النهائي وبدأ يطغى على اسم السرين اسم "الواديين" وادي حلية ووادي عليب اللذان يصبان عند بلدة السرين ويسميان الآن "الشاقة اليمانية والشاقة الشامية". ويرجح الفقيه أن ابنا أبي نمي

(١) ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٣، ص ٧٧، الزيلعي: حاكم السرين، ص ٢٨.

(٢) ابن فهد: المصدر السابق، ج ٣، ص ٧٨، وانظر الدحلان: المصدر السابق، ص ٢٧، وانظر الزيلعي: حاكم السرين، ص ٢٨، وانظر: ريتشارد موتيل، الأحوال السياسية والاقتصادية في مكة في العصر المملوكي، الناشر عمادة شئون المكتبات، جامعة الملك سعود، الطبعة الأولى، ١٤٠٥-١٩٨٥، ص ٥١-٥٣..

(٣) الزيلعي: حاكم السرين، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩.

حميضة أو رميثة قد توليا إمرة السرين بعد وفاة راجح بن قتادة ٦٥٤هـ<sup>(١)</sup>.

وفي سنة ٦٦٩هـ اختلف الأميران إدريس وابن أخيه أبونمي على الإمارة بمكة فتمكن إدريس من السيطرة على مكة، فما كان من أبي نمي إلا أن توجه إلى ينبع وجمع منها جمعاً وعاد إلى مكة وتمكن من قتل عمه إدريس والافراد بمكة<sup>(٢)</sup>. في عام ٦٩١هـ قبض الأمير بكتوت العلالي من ممالك الأشرف خليل على الشريف راجح بن إدريس في ينبع وذهب به إلى مصر<sup>(٣)</sup>.

وفي عام ٦٩٣هـ قرر أبونمي أمير مكة التوجه إلى مصر للقاء السلطان الملك الأشرف فمر بينع وهناك التقى بأمرها الشريف راجح بن إدريس الذي تنازل له عن إمارة ينبع، وفي أثناء ذلك وصل الخبر بمقتل السلطان الملك الأشرف، فعاد أبونمي من ينبع إلى مكة<sup>(٤)</sup>.

وفي سنة ٧٠٠هـ نال ينبع خيراً عندما نزل بها الأمير بكتمر الجو كندرا وأنفق في حجته خمسة وثمانين ألف دينار، فقد جهز سبعة مراكب في البحر الأحمر تحمل الغلال والدقيق وأنواعاً من العسل والسكر والزيت والحلوى وغير ذلك، وعند وصوله ينبع وصل من هذه المراكب ثلاثة ففرق كثيراً من محتوياتها بين الحجاج الذين يمرون ينبع بحراً أو برأ، وكذلك

(١) مدينة السرين: ص ٧٠.

(٢) ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٣، ص ٩٩، وانظر العصامي: سمط النجوم العوالي، ج ٤، ص ٢٢٣.

(٣) المقرئزي: السلوك، ج ٢، ص ٢٣٧، ابن فهد: المصدر السابق، ج ٣، ص ١٢٢.

(٤) المقرئزي: المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٥٦، ابن فهد: المصدر السابق، ج ٣، ص ١٢٥.



نال أهل ينبع منها نصيباً، وكذلك فعل في جدة ومكة، ولم ينسى أيضاً حجاج الشام<sup>(١)</sup>.

وفي عام ٧٠٤هـ — قدم الأمير سلار أيضاً إلى الحجاز بأحمال من النفقات والخيرات ليفرقها بين الحجاج والمجاورين في مكة وجدة ومن لقيه في الطريق، ووصلت مراكبه جدة، ويصف المقرئ ما فعل سلار من توزيعه الأموال والغلات بأنه لم تبق بمكة امرأة ولا رجل ولا صغير ولا كبير ولا غني ولا فقير، عبد أو حر، شريف أو غير شريف إلا عمه ذلك الخير، وبعث رجاله إلى جدة ففرقوا فيها كما فرقوا بمكة من الخيرات والغلال والأموال، حتي أصبح الناس في الحرمين يرددون "ياسلار كفاك الله هم النار"<sup>(٢)</sup>.

وحج في هذا العام فقيه يماني يدعي علي بن أحمد العسيل الحبشي، ولما انتهى من حجه توفاه الله في أواخر شهر ذي الحجة في جدة<sup>(٣)</sup>.

وفي العام ٧١٨هـ و ٧١٩هـ وفي ظل الصراع بين أبناء أبي نمي حميضة ورميثة وعطيفه وأبي الغيث، وفي سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون تمكن حميضة من السيطرة على الأمور في مكة، وقطع الخطبة في مكة عن الناصر وخطب لأبي سعيد بن خدابندا ملك التتار، مما أثار الناصر فأرسل جيشاً لإحضار حميضة، إلا أن أحد القادة المماليك ويدعى بهادر الإبراهيمي الذي يذكر العصامي أنه من أهل ينبع يبدو أنه تساهل في القبض على حميضة حتى فر وساعده في هذا التساهل رميثة أخو حميضة، فما كان من العسكر إلا أن

(١) المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٣٤٢، و ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٣، ص ١٣٢.

(٢) السلوك: ج ٢، ص ٣٧٨، وانظر علي بن حسين السليمان: العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك، ١٣٩٣-١٩٧٣، ص ١٣٦.

(٣) ابن فهد: المصدر السابق، ج ٣، ص ١٤٣، وانظر مصطفى الحدري: محقق السلاح والعدة في تاريخ جدة لابن فرج، ص ٤٥.

ألزموهما واتهموهما بتعمد التغاضي عن هروب حميضة وقرروا القبض على رميثة، وذهبوا به إلى مصر، ولكنه تمكن من الهرب فأصر السلطان الناصر على إعادته وألزم بعض مشايخ العرب وكتب إلى شيخ آل حرب<sup>(١)</sup> يلزمه باحضار رميثة وفعلاً تمكنوا من القبض عليه وهو نائم بالقرب من العقبة (أيلة) وكان ذلك في العام ٧١٩هـ<sup>(٢)</sup>.

وفي هذا العام أيضاً أمر السلطان الناصر محمد بن قلاوون بإصلاح طريق الحج في عقبة أيلة من الصخور، حتى أمكن سلوكها بدون مشقة<sup>(٣)</sup>.

وكذلك حج هذا العام السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وحمل معه الشيء الكثير من الغلال والخيرات برأً وبحراً، وثقلت في البحر في مركبين إلى ينبع ومركبين إلى جدة إضافة إلى ما حمل برأً<sup>(٤)</sup>.

وفي بدء عام ٧٣٢هـ وأثناء عودة قافلة الحج إلى مصر توفي الأمير مغطاي الجمالي في عقبة أيلة فُصِّر وحمل إلى القاهرة ودفن فيها.

وفي طريقه للحج قدّم السلطان الناصر محمد بن قلاوون الأمير أيتمش إلى عقبة أيلة وبرفقته مائة رجل من الحجارين

---

(٣) قبيلة حرب يمانية النسب حجازية الوطن ، كما يصفها البلادي ، فهي : حرب بن سعد بن خولان ، واستوطنت وسط الحجاز في القرن الثاني الهجري ، واصبحت تسيطر على الطريق بين مكة والمدينة، معجم قبائل الحجاز ، ص ١٠٧.

(٢) سمط النجوم العوالي: ج ٤، ص ٢٢٩-٢٣٠.

(٣) أبوالمحاسن ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٩، ص ٦٠، وانظر الغوانمة: أيلة (العقبة)، ص ٧٥، وانظر راشد سعد راشد القحطاني: أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين، ١٤١٤-١٩٩٤، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ص ٤٠-٤١.

(٤) المقرئزي: السلوك: ج ٣، ص ١٨.

حتى وسع طريق العقبة وأزال صخورها، حتى سهل صعودها<sup>(١)</sup>.

ولدى وصول السلطان إلى ينبع من العام المذكور استقبله الأشراف وقدم عليه الشريف أسد الدين رميثة من مكة، فأكرمهم السلطان وأنعم عليهم، وساروا معه إلى مكة<sup>(٢)</sup>.

وكما كانت ينبع ملاذاً وانطلاقاً لأحداث هامة في تاريخ الحجاز، كانت أيضاً السرين ملاذاً ومهرباً لمن يختلف من أمراء الأشراف مع إخوته أو بني عمه قبل أن تندثر السرين نهائياً في نهاية القرن الثامن الهجري، ففي عام ٧٣٧هـ اصطاح رميثة وعطيفة على المشاركة في إمارة مكة، ثم انسحبا من مكة إلى الواديين (منطقة السرين) وترك عطيفة ولده مباركاً بمكة، ليستمر التنافس والصراع بين أبناء أبي نمي<sup>(٣)</sup>، ولعل اختيارهما للسرین يدل على أن لهما بها مقر إقامة، أو أن أميرها في تلك الفترة من ابنائهما، وقد يكون عجلان بن رميثة، وفضلاً الابتعاد حسماً للنزاع<sup>(٤)</sup>. والأمير عجلان بن رميثة تولى إمارة مكة أكثر من مرة ما يقارب ثلاثين سنة، مستقلاً مرة، ومشاركاً لأخيه ثقبه مرة ولابنه أحمد مرة، فقد اشترى وأخاه ثقبه إمارة مكة من أبيهما بستين ألف درهم في العام ٧٤٤هـ، وفي عام ٧٤٦هـ أعطى أخويه مغامساً ومباركاً السرين، ولعل ذلك يدل على مكانة السرين لديه، إلا أنه يبدو أنهما لم يبقيا في السرين وشاركا في أحداث خارجها، حتى كان عام ٧٤٩هـ

(١) المقرئزي: السلوك، ج ٣، ص ١٦٠، وانظر: ابوالمحاسن: النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ١٠٤.

(٢) ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٣، ص ١٩٩، وانظر ابو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ١٠٤.

(٣) الفاسي: العقد الثمين، ج ٤، ص ١٠٧، و ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٣، ص ٢٠٨.

(٤) الفقيه: مدينة السرين، ص ٧٢-٧٣، والزليعي: ميناء السرين، بحث منشور في مجلة اتحاد المؤرخين العرب، سبق ذكره، ص ١٩٩.

هاجم مبارك مكة منطلقاً من السرين إلا أنه لم يتمكن من دخولها، وكانت هذه الحادثة خاتمة الأحداث السياسية في مدينة السرين، ولم يعد لها ذكر في المصادر المكية<sup>(١)</sup>.

وفي خضم الصراع والتنافس بين أمراء المماليك على السلطنة في مصر والشام ظهرت بوادر ثورة لبيغاروس في العام ٧٥١هـ وانتهت عام ٧٥٤هـ بمقتله، ونالت أيلة "العقبة" نصيبها من أحداث هذه الثورة وكتب السلطان إلى أمراءه بالاحتراس من بيبغا (والقبض عليه) بعدما وصلت أخبار برغبته في التمرد والثورة عليه، ومن ذلك ما كتبه إلى الأمير طاز وإلى الأمير بزلار يخبرهما بما وقع خاصة بعدما نزل سطح العقبة، وسلم الكتاب إلى بيبغا في العقبة إلا أنه قبل بالأمر، وتحايل للخروج منه بدعوى رغبته في أداء الحج، وزاد الأمر سوءاً عندما كثرت الأراجيف والشائعات بأن الأمير طاز قد تحالف مع الأمير بيبغاروس بعقبة أيلة، فما كان من الأمير فياض وعيسى ابني حسين أمير العائد إلا أن خرجا ليقبضوا على عقبة أيلة خشية بيبغاروس، وكذلك شجع السلطان العرب في منطقة جنوب الأردن وشمال الحجاز بإرسال رجالهم إلى العقبة<sup>(٢)</sup>.

---

(١) الفاسي: العقد الثمين، ج ٥، ص ١٨٩-١٩١، وانظر الفقيه: مدينة السرين، ص ٧٣-٧٥، وانظر الزيلعي: ميناء السرين، ص ١٩٩، وانظر النجم ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٣، ص ٢٣٧.

(٢) المقرئزي: السلوك، ج ٤، ص ١٢٦، وانظر النجوم الزاهرة، ج ١٠، ص ٢٢١-٢٢٢.

وفي عام ٧٧٨هـ عاشت (العقبة) جزءاً من أحداث مقتل السلطان الأشرف شعبان بن حسين الذي تولى السلطنة من عام ٧٦٥-٧٧٨هـ، وبدأت محاولة قتله عندما أراد السفر للحج في هذا العام، وخرج برفقة عدد كبير من أمرائه ومماليكه إلا أن هؤلاء الأمراء ولدى وصوله إلى "عقبة أيلة" ثاروا عليه وطالبوه بأموالهم، فرفض، فهاجموه وكاد أن يُقتل في ذلك الهجوم، لكنه فر إلى القاهرة ليلقي حتفه هناك حيث وجد أمامه الثورة قائمة ضده في القاهرة، فأختفى في أحد المنازل إلى أن تم القبض عليه يوم الجمعة الثالث من ذي القعدة عام ٧٧٨هـ<sup>(١)</sup>.

وبدءاً من عام ٧٨٤هـ قامت دولة المماليك الجراكسة وكان أول سلاطينها السلطان برقوق، ويرى علي السليمان أن العلاقة بين مصر والحجاز أو بين سلاطين الجراكسة وأمراء الحجاز (مكة والمدينة) اتخذت طابعاً مغايراً لأهتمامات من سبقهم في تغليب الجانب السياسي، والتدخل المسلح في كثير من الصراعات بين أمراء مكة والمدينة. أما الجراكسة فقد غلبوا الجانب الاقتصادي والتجاري خاصة على الجانب السياسي، ولم يهتم الجراكسة كثيراً بمن يتولى أو يعزل بل انصب اهتمامهم بتأمين الثغور والموانئ الحجازية في البحر الأحمر وسير القوافل التجارية التي تشق الحجاز جيئة وذهاباً قاصدة الأراضي المقدسة للمشاركة في مواسم الحج، ووصل بهم الأمر إلى احتكار بعض السلع، فصارت تجمع لهم بشكل مشروع وغير مشروع، حتى أصبحت الرشوة من عوامل العزل والتولية<sup>(٢)</sup>.

(١) المقرئزي: السلوك، ج٥، ص١٢، وانظر: تاريخ ابن خلدون: ج٥، ص٥٢٦-٥٢٩، وانظر: راشد القحطاني: أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين، ص٥٣.

(٢) العلاقات الحجازية المصرية، ص٤١-٤٣.

إلا أن هذا الرأي يقتصر على جانب العلاقات بين سلاطين الجراكسة وأمراء مكة والمدينة، أما الأحداث السياسية الداخلية في الحجاز فبقيت على حالها تهدياً حيناً وتثوراً أحياناً، فمنذ أن تولى برقوق السلطنة، كان في مكة الشريف أحمد بن عجلان، فنازعه الأمانة أبنا عمه الشريف عنان بن مغامس، والشريف حسن بن ثقبه، وفي عام ٧٨٦هـ<sup>(١)</sup>، توجهوا إلى مصر يشكوان أمير مكة إلى السلطان أن يشركهما معه في الأموال، ولم يحقق لهما مرادهما، فعادا إلى مكة، وعاد الصراع والتنافس، وعرف الأميران أن أحمد بن عجلان يريد بهما أمراً، فهرب عنان إلى ينبع ولحقه حسن وأقنعهما أمير الحاج المصري أبو بكر بن سنقر الجمالي بالعودة إلى مكة ولقاء الأمير أحمد بن عجلان وكان برفقته محمد بن عجلان وشجعه للذهاب مع الإثنتين والتفوا ثلاثتهم في مكة بالأمير أحمد إلا أن الأمير أحمد لم يوافقهم وقرر القبض عليهم وقيد الثلاثة وسجنهم، وكان ذلك في سنة ٧٨٧هـ<sup>(٢)</sup>، وحاولوا الهرب من السجن فلم ينجح إلا عنان وفر هارباً إلى ينبع فتزوج بها وأقام عند زوجته ليلة أو أكثر، ثم سافر إلى مصر في جمادى الأولى عام ٧٨٨هـ<sup>(٣)</sup>. وتوالت الأحداث سراعاً، وقرر السلطان مساعدة عنان على تولي إمرة مكة وكان قد مات أحمد بن عجلان، فسيطر على الأمور بمكة كبيش بن عجلان وبالرغم من أن السلطان أرسل إلى مكة يوافق على تولية محمد بن أحمد بن عجلان، إلا أن عنان أعد ليتولى إمرة مكة وصحب الحاج المصري وكان أميره آقبا المارديني، في تلك الأثناء فر كبيش إلى جدة رغبة في ألا يكون بعيداً عن الأحداث، وقتل الأمير محمد بن أحمد بن

(١) ابن فهد: إتحاف الوري: ج ٣، ص ٣٤٣-٣٤٤، وانظر الدحلان: خلاصة الكلام: ص ٣٤.

(٢) الفاسي: العقد الثمين، ج ٥، ص ٤١٦-٤١٧، و ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٣، ص ٣٤٧-٣٤٨، الدحلان: خلاصة الكلام: ص ٣٤.

(٣) الفاسي: المصدر السابق، ج ٥، ص ٤١٧-٤١٨، و ابن فهد: المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٥١. والسباعي: تاريخ مكة، ص ٢٨٥.



عجلان وأعلن عنان أميراً لمكة فما كان منه إلا أن أرسل إلى جُدة من يخرج منها كبيشاً، ورغم هروبه منها إلا أنه عاود الكرة، وجمع جمعاً من الأعراب واستولى على جُدة وسيطر على صهاريج جُدة، فخرج عنان بنفسه لملاقاته وعسكر شرقي جُدة وتعرضوا لعطش شديد، واستمر بقاؤهم ثلاثة عشر يوماً لم يحصل بينهم قتال، وضعف أمر كبيش فقرر الفرار إلى خارج جُدة، ودخلها عنان وعين عليها نائباً عنه محمد بن عجلان وأكرم عبيد أحمد بن عجلان وجعلهم بجُدة، إلا أنه جعل عليهم عيناً هو مولى أبيه محمد بن بركتي<sup>(١)</sup>. وتوالت الأحداث في السنة التالية ٧٨٩هـ بما يرتبط بجُدة، فقد أنكر مولى الأمير عنان الذي وضعه عيناً على آل عجلان على محمد بن عجلان تقصيره وأبلغ ذلك الأمير عنان، فما كان منه إلا أن زجر وغلظ لنائب جُدة، فكانت الفرقة، وتجمع آل عجلان وسيطروا على جُدة، وحضر كبيش معيناً لهم وبدعوة منهم، ثم نهبت أموال التجار والغلة المخزونة للأمرء المماليك بجُدة، ووصل إليهم على بن مبارك بن رميثة برفقة عدد من الأشراف فما كان من آل عجلان إلا أن أمروه عليهم ومنحوه نصف ماحصلوه من جُدة، وتوجه لمكة لمحاربة عنان إلا أن أمرهم تفرق قبل دخول مكة، وبقي عبيدهم في أطراف مكة يتعرضون للناس وبلغ ذلك السلطان المملوكي برقوق، فأمر بعزل عنان وتوليته على بن عجلان الأمانة، ودخل عنان في صراعات متعددة مع آل عجلان تمكن من الانتصار في بعضها، وبعد سفر الحاج من العام المذكور استولى عنان على جُدة<sup>(٢)</sup>.

(١) الفاسي: العقد الثمين، ج ٥، ص ٤١٨-٤١٩، وابن فهد: إتحاف الوري، ج ٥، ص ٣٥٨. وانظر: العصامي: سمط النجوم العوالي، ج ٤، ص ٢٤٧-٢٤٩.

(٢) الفاسي: العقد الثمين، ج ٥، ص ٤١٩-٤٢٠، و ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٣، ص ٣٦٨. وانظر: العصامي: سمط النجوم العوالي، ج ٤، ص ٢٤٩-٢٥٠.

وما زال الحديث عن الشريف عنان الذي استمر يصارع من أجل الوصول إلى الإمارة، ففي عام ٧٩٢هـ وفي طريق عودته من مصر يرافقه مندوب تركي من السلطان لتقليده الإمارة بمكة مر بينبع، فشجعه أمير ينبع وبير بن مخبار على مشاركته في قتال بني إبراهيم حتى انتصروا عليهم، فتوجه عنان بعد ذلك إلى مكة<sup>(١)</sup>.

وفي العام ٧٩٤هـ عين الشريف علي بن عجلان أميراً على مكة، لكن الأشراف بمكة كانوا على خلاف معه ولم يساندوا إمارته، فتركوا مكة عام ٧٩٥هـ إلى بحرة قرب جدة فلحقهم علي بن عجلان إلى بحرة فرحلوا إلى جدة أملاً في أن يستولوا على مركب سلطاني قادم من مصر، فلما علم بذلك اضطر إلى إعطائهم ٤٠٠ غرارة قمح فلم يرضوا فزادهم مائة أخرى فرفضوا وخرجوا من جدة. وأدت هذه الصراعات إلى تضعف الأمن في مكة وجدة فما كان من التجار إلا أن نقلوا تجارتهم إلى ميناء ينبع<sup>(٢)</sup>.

---

(١) الفاسي: المصدر السابق، ج ٥، ص ٤٢١، وابن فهد: المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٧٧.

(٢) ابن فهد: إتحاف الوري: ج ٣، ص ٣٨٨-٣٨٩، الدحلان: خلاصة الكلام، ص ٣٦.



وفي ينبع وفي سنة ٧٩٨هـ اضطر أميرها وبير بن مخبار إلى تسليم مبلغ ثلاثين ألف درهم مقابل ما استولى عليه من القمح وغيره إلى الشريف حسن بن عجلان الذي قدم من مصر وبرفقته جماعة من الترك ليقلدوه الأمانة في مكة بعد أن هدد أمير ينبع بالحرب<sup>(١)</sup>.

وفي العام الذي يليه شجع الشريف حسن بن عجلان تجار اليمن على العودة إلى ميناء جدة وأسقط عنهم ثلث الجباية، فرحبوا بذلك فتوالى التجار عوداً على ميناء جدة، ونال الشريف حسن مكاسب كثيرة من جراء ذلك، وتمكن أيضاً من إخراج الأشراف من جدة، فهربوا إلى خليص، ورغم محاولاتهم العودة إلى جدة إلا أنهم لم يمكنوا منها<sup>(٢)</sup>.

وفي العام ٨٠٦هـ عين الشريف حسن بن عجلان عاملاً له على جدة، هو جابر بن عبدالله الحراشي، ومنحه صلاحيات واسعة في جميع ما يصل من جهة الشام واليمن، واهتم بعمله أيما اهتمام وعمر فرضة جدة أسوة بميناء عدن، وحدد لبنى حسن الرسوم التي يأخذونها من التجار بالإضافة إلى الجباية، فبذلك خفف على التجار<sup>(٣)</sup>.

---

(١) الفاسي: العقد الثمين: ج ٣، ص ٣٤٩، ابن فهد: إتحاف الوري: ج ٣، ص ٣٩٨.

(٢) الفاسي: المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٥١. ابن فهد: المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٠٤-٤٠٥.

(٣) الفاسي: العقد الثمين، ج ٣، ص ٣٥٨، ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٣، ص ٤٣٥-٤٣٦.

وفي سنة ٨٠٩ تم القبض على عامل جدة جابر الحراشي بأمر من أمير مكة، فصودرت أمواله وسجن بمكة، ثم أخرج من السجن بشفاعة صاحب صنعاء، وأعيد إليه جزء من ماله، وتوجه إلى اليمن، وذكر النجم ابن فهد أن مكاسب أمير مكة من التجار والحراشي بلغت قرابة ٤٠,٠٠٠ مثقال<sup>(١)</sup>.

وفي نفس العام في شهر رمضان وصل أميراً ينبع الشريفان وبير ومقبل ابني مخبار إلى أمير مكة حسن معلنين ولائهما له، وزال ما بينهم من خلاف<sup>(٢)</sup>. وفي عام ٨١٢هـ عاد الحراشي إلى الأحداث وسعى جاهداً للانتقام من حسن بن عجلان بالذهاب إلى مصر وتشجيع السلطان على عزله إلا أن سعيه باء بالفشل، وأثناء عودته من مصر مع الحاج سكن ينبع وتقرّب إلى ولاتها، وبنى لهم بها قلعة وسوراً ورغم ما اكتسبه من مال لكنه ما زال يرغب في العودة إلى مكة<sup>(٣)</sup>.

---

(١) الفاسي: العقد الثمين، ج ٣، ص ٣٥٩، ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٣، ص ٤٥٠-٤٥١.

(٢) الفاسي: العقد الثمين، ج ٣، ص ٣٦٠، ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٣، ص ٤٥٢.

(٣) الفاسي: العقد الثمين، ج ٣، ص ٢٦١، ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٣، ص ٤٧٨.

وفي العام ٨١٥هـ غضب أمير مكة من جابر الحراشي وسعى إلى إخراجهم من ينبع لما بلغه من أنه يشجع حاكم اليمن على صرف المراكب من ميناء جدة إلى ميناء ينبع، فكان أن خرج الحراشي من ينبع إلى مصر وأخذ يحرض السلطان المملوكي على أمير مكة حسن بن عجلان فلم تنجح محاولته وأعيد إلى الحجاز برفقة الحاج مكبلاً بالحديد فعفا عنه أمير مكة، بل وفوض إليه أمر جدة مرة أخرى، وساهم ذلك في تحسن العلاقات مع اليمن وبالتالي وفود التجار إلى جدة. وقبل تولية الحراشي لأمر جدة تواصلت الرسل بين أمير مكة وصاحب اليمن وما استقرت الأمور حتى قبل أمير مكة بأن يدفع مبلغاً من المال ثلاث سنوات مقابل ما استولي عليه من تجار اليمن، وبتولية الحراشي استقرت الأمور بجدة<sup>(١)</sup>.

وفي نفس هذا العام وقبل تولي الحراشي جدة وقع خلاف بين أبناء الشريف محمد بن عجلان وعمهم الشريف حسن بن عجلان عندما ضرب أحدهم نائب جدة مسعود الصبحي فغضب منهم الأمير، فخرجوا إلى ينبع ومنها إلى مصر يريدون الاستعانة عليه ولما عادوا إلى ينبع منعهم الأمير حسن من دخول مكة، فاضطروا للإقامة في ينبع حتى تحين فرصة للعودة<sup>(٢)</sup>.

وعوداً إلى الحراشي الذي كانت نهايته عام ٨١٦هـ، فقد انقلب عليه أمير مكة حسن بن عجلان لما بلغه من مساعدة الحراشي لابن أخيه رميته في الثورة عليه وكان الحراشي قد سعى بالصلح بين الطرفين وفشل الصلح فتحمل تبعاته، إضافة

(١) الفاسي: العقد الثمين، ج ٣، ص ٢٦١، ص ٣٦٦ ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٣، ص ٤٩٤-٤٩٨.

(٢) الفاسي: العقد الثمين، ج ٣، ص ٣٦٦، ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٣، ص ٤٩٣-٤٩٤.

إلى ما وقع منه من مخالفات أخرى، فقتل في شهر ذي الحجة من العام المذكور<sup>(١)</sup>.

وقد تعرضت جدة في هذا العام لهجمات رميثة ابن أخي أمير مكة حسن بن عجلان وتدخل صاحب ينبع مقبل بن مخبار لمساعدة أمير مكة ضد ثورة أبناء أخيه رميثة واخوته<sup>(٢)</sup>.

وفي سلسلة التجاذب بين حسن بن عجلان وأبناء أخيه تعرضت جدة لعدة هجمات، ومن ذلك ما جرى عام ٨١٨هـ، عندما تقدم حسن بن عجلان إلى إخراج رميثة من جدة وتمكن من ذلك، إلا أن الأمر السلطاني قد وصل بتولية رميثة أمر مكة<sup>(٣)</sup>.

وتوالت هجمات حسن بن عجلان على جدة واستيلائه على مكوس وجبايات المراكب الواردة إليها والمتجهه إلى ينبع<sup>(٤)</sup>. وتواصل الصراع، وكان لسلطين المماليك دور مخزي في تأجيجه، فمن يدفع أكثر من أمراء مكة للسلطان يتولى الإمارة عكس ما كان يجري في العهد الأيوبي وعهد المماليك البحرية، فقد كان ملوك وسلطين مصر يدفعون لأمراء مكة وأهلها

(١) الفاسي: العقد الثمين، ج ٣، ص ٢٦١، ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٣، ص ٥٠٧.

(٢) الفاسي: العقد الثمين، ج ٣، ص ٣٦٩، ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٣، ص ٥٠٥-٥٠٦.

(٣) والفاسي: العقد الثمين، ج ٣، ص ٣٧٦، ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٣، ص ٥٢٦.

(٤) الفاسي: العقد الثمين، ج ٣، ص ٣٧٧، ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٣، ص ٥٣١.

ويكرمونهم، ويحدون من تجاوزاتهم، فانقلب الحال وأصبح سلاطين مصر يأخذون من أمراء مكة ما كان ينالهم من نصيب من مكوس وجبايات تجار جدة ومكة والمراكب التجارية التي تمخر عباب بحر جدة وينبع، ورغم مايدل ذلك على ازدهار تجارة جدة، وتجارة البحر الأحمر في هذه الفترة، إلا أن ذلك لا يبرر دعم السلاطين للصراعات الداخلية في مكة لمصلحة من يدفع أكثر. فما تردد السلطان الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودي الظاهري أن قبل عرضاً مالياً من حسن بن عجلان يقدر بثلاثين ألف مثقال فأنعم عليه بإمرة مكة ...!! عام ٨١٩ هـ...<sup>(١)</sup>

وفي العام ٨٢١ هـ — نالت جدة نصيبها من الصراعات السياسية، إلا أن تجار جدة والمراكب القادمة إليها لم تتعرض لسوء هذا العام وتساهل أمير مكة حسن بن عجلان مع التجار مما انعكس على التجار بالارتياح<sup>(٢)</sup>. وتوالت الأحداث، ونال جدة منها نصيباً وافراً لكثرة مايردها من المراكب التجارية مما يجعلها مطمعاً لكل طامح للإمارة، ولسلاطين المماليك، وينال ينبع كذلك نصيباً من هذه الصراعات ومن ذلك ما حصل عام ٨٢٥ هـ — عندما نزل الأمير جانبك الخازندار ينبع في شهر ذي الحجة لقتال الشريف مقبل أمير ينبع، وبرفقته عقيل بن وبير الحسني الذي منحه السلطان إمرة ينبع، واضطر مقبل بقبول عقيل شريكاً له في الإمارة، فما أن غادر الحاج ينبع حتى عاد القتال بين الأميرين،

(١) الفاسي: العقد الثمين، ج ٣، ٣٧٧، ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٣، ص ٥٣١.

(٢) الفاسي: العقد الثمين، ج ٣، ٣٧٨، ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٣، ص ٥٥٥.

وانتصر مقل على عقيل ابن أخيه، ولما عاد الحاج إلى ينبع هاجم المماليك الأمير مقل، وقتل في ذلك جماعة من الأشراف من بني حسن وكثر السلب والنهب في ينبع في الأشراف وغيرهم، وما إن خرجوا من ينبع حتى عاد مقل لقتال ابن أخيه عقيل على الأمانة إلا أنه لم يتمكن من ذلك وهزم في عام ٨٢٨ وحمل الشريف مقل في الحديد إلى الاسكندرية وسجن بها<sup>(١)</sup>.

وما زالت ينبع منطلقاً لبعض الأحداث، فتقبل إليها الأحداث وتدبر فتحل في مينائها حملات الحجيج ويصطدم امراؤها بأمراء الحج فيسيرون معهم أو يسيرون ضدهم، وما زالت ملاذاً لأمراء مكة والثائرين من أشرافها، فلا يمر عام دون أن يكون هناك ذكر لينبع في أحداث الحجاز الداخلية وفي العام ٨٢٧هـ وصل أمير الحاج المصري الأمير قرقماس في ربيع الأول إلى ينبع يحمل أمراً بعزل حسن بن عجلان وتولية علي بن عنان وأشرك معه أهل ينبع والصفراء والمدينة فالتقى بهم الأمير الجديد في ينبع ودخلوا مكة في جمادى الأولى وتوجه الأمير الجديد إلى جدة لملاطفة التجار القادمين إليها وتشجيعهم على الرسو في ميناء جدة<sup>(٢)</sup>.

وأصبحت جدة هدفاً لأنها صارت بندراً عظيماً كما يصفها المقرئ في أحداث سنة ٨٢٨هـ، وبطل بندر عدن، حتى ازداد طمع سلاطين المماليك في السيطرة على هذا الميناء، وأصبح للسلطان المملوكي نائباً له على جدة لتحصيل الرسوم والمكوس والجبايات الباهظة على التجار والحجاج<sup>(٣)</sup>. يقول المقرئ في أحداث سنة ٨٢٩هـ: (واشتدوا على جميع القادمين من التجار والحجاج، واستقصوا تفتيش محاييرهم، وأحمالهم، وأخرجوا سائر مامعهم من الهدية، وأخذوا مكسها،

(١) المقرئ: السلوك، ج٧، ص٦٧-٦٨، ص١١٦.

(٢) ابن فهد: إتحاف الوري، ج٣، ص٦٠٤.

(٣) المقرئ: السلوك، ج٧، ص١١٢.

حتى أخذوا من المرأة الفقيرة مكس النطع [البساط من الأديم] الصغير عشرة دراهم فلوساً<sup>(١)</sup>. ويؤكد على أن من يجبي المكوس مندوب السلطان وأنها أصبحت وظيفة سلطانية، ويعلق على ذلك بتعجب شديد: (فجاء للناس مالا عهد بمثله، فإن العادة لم تزل من قديم الدهر في الجاهلية والإسلام أن الملوك تحمل الأموال الجزيلة إلى مكة لتفرق في أشرافها ومجاوريها، فانعكست الحقائق، وصار المال يُحمل من مكة، ويلزم أشرافها بحمله .... ولعمري لقد سمعت عجائز أهلنا وأنا صغير يقلن إنه ليأتي على الناس زمان يترحمون فيه على فرعون، فبرغم إن ماضين وخلفت حتى أدركت وقوع ما أنذرنا به قبل، والله عاقبة الأمور)<sup>(٢)</sup>.

وما زال سعدالدين إبراهيم ابن المرة القبطي المصري ناظر جدة ومباشر الديوان من قبل السلطان المملوكي يرتاد جدة في موسم الحج لأخذ المكوس، وفي عام ٨٣٠هـ حمل مراسيماً بعمارة الحرم المكي وترميمه، وعمر في جدة جامعاً، ورتب فيه أرباب الوظائف من إمام وخطيب، ومؤذن، ووقاد وفراش ومكبر، وجعل رواتبهم من مكوس المراكب، وبدأ في ميضأة للجامع ولم يتمها<sup>(٣)</sup>.

(١) السلوك: ج٧، ص١٢٨، وانظر، ابن فهد: إتحاف الوري، ج٣، ص ٦٢٢.

(٢) السلوك: ج٧، ص١٢٩، وانظر ابن فهد: المصدر السابق ج٣، ص ٦٢١.

(٣) ابن فهد: المصدر السابق، ج٣، ص٦٣٧-٦٣٨.



وتوالت سيطرة المماليك على المراكب في جدة، فبمجرد حدوث أمر ما قل أو كثر يصادر كل ما يحمله المركب ويملكه صاحبه، ففي عام ٨٣١هـ قتل تاجر هندي راكباً معه، فغُرف خبره في ينبع وجدة، وصودرت أمواله، وأبلغ السلطان فأمر بجلب كافة محتويات أموال التاجر الهندي، وأنعم على أمير ينبع بخشب المركب، وقتل التاجر الهندي في جدة شنقاً، ولم يُكتفى بذلك بل أصبحت أموال الراكب المقتول من حق السلطان، وكأنها آلت إليه وراثته<sup>(١)</sup>.

ويظهر ذلك مدى جشع وظلم هؤلاء السلاطين ، ومخالفتهم للقواعد الشرعية في الإرث ، ولكن في رأي المؤرخين وسخريتهما من هذه التصرفات ما يغني عن المزيد من التعليق. وفي عام ٨٣٤هـ وصل إلى مكة حاجاً أو معتمراً المؤرخ تقي الدين أحمد بن علي المقرئ برفقة ناظر جدة سعد الدين إبراهيم بن المرة<sup>(٢)</sup>.

وباشر جدة وهو (الموظف الذي يكلف بإدارة العمل) إضافة إلى سعد الدين بن المرة سنقر العزي وداود الكيلاني في عام ٨٣٥هـ<sup>(٣)</sup>.

وتزايدت ضغوط السلطان الأشرف برسباي على التجار القادمين إلى ميناء جدة وذلك من أجل تزايد مكاسبه من العشور المتحصلة من التجار، فكان يصدر بين الحين والآخر قرارات تعسفيه لمصادرة بضائع التجار، يراجع في بعضها ويتراجع، وتنفذ الأخرى، وكان ذلك في عام ٨٣٨هـ واستبدل مباشر جدة ابن المرة بنكار الخاصكي<sup>(٤)</sup>.

(١) النجم ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٤، ص ١٧-١٨.

(٢) المصدر السابق، ج ٤، ص ٥٥.

(٣) المصدر السابق، ج ٤، ص ٦٢.

(٤) المصدر السابق، ج ٤، ص ٨١-٨٣.



وتوالت مصادرة أموال التجار في بحر جدة بشتى الطرق  
وبمختلف الاسباب<sup>(١)</sup>.

وفي العام ٨٤٠هـ وقع بجدة حريق كبير أتلّف ممتلكات  
وأنفس<sup>(٢)</sup>.

ووصل الطمع حداً بالسلطان المملوكي أن أصدر مراسيماً  
بأن مكوس مراكب التجار القادمين إلى ميناء جدة ليس لأمير مكة  
منها إلا الربع فقط والباقي للسلطان وأن جميع من مات بمكة من  
غير أهلها ليس لأمير مكة من ميراثه شيء بل كله للسلطان وأن  
ليس لأمير مكة إلا ميراث من مات من أهل مكة...!!! كان ذلك في  
العام ٨٤٣هـ، الذي صدرت فيه فتوى أربعة من قضاة السلطان  
بجواز أخذ المكوس من التجار، وقرئت الفتوى بالحرم المكي على  
الناس، ويعلق المقرئزي وابن فهد سخرية؛ وتعجباً على هذه  
الفتوى، بأن الألسن انطلقت بالوقیعة في هؤلاء القضاة الذين  
اعتادوا اتباع أهواء الملوك خوفاً على مناصبهم، ويريان أن  
مايؤخذ من التجار مكس لا يحل شرعاً تناوله والأكل منه، وأن  
الأكل منه فاسق لاتقبل شهادته، لسقوط عدالته...!!! ويسخر  
المؤرخان من تجرؤ القضاة على إعلان فتواهم في الحرم  
الشریف وعلى رؤوس الأشهاد. ويستشهد المقرئزي في حادثة  
مشابهة في نفس عهد هذا السلطان بقول الشاعر :

إذا جاء الأمير وصاحباه . . وقاضي الحكم واهن في القضاء

فويل ثم ويل ثم ويــــــــــــل . . لقاضي الأرض من قاضي السماء<sup>(٣)</sup>

وعاشت جدة في العام ٨٤٦هـ موجة من الصراع بين أمراء  
مكة على بن حسن بن عجلان والشریف بركات، ونال التجار  
وأصحاب المراكب جزءاً وافراً من العناء، وبعد شد وجذب انتهى

(١) ابن فهد: إتحاف الوری، ج٤، ص٩٣-٩٤.

(٢) المصدر السابق، ج٤، ص١٠١.

(٣) المقرئزي: السلوك، ج٧، ص٤٥٠، ص٤٦٥، وابن فهد: إتحاف  
الوری، ج٤، ص١٤٣، ص١٤٦.

الصراع بانتصار على بن حسن علي بركات وفرار الأخير صوب اليمن<sup>(١)</sup>.

وتواصلت أعمال النواب المسئولون عن تحصيل المكوس بجدة في الإجحاف بالتجار وتتبعهم واللاحق بهم ولو كانوا يطوفون حول البيت الشريف والمصاحف على رؤوسهم<sup>(٢)</sup>.

وفي العام ٨٥٨هـ أصدرت عدة مراسيم عن جدة منها تولية شاذ لجدة (وهو المتولي وظيفة استخلاص ما يتقرر على الطوائف والأفراد من المعاملات المالية)<sup>(٣)</sup> وكان جاني بك، وتعيين قاض لجدة هو كمال الدين بن أبي البركات بن ظهيرة خلفاً لابن عمه القاضي أبي الفضل بن ظهيرة<sup>(٤)</sup>.

وكانت ينبع تمارس دور حلقة الوصل السياسية بين مصر ومكة والمدينة وبالتالي هي محطة عبور للأحداث السياسية ما بين مصر والحجاز فكانت المراسيم السلطانية وأمرأ الحاج ينزلون ببينع ومنها ينطلقون إلى مكة أو المدينة بعد إشراك أمرأ ينبع وأهلها في أي حدث سياسي لمعرفتهم بالعلاقة التاريخية الوطيدة بين أمرأ مكة من الأشراف وينبع، وبقدر ما قد ينال أهل ينبع من أذى وأضرار إلا أنهم أيضاً تتألم الخلع السنية السلطانية والهدايا، وإذا وزع على الحجاج في ينبع معونات نالت أهالي ينبع منها نصيباً، وما يكتسبونهم من نزول وارتحال الحاج بمينائهم الهام. إلا أن ميناء جدة هو الأبرز تجارياً والأحداث السياسية والصراعات المختلفة التي حامت حوله كلها تدور حول السيطرة على تجارة الميناء خاصة في القرنين الثامن والتاسع الهجريين.

(١) ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٤، ص ١٧٨-١٨١.

(٢) المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٦٦-٢٦٨ أحداث سنة ٨٥١هـ.

(٣) المصدر السابق، ج ٤، ص ١٦ (الهامش).

(٤) المصدر السابق، ج ٤، ص ٣٣٨-٣٣٩.

وفي العام ٨٧٢هـ وصلت الأخبار إلى دار السلطنة المملوكية بأن عرب بني عقبة وشيخهم مبارك أخذوا إقامة الحاج (معونته) التي تلتقي به في عقبة أيلة فغضب السلطان، وجرده عسكره في ٢٣ محرم من هذا العام وعين الأمير أزيك والأمير جانبك وعدة ممالك لمحاربة مبارك شيخ عرب بني عقبة وتمكن العسكر المملوكي من الإمساك بشيخ بني عقبة ومجموعة الأعراب الذين كانوا برفقته ونقلهم إلى القاهرة، فانتهت فتنته<sup>(١)</sup>.

وفي هذا العام أيضاً عادت ينبع إلى واجهة الأحداث معلنة بداية صراعات مسلحة وأحداث سياسية متلاحقة، عندما قتل سبع وسباع ولدى هجار من أمراء ينبع، ويشير ابن فهد إلى أنهما قتلا في صراع مع قطاع طرق للحج، ويذكر ابن إياس أن أمير ينبع خنافر بن وبير قتلها، فكانت تلك الحادثة بداية سلسلة من الصراعات انطلقت من ينبع<sup>(٢)</sup>.

وفي عهد الشريف محمد بن بركات بن الحسن بن عجلان بن رميثة بن محمد أبانمي الأول الذي تولى الإمارة بعد وفاة أبيه عام ٨٥٩هـ إلى أن توفي عام ٩٠٣هـ عاشت الحجاز فترة من الاستقرار الداخلي بفضل قوة الأمير محمد بن بركات وحملاته المتواصلة على الخارجين على حكمه في جنوب وشمال وشرق مكة وفوض إليه نيابة السلطنة في الحجاز ونيابة المدينة وينبع، وخطب باسمه على منبر المدينة<sup>(٣)</sup>. ومن ذلك الاستقرار مانال جدة من تعاقب القضاة والنواب والمباشرين المسؤولين عن

(١) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة: ج ١٦، ص ٣٠٠-٣٠١-٣٦٠.

(٢) النجم ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٤، ص ٤٨٥، وانظر: محمد بن أحمد الحنفي: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٣٨٣-١٩٦٣، ج ٣، ص ١٥-١٦.

(٣) العصامي: سمط النجوم العوالي، ج ٤، ص ٢٧٨، وانظر الدحلان: خلاصة الكلام، ص ٤٤، وانظر السباعي: تاريخ مكة، ص ٣٠٨، وانظر: ريتشارد موتيل: الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي، ص ٥٣-٥٤.

تحصيل المكوس دل على شيء من الاستقرار عاشته جدة في تلك الفترة، وكان مايهم سلاطين المماليك وأمراء مكة بشأن جدة هو استمرار جباية المكوس وتدفق الأموال عليهم من هذا الميناء الهام، وذلك يتطلب استقرار سياسياً وأمنياً في هذا الميناء يدفع التجار إلى دخوله وإنزال بضائعهم فيه وتسويقها في جدة ومكة والمدينة، فتحقق لجدة في تلك الفترة شيئاً من الاستقرار النسبي<sup>(١)</sup>.

وفي عام ٨٧٥هـ أقر السلطان الأشرف قايتباي في إمرة ينبع الشريف سبع بن خنافر<sup>(٢)</sup>. ونال هذا الشريف أيضاً خلع السلطان عام ٨٨٣هـ، وتقرير ماله في إمارة ينبع<sup>(٣)</sup>.

وبما أن العقبة حلقة وصل ونقطة التقاء بين الحجاز ومصر والشام، وملتقى حجيج الشام ومصر المتجهين إلى الأراضي المقدسة، ومحطة استراحة قوافل الحجيج وكذلك استراحة سلاطين المماليك بعد عودتهم من الحج.

فمما ساقه ابن إياس في حوادث سنة ٨٨٥هـ من بعض أعمال وإنشاءات السلطان قايتباي ومآثره أنه له في كل سنة عدة شقائف محملة على جمال تحمل الطعام والماء، تستقبل به الحجاج العائدين من الأراضي المقدسة في العقبة<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن فهد: إتحاف الوري: ج ٤، حوادث سنة ٨٦٠، حوادث سنة ٩٠١.

(٢) ابن إياس: بدائع الزهور: ج ٣، ص ٦٠.

(٣) ابن إياس: المصدر السابق: ج ٣، ص ١٤٧.

(٤) بدائع الزهور: ج ٣، ص ٨٨٥.

إلا أن هذا الاستقرار النسبي الذي عاشته الحجاز في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري، لم يشمل القرن العاشر الهجري، فمنذو بدايات هذا القرن تضعضع الأمن في الحجاز، وعادت الصراعات السياسية الداخلية تعكس انشغال المماليك في صراعاتهم داخل مصر والشام.

ففي ينبع قام الأمير دراج (من نسله الأشراف ذوي هجار القاطنين بينبع النخل إلى الوقت الحاضر). بدور نبيل في حفظ مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم من عبث أميرها حسن بن الزبير الذي تهجم على مخزون الحجرة الشريفة، ودخل المدينة في شهر ربيع الأول من عام ٩٠١هـ وسيطر على الأوضاع بالمدينة واطمأن الناس بوصوله إليها<sup>(١)</sup>.

إلا أن هذا الأمير دراج توفي عام ٩٠٢هـ، وتنازع أبناؤه على إمرة ينبع فبرز منافس قوي من الأشراف لأبناء دراج على الإمارة فتح باباً لصراع سياسي وعسكري فترة من الزمن هو يحيى بن سبع، وبالرغم من توليه الإمارة في جمادى الآخرة من عام ٩٠٣هـ إلا أن ذلك لم يصدر من السلطان المملوكي إنما من أمير مكة فحمل هذا الأمير الينبعي على المماليك ودخل معهم في صراع مسلح مستعيناً بقبائل ينبع وماجاورها في قطع طريق قوافل أمراء الحج المماليك<sup>(٢)</sup>.

(١) ابن إياس: وبدائع الزهور: ج ٣ ص ٣١٨، حمد الجاسر: بلاد ينبع، ص ٥١-٥٢.

(٢) بدائع الزهور: ج ٣، ص ٣٨٦، حمد الجاسر: بلاد ينبع، ص ٥٣-٥٤.

ودخل في حلبة هذا الصراع أمير مكي خارج على إخوته هو أحمد بن محمد بن بركات المعروف بالجازاني، وعاشت الحجاز فترة من الصراع الحامي حتى هُزم ابن سبع عام ٩١٢هـ<sup>(١)</sup>.

وهذا الاضطراب الأمني لم يقتصر على الحجاز الداخلي بل شمال الحجاز فكانت بعض القبائل العربية تقطع طريق الحاج<sup>(٢)</sup>، ففي عام ٩٠٨هـ في شهر صفر وعند وصول الحجاج إلى العقبة تصدى لهم جماعة من بني لام وأعاقوهم من صعود العقبة وفرضوا عليهم ٣٠٠٠ دينار فأضطر أمير الحاج لدفعها لهم لإنقاذ الحاج.

وتواصلت الصراعات في مكة ومحاولها بسبب الجازاني وابن سبع في هذا العام وما بعده، ونال جدة منها نصيباً، فما أن يخرج أمير من مكة حتى يهاجم جدة ليسيطر على تجارتها ويجبي مكوسها ويمول عسكره ورجاله استمراراً للصراع المسلح<sup>(٣)</sup>. وقتل الجازاني عام ٩٠٩هـ في شهر رجب وهو يطوف بالبيت العتيق<sup>(٤)</sup>.

وواصل أمير ينبع ابن سبع صراعه المرير مع الحجاج والمماليك، فما كان من السلطان قانصوه الغوري إلا أن أعد عدة حملات إحداها إلى مكة لقتال ابن سبع والأخرى إلى الكرك لقتال عرب بني لام حول العقبة والأخرى للهند لقتال البرتغاليين الذين أخذوا يهاجمون بلاد المسلمين في الهند وسواحل شرق أفريقيا ثم زحفاً إلى السواحل العربية في اليمن والحجاز. ويشير ابن إياس إلى البنائين والنجارين الذين توجهوا لجدة لبناء السور حولها<sup>(٥)</sup>.

(١) ابن إياس: بدائع الزهور: ج ٤، ص ٣٦، وحمد الجاسر: ص ٥٦.

(٢) ابن إياس: بدائع الزهور: ج ٤، ص ٣٨.

(٣) ابن إياس: بدائع الزهور: ج ٤، ص ٤٧-٤٨، العصامي: سمط النجوم العوالي: ج ٤، ص ٢٨٤-٢٨٥-٢٨٦.

(٤) ابن إياس: المصدر السابق، ج ٤، ص ٦٢، العصامي: سمط النجوم العوالي: ج ٤، ص ٢٨٨.

(٥) ابن إياس: بدائع الزهور، ج ٤، ص ٨٢، ص ٨٤، أحداث سنة ٩١١هـ.

ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى مقدمات الغزو البرتغالي لبلاد المسلمين الذين خرجوا من ديارهم بروح صليبية حاقدة مغلفة بدوافع اقتصادية للتعدي على بلاد المسلمين ومصادرة أراضيهم وممتلكاتهم والتحكم في حركة التجارة الدولية فالتفوا حول إفريقية مروراً برأس الرجاء الصالح ما بين عامي ٩٠٣-٩٠٤هـ حتى وصلوا إلى الهند<sup>(١)</sup>.

وقد باركت البابوية الحملات البرتغالية واصفة الإسلام بالطاعون وتواصلت حملاتهم في منطقة المحيط الهندي قتلاً ونهباً، حتى تطلعوا للزحف على الجزيرة العربية من مداخلها البحرية الجنوبية بدءاً من عام ٩١١هـ، فأخذوا يهددون سواحل جدة رغبة في دخولها ثم الدخول إلى الأراضي المقدسة وضرب مقدسات المسلمين<sup>(٢)</sup> كما فعل أو حاول أسلافهم الصليبيون في القرن السادس الهجري.

---

(١) فائق بكر صواف، ومصطفى محمد رمضان: أهمية ثغر جدة في النصف الأول من القرن العاشر الهجري، بحث مجلة الدارة، العدد الثاني للسنة السادسة، ربيع أول، ١٤٠١هـ/يناير ١٩٨١م، الرياض، ص ٢٠٠.

(٢) فائق صواف ومصطفى رمضان: أهمية ثغر جدة، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠١.



وعوداً على الأحداث الداخلية وفي خضم الصراع الذي أحدثه ابن سبع أمير ينبع، أقر السلطان في العام ٩١٢ هـ الشريف هجار بن دراج أميراً لينبع. أملاً في الحد من قوة يحيى بن سبع<sup>(١)</sup>.

وفي رمضان من نفس العام تمكنت حملة مملوكية من هزيمة يحيى بن سبع وجماعته وأتباعه إلا أن يحيى بن سبع استطاع الهرب<sup>(٢)</sup>. وتواصل الصراع وفي شوال وذي القعدة هاجم جيش مملوكي ينبع ودارت رحى معركة كبيرة بين الطرفين كانت الهزيمة على يحيى بن سبع، وقد غالى المماليك في الفتك والقتل بأهالي ينبع، ولما وصل الخبر إلى القاهرة احتفل احتفالاً كبيراً بهذا النصر، وحملت رؤوس أشراف ينبع على الرماح يُدار بها في شوارع القاهرة<sup>(٣)</sup>.

وفي حملة أخرى عام ٩١٣ تمكن المماليك من الانتصار على يحيى بن سبع وأعوانه من الأعراب وحملت إلى القاهرة ثمانمائة رأس من رؤوس العرب من بني ابراهيم الذين قتلوا في المعركة، وأشهرت على رؤوس الرماح في شوارع القاهرة<sup>(٤)</sup>.

ويرى السيد محمد بن عبدالله الحسيني الشهير بكبريت المدني صاحب "رحلة الشتاء والصيف" أن من أسباب انهيار دولة المماليك، ومقتل قانصوه الغوري مبالغته في قتل أشراف ينبع حتى بنى من رؤوسهم مسطبة، جلس عليها أمراء عسكره<sup>(٥)</sup>.

(١) ابن إياس: بدائع الزهور، ج ٤، ص ١٠١.

(٢) ابن إياس: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٠٤.

(٣) ابن إياس: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٠٦.

(٤) ابن إياس: المصدر السابق، ج ٤، ص ١١٦.

(٥) حمد الجاسر: بلاد ينبع، ص ٦٤، وانظر: عبدالكريم الخطيب: تاريخ ينبع، ص ٢٤٠.



وفي نفس العام توجهت حملة مملوكية إلى عرب بني لام في الكرك ونابلس، وقد كانوا يقطعون طريق الحاج في العقبة، فانتصر عليهم الجيش المملوكي، وفرحت بهذا النصر القاهرة وعلفت فيها الزينات<sup>(١)</sup>.

ولما دخل العام ٩١٤هـ، سعى يحيى بن سبع للتقرب من السلطان المملوكي طالباً الصفح فأرسل ابنه، فأعطى الامان، وأخلع عليه، وطلب منه إحضار أبيه. وفي رجب حضر يحيى بن سبع، فأرسل إليه السلطان أماناً، فدخل القاهرة، وأخلع عليه السلطان، ومنع من التعرض له<sup>(٢)</sup>.

وخروجاً من هذه الصراعات المسلحة إلى المآثر العمرانية للسلطان قانصوه الغوري، ففي هذا العام كلف السلطان أحد المماليك وهو خاير بك المعماري بالتوجه إلى العقبة برفقة عدد من البنائين والمهندسين، وشرع في بناء خان بالعقبة وبروج في طريق الحاج، وعمر رصيفاً على البحر عند العقبة وأصلحت العراقيب بالعقبة التي كان يعاني منها الحجيج<sup>(٣)</sup>.

وبما أن هذا المشروع لتسهيل طريق الحاج وتوفير الخدمات الضرورية له إلا أنه أيضاً بسبب الغزو البرتغالي الذي أخذ يهاجم المداخل الجنوبية للبحر الأحمر<sup>(٤)</sup>. كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

ولتنامي الخطر البرتغالي في البحر الأحمر، تمت الإشارة فيما تقدم إلى حملة مملوكية للتصدي للزحف البرتغالي في عام ٩١١هـ، وكان هدفها أولاً تحصين جدة لمواجهة أي خطر أو عدوان مفاجئ عليها.

(١) ابن إياس: بدائع الزهور، ج ٤، ص ١١٧.

(٢) ابن إياس: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٣٠، وص ١٣٨.

(٣) ابن إياس: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٣٣.

(٤) يوسف غوانمة: أيلة (العقبة) والبحر الأحمر، ص ٧٦.

فكان عزم السلطان المملوكي على بناء سور حول جدة لحمايتها من الخطر البرتغالي ويرى بعض المؤرخين إضافة إلى ذلك للتصدي لهجمات الأعراب من بني ابراهيم مع يحيى بن سبع أمير ينبع، والجازاني، وقد تقدم الحديث عنهما.

ويشير القطبي إلى الأمرين دفع خطر البرتغاليين، وخطر الأعراب عن جدة إلا إنه يختلف مع ابن فرج في أنه بدء في بناء السور في عام ٩١٧ هـ، أما ابن فرج فيرى أنه بدء في عام ٩١١ هـ أو ٩١٢ هـ وأنتهى في تسعة أشهر، إلا أن أغلب المصادر والمراجع التي أطلع عليها الباحث ترجح أنه تم بناؤه في عام ٩١٧ هـ، وقد إشتد حسين الكروي في بنائه، حتى قيل أنه بنى على أحد البنائين جداراً لتأخره عن البناء لفترة وجيزه، وكانت نهاية هذا الأمير وخيمة فقد أغرق في بحر جدة بأمر من السلطان المملوكي قانصوه الغوري لكثرة مظالمه.

أما عن بناء السور، فقد شارك فيه أهل مكة وجدة يتقدمهم أميرهم الشريف بركات، الذي أمر بنزع بعض ملكيات البيوت القريبة من منطقة السور فكان الأمير يتابع مع الأهالي عملية البناء ويقف عليها بنفسه مشجعاً ومعيماً وبلغ إرتفاع السور ١٢ ذراع، وطول محيطه من ناحية مكة واليمن ٣٠٠٠ ذراع، وعرض جداره ٤ أذرع، وكان عدد الأبراج ستة ومحيط كل برج ١٦ ذراعاً وإرتفاعه ١٥ ذراعاً، ومنها أبراج قبليّة وبحرية ويمانية وشامية، وأحيطت جدة بخندق من جميع جوانبها<sup>(١)</sup>.

(١) عبدالكريم بن محب الدين القطبي: أعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام، المدون على هامش كتاب: الدحلان خلاصة الكلام، ص ١٦٥-١٦٦، وانظر ابن فرج: ←

وتواصل الخطر البرتغالي، وحاول المماليك التصدي له، فكانت الهزيمة التي تعرض لها الجيش المملوكي في معركة (ديو البحرية) ٩١٥هـ في المحيط الهندي، فتزايد الزحف البرتغالي، وأخذوا يهاجمون السواحل العربية في جنوب الجزيرة العربية، فحربوا ميناء عدن في بداية عام ٩١٩هـ، واستولوا على جزيرة كمران وخربوها، واتجهوا إلى جدة، ويشاء الله عز وجل ويسلط عليهم ريحاً عاتية صرفتهم عن جدة، فواصلوا تخريبهم في منطقة جنوب البحر الاحمر. حتى كان عام ٩٢١هـ عادت حملة برتغالية لمهاجمة جدة، فما كان من السلطان الغوري إلا أن بادر عاجلاً إلى إرسال حملة بقيادة الكردي الذي كان في السويس يعد أسطولاً بحرياً لمواجهة البرتغاليين، فباشر الكردي لدى وصوله إلى تقوية دفاعات جدة. ويشاء الله ويصرف البرتغاليين عن جدة بقيام ثورة في جزيرة "هرمز" التي استولى عليها البرتغاليون في وقت سابق في الخليج العربي "الفارسي". فعادت الحملة البرتغالية إلى هرمز وسيطرت على الأوضاع، وعاجلت الوفاة قائد الجيش البرتغالي في الهند، وحفظ الله الأماكن المقدسة<sup>(١)</sup>.

ويذكر ابن إياس من مآثر السلطان الغوري العمرانية عدة مآثر منها إصلاحه طريق العقبة وحفر الآبار في طريق الحاج، وإنشاء سور جدة، وإنشاؤه على ساحل ينبع سوراً وأبراجاً منيعة<sup>(٢)</sup>.

→ السلاح والعدة، تحقيق مصطفى الحدي، ص ٨٧-٨٨، وانظر السنجاري: منائح الكرم، ج ٣، ص ١٧٢، وانظر: سنوك: صفحات من تاريخ مكة المكرمة، ص ٢٠٥.

وانظر السباعي: تاريخ مكة، ص ٣١٦، وانظر فائق صواف ومصطفى رمضان، أهمية ثغر جدة، بحث في مجلة الدارة، سبق ذكره، ص ٢٠٢-٢٠٣.

(١) ابن إياس: بدائع الزهور، ج ٤، ص ٣٠٧-٣٠٨، وانظر القطبي: الاعلام على هامش خلاصة الكلام، ص ١٦٦-١٦٧، وانظر فائق صراف ومصطفى رمضان، أهمية ثغر جدة، ص ٢٠٤-٢٠٥.

(٢) بدائع الزهور في وقائع الدهور: ج ٥، ص ٩٥.

وآذنت دولة المماليك بالزوال، وزحف العثمانيون باتجاه بلاد الشام وقبيل هذه النهاية هدأت الأوضاع إلى حد ما في ينبع بعد أن أمر السلطان المملوكي بإطلاق يد الشريف بركات أمير مكة على ينبع يولي من يشاء ويعزل من يشاء، رغم بقاء الإمارة في أبناء الشريف دراج<sup>(١)</sup>.

وقتل السلطان الغوري علي يد العثمانيين في معركة مرج دابق، وفي شهر ذو الحجة من عام ٩٢٢هـ سقطت دولة المماليك نهائياً في موقعة الريدانية بمصر، ودخل العثمانيون القاهرة بقيادة السلطان سليم الأول مع مستهل عام ٩٢٣هـ<sup>(٢)</sup>.

---

(١) ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج٤، ص٤٥٥.  
(٢) ابن إياس: المصدر السابق: ج٥، ص١٤٥-١٤٦-١٤٨.

## الفصل الثالث

### الملاحة وصناعة السفن وأنواعها بالبحر الأحمر

- أ - الملاحة وعقباتها بالبحر الأحمر بين  
الثغور المصرية والسودانية من جهة  
والثغور الحجازية من الجهة المقابلة.
- ب - صناعة السفن وأنواعها بالبحر الأحمر.

## مدخل:

سيتم الحديث في هذا الفصل إن شاء الله عن الملاحة وعقباتها في البحر الأحمر في (المبحث الأول) وأهم الأهوال التي تعرض لها الحجاج في هذا البحر خلال الفترة الإسلامية، مع بيان مدى ارتباط المسلمين بالبحر الأحمر حتى نهاية العهد العباسي وانتهاءً بالحديث عن التجارة الشرقية التي ازدهرت في العصور الوسطى عبر البحر الأحمر والتي شكلت العماد الاقتصادي والركيزة الأساسية للأحداث الاقتصادية للبلاد الإسلامية المظلة على ساحلي البحر الأحمر شعوباً وحكومات.

وفي المبحث الثاني سيتم الحديث عن نشأة صناعة السفن عند المسلمين وأهم سفن البحر الأحمر وما تميزت به عن السفن الأخرى، وذكر طاقم السفينة العربية، وانتهاءً بأهم أنواع السفن العربية التي جرت في البحر الأحمر.

وقبل اختتام الفصل رأيت أنه من المناسب أن أعرض بشيء من الإيجاز للتاريخ الملاحي للمسلمين حتى نهاية القرن العاشر بهدف تكامل العرض التاريخي للملاحة وصناعة السفن في البحر الأحمر.

## أ - الملاحاة وعقباتها بالبحر الأحمر بين الثغور المصرية والسودانية من جهة والثغور الحجازية من الجهة المقابلة:

### ١ - معنى الملاحاة :

الملح ما يطيب به الطعام يؤنث ويذكر، والتأنيث فيه أكثر.  
وماء ملح، ولا يقال مالح إلا في لغة رديئة،

والمَلَّاحَة: منبت الملح،

والمَلَّاح : صاحب السفينة لملازمته الماء الملح.

والمَلَّاحُ الريح التي تجري بها السفينة وبه سمي المَلَّاحُ  
مَلَّاحاً. وقيل: سمي السَّقَّان مَلَّاحاً لمعالجته الملح بإجراء السفن  
فيه<sup>(١)</sup>.

وعلم الملاحاة البحرية في رأي ابن ماجد والمهري علم  
"عقلي تجريبي" فمنه ما هو تجريبي بحت، ومنه ما يدرك بنظر  
العقل وحده، ومنه ما يجمع التجربة ونظر العقل معاً<sup>(٢)</sup>.

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، ج، ص ٥٩٩، ٦٠١.

(٢) شهاب: حسن صالح: فن الملاحاة عند العرب، مركز الدراسة  
والبحوث اليمني، صنعاء، دار العودة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،  
١٩٨٢، ص ٧٥. (سيأتي التعريف بابن ماجد والمهري لاحقاً)



كما تفسر الملاحة البحرية على أنها التي تتم عملياً في البحر بأوصافه الطبيعية والجغرافية والجيولوجية، وتختلف إلى حد ما عن الملاحة الداخلية في الأنهار والقنوات والبحيرات<sup>(١)</sup>.

ويشير ابن ماجد إلى أهمية علم البحر بأنه يدل على معرفة القبلة، وأنه قد درس على يديه عدد من علماء الفرائض لمعرفة القبلة واستحسنوه وعملوا به دون غيره من العلوم<sup>(٢)</sup>.

## ( ٢ ) - عقبات الملاحة في البحر الأحمر:

والبحر الأحمر مجال البحث تبلغ مساحته ١٧٨ ألف ميل مربع، ويبلغ طول سواحل من الشمال من خليجي العقبة والسويس إلى الجنوب ٣٠٦٩ ميلاً، ومتوسط اتساعه ١٧٠ ميلاً، ويضيق كلما اتجهنا شمالاً أو جنوباً وأكثر مناطقه اتساعاً ١٩٠ ميلاً، وتمتد بين مصوع في أرتيريا على الساحل الأفريقي، وجازان على ساحل الجزيرة العربية جنوب الحجاز، وأضيق مناطقه ٤٠ ميلاً بين عصب في أرتيريا والمخا في اليمن، وينتهي جنوباً بباب المندب<sup>(٣)</sup>.

---

(١) راشد البكر، حجم التبادل التجاري بين المملكة ودول البحر الأحمر، ندوة البحر الأحمر، ص ٨٠.

(٢) شهاب الدين أحمد بن ماجد ابن أبي الركائب النجدي: كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد، العلوم البحرية عند العرب، تحقيق إبراهيم خوري، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م، ص ٤-٣.

(٣) مدني: محمد عمر: البحر الأحمر واتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار، ندوة البحر الأحمر، ص ١٦٥.

والساحل الحجازي على وجه الخصوص، وجزئه الشمالي يمثل ساحلاً صخرياً حيث تطل في معظم جهاته الشمالية الحافات الانكسارية الوعرة على مياه خليج العقبة، وتصطدم أمواج البحر بأطرافها السفلى، ورغم ميل الساحل إلى الاستقامة الظاهرية، إلا أنه يضم عدد من الرؤوس، أهمها رأس القلاع ورأس أبو علي، ورأس سويهل الصغير، ورأس سويهل الكبير، ورأس الشيخ حميد، وأيضاً عدد من الشروم والخلجان الصغيرة. ويشتهر هذا الساحل بكثرة شعابه المرجانية التي تشكل خطراً على الملاحة فيه، والبحر الأحمر من أفضل البيئات الصالحة لنمو الشعب المرجانية من حيث ارتفاع درجة الحرارة، والأعماق الضحلة، وشفاء المياه، وارتفاع نسبة الملاحه، وتتركز الشعاب المرجانية في النصف الجنوبي للبحر الأحمر وكذلك في نصفه الشمالي عند مدخل خليج العقبة<sup>(١)</sup>.

ويشير ابن حوقل إلى وجود جبال كثيرة في البحر الأحمر قد علاها الماء، ورغم معرفة طرق السفن بينها، إلا أن ربان السفن لابد لهم من أن يتخللوا هذه الطرق نهاراً، ولا يمكنهم أن يسلكوها ليلاً، رغم صفاء مياه البحر الأحمر وأخطر موقع فيه هي جزر تاران جنوب خليج العقبة، وتتعرض فيه المراكب للمخاطر إلا من سلمه الله<sup>(٢)</sup>.

ويقول ابن ماجد : "بحر القلزم أوسخ بحور الدنيا"، ويعود ذلك الوصف بلا شك إلى كثرة الشعب المرجانية والصخور في هذا البحر ذات الرؤوس الحادة الكامنة تحت مياه البحر، والمتناثرة حول الجزر الصخرية والرملية حتى باتت الملاحة مجازفة ومخاطرة حتى لو كان الملاح ذو خبرة سابقة في معرفة المواقع الخطرة وغير الخطرة،

(١) الرويحي: الموانئ السعودية، ص ٥٢-٥٧.

(٢) صورة الأرض، ص ٤٥ - ٤٦.

ولديه من القدرة والمهارة ما يستطيع تصريف سفينته في أجواء هذا البحر قد يعرض حياته ومن معه للخطر والهلاك، لذا كانت السفن والمراكب الشراعية لا تسير إلا نهراً فقط<sup>(١)</sup>.

ويصف حوراني البحر الأحمر وخاصة النصف الشمالي منه بأنه ينطوي على عقبات كأداء، مشيراً إلى الشعاب المرجانية الضخمة التي تحف كلا الساحلين؛ وتغوص إلى داخل البحر الأحمر، وتجنب الاصطدام بها يحتاج إلى مهارة وحكمة ودراية من أي ملاح. وكانت الملاحة صعبة أيضاً لهبوب الرياح الشمالية على الساحل الحجازي جنوباً طوال العام، مما أضطر عرب الجزيرة إلى اتخاذ طرق برية للقوافل محاذية للساحل الحجازي تجنباً لمواجهة أهوال البحر الأحمر<sup>(٢)</sup>.

وتهب عليه رياح موسمية دائمة شمالية وشرقية في فصل الصيف متجهة إلى الجنوب الغربي، وتهب في الشتاء من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي. لذا يفضل الملاحون الإبحار في فصل الصيف في الجزء الجنوبي من البحر الأحمر، لتدفع هذه الرياح السفن إلى باب المندب، ومنه إلى المحيط الهندي، وفي الجزء الشمالي تكون العودة في فصل الشتاء، ما بين شهري ديسمبر وفبراير، وقد اعتاد البحارة والتجار والمسافرون السفر في شهري أبريل ويونيو، والعودة من الجنوب شهري يناير وفبراير، فارتبطت الملاحة في البحر الأحمر بالمخاطرة في العصور الوسطى، ولكن لم تكن العقبات الطبيعية لوحدها التي تشكل خطراً على الملاحة في البحر الأحمر بل هناك أيضاً قراصنة البحر أو "المتجرمة" فقد كانوا يتعرضون للسفن نهباً وقتلاً وسبياً، ويبيع من يسبى في أسواق العبيد نساءً أو رجالاً<sup>(٣)</sup>.

(١) شهاب: فن الملاحة عند العرب، ص ٢٢٩.

(٢) جورج فاضلو: العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص ٢٥-٢٦.

(٣) القوصي: تجارة مصر في البحر الأحمر، ص ١١-١٤.

### ٣ - أهوال البحر الأحمر والحجاج:

ومما تناقلته بعض كتب الرحلات عن الأهوال التي يتعرض لها الحجاج أثناء عبورهم البحر إلى الديار المقدسة، ماورد في رحلة ابن جبير (ت ٦١٤هـ) بتاريخ ربيع الأول من عام ٥٧٩ هـ حيث وصف هذه الرحلة عبر البحر الأحمر بأنها آفة عظيمة للحجاج قل من يسلم منها إلا من سلمه الله، فالرياح تلقىهم في مراسٍ بصحاري تبعد بهم عن جدة أو عن عذاب على الشاطئ المقابل، ويرى أن أكثر هلاك الحجاج بهذه المراسي، فمنهم من تساعده الريح إلى أن ينزل بمرسى عذاب وهم الأقل عدداً، ومنهم من يرسوا على غير عذاب فيتعرض لأهوال متعددة واصفاً مراكب أهل عذاب التي تنقل الحجاج إلى جدة بأنها ملفقة الإنشاء. وتحوم حولهم في البحر حوت القرش ليلتلع الغرقى فيه، ويزداد الأمر صعوبة سوء معاملة أهل عذاب للحجاج لشحنهم أعداداً كبيرة في مراكب صغيرة، كأنها أقفاص الدجاج المملوءة<sup>(١)</sup>.

ويصف سيرهم في البحر بريح فاترة المهب بقوله (ونحن قد استبشرنا برؤية الطير المحلقة من بر الحجاز، لمع برق من جهة البر المذكور، وهي جهة الشرق ثم نشأ نور أظلم له الأفق إلى أن كسا الآفاق كلها، وهبت رياح شديدة صرفت المراكب عن طريقه راجعاً وراءه، وتمادى عصف الرياح واشتدت حكمة الظلمة وعمت الآفاق فلم ندر الجهة المقصودة منها إلى أسفل الدقل، وهو الصاري، وأقمنا ليلتنا تلك في هول يؤذن باليأس، وأرانا بحر فرعون بعض أهواله الموصوفة، إلى أن أتى الله بالفرج مقترباً مع الصباح. فبدأ قياد الرياح وأقشع الغيم، وأصبحت السماء ولاح لنا بر الحجاز على بعد لا نبصر منه إلا بعض جباله، وهي شرق جدة، زعم ربان المركب، وهو

(١) رحلة ابن جبير: ص ٤٦-٤٨.

الرأس أن بين تلك الجبال التي لاحت لنا وبر جدة يومين، والله يسهل لنا كل صعب وييسر لنا كل عسير بعزته وكرمه.

فجرينا يومنا ذلك .. بريح رُخاء طيبة، ثم أرسينا عشية في جزيرة صغيرة في البحر على مقربة من البر المذكور بعد أن لقينا شعاباً كثيرة يكثر فيه الماء ويضحل علينا، فتخللنا أثناءها على حذر وتحفظ. وكان الربان بصيراً بصنعة حاذقاً فيها، فخلصنا الله منها، حتى أرسينا بالجزيرة المذكورة، ونزلنا إليها وبتنا بها ليلة الجمعة ...، وأصبح الهواء راكداً والريح غير متنفسة إلا من الجهة التي لا توافقنا، فأقمنا بها يوم الجمعة المذكور. فلما كان يوم السبت .. تنفست الريح بعض التنفس، فأقلعنا بذلك النفس نسير سيراً رويداً. وسكن البحر حتى خيل لناظره أنه صحن زجاج أزرق. فأقمنا على تلك الحال في جو لطيف صنع الله عز وجل. وهذه الجزيرة تعرف بجزيرة عائقة السفن، فعصمنا الله عز وجل من فآل اسمها المذموم، وله الحمد والشكر.

وفي عشي يوم الأحد أرسينا بمرسى يُعرف بأبحر، وهو على بعد يوم من جدة، وهو من أعجب المراسي مصنعة، وذلك أن خليجاً من البحر يدخل إلى البر والبر مطيف به من كلتا حافتيه فترسي الجلاب منه في قرارة مكّنة هادئة. فلما كان سحر يوم الاثنين بعده أقلعنا منه على بركة الله تعالى بريح فاترة، والله الميسر لا رب سواه، فلما جن الليل أرسينا على مقربة من جدة وهي بمرأى العين منا. وحالت الريح صبيحة يوم الثلاثاء بيننا وبين دخول مرساها، ودخول هذه المراسي صعب المرام بسبب كثرة الشعاب والتفافها. وأبصرنا من صنعة هؤلاء الرؤساء والنواتية في التصرف بالجلبة أثناءها أمراً ضخماً، يدخلونها على مضايق ويعرفونها خلالها تصريف الفارس للجواد الرطب الغنان السلس القياد، ويأتون في ذلك بعجب يفوق الوصف عنه. وفي ظهر يوم الثلاثاء .... كان نزولنا بجدة حامدين الله عز وجل وشاكرين على السلامة

والنجاة من هول ما عايناه في تلك الثمانية الايام طول مقامنا على البحر، وكانت أهوالاً شتى، عصمنا الله منها بفضلته وكرمه، فمنها ما كان يطرأ من البحر واختلاف رياحه وكثرة شعابه المعترضة فيه. ومنها ما كان يطرأ من ضعف عدة المراكب واختلالها واقتصامها المرة بعد المرة عند رفع الشراع أو حطه أو جذب مرساة من مراسية، وربما سنحت الجلبة بأسفها على شعب من تلك الشعاب أثناء تخللها فنسمع لها هداً يؤذن باليأس فكنا نموت مراراً ونحيا مراراً.<sup>(١)</sup>

ويتحدث الرحالة التجيبي السبتي (ت ٧٣٠هـ) عن مخاطر وعقبات البحر الاحمر ومراكبه الضعيفة البنية واصفاً سير الرحلة من عيذاب إلى جدة بقوله.

(ثم كان انفصالنا من عيذاب المذكورة في يوم الأربعاء الثالث عشر لشعبان المكرم من سنة ست المذكورة<sup>(٢)</sup>) .... في مركب من مراكبها يدعونه بالسنبوق، مضطرين لركوبه متوكلين على الله تعالى في أن يسلمنا ويبلغنا المقصد الأسنى بمنه وفصله .. فدخلنا بعد مضي نحو ساعة من يومنا مرسى بمقربة من عيذاب المذكورة يدعى بالجدير، ومن هذا المرسى يحرم الآن أكثر القاصدين إلى الحجاز الشريف من هذا الطريق<sup>(٣)</sup>. وفي الإحرام منه غرر عظيم وخطر، لما يتوقع من عدم مساعدة الريح لمن يحرم منها، فيطول زمان إحرامه، فيلحقه الحرج بذلك ولقد بلغني أن بعض المحرمين منه أقام محرماً نحو سنة. وليس هذا الموضع بميقات محقق، ولا أعلم

(١) رحلة ابن جبير: ص ٥٠-٥٢.

(٢) أي في عام ٦٩٦هـ. (في عهد سلاطين المماليك البحرية - العادل زين الدين كتبغا، والمنصور حسام الدين لاجين).

(٣) أي في زمن المؤلف، وعيذاب أو الجدير ليستا من مواقيت الحج، وإحرامهم هذا قبل الميقات، كما أجاب الرحالة نفسه في سياق الحديث.



من أهل العلم نص على أنه ميقات، ولا هو محاذ لميقات من المواقيت المعلومة، والله أعلم .... ثم لججنا من الجدير المذكور في عشي يوم الأربعاء المذكور صحبة مركب آخر لأحد عظماء التجار من ذوي اليسار .... فجرينا متقاربين في الجري متقاربين في السير بريح فاترة مساعدة لنا جميعاً. فلما قاربنا التوسط بين بر الحجاز الشريف، وبر عيذاب الوحش عصفت الريح وجاء منها ما أشقينا به على التلف، وعظم الموج حتى حال بيننا وبين المركب المذكور، فلم نعلم من حيث ذهب، وأظلم البحر، وأشد سواده وأرانا أهواله الفرعونية سلط الله عليه اليبس، وأخافنا ماشاهدنا من الحال. وأجمع رأي الملاحين ورباتهم على أن الرجوع إلى بر عيذاب الوحش أرجأ لسلامتنا، فكررنا راجعين طائعين وجلين فيسر الله تعالى علينا، ودخلنا مرسى من مراسي بر عيذاب يعرف بالواسعة، فلم ينتفع بقال اسمه، وضافت علينا الأرض بما رحبت، ولم يكن به ماء ولا ظل ولا أنس ولا وحش ولا إنش، فأقمنا فيه يوماً وبعض آخر ثم أقلعنا منه ملحجين أيضاً فلما توسطنا الطريق مال أيضاً علينا البحر أشد من المرة الأولى، وعصفت الريح عصفاً شديداً، وجاء منها مالا قبل لأحديه، وعائنا الموت عياناً، وأيقنا بالتلف لا محالة، وبهت الملاحون من شدة الهول .... وهموا بإسلام المركب، وإن يلقوا بأيديهم إلى التهلكة، وأجمع رأي الجميع على أن الرجوع إلى بر عيذاب الوحش أرجأ لنا أيضاً، فكررنا راجعين عوداً على بدء خائفين وعلى الله في سلامتنا متوكلين، وقد بلغت القلوب الحناجر، وأحاط بنا الموج من كل جهة ومكان. ثم تداركنا الله تعالى بلطفه، ودخلنا مرسى من مراسي بر عيذاب المذكورة على مقربة من جزيرة سواكن يدعى بالمربوطة وبعد استقرارنا فيه، وذكر لنا ربان مركبنا وكان مقدماً في صناعته ماهراً فيها إن سلامتنا كانت مما يعد من النادر، وأن المركب قد اختلت الواحة ودره، بما طرأ علينا من النوء، وأن السفر لا يمكن فيه البتة، فأرسينا بهذا المرسى، ولم نرى قط مرسى أشد توحشاً منه كان قريب القعر،

بعيداً عن البر، بقي بين المركب وبين البر نحو نصف ميل، وكان قعره طيناً. فكان أحد إذا نزل إلى البر كابد مشقة في نزوله، وساخت رجلاه في الطين إلى قرب ركبتيه، ولا يكاد يصل إلى البر إلا بشق النفس، فإذا وصل إلى البر لم يجد ماء ولا ظلاً ولا عمارة ولا حيواناً يدب على وجه الأرض فأقمنا بها أيامنا أعظم الله بها الأجر، ونفذ أكثر مياه المركب ولم يبق لنا في خاصتنا إلا شيء نزر فجعلناه تحت نظر من وثقناه من أصحابنا، وقدمناه على حفظه، وعلى أن يسوي بيننا فيه ففعل ذلك، وكان يدفع لأحدنا منه جرعة بكرة وجرعة عشية، واستمر حالنا على ذلك، والخوف في كل يوم في ازدياد إلى أن أجمع رأي أصحابنا على أن استأجرنا أحد ملاحى المركب المذكور من البجة بعد أن قرر عندنا الربان أنه خبير بالطريق وما هو فيها، فكان كذلك عارف بطريق هذه الصحراء صبوراً على رمضائها، فبعثناه إلى عيذاب، وكان بيننا وبينها جملة أيام على ما ذكر البجة، وأصبحناه كتاباً إلى بعض أصحابنا ممن خلفناه بعيذاب على بعض أسبابنا وذكرنا له أن يكتري لنا مركباً، ويبعثه إلينا. وكتبنا كتاباً آخر لقاضي عيذاب حفظه الله، وكان من أهل الدين والفضل .. ورغبنا منهم أن يشاركوا أصحابنا في كراء المركب المذكور، وأن يؤكدوا على الربان في الإقلاع إلينا سريعاً في أقرب وقت ممكن، ووصفنا لهم بعض حالنا فبلغنا أن القاضي حفظه الله وجزاه خيراً لما قرأ كتابنا رق لنا رقة شديدة، وجمع من الناس من قرأه عليهم وبكى وأبكى، فأشفق الجميع من حالنا، ودعوا لنا بخير، واجتمع بالذي كتبنا له الكتاب، وشاركه غير المشاركة. وأكد على الربان الإقلاع سريعاً، ففعل ذلك الربان. وما طلع النهار إلا وسنبوق قد وصل من عيذاب بالماء، فاشترينا العديلة بأزيد من دينار عيناً، وهي قدر قرية أو أزيد قليلاً، وبشرنا بوصول المركب إلينا فوصلنا في أثناء النهار وهو المركب الذي اكتري لنا بعيذاب .. وانتقلنا بجملتنا، وامتنع المركب الأول من رد الكراء إلينا ظمناً منه وعدواناً .... ثم بلغنا مرسى المربوطة في المركب الواصل



مستبشرين بالتيسير والتسهيل بفضل الله ورحمته، فكان الأمر كذلك، وأعطانا الله ريحاً رخاء طيبة .... ولم تزل الحال كذلك إلى أن دخلنا مرسى من مراسي الحجاز الشريف يعرف بالبحر والله الحمد والشكر .... وبين هذا المرسى وبين جدة نحو ساعتين من نهار، فبتنا فيه ليلتنا تلك وقد استبشرنا ببلوغ المقصد الأسنى بفضل الله ورحمته، لأن السفر لا يمكنهم في هذا البحر ليلاً إذا قاربوا البر لكثرة شعبه وترشه، وهو أعجب العجب في ذلك، ولو لا تردد الملاحين فيه وخبرتهم به ماسلكه أحد، فتراهم إذا قاربوا البر أجلسوا أحدهم في مقدم المركب، يبصر ملاح أمامه من الترش، ويقول للذي يمسه الخيزرانة جر إليك وادفع عنك. ولولا ذلك ما عبر أحد هذا البحر، وآفاته كثيرة، والأمر فيه فوق ما وصفنا وبسبب كثرة ترشه لا يسافر فيه خوفاً من معاطبة، يرسون به نهاراً، ويقلعون منه نهاراً ... ثم أقلعنا من مرسى أبحر غدوة يوم السبت الثامن لشهر رمضان المعظم ... فدخلنا ضحى اليوم المذكور جدة حرسها الله عن عهد أربعة وعشرين يوماً من عذاب.<sup>(١)</sup>

(١) مستفاد الرحلة والاغتراب: تحقيق عبدالحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، ١٩٧٥م، ص ٢٠٧ - ٢١٧.

#### ( ٤ ) - مدى ارتباط المسلمين بالبحر الأحمر حتى نهاية العهد العباسي:

ولنا أن نتساءل ما مدى ارتباط المسلمين بالبحر الأحمر شديد الأحوال منذ العهد النبوي حتى نهاية العهد العباسي إجمالاً؟

لقد ارتبط سكان السواحل البحرية على ساحل البحر الأحمر وبحر العرب والخليج العربي بالبحر ذهاباً وإياباً منذ القدم طلباً لرزقهم اليومي، خاصة وأن هذه السواحل كثيرة الجذب لا تتوفر فيها أسباب المعيشة الهائلة بعيداً عن أجواء ومخاطر البحار، زد على ذلك قصر المسافة بين الساحلين العربي والأفريقي في بعض مناطق البحر الأحمر وخليج عدن مما شجع أبناء تلك المناطق على الترحال إلى تلك الديار بالرغم من خطورة البحار المحيطة ببلاد العرب<sup>(١)</sup>.

ولكن ارتباط أهل اليمن بالبحر تجارياً كان أكثر من أهل الحجاز قبل الإسلام، ووصلت تجارتهم إلى السند<sup>(٢)</sup>، وكونكانام<sup>(٣)</sup>، ومليبار<sup>(٤)</sup>، وسيلان<sup>(١)</sup>، وجاوة<sup>(٢)</sup>، والصين<sup>(٣)</sup>، وغيرها من البلدان<sup>(٤)</sup>.

(١) شهاب: فن الملاحة عند العرب، ص ٢٩.

(٢) السند: بكسر أوله، وسكون ثانيه، وآخره دال مهملة، وهي بلاد بين الهند وكرمان وسجستان، فتحت في أيام الحجاج بن يوسف الثقفي. وهي الآن جزء من جمهورية الباكستان الإسلامية ويخترقها نهر السند الذي يبلغ طوله ٣١٨٠ كم تقريباً. انظر ياقوت: معجم البلدان: ج ٣، ص ٢٦٧ مادة (السند).

(٣) كونكانام: في بلاد الهند. انظر ياقوت: ج ٤، ص ٤٨٤.

(٤) مليبار: إقليم كبير في وسط الهند، انظر ياقوت، ج ٥، ص ١٩٦. وكلمة مليبار تتكون من مقطعين هما: ملي، وتعني أرض الجبل، وبار تعني الساحل، أي سواحل الأراضي الجبلية، وتشمل سواحل غرب الهند من جنوب حتى ساحل جوجيرات شمالاً، ومن أهم موانئ المليبار

إلا أن هذا لا يعني أن باقي أهل الجزيرة العربية و أبناء  
الحجاز خاصة لم يركبوا البحر، وقد دلّ على معرفتهم بالبحر  
علامات منها بعض اشعارهم ومنها قول: طرفه بن العبد :

كأنَّ حُدُوجَ المالِكِيَّةِ غُدُوَّةٌ .. خلّيا سفينين بالنواصف من دَدِ

عدوليةٍ أو من سفين ابن يامن .. يجور بها الملاح طوراً ويهتدي

والحدوج في البيت كما يشرحها التبريزي جمع حدج وهو  
مركب من مراكب النساء، والخلّيا جمع خلية وهي السفينة  
العظيمة، ولا يقال للسفينة خلية حتى يكون معها زورق.  
وعدولية تنسب إلى إحدى جزائر الخليج العربي أو العماني،  
وقيل نسبت إلى قوم بهجر، وابن يامن ملاح من أهل هجر أو  
تاجر، وعدولية من أنواع السفن العربية<sup>(٥)</sup>.

قاليقوط، وكوبلون (كو لم ملي)، وألبي، وبوناي، وتريفندوم، وسيل،  
وكانور، انظر أحمد عبد الحميد الشامي: العلاقات التجارية بين إقليم  
الخليج العربي والسواحل الغربية للهند في العصور الوسطى، دورية  
اتحاد المؤرخين العرب بعنوان (إقليم الخليج على مر العصور)  
القاهرة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ص ١٠٧.

(١) سيلان: بالتحريك آخره نون، جزيرة عظيمة، وبها سرنديب بين الهند  
والصين، انظر ياقوت: ج ٣، ص ٢٩٨، وهي الآن تشكل جمهورية  
سريلانكا الواقعة جنوب آسيا في المحيط الهندي على بعد ٨٠ كم  
جنوب الهند وعاصمتها كولمبو.

(٢) جاوة: جزيرة ومدينة عاصمة لإندونيسيا الحالية. جنوب شرقي آسيا.

(٣) الصين: بالكسر و آخره نون، بلاد في بحر المشرق مائلة إلى الجنوب  
وشمالها الترك، وتوسع ياقوت في الحديث عنها كثيراً. انظر: ج ٣،  
ص ٤٤٠.

(٤) شهاب: فن الملاحة، ص ٢٨.

(٥) الخطيب أبي زكريا يحيى بن علي: شرح القصائد العشر، ضبطه  
وصححه عبدالسلام الحوفي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، دار  
الكتب العلمية، بيروت، ص ٧٥-٧٦.

وقال : عمرو بن كلثوم :

ملأنا البر حتى ضاق عنا .: وظهر البحر نملاهُ سفيننا<sup>(١)</sup>

إضافة إلى الدور التجاري الكبير لقريش في الجاهلية والإسلام فقد قال الله تعالى: { لا إيلاف قريش إلا فهم رحلة الشتاء والصيف \* فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف }.

وبالرغم من الريادة البحرية لأهل اليمن وأهل عُمان إلا أن أهل الحجاز أيضاً مارسوا ركوب البحر، واهتموا أكثر بالتجارة البرية، وقد كانت لهم صلات تجارية عبر البحر بمصر والحبشة، ويدل على ذلك قول الأمام الطبري: (وكانت أرض الحبشة متجراً لقريش يتجرون فيها، يجدون فيها رفاعاً من الرزق وأمناً ومتجراً حسناً)<sup>(٢)</sup>.

وهذا يدل ولاشك على وجود رحلات بحرية لأهل الحجاز بفعل النشاط التجاري البارز لقريش حتى أصبحت مكة محطة تجارية هامة للقوافل البرية القادمة من الشام أو اليمن، وساحلها مكاناً لرسو السفن، حتى أشرق نور الإسلام على الجزيرة العربية منبثقاً من مكة بلد الله الأمين فاتخذ استخدام البحر الأحمر هدفاً آخر إضافة إلى الهدف التجاري ألا وهو نشر الدين والعقيدة، والأمن من أذى مشركي قريش، فكانت الهجرة إلى الحبشة عبوراً للبحر الأحمر من الشعبية الميناء الحجازي إلى الساحل الإفريقي في السنة الخامسة للبعثة النبوية الشريفة، وكانت هذه الهجرة مفتاحاً لدور جديد للبحر الأحمر، فقد أصبح منفذاً ومعبراً للدعوة الإسلامية، فكان أن أسلم النجاشي أصحمة

(١) التبريزي: شرح القصائد العشر، ص ٢٨٨ (يروي وسط البحر، ويروي ونحن البحر)، وانظر غيثان جريس: البحر في كتب التراث الإسلامي، دورية اتحاد المؤرخين العرب (الحضارة الإسلامية وعالم البحار)، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ص ٩٤. حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص ٢١.

(٢) الأمم والملوك: ج ١، ص ٥٤٦.

ملك الحبشة رحمه الله، ولما مات صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه صلاة الغائب، ويورد الطبري تفاصيل أخرى عن إسلام هذا الملك الحبشي<sup>(١)</sup>. وكان لصحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المهاجرين إلى الحبشة الفضل بعد الله في بذر البذور الأولى لانتشار الإسلام في إفريقيا، ثم كان كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى النجاشي يدعو إلى الإسلام ففي أحداث السنة السادسة للهجرة يورد الطبري رسالة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى النجاشي (بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة، سلم أنت؛ فإني أحمد إليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن؛ وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته، ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحسنة، فحملت بعيسى؛ فخلقه الله من روحه كما خلق آدم بيده ونفخه، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له؛ والموالاة على طاعته؛ وأن تبتغي وتؤمن بالذي جاءني؛ فإني رسول الله، وقد بعثت إليك ابن عمي جعفرًا ونفراً معه من المسلمين؛ فإذا جاءك فأقرهم، ودع التجبر، فإني أدعوك وجنودك إلى الله؛ فقد بلغت ونصحت؛ فاقبلوا نصحي؛ والسلام على من اتبع الهدى.

(١) الأمم والملوك: ج ٢، ص ١٣٢، وانظر علي الشيخ أبو بكر: معالم الهجرتين، ص ١٣٨-١٤٧، وانظر ابن هشام: السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٩٣.

فكتب النجاشي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:  
بسم الله الرحمن الرحيم، إلى محمد رسول الله من النجاشي  
الأصحح بن أجبر. سلام عليك باتيبي الله ورحمة الله وبركاته،  
من الله الذي لا إله إلا هو، الذي هدانا إلى الإسلام. أما بعد فقد  
بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فو رب  
السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت ثغوراً؛ إنه  
كما قلت؛ وقد عرفنا ما بُعثت به إلينا؛ وقد قرئنا ابن عمك  
وأصحابه؛ فأشهد أنك رسول الله صادقاً مصداً؛ وقد بايعتك  
وبايعت ابن عمك، وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله؛ فإني  
أشهد أن ما تقول حق، والسلام عليك يا رسول الله.<sup>(١)</sup>

من ذلك يلاحظ أن هذه الهجرة المبكرة عبر البحر الأحمر  
إلى شرق أفريقيا مقدمة لانتشار الإسلام في القارة الأفريقية،  
وكان البحر الأحمر الجسر الذي عبرت عليه هذه الدعوة الفتية  
دون أن يرافقها الجيوش والأساطيل، ولم يرافقها إلا ما يحفظه  
أفرادها رضوان الله عليهم من آيات الكتاب الحكيم، وأحاديث

(١) الأمم والملوك: ج ٢، ص ١٣٢، وانظر ابن الاثير، الكامل، ج ٢، ص  
١٤٤-١٤٥. ويرى ابن سعد أن الرسالة كانت في السنة السابعة في  
شهر المحرم، ويرجح ابن كثير بأن إرسال الرسل إلى الملوك كان في  
نهاية سنة ست في ذي الحجة. أما عن كتاب أو كتابين أرسلت إلى  
النجاشي، فقد اختلف المؤرخون في أنها أرسلت دفعة واحدة مع  
الصحابي عمرو بن أمية الضمري في نهاية السنة السادسة أو بداية  
السنة السابعة كتاباً يحمل دعوة إلى الإسلام وآخر دعوة من الرسول  
صلى الله عليه وآله وسلم للنجاشي لتزويجه بأمة حبيبة رضي الله عنها.  
وهناك من يرى أنه وجه كتاباً آخر إلى نجاشي غير الذي استقبل جعفر  
وأصحابه. إلا أن من المرجح أن النجاشي المسلم الذي صلى عليه  
الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يمت إلا في السنة التاسعة للهجرة.  
وانظر الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٢٥٨، وانظر ابن كثير، ج ٤، ص  
٢٦٢. وانظر علي الشيخ أحمد أبو بكر: معالم الهجرتين، ص ١٨٨-  
١٩٢.

المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، ولعل العلاقات الحسنة التي بُنيت بين المسلمين والنجاشي حالت دون الغزو العسكري في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للحبشة أو في عهد الراشدين، سوى ما أشير إليه من هجمات القراصنة الأفارقة في البحر الأحمر في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وإيفاده حملة بحرية للقضاء على نشاط القراصنة، وماتم في عهد عبدالملك بن مروان الخليفة الأموي من سيطرة الأسطول الأموي على جزر دهلك التي شكلت موقعاً للقراصنة لمهاجمة سفن المسلمين. كما أن النزاعات التي حدثت بين بني أمية وآل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والصراعات بين القبائل العربية كالقيسية والكلبية ساهمت في هجرة عدد من أولئك، وعدد من أولئك إلى أفريقيا الشرقية، والتي ساهمت في توطد الإسلام في تلك المناطق، وكل ذلك كان عبر البحر الأحمر، ويشير إلى هذه الهجرة "توماس آرنولد" في كتابه "الدعوة إلى الإسلام" قائلاً: أن من الكتب العربية التي تعرضت لانتشار الإسلام في شرق أفريقيا كتابٌ وجدته البرتغاليون في مدينة "كلو" حيث اجتاحتها دون فرنسيسكو دليدا سنة ١٥٠٥م مبنياً أن هذا الكتاب أشار إلى هجرة عدد من أتباع زيد بن علي زين العابدين بن الحسين رحمه الله خشية ملاحقة الأمويين لهم إلى شرق إفريقيا، كما هاجرت جماعات عربية أخرى إلى هذه المنطقة، فساهمت هذه التجمعات العربية في نشر الإسلام في إرتيريا والصومال والحبشة والسودان. كما ساهمت التجارة والتجار العرب بدور رائد في نشر الإسلام عبر البحر الأحمر في أفريقيا بعامة وشرقها بخاصة، ولابناء جنوب الجزيرة العربية الدور الرائد في ذلك، ومن ذلك ما ذكره المستشرق جيوم من دور الحضارم في نشر الإسلام عبر البحر الأحمر إلى شرق إفريقيا، مشيراً إلى أنه مازالت لهم أماكن معلومة في الصومال وأرتيريا في القرن التاسع الهجري (أوائل الخامس عشر الميلادي). ومن أكبر الشواهد على آثار الدعوات والهجرات والرحلات التجارية إلى شرق إفريقيا قيام دول الطراز الإسلامي



التي كانت تشكل على شاطئ البحر الأحمر طرازاً إسلامياً تمثل  
جوهرة عقده مدينة زيلع<sup>(١)</sup> التي كانت تعج بالمساجد  
والجوامع<sup>(٢)</sup>.

مما سبق يتضح لنا أن المسلمين في عهد النبوة لم يتهيؤوا  
ركوب البحر كما سبق ذكر الآيات المتعددة والأحاديث عن  
المصطفى عليه الصلاة والسلام عن البحر، وفضل الجهاد فيه  
في الفصل الأول، وورد في معاهدة المصطفى صلى الله عليه  
وآله وسلم مع صاحب "أيلة العقبة" تأمين المسلمين لأهل أيلة  
وسفنهم وسياراتهم في البحر والبر، بل ومن كان معهم من أهل  
الشام وأهل اليمن، وأهل البحر (ويقصد أهل الحبشة) وانتهت  
المعاهدة إلى أنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ولا طريقاً  
يريدونه من بر أو بحر. فهذا الصلح يشير إلى أن سكان أيلة  
"العقبة" وأهل اليمن وأهل الحبشة يرتادون الموانئ الوسطى  
للحجاز وباقي موانئ البحر الأحمر<sup>(٣)</sup>. وفي عهد الخلفاء  
الراشدين رضي الله عنهم وأرضاهم انطلقت الفتوحات الإسلامية  
شمالاً وشرقاً وغرباً، وتساقطت أمام جيوش المسلمين جيوش  
الفرس والروم. وكانت غالب فتوحات المسلمين برية لا بحرية،  
ومع توسع الفتوحات في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه  
اجتهد بعض القادة في ركوب البحر لمطاردة وتتبع أعداء  
الإسلام، مع نهي الخليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي

(١) زيلع: أو زالع تقع على ساحل البحر الأحمر من بلاد الحبشة،  
ويصفها الإدريسي بأنها مدينة صغيرة، لكنها كثيرة الناس والمسافرين  
إليها كثير، وأكثر مراكب القلزم تصل إليها بأنواع التجارات، ويخرج  
منها الرقيق والفضة. انظر نزهة المشتاق، ج ١، ص ٤٤.

(٢) عبدالقادر: عبدالشافى غنيم: البحر الأحمر طريقاً للدعوة الإسلامية،  
بحث ضمن (البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة)،  
جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٨٠م، ص ٧٩-٩٢.

(٣) تاريخ البحرية المصرية: نخبة من المتخصصين بجامعة الاسكندرية،  
مصر، ١٩٧٣م، ص ٢٧٣-٢٧٥.

الله عنه لذلك القائد، وهو العلاء بن الحضرمي أمير البحرين الذي ركب البحر، مما عرضه لعقاب أمير المؤمنين بعزله عن الإمارة وأمره باتباع سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه<sup>(١)</sup>. وكان عمر رضي الله عنه يخشى على المسلمين ركوب البحر خشية هلاكهم فيه، وليس لهم في ركوبه خبرة ودراية كأسطول ومحاربين، ومن هذه الحادثة وحادثة عرفة بن هرة الذي سجد بجيلة الذي غزا عُمان فبلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه غزوه في البحر فأنكر عليه وعنفه. ويرى ابن خلدون أن سبب إحجام المسلمين عن القتال في البحر لبداءوتهم، وإنهم لم يكونوا أول الأمر مهرة في ثقافته وركوبه، والروم والإفرنجية في رأيه لممارستهم أحواله وما مر بهم في القلب على أعواده مرنوا عليه وأحكموا الدراية بثقافته، لذا لما استقر للعرب الملك وقوي سلطانهم، وصارت أمم العجم تحت أيديهم، وأصحاب الصناعات مستخدمين لهم، واستعانوا برجال البحر في حاجاتهم البحرية، وتكررت ممارستهم للبحر، شرعوا للجهاد فيه وأنشئوا السفن والشواطئ وشحنوا الأساطيل بالرجال والسلاح والعساكر والمقاتلة لمن وراء البحر من أمم الكفر<sup>(٢)</sup>. ومما دفع بالخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالنهي عن ركوب البحر وصف عمرو بن العاص رضي الله عنه لحال الراكبين في البحر الذي كان فيه تخويفاً منها قوله: (وهم فيه كدود على عود، إن مال غرق، وإن نجا برق) فنهى عمر بن الخطاب عن ركوب البحر المتوسط، ورغم الحاح معاوية رضي الله عنه بغزو قبرص، لم يتم له ذلك إلا في زمن الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه. ولكن لا يدل ذلك إلا حرص عمر رضي الله عنه على سلامة المسلمين، لأنه لم يكن لديهم في زمانه الأسطول البحري المؤهل، والمعد إعداداً جيداً لخوض قتال البحر<sup>(٣)</sup>.

(١) الطبري: الأمم والملوك: ج ٢، ص ٤٩٨، وانظر ابن الأثير، ج ٢، ص ٣٧٦-٣٧٧.

(٢) تاريخ ابن خلدون: ج ١، ص ٢١١.

(٣) تاريخ ابن خلدون: ج ١، ص ٢١١.

لكن هذا القول على أهميته لا يعني إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه منع المسلمين نهائياً من ركوب البحر والجهاد فيه، وهناك من الدلائل ما يشير إلى أن عمر بعث بحملة بحرية في البحر الأحمر إلى ميناء باضع "مصوع" على الساحل الإفريقي بقيادة أبي محجن الثقفي في السنة السادسة عشرة للهجرة، للتصدي لهجمات القراصنة الاحباش على سواحل تهامة الحجاز<sup>(١)</sup>.

---

(١) الطبري: الأمم والملوك: ج ٢، ص ٤٧٥.

والدلالة الأخرى على اهتمام عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأمر البحر، هو تكليفه لعسرو بن العاص رضي الله عنه أمير مصر بحفر قناة بين النيل والبحر الأحمر<sup>(١)</sup> تمكن من نقل المؤن والطعام إلى الحجاز، خاصة بعد أن أصاب أهل الحجاز مجاعة وقحطاً شديداً في عام الرمادة المشهور.

(١) وهذا الخليج كان قد حفر في عهد الرومان قبل الاسلام، واشتهر باسم "قناة تراجان"، بل يرى بعض الباحثين إلى أنها حفرت في عهود مختلفة وطُهرت، وقد حُفرت من أيام الفراعنة. وحفرت هذه القناة في العام (٢٣هـ) وكانت تمتد من بلبيس فبحيرة التمساح فمدينة القلزم (السويس)، واستغرقت مدة الحفر ستة شهور، ونقل عبر هذا الخليج المؤن والطعام إلى الحجاز، وبلغت حمولة المركب الواحد ثلاثة آلاف أردب. وبقي هذا الخليج معبراً للتجار وغيرهم، فكانت السفن تسير فيه إلى البحر الأحمر تريد الحجاز أو إلى اليمن أو الهند، إلى أن أهمل أمره الولاية بعد عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز الأموي رحمه الله، فتكاثرت فيه الرمال والسواقي، وصار ممشاه إلى ذنب بحيرة التمساح من ناحية الطور والقلزم، حتى ردم سنة ١٤٥هـ في خلافة أبي جعفر المنصور العباسي لقطع الامدادات التي كانت تصل لمحمد ذي النفس الزكية أثناء ثورته على المنصور في المدينة من مصر).

وانظر الحموي: محمد ياسين: تاريخ الأسطول العربي، مطبعة الترقى بدمشق، ص ١١-١٣. وانظر: القوصي: تجارة مصر في البحر الأحمر، ص ٢٧-٣١، وانظر سيد إسماعيل كاشف: البحر الأحمر والفتح العربي لمصر، (البحر الأحمر في التاريخ والسياسة..)، جامعة عين شمس، ص ٩٨-١٠١. وانظر: حوراني: العرب والملاحاة في المحيط الهندي: ص ١٧٥-١٨١.

ويورد المسعودي أخباراً تشير إلى أنه جرت محاولات في عهد عمر بن الخطاب ثم في عهد هارون الرشيد لحفر قناة موصلة بين البحرين الأحمر والمتوسط، كما هي الحال الآن في "قناة السويس" إلا أن السبب الذي أدى إلى امتناع الخليفتين هو الخشية على أرض الحرمين من غزو البيزنطيين للحجاز وتعيدهم على الأراضي المقدسة<sup>(١)</sup>. وقد مر بنا في الفصل السابق غزو الصليبيين في عهد صلاح الدين الأيوبي رحمه الله، وكيف كادوا أن يصلوا إلى المدينة المنورة، لولا فضل الله ثم تدارك جيوش الأيوبيين لأرض الحرمين وصد الغزاة المعتدين وعقابهم عقاباً شديداً على جرأتهم وتعيدهم على المقدسات.

وبالطبع بعد الفتح الإسلامي المجيد لمصر وانطلاق الفتوحات في القارة الإفريقية أصبح البحر الأحمر بحيرة إسلامية شرقاً وغرباً، وأصبح دوره يقتصر على الدور التجاري ونقل الحجاج والمسافرين، أو الهجرات العربية عبر موانئه إثر الصراعات والنزاعات الداخلية بين المسلمين بعد عهد الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم.

وقد قاوم الأمويون بعض هجمات القراصنة ليصبح طريق البحر الأحمر آمناً تجارياً وبحيرة إسلامية، واستمر هذا الدور حتى قامت دولة بني العباس فتحول الثقل التجاري إلى منطقة الخليج وبلاد الرافدين، وتراجع دور الحجاز ومصر، ولم يعدلها إلا الجزء اليسير من التجارة الشرقية حتى قيام الدولة العبيدية "الفاطمية" في مصر والتي أعادت إلى البحر الأحمر نشاطه التجاري<sup>(٢)</sup>.

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٢، ص ٢٦٦-٢٦٧.

(٢) حسن: يوسف فضل: الصراع حول البحر الأحمر منذ أقدم العصور حتى القرن الثامن عشر: مجلة الدارة، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، العدد الثالث: السنة الثامنة، ربيع ثاني وجمادي الأولى والآخرة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص ١١٠-١١١.

## (٥) - التجارة الشرقية عبر البحر الأحمر:

ومن أشهر الطرق البحرية المرتبطة بالحجاز طريق بحري يمتد من الشرق الأقصى إلى البحر الأحمر، وله فرعان يأخذ أحدهما جهة الشمال ويعبر سيناء إلى دمشق حتى يصل موانئ البحر المتوسط، وفرعه الآخر يتجه عبر صحراء سيناء إلى النيل بالقاهرة ومنها إلى الإسكندرية ومنها إلى أوروبا<sup>(١)</sup>.

وطريق آخر ينطلق من الصين بحراً إلى الهند متحداً مع طريق الخليج العربي، والطريق السابق الممتد من الشرق الأقصى إلى البحر الأحمر، ويقع على هذا الطريق عدة موانئ صينية وهندية من أشهرها خانفو (كانتون)، وزيتون، وكينساي بالصين، وهندية مثل الملابار، ومدن جوجيرات، وكمباي، وديد، وكاليقوت، وجوا، وكولون وشول، وكانا نور، وسورات حتى جزيرة سيلان.

---

وانظر: القوصي: تجارة مصر في البحر الأحمر، ص ٣٠-٣١. وانظر، سيدة كاشف البحر الأحمر والفتح العربي بمصر، ص ١٠١-١٠٢.  
(١) نعيم زكي فهمي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م، ص ١٢٤.

ووصلت السفن الصينية عبره إلى جدة في البحر الأحمر مما أدى إلى نشاط التبادل التجاري بين العرب والصين والهند حتى أوائل القرن العاشر الهجري، وازدادت رحلات العرب التجارية إلى الصين<sup>(١)</sup>. وعرف هذا الطريق باسم (طريق الحرير البحري)<sup>(٢)</sup>. ويصف ذلك الطريق جيانغ زيمين رئيس جمهورية الصين الشعبية الحالي في محاضرة له في مدينة الرياض عن مدى العلاقة بين العرب والصين قائلاً: (هنا قول مشهور للنبي محمد "صلى الله عليه وآله وسلم" "اطلب العلم ولو في الصين"<sup>(٣)</sup>، إن الشعبين الصيني والعربي ظلا يتبادلان التعليم منذ القدم وترجع علاقات الصداقة بينهما إلى عصور قديمة حيث يربطنا طريق الحرير القديم كرابطة الصداقة كما وصلت السفن التجارية الصينية إلى ميناء جدة في وقت يرجع إلى ما قبل أكثر من ألف سنة وقاد تشنغ خه في عصر أسرة مينغ الملكية في الصين أسطولاً بحرياً إلى ما يسمى بالمحيط الغربي آنذاك سبع مرات وزار في طريقه ميناء جدة ومدينة مكة ...) <sup>(٤)</sup>. ومنذ النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي "القرن السابع الهجري" بعد الغزو المغولي لبلاد المسلمين تعطل الطريق التجاري البري عبر أواسط آسيا،

(١) نعيم زكي فهمي، ص ١٦١-١٦٢، وانظر العبيدي: عبدالعزيز بن راشد، التجارة والملاحة في البحر الأحمر في عصر المماليك، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠ م، الرياض، ص ١٢٦.

(٢) علي لي تشين تشونغ: آثار العرب ومآثرهم في الصين عبر التاريخ، المجلة العربية للثقافة، السنة التاسعة عشرة - العدد الثامن والثلاثون، ذو الحجة، ١٤٢٠هـ - مارس (آذار) ٢٠٠٠م، ص ١٥٢.

(٣) يشار إلى هذا القول بأنه حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو حديث موضوع، والأسلم أن يُشار إليه بقول مأثور.

(٤) جريدة الرياض، العدد ١١٤٥٤٤، الأربعاء ٢٥ رجب ١٤٢٠هـ - ٣ نوفمبر ١٩٩٩م (كانت كلمة الرئيس الصيني من محاضرة ألقاها في مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض أثناء زيارته للمملكة العربية السعودية في أواخر شهر رجب من عام ١٤٢٠هـ).



وأصبح طريق البحر الأحمر أكثر أهمية وإقبالاً وتدفقاً تجارياً<sup>(١)</sup>. وتزايد عدد التجار العرب إقبالاً على التجارة الشرق آسيوية، واتخذوا من خانفو قاعدة لتبادلهم التجاري وحركتهم التجارية، منطلقين من مراكزهم الأساسية على الخليج العربي، ومن ثم انتقل النشاط إلى البحر الأحمر مباشرة حيث أصبحت موانئ البحر الأحمر تتصل مباشرة بموانئ الصين، فكانت تنطلق المراكب العربية تحمل المنسوجات الحريرية والكافور والمسك والتوابل<sup>(٢)</sup>. واستوطن كاتنون جالية كبيرة من المسلمين من عرب وفرنس<sup>(٣)</sup>. وبعد قضاء الصيف في كاتنون تؤوب السفن راجعة مع الرياح الموسمية الشمالية الشرقية إلى مضيق ملقا وتعبّر خليج البنغال ومن كولم إلى عُمان<sup>(٤)</sup>.

(١) فهمي: طرق التجارة الدولية، ص ١٢٥.

(٢) المصدر السابق، ص ١٦٢.

(٣) عبدالعليم: أنور، الملاحه وعلوم البحر عند العرب، ص ٧٢.

(٤) المصدر السابق، ص ٧٣.

(ولعل من أهم الصادرات والواردات عبر هذا الطريق المتبادلة بين العرب وأهل الصين "اللؤلؤ القطري الجيد الذي يقع ناحية الشحر والعقيق اليمني، والجزع التيشب اليمني، وحجارة المسن وتقع بالحجاز ناحية خيبر، واللبن من بلاد الشحر وحضرموت، واللك، والكندر، والصمغ العربي من شجر الطلح، والمقل باليمن، والسنان (التمر الهندي)، والصبر من جزيرة سوقطرة اليمنية، والقسطل، والورس، وشجر اللبان من الحجاز، وسكر العشر من اليمامة، والسنا الحرمي من مكة، والحراب من صنعاء، والأردية والعمائم العدنية، والأدم الطائفي، والخيل العراب، والحرر الهماليج من مصر، والثياب الرقاق، والزبرجد. تلك أهم صادرات العرب إلى الصين، ومن واردات الصين إلى بلاد العرب، الحرير الصيني، وثياب الكيمخا، والأطلس، والغضار (الخزف)، والفرند، والمسك من "التبت" والسروج، والسمور، → والعود، والدارصيني (القرفة) والخولنجان، والذهب، والأبنوس، والكافور، والجوزبوا، والقافلة (الهيل)، والنارجيل، والياقوت بألوانه، والألماس، والرصاص القلعي، واللبود، والكاغد، والمداد،

وبقيت سفن التجارة الشرقية من الصين والهند وبلاد العرب تقطع هذا الطريق قروناً طويلة حتى نهاية القرن الخامس عشر الميلادي (أوائل القرن العاشر الهجري)، وبعد سيطرة البرتغال على السواحل العربية الإفريقية والآسيوية تمكنوا من القضاء على الملاحة والتجارة العربية، وفقدت السفن العربية، وبخاصة بعد عام ١٥١٧م (٩٢٣هـ) (١).

وامتداداً لهذا الطريق البحري عبر البحر الأحمر كانت هناك عدة طرق من الناحية الإفريقية، فقد كان طريق عيذاب على ساحل البحر الأحمر الأفريقي يصل إلى قوص ومنها إلى فندق الكارم بالفسطاط في بحر النيل، وكذلك طريق القصير في جهة الشمال من عيذاب، وكانت تصل إليه بعض المراكب لقربه من قوص ومنها تنقل البضائع إلى قوص ثم فندق الكارم بالفسطاط ثم في بحر النيل إلى موانئ البحر المتوسط (الاسكندرية ورشيد ودمياط)، وطريق ثالث يعرف بطريق الطور وهو ساحل جانب الرأس الداخل في بحر القلزم بين عقبة أيلة، وبين برّ الأراضي المصرية، ومال إليه أصحاب السفن لقربه من بر الحجاز، وكثرة المراسي فيه.

والطواويس، ومهندسوا الماء، وعلماء الحراثة، والاكارة، وبنانة الرخام).

انظر: محمد حور: العرب والصين تاريخ فن وروابط، المجلة العربية للثقافة، المصدر السابق، ص ٩٧-١٠٠.

(١) فهمي: طرق التجارة الدولية، ص ١٧٧.

وطريق رابع هو طريق السويس بالقرب من بلدة القلزم الخربة، وهو بالتالي أقرب السواحل إلى القاهرة والفسطاط<sup>(١)</sup>.

وأصبحت بذلك منطقة الحجاز بموانئها ومدنها المقدسة مُستقطب التجارة الشرقية، وأصبحت مكة والمدينة أسواقاً تجارية، وكذلك أصبح موسم الحج موسماً تجارياً كبيراً للمسلمين، واهتم الخلفاء الراشدون بموانئ البحر الأحمر الحجازية كالجار وجدة في عهدي عمر وعثمان رضي الله عنهما كما سبق توضيحه وبيانه. ومن الثغور الحجازية اتخذت السفن طريقها إلى مصر واليمن، كما استقبلت هذه الثغور سفناً تجارية من الحبشة والهند والصين إضافة إلى مصر<sup>(٢)</sup>، على مدى الفترات التاريخية الإسلامية. فانتظافاً من العقبة (أيلة) التي آمن المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم تجارتها في البحر الأحمر، فالصادق المصدوق عرف قيمة هذا الثغر الاستراتيجي والاقتصادي باعتباره حلقة وصل ورابط بين الشام والديار المصرية من جهة والحجاز من الجهة الأخرى وأحد الثغور الهامة في مجال تجارة البحر الأحمر والملاحة فيه. وبقيت أيلة ممراً ملاحياً يرتبط بالقلزم وعن طريقه تأتي السلع المصرية في العهدين الأموي والعباسي، حتى زاد ثراء أهلها، مما دفع بخلفاء بني أمية لزيادة الجزية على أهل الذمة فيها، حتى عهد عمر بن عبدالعزيز الذي أبطل الزيادة وأبقاها كما كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتواصل دور العقبة (أيلة) التجاري في العهد العباسي والفاطمي "العبيدي" وازدهرت كثيراً في العهد الفاطمي "العبيدي" فقد كانت تجلب لها السلع الشامية لتصديرها إلى مصر وإلى داخل الحجاز والجنوب العربي وأفريقيا والهند والصين، فبنى فيها الفاطميون ديواناً للمكوس، بهدف أخذ المكوس على السلع

(١) اليوزبكي: توفيق، تاريخ تجارة مصر البحرية في العصر المملوكي، مؤسسة دار الكتب، جامعة الموصل، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، ص ٧٨.

(٢) السليمان: النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية، ص ٩٨.

الصادرة والواردة إلى ميناء العقبة. وفي سنة ٥١٠هـ ( ١١١٦م) احتل الصليبيون أيلة لضعف الحامية الفاطمية فيها، وبذلك أصبح الصليبيون على ساحل البحر الأحمر وسيطروا على ثغر تجاري هام تفد إليه التجارات المختلفة، وأصبح الاحتلال الصليبي مصدر خطر وتهديد لتجارة البحر الأحمر وموانئ الحجاز، حتى حررتها الجيوش الأيوبية عام ٥٦٦هـ، ولكن الأطماع الصليبية ما انقطعت في السيطرة على تجارة البحر الأحمر إضافة إلى أهدافهم الأخرى، فكانت محاولة أرناط الصليبي لغزو الحجاز والسيطرة على البحر الأحمر فمن بين أهدافه السيطرة على تجارة البحر الأحمر باحتلال اليمن، وخضوع البحر الأحمر لنفوذه، وتحويل تجارته إلى العقبة وبالتالي إلى ممالك الصليبيين في الشام، فقد كان من بين أهدافه إنهاء صلاح الدين الأيوبي اقتصادياً مما يعني إنهائه عسكرياً، لكن الله قيض للجيوش الأيوبية القضاء على أرناط ورجاله بأشد عقاب. وفي العهد المملوكي ازدهرت أيلة "العقبة" تجارياً، وكان ثغر أيلة ولاية تتبع نيابة السلطنة في القاهرة، واهتم المماليك بميناء العقبة وبنوا فيه رصيفاً لرسو السفن التجارية، كذلك ربطت العقبة بخط ملاحي بباقي موانئ الحجاز لنقل الحجاج الشاميين بحراً، وأقام المماليك ديواناً للمكوس، وازدهرت المدينة في عهدهم، وكذلك الحال في دولة المماليك الجراكسة، فقد جدد قانسوه الغوري رصيف العقبة البحري وحصنها، فأعاد ترميم وتجديد قلعتها خاصة بعد ظهور البرتغاليين<sup>(١)</sup>.

(١) غوانمة: أيلة (العقبة) والبحر الأحمر، مصدر سبق ذكره، ص ٣٢-٥٥

وأما الجار فهو فرضة المدينة، وتأتيه السفن من أرض الحبشة ومصر ومن البحرين والصين، ووصفت بالعمران وكثرة التجارة والأموال في القرن الرابع الهجري، ويصفها ابن المجاور في القرن السابع الهجري بأن المراكب الواردة من الديار المصرية ترسو فيها<sup>(١)</sup>، مما يبين استمرار دور هذا الميناء رغم بروز دور ميناء ينبع في القرن السابع الهجري، وكان قد ازدهر الجار في القرون الأولى من العهد الراشدي إلى العهد العباسي وتواصل دوره إلى حد ما في العهد الفاطمي، أما في العهد الأيوبي فقد برز دور ميناء ينبع منذ عام ٦٢١هـ باتخاذ الأيوبيين له ميناءً رئيسياً للمدينة، فاشتروه من الأشراف الحسنيين أهل ينبع النخل بأربعة آلاف مثقال وأقاموا فيه بعض الإنشاءات<sup>(٢)</sup>. وساهم هذا الميناء في تجارة البحر الأحمر، حيث ترد إليه السفن بالغلل كل سنة، وتقدر قيمة تجارته كل عام بحوالي ٣٠,٠٠٠ دينار<sup>(٣)</sup>. وبلغت ينبع أوج ازدهارها زمن سلاطين المماليك الجراكسة نتيجة الاصطلاحات الكثيرة التي أدخلت على طريق الحج، مما أدى إلى تدفق الحجاج، فكانت ينبع محطة برية وبحرية في آن واحد لحجاج مصر والشام، وقامت بدور تجاري هام زمن المماليك، وأصبحت ينبع الميناء الثاني في الحجاز بعد جدة إلا أن الصراعات السياسية بين المماليك والأشراف في ينبع ساهمت في الحد من دور ينبع خاصة السنوات الأخيرة من حكم المماليك في القرن العاشر الهجري<sup>(٤)</sup>.

(١) تأريخ المستبصر، سبق ذكره، ص ٥٠.

(٢) حمد الجاسر: بلاد ينبع، ص ٤٩.

(٣) فهمي: نعيم زكي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، ص ١٤٠.

(٤) السليمان: علي حسين: العلاقات الحجازية المصرية، ص ١٩٠ - ١٩١.

أما جدة فهي الميناء الرئيسي في الحجاز، وميناء مكة المباشر منذ اتخذته الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه ميناءاً لمكة حتى الوقت الحاضر وأصبحت جدة من أكبر موانئ الشرق<sup>(١)</sup>. فهو المنفذ التجاري الذي يزود مكة بما تحتاجه بل معظم مناطق الجزيرة العربية من مواد غذائية وموارد اقتصادية يضاف إلى دوره الرئيسي كميناء لحجاج بيت الله الحرام القاصدين مكة المكرمة<sup>(٢)</sup>. وتواصل دور ميناء جدة في نمو مطرد في العصور الإسلامية المختلفة، وعاشت جدة في العصر الفاطمي والأيوبي فترة مزدهرة رغم أحداث الغزو الصليبي لبلاد المسلمين حتى أصبحت في العهد الأيوبي مركزاً هاماً من مراكز تجارة الشرق، فكان ميناء جدة يستقبل الحجاج القادمين بطريق البحر فتزدهر أسواق جدة في موسم الحج كما أن التجار القادمين من بلاد الاندلس والمغرب إذا لم يتوفر لهم نجاح في مصر والشام توجهوا بتجارتهم إلى جدة ووجدوا فيها السوق الرائجة لتجارتهم<sup>(٣)</sup>. وتواصل نمو جدة وكثرت تجارتها في العصر المملوكي، مما جعل سلاطين المماليك وأمراء مكة من الأشراف يدخلون في عدة صراعات بسبب عشور ومكوس هذا الميناء، وتغيرت لغة المؤرخين عن جدة في القرن التاسع، وأصبحوا يصفونها بأنها من أعظم المدن وربما يردها في كل سنة ما يزيد على ١٠٠ مركب، فأصبحت مركزاً تجارياً هاماً، وخاصة بعد تحول البواخر من ميناء عدن إلى جدة. ولم يفتن المماليك لثراء هذا الميناء حتى الربع الأول من القرن التاسع، فقرروا مشاركة أمير مكة في العشور التي كان يدفعها التجار بجدة فاتخذ السلطان المملوكي برسباي قرارات منها مشاركة أمير مكة في المتحصل من أموال العشور، كما نظم السلطان طريقة أخذ عشور التجارة بجدة فعين إضافة إلى نائب الشريف

(١) السليمان: العلاقات الحجازية المصرية، ص ١٩٣.

(٢) الرويحي: التطور المكاني والتاريخي لموانئ شبة الجزيرة العربية، ص ١١٢.

(٣) حسنين محمد ربيع: البحر الأحمر في العصر الأيوبي، ص ١٢٠.



بجدة موظفاً لتحصيل العشور يسمى (شاد جدة)، وكذلك يشاركه في جمع العشور والمرتبات القباني والصيرفي والشهود المتواجدون في جدة إبان وصول السفن الهندية والصينية، فاتبع سلاطين المماليك منذ ذلك الحين سياسة احتكارية تقوم على اجبار التجار على بيع بعض سلعهم بأسعار منخفضة على وكلاء السلطان ثم يقومون ببيعها بأسعار أعلى كثيراً، وبقي الحال على هذا الأمر حتى نهاية الدولة المملوكية. لكن ظهور البرتغاليين في المحيط الهندي وجنوب البحر الأحمر ترك أثراً واضحاً على تجارة جدة حيث حولت التجارة إلى طريق رأس الرجاء الصالح<sup>(١)</sup>.

أما عن الشعبية فكما سبق الحديث عنها في الفصل السابق انحصر دورها فيما قبل الإسلام وبعد البعثة النبوية الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

وأما السرين فلم يظهر لها نشاط تجاري بارز في القرون الإسلامية المبكرة، حيث يصفها ابن حوقل في القرن الثالث بقوله: (وصاحب السرين فالواصل إليه كفاء مايقوم به وبأهله، وليست بحال تُذكر، وله على المراكب الصاعدة والنازلة من اليمن رسم يأخذه من الرقيق والمتاع الوارد من التجار)<sup>(٢)</sup>. إلا أن موقعها على الطريق البري والبحري بين اليمن والحجاز ساهم في انتعاشها، وجعلها تسهم في حركة التجارة في البحر الأحمر من وإلى الحجاز وما جاورها، فساهمت في توريد وتسويق منتجات السروات وسهول تهامة من أنواع الحبوب والتمور والعسل والسمن والزيوت والجلود وغيرها، وكذا ما يأتي من موانئ الحبشة من الرقيق والمتاع. وكان نموها التجاري متدرجاً من محطة من محطات طريق الحج إلى مكة إلى أن بلغت قمة ازدهارها التجاري في القرنين الخامس

(١) السليمان: العلاقات الحجازية المصرية، ص ١٩٣-٢٠٢.

(٢) صورة الأرض، ج ١، ص ٢٥.



والسادس الهجريين.<sup>(١)</sup> ويصفها الادريسي بأنها (حصن حصين حسن موضعه كثيرة مياهه ولوائيه وجابيه شيء معلوم ورسم ملزوم على المراكب الصاعدة والنازلة من اليمن بالتجارات والمتاع والرقيق، وجباياته المحصلة يصل نصفها إلى صاحب تهامة ونصفها الثاني إلى الهاشمي بمكة)<sup>(٢)</sup> ويصفها الحميري بأنها (مدينة عظيمة في طريق مكة من اليمن بمقربة من يلملم وفيها أسواق ومسجد جامع، وسورها في البحر ..)<sup>(٣)</sup>. والمورد الرئيسي لأهل السرين التجارة كاستيراد الميرة والمتاع والرقيق وتصديره، وقد اشتهرت السرين بوجود مغاصات اللؤلؤ حتى عد من أشهر الأماكن في البحر الأحمر، لذا يرجح وجود حركة تجارية لاستخراج وتصدير اللؤلؤ السريني الذي احتل مكانة كبيرة بكبر حجمه مثل اللؤلؤ العماني<sup>(٤)</sup>.

وأصبح البحر الأحمر أو "بحر الحجاز" كما كان يطلق عليه مؤرخوا العصور الوسطى<sup>(٥)</sup>. بحيرة إسلامية خالصة، وقد منع الحكام المسلمون دخول غير المسلمين إلى هذا البحر<sup>(٦)</sup>. واهتمت الدول الإسلامية المتعاقبة على الحجاز ومصر بتجارة البحر الأحمر الذي عاد عليها بازدهار اقتصادي كبير، وكما سبق الحديث عن عهد الراشدين واهتمام عمر بن الخطاب رضي الله عنه بميناء الجار وجلب المؤن من مصر إلى الحجاز، كذلك الحال بالنسبة للأمويين، فقد ازدهرت تجارة

(١) الزيلعي: أحمد، ميناء السرين، سبق ذكره، ص ١٨٨-١٨٩، وانظر الفقيه: مدينة السرين، ص ٤٩-٥٠.

(٢) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج ١، ص ١٣٨.

(٣) الروض المعطار في خبر الاقطار: ص ٣١٢.

(٤) الفقيه: مدينة السرين، ص ٨٠.

(٥) أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين، مصدر سبق ذكره، ج ٣، ص ١٣٤-١٤٠. وانظر حسنين ربيع: البحر الأحمر في العصر الأيوبي، ص ١٠٥.

(٦) حسنين ربيع: البحر الأحمر في العصر الأيوبي، ص ١٠٥.

البحر الأحمر في عهدهم، وخاصة التجارة الشرقية، فعملوا على إنشاء المحطات التجارية على الساحل الشرقي لإفريقية لتأمين مسار هذه التجارة<sup>(١)</sup>. إلا أن تجارة البحر الأحمر أظهرت تراجعاً واضحاً خلال العصر العباسي الأول ومال العباسيون لاتخاذ الخليج العربي طريقاً تجارياً لهم لجلب تجارة الشرق إلى عاصمتهم، كما أن ثورة محمد ذو النفس الزكية في الحجاز قد أدت إلى إجراءات المنصور القاضية بردم خليج أمير المؤمنين بين النيل والبحر الأحمر، وإغلاق ميناء الجار . وأنحصر الإبحار في البحر الأحمر على عدد محدود من السفن الصغيرة تقوم بنقل البضائع الشرقية من عدن إلى مصر<sup>(٢)</sup>.

إلا أن البحر الأحمر استمر طريقاً للتجارة الشرقية خاصة في العصر العباسي الثاني، وظهر ما عُرف بالتجار اليهود "الرازانية" أو "الراذانية" أو "الرادانية" ويرجح (لومبارد) أن كلمة الرادانية قد اشتقت من نهر رادانو أي نهر الرون<sup>(٣)</sup>.

---

(١) القوصي: تجارة مصر في البحر الأحمر، ص ٢٥، وانظر السيد عبدالعزيز السالم، البحر الأحمر في التاريخ الاسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٣م، ص ١٣.

(٢) القوصي: المصدر السابق، ص ٤٦-٤٧، وانظر السالم، المصدر السابق، ص ١٣-١٤.

(٣) موريس: الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، ترجمة عبدالرحمن حميدة، دار الفكر، دمشق، ص ٢٧٦.

والذين تحدث عن خط سيرهم التجاري الجغرافي ابن خرداذبة المتوفى في حدود سنة "٣٠٠هـ" قائلاً "الذين يتكلمون بالعربية والفارسية والرومية والإفرنجية والأندلسية والصقلبية، وأنهم يسافرون من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق براً وبحراً يجلبون من المغرب الخدم والجواري والغلمان، والديباج، وجلود الخز، والفراء، والسمور، والسيوف، ويركبون من فنحه في البحر الغربي فيخرجون بالفرما ويحملون تجارتهم على الظهر إلى القلزم وبينهما خمسة وعشرون فرسخاً، ثم يركبون البحر الشرقي من القلزم إلى الجار وجدة، ثم يمضون إلى السند والهند والصين، فيحملون من الصين المسك والعود والكافور والدارصيني وغير ذلك..."<sup>(١)</sup>.

وقد استقر بعض تجار أهل الذمة في الحجاز وأصبحوا حلقة وصل ووسطاء للتجار المتجولين واشتغلوا بالصيرفة، وكرهه الإمام مالك رحمه الله التعامل التجاري لأهل الحجاز مع هؤلاء التجار خشية تحكمهم بالأسواق ولتعاملهم بالربا واستحللهم له<sup>(٢)</sup>.

(١) المسالك والممالك، ص ١٥٣، وانظر جورج حوراني: العرب والملاح في المحيط الهندي، ص ٢٢٧، القوصي، ص ٣٢-٣٣.

(٢) المدونة الكبرى، دار صادر، بيروت، ج ٤، ص ٢٧٠-٢٧١. وانظر آل سويلم: ابتسام بنت عبدالمحسن، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الحجاز من قيام الدولة العباسية حتى منتصف القرن الرابع الهجري، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، كلية الآداب، قسم التاريخ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ص ٢٤-٢٥. وقد سبقت الإشارة في الفصل الأول إلى موقف الإمام الشافعي المشابه لموقف الإمام مالك رحمهما الله.

وكانت ثورة الزنج في جنوب العراق، وثورة القرامطة في البحرين من العوامل التي عطلت التجارة عبر الخليج العربي في العصر العباسي الثاني وساهمت في عودة النشاط التجاري المزدهر عبر البحر الأحمر<sup>(١)</sup>.

وظهر دور حكومات مصر جلياً في الإشراف على تجارة البحر الأحمر منذ سيطرة الطولونيين على مقاليد الأمور في مصر من عام (٢٥٤هـ)، حتى انهيار دولة المماليك وسيطرة البرتغاليين على تجارة المحيط الهندي في القرن العاشر الهجري.

فاهتم احمد بن طولون بالنشاط الاقتصادي في مصر، وأعد أسطولاً كبيراً لحماية السفن التجارية من قراصنة البحر، فعادت هذه السياسة عليهم بمكاسب كبيرة، وفرضوا الضرائب على التجارة الداخلية والخارجية، وازدهرت الأوضاع في مصر اقتصادياً بسبب التجارة الشرقية عبر البحر الأحمر، وتمثل ذلك في العملة القوية للطولونيين، وما ظهر في جهاز زفاف ابنة خمارويه من الثراء الكبير والنفقة الباهظة<sup>(٢)</sup>. واستمرت تجارة البحر الأحمر تساهم في ازدهار الأوضاع الاقتصادية في مصر في عصر الإخشيديين (٣٢٣ - ٣٥٨هـ)، الذين واصلوا سياسة الطولونيين وازداد توسع نشاط التجار العرب والفرس واليهود زمن الإخشيديين وامتألت أسواق القسطنطينية بالسلع الشرقية وخاصة العنبر<sup>(٣)</sup>. وحل العهد الفاطمي "العبيدي" (٣٥٨ - ٥٦٧هـ) الذي ازدهرت فيه التجارة الشرقية عبر البحر الأحمر، وتمتع اليهود بمكانة كبيرة لدى العبيديين، بل يذكر لومبارد أن القائد الفاطمي المشهور جوهر الصقلي يهودي

(١) القوصي: تجارة مصر في البحر الأحمر، ص ٥٦-٥٨، وانظر السالم، البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي، ص ١٦.

(٢) القوصي: المرجع السابق، ص ٦٩-٧١، والسالم، المرجع السابق، ص ١٧.

(٣) القوصي: المرجع السابق، ص ٧٩، والسالم، المرجع السابق، ص ١٨.

الأصل من إيطاليا الجنوبية، وكذلك يعقوب بن كلس وزير العزيز الفاطمي، والتشتري خلال الوصاية على المستنصر، والوزير بن نغيلة اليهودي في الأندلس، مشيراً إلى الطعن في نسب الفاطميين أنفسهم، حيث يذكر أنهم ينحدرون من أصل يهودي<sup>(١)</sup>.

ومما يؤكد على ازدهار التجارة الشرقية عبر البحر الأحمر ما ورد من خطابات ومراسلات في وثائق الجنيزة التي عُثِرَ عليها في سيناجوج معبد اليهود بالفسطاط بالقرب من القاهرة سنة ١٨٨٩-١٨٩٠م، ومجموعة أخرى في مقبرة البساتين بالقرب من القاهرة في سنة ١٨٩٧، ونقلت معظم هذه الوثائق إلى مكتبات أوروبا وأمريكا، واشتملت على وثائق قانونية وخطابات، ومراسلات، وقوائم حسابات، وسجلات قضائية، وعقود إيجارات، ومقايضة، ومشاركة، واستبدال، ووصايا وهبات، وعتق وفتاوي، وتعاويذ سحرية، وأجزاء من كتب عربية وعبرية، وكتب معظم هذه الوثائق بالعربية وبحروف عبرية<sup>(٢)</sup>.

مع العلم أن غالبية هذه الوثائق المتعلقة بتجارة البحر الأحمر والمحيط الهندي عبارة عن خطابات بُعثت من عدن وجدة وغيرهما من موانئ البحر الأحمر، وكذلك من موانئ الهند إلى مدينة الفسطاط بمصر، ورسائل متبادلة بين موانئ البحر الأحمر<sup>(٣)</sup>.

(١) موريس: الجغرافيا التاريخية، سبق ذكره، ص ٢٧٨.

(٢) حسنين محمد ربيع: البحر الأحمر في العصر الأيوبي، سبق ذكره، ص ١١٣، وانظر القوصي: تجارة مصر في البحر الأحمر، ص ١٤-١٥.

(٣) حسنين محمد ربيع: البحر الأحمر في العصر الأيوبي، ص ١١٤، وانظر القوصي في تجارة مصر في البحر الأحمر، ص ٨٥.

وتمثلت التجارة الشرقية التي تحدثت عنها وثائق الجنيزة فيما عُرف بتجارة الكارم أو الكارمية، وهم مجموعة من كبار التجار عملوا في تجارة الهند والشرق الأقصى في التوابل وغيرها انطلاقاً من المحيط الهندي، وقد اختلف في أصل مسمى الكارمية، ونشأتهم أيضاً، فمن الباحثين من يشير إلى أن اسم الكارم اشتق من الكاتم وهي منطقة من السودان الغربي تقع بين بحر الغزال وبحيرة تشاد، فانتشر اسم الكارم بين المتداولين لتجارة التوابل، ومنهم من يشير إلى أن مجموعة من هؤلاء التجار عرفوا باسم التكرور نسبة إلى مملكة التكرور الواقعة شرقي مالي، ومن التكرور أطلق اسم الدكرور على ميناء بولاق النيل، فعرفت ببولاق الدكرور نسبة التكرور الذين كانت تصل بضائعهم من قوص عبر النيل إلى بولاق. ومنهم من يعتقد أن كلمة الكارمية أو الكارم اخذ عن نوع من التوابل هو "الحبهان" ويلفظ في اللغة الأمهرية (كاراراما Kuararima)، ويرجح آخرون أن الكلمة ليست عربية بل هندية من جنوب الهند بلغة "التامل" فقد ظهرت كلمة "كاريام Karyam" التي تعني في مقطعين "كار بمعنى عمل أو حرفة، ويم بمعنى البحر" أي بمعنى "العمل في تجارة البحر" (١).

(١) القوصي: ص ١٠١-١٠٣، وانظر السالم: البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي، ص ٣٠-٣١.

إلا أن نشأة هذا النشاط التجاري كانت في العهد العبيدي الفاطمي<sup>(١)</sup>. ويرى القوصي<sup>(٢)</sup> أن التجار اليهود شاركوا في تجارة الكارم طوال عهد الفاطميين والأيوبيين إلا أن حسنين يعارضه بشدة وينفي اشتراك اليهود والمسيحيين في تجارة الكارم، بل يرى أنها اقتصرت على التجار المسلمين دون سواهم<sup>(٣)</sup>. ومع انطلاقة القرن السادس الهجري شاعت كلمة الكارم في بيوت المصريين بالقاهرة<sup>(٤)</sup>، وكما سبقت الإشارة فقد سيطر الكارمية على تجارة البحر الأحمر والمحيط الهندي في مجال تجارة التوابل خاصة وسلعاً أخرى جلبوها من عدن لينقلوها إلى المدن الإيطالية، فكان الفلفل والبهار من أهم سلعهم، وهما من أهم المطالب التجارية في أوروبا، وكذلك الحاصلات الزراعية والملبوسات والحرير الخام، والخشب، والرقيق، والسكر، والأسلحة، وأدوات الزينة، وبقيت التوابل تمثل الصدارة في تجارة الكارمية مثل القرفة والقرنفل والخلنجان والزنجبيل، والراوند والكافور، والعود الهندي وحب الهال "الحبهان" وجوزة الطيب والزعفران، وكذلك من العطور

(١) القوصي: تجارة مصر في البحر الأحمر، ص ٩١-٩٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٩٢، ص ٩٩، ص ١٠٠، ص ١٧٣-١٧٥.

(٣) البحر الأحمر في العصر الأيوبي، ص ١١٥.

كما أن د/ نعيم زكي فهمي: يؤيد بقوة رأي محمد ربيع حسنين مؤكداً أن طائفة الكارمية كانت هيئة متماسكة جعلت من الإسلام أساس وحدتها وعصبيتها فلم يوجد بين الكارمية أي يهودي، وإن لم يمنع قبولهم للتاجر اليهودي الذي يعتنق الإسلام ويتوارثه عنه أبناؤه كما يتوارثون التجارة، وليس أدل على ذلك من أن فنادقهم كان بها مساجد تحمل أسماءهم وينفقون عليها من جهدهم الخاص طرق التجارة الدولية، ص ٣٠٩.

وينقل د/ السيد عبدالعزيز السالم في كتابه البحر الأحمر في التاريخ الاسلامي رأي صبحي لبيب في دراسته "التجارة الكارمية" ما يؤيد الرأي السابق لفهمي وحسنين من أن الكارمية طائفة إسلامية ومن دخل معهم من اليهود اعتنق الإسلام، ص ٣٣-٣٤.

(٤) القوصي: المرجع السابق، ص ٩٧.



البخور وعود الند والمسك وخشب الصندل والغنبر واللدن والمصطكي، إضافة إلى العاج والحري والأجار الكريمة<sup>(١)</sup>.

ومن مراكز نشاط الكارمية التجارية الهامة في العهد الفاطمي عدن، وعيذاب، والقصير. وحقق الكارمية مكانة كبيرة في العصور الوسطى خاصة في العهود الثلاثة الفاطمي والأيوبي والمملوكي، وشكلوا طبقات اجتماعية بارزة عرفت بثرائها واتصالها بالسلطين والحكام، وأسهموا في إقامة المنشآت الدينية والمدنية والعلمية مثل بناء المساجد والمدارس والأربطة في مصر والحجاز وغيرهما، واشتغل بعضهم بالتدريس والقضاء إضافة إلى التجارة<sup>(٢)</sup> واستمر نشاط الكارمية في العهد الأيوبي، (٥٦٧-٦٤٨هـ) فلعل من بين أهداف صلاح الدين الأيوبي (رحمه الله) في السيطرة على الحجاز واليمن أهمية موقعهما التجاري في تجارة البحر الأحمر الشرقية، ورغبة في استمرار تجارة الشرق إلى عاصمة بلاده القاهرة<sup>(٣)</sup>.

وفي هذا العهد تعرضت موانئ الحجاز بدءاً من أيلة (العقبة) لغزو صليبي تصدت له القوات الأيوبية بكل قوة وعاد البحر الأحمر بحيرة إسلامية كما سبق الحديث عن ذلك في الفصل السابق.

(١) حسنين: البحر الأحمر، ص ١١٦، وانظر القوصي: المرجع السابق، ص ١٠٣.

(٢) حسنين: البحر الأحمر في العصر الأيوبي، ص ١١٦، وانظر السالم: البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي، ص ٣٢.

(٣) حسنين: البحر الأحمر، ص ١٠٦-١٠٧.

واقضى خلفاء صلاح الدين أثره في الحفاظ على البحر الأحمر بحراً إسلامياً، وقامت موانئ البحر الأحمر الغربية والشرقية مثل عدن وجدة وعيذاب وأيلة (العقبة) بدور رائد في تجارة الشرق<sup>(١)</sup>.

وفي العهد المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ) تنافس على اغتنام مكاسب التجارة الشرقية عبر البحر الأحمر ثلاث قوى سياسية حكام المماليك في مصر وحكام الحجاز "الأشراف"، وحكام اليمن من الرسوليين ثم الطاهريين، وقد كان يفترض أن يتم التعاون والتنسيق بين هذه القوى لتحقيق التكامل التجاري بينهم إلا أن العكس هو الذي حصل، فقد وقعت عدة صراعات سياسية وعسكرية أدت إلى اضطراب حال التجار وتنقلهم في موانئ البحر الأحمر الغربية والشرقية بحثاً عن الميناء الأكثر أمناً واستقراراً، فمن هروب من عدن إلى جدة إلى ينبع إلى عيذاب<sup>(٢)</sup>. لكن بقيت جدة عاصمة التجارة الشرقية بلا منازع طيلة العهد المملوكي حتى اختفت بجوارها الموانئ الأخرى بل انتهت تماماً مثل عيذاب والقصير<sup>(٣)</sup>. وللحفاظ على طريق البحر الأحمر وخاصة من بعد محاولة الصليبيين غزو الحجاز منع دخول الفرنج للبحر الأحمر حماية للأراضي المقدسة في الحجاز، وخشية من القضاء على تجارة المسلمين عبر البحر الأحمر، وأيضاً خشية من قيام تحالف مسيحي بين الحبشة، وأوروبا، إلا أن حكام مصر وفي فترات معينة سمحوا للإيطاليين بعبور البحر الأحمر بإذن خاص، إلا أنه اكتشف وجود تحالف بين ملك الحبشة إسحاق والفونسو الخامس ملك أراجون للقيام بحملة صليبية عام ٨٣٢هـ، فأغلق البحر

(١) حسنين، المرجع السابق، ص ١١١-١٢٠.

(٢) محمد أمين صالح: تجارة البحر الأحمر في عصر المماليك الجراكسة، (البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة)، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٨٠، ص ١٦٠.

(٣) المرجع السابق، ص ١٦٥.

الأحمر في وجه الأوربيين، إلا أن محاولات الأوربيين لدخول البحر الأحمر لم تنقطع حتى قدوم الغزو البرتغالي في القرن العاشر الهجري<sup>(١)</sup>.

أما عن التجارة الكارمية فقد تأثرت كثيراً في عهد المماليك الجراكسة للسياسة الاحتكارية التي اتبعها سلاطين المماليك الجراكسة (٧٨٤-٩٢٣هـ) وأجبروا أشراف مكة على إشراكهم في المكوس بميناء جدة مما لم يسبق له مثيل في علاقة حكام مصر بحكام الحجاز، بل استولى السلطان برسباي على مكوس جدة، حتى أصبحت جدة تابعة للسلطان، فضيق على التجار وأمرأء مكة وألزم التجار بعدم السفر إلى الشام مباشرة قبل المرور على مصر لتحصيل المكس من الجميع، وضاق الجميع بهذه الإجراءات داخل السلطنة المملوكية وخارجها، وأدى ذلك إلى ارتفاع أسعار التوابل وكافة السلع الشرقية، واحتكر السلطان التجارة الشرقية وسار على نهجه كبار رجال الدولة، فاحتكروا لأنفسهم سلعاً واشتروا أخرى وضج حتى تجار الغرب من هذه الاحتكارات الجائرة، وتوالت الاحتكارات حتى وصلت قمة قسوتها في عهد الغوري (٩٠٧-٩٢٢هـ) واستولى حسين الكردي نائب المماليك على جدة على عشرة أمثال العشر أي ما يعادل قيمة السلعة نفسها<sup>(٢)</sup>. ونتج عن كل ذلك انهيار التجارة الكارمية ثم انهيارهم أيضاً كطبقة اجتماعية بارزة<sup>(٣)</sup>.

(١) محمد أمين صالح: تجارة البحر الأحمر، ص ١٦٧.

(٢) السليمان: العلاقات الحجازية المصرية، ص ١٦٥-١٦٨، ص ٢٠١-٢٠٢.

وانظر الزهراني: عائض محمد عائض: الحجاز في عهد الشريف حسن بن عجلان، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبدالعزيز، كلية الآداب، قسم التاريخ، عام ١٤١٢-١٤١٣هـ، ص ٢١١-٢٢٣.

(٣) محمد أمين صالح: تجارة البحر الأحمر في عصر المماليك الجراكسة، ص ١٧٥.

وكما كانت نهاية الكارمية تجارياً على يد المماليك الجراكسة كانت نهاية دولة المماليك تجارياً على يد البرتغاليين الصليبيين، فبدافع صليبي؛ ودافع تجاري للبحث عن أماكن التوابل كان اهتمام البرتغاليين بالكشوف الجغرافية في الشرق، وقد قام الأمير البرتغالي هنري الملاح برحلة طاف بها رأس باجادور عام ١٤٣٤م (٨٣٨هـ) وفي عام ١٤٤٥م (٨٤٩هـ) أثمر تجوالهم عن اكتشاف الرأس الأخضر، وتواصل البحث بمحاذاة الساحل الإفريقي جنوباً، ففي عام ١٤٧١م (٨٧٦هـ) مر البرتغاليون بخط الاستواء، وفي عام ١٤٨٧م (٨٩٣هـ) وصلت رحلة برتغالية إلى أقصى الطرف الجنوبي وسماها ملك البرتغال "رأس الرجاء الصالح" استبشاراً بمستقبل هذا الطريق المكتشف، وفي عام ١٤٩٧م (٩٠٣هـ) تحركت رحلة فاسكو دي جاما متجهة إلى الهند الغربية، وفي عام ١٤٩٨م (٩٠٤هـ) تحول طريق التجارة عبر المحيطات مهماً طريق البحر الأحمر<sup>(١)</sup>.

وتزايد نشاط البرتغاليين التجاري في الهند، وسيطروا على تجارة التوابل، ففي سنة ١٥٠٢م (٩٠٨هـ) عادت سفن بيروت بأربع بالات من الفلفل، ولم تجد السفن في الاسكندرية ماتحملة، ولم تعد ترى السفن إلا مرة كل عامين، وواصل البرتغاليون إستماله الأوروبيين المتعاملين تجارياً مع المماليك كالبندقية وباقي الإيطاليين، وعملوا من جهة أخرى على تدمير الاساطيل التجارية للمسلمين من الأمراء الهنود، وترصدوا لسفن المسلمين عند مدخل البحر الأحمر، فما كان من السلطان الغوري وبعد عدة محاولات لاستمالة الاوروبيين "البنادقة" لعودة التجارة مع المماليك كسابق عهدها إلا أن أعد أسطولاً حربياً بقيادة حسين الكردي الذي وصل إلى جوجيرات عام ١٥٠٧م (٩١٣هـ)، فباغت الأسطول البرتغالي وهزمه عند

(١) السليمان: علي حسين: النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية، ص ٢٨٠-٢٨١.

شول<sup>(١)</sup> عام ١٥٠٨م (٩١٤هـ) إلا أن البرتغاليين انتقموا لهزيمتهم بهزيمة الأسطول المملوكي وتدمير معظم سفنه عام ١٥٠٩م (٩١٥هـ)، وانسحب حسين الكردي وتأثر السلطان المملوكي، وازداد طغيان البرتغاليين فترصدوا السفن العربية والمملوكية على مدخل البحر الأحمر ومدخل الخليج العربي، واستولوا على حمولاتها، وانحصر دور الممالك في الدفاع عن البحر الأحمر بل والدفاع عن جدة فقط بعد هزيمة ديو<sup>(٢)</sup>، وبقي الأمر في مناوشات حتى مقتل السلطان الغوري على يد السلطان العثماني سليم الأول عام ١٥١٦م (٩٢٢هـ) ومقتل الكردي في بحر جدة غرقاً على يد أمير مكة من نفس العام<sup>(٣)</sup>.

(١) شول: ميناء صغير تابع لمملكة الدكن، ويقع جنوب سلطنة كوجران، بالقرب من الساحل الغربي للهند.

(٢) ديو: ميناء على خليج ديو على ساحل بحر العرب في إقليم جوجيرات الذي يقع في الركن الشمالي الغربي للساحل الغربي للهند. انظر: نعيم زكي: طرق التجارة، ص ١٧١.

(٣) فهمي: نعيم زكي: المرجع السابق، ص ٧١-١١٠، وانظر محمد طه صلاح بكري: الحجاز، (٨٥٩-٩٢٣هـ)، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الشريعة، عام ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص ١٦٢-١٦٤.

## ب ) - صناعة السفن وأنواعها بالبحر الأحمر

### ١) نشأة صناعة السفن عند المسلمين:

قال الله تعالى: {فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمراً} (١) وقال تعالى: {أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا} (٢) وقال تعالى: {فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين} (٣).

وورد في كتاب الله عز وجل مسميات أخرى للسفينة كالفلك وذات الألواح والدسر والجوار، والجارية، والجاريات، والسابحات في مواضع متعددة. إن إيراد هذه الأسماء للسفن في كتاب الله ومخاطبة العرب بها دليل على معرفتهم بها واستخدامهم لها في سفراتهم وتجاراتهم وهي من فضل الله على خلقه حيث عرفهم حكمة عمل السفن التي تجري على الماء حتى يستفاد من البحار في النقل والصيد واستخراج المعادن النافعة لهم وغيرها من كنوز البحار وما أودع الله فيها من عجائب خلقه.

وبعد الفتوحات الإسلامية وسيطرة المسلمين على أمم العجم، أصبح تحت أيديهم كل صاحب صناعة، واستخدموا ربابنة لحاجاتهم البحرية، فنقلوا بذلك صناعة السفن عن الأمم الأخرى، إلا أن هذا الأمر اقتصر على السفن الحربية والأساطيل العسكرية، أما صناعة السفن المدنية التجارية فقد ظهرت في بلاد العرب لأبناء السواحل العربية في الخليج العربي وبحر العرب والبحر الأحمر قبل الإسلام، ولعل الشاهد الكبير على ذلك هو الهجرة إلى الحبشة وكذلك الصلات التجارية بين أهل اليمن وأهل الخليج العربي من جهة وأهل الصين والهند من جهة

(١) سورة الكهف، آية (٧١).

(٢) سورة الكهف، آية (٧٩).

(٣) سورة العنكبوت، آية (١٥).

أخرى<sup>(١)</sup>. ولكن هناك من يذكر ان صناعة السفن انتقلت إلى بلاد العرب عن طريق المحيط الهندي أي من بلاد الهند لما يتوفر فيها من أخشاب لا تتوفر في بلاد العرب، ولأنها المصدر الأول لأخشاب صناعة السفن، فكانت تلك الأخشاب من أهم واردات مدن السواحل في شبة الجزيرة العربية<sup>(٢)</sup>.

وقد أنشئت في مصر أول دار لصناعة السفن في التاريخ الإسلامي عام ٥٤هـ/٦٧٤م، وكان مقرها جزيرة الروضة فسميت "صناعة الروضة" في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه<sup>(٣)</sup>، ثم توالى إنشاء دور لصناعة السفن في مدن عدة من البلاد الإسلامية في المشرق والمغرب، مثل بلاد الشام وبلاد المغرب وبلاد الأندلس<sup>(٤)</sup>. كما ظهرت أيضاً صناعة السفن في موانئ الحجاز، ففي جدة صنعت السفن ذوات الشرع وذوات المجاديف وكذلك السواعي الكبيرة والصغيرة، ويطلق على مصنع السفن "القودي" أي الذي تُبنى فيه المراكب الكبيرة<sup>(٥)</sup>.

(١) أحمد الشامي: العرب وصناعة السفن، بحث في دورية اتحاد المؤرخين العرب (الحضارة الإسلامية وعالم البحار)، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ص ١٣٦-١٣٧.

(٢) حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص ٢٥٢-٢٥٣، وأنظر الشامي: المصدر السابق، ص ١٤٢-١٤٣.

(٣) سعاد ماهر: البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية، الطبعة الثانية، دار المجمع العلمي بجدة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ص ٣١٣.

(٤) الحموي: الاسطول العربي: ص ٢٠-٢٤.

(٥) الانصاري: جدة، ص ٤٥٦-٤٥٧.



كما عُرِفَت صناعة المراكب في العقبة، واستثمرت أخشاب جبال الشراة وموآب من أجل ذلك<sup>(١)</sup>. ومن بين الحرف التي مارسها أهالي السرين بناء المراكب البحرية كالفلوكات والهواري والسنايك<sup>(٢)</sup>. وانتشرت في ينبع صناعة السفن الشراعية بمختلف الأحجام بأخشاب مستوردة، وأخرى محلية تُجلب من منطقة بواط والأجرد بمنطقة ينبع<sup>(٣)</sup>.

## (٢) سفن البحر الأحمر:

تميزت سفن البحر الأحمر بأنها سفن خيطية تخاط بالليف، ولاستخدم فيها المسامير (حتى نهاية القرن التاسع الهجري)، ونقل الرحالة المسلمون أوصافاً لهذه السفن تبين طرق وأساليب بناء هذه السفن في موانئ البحر الأحمر، وخاصة ميناء عيذاب على الساحل الإفريقي للبحر الأحمر. فيقول الإدريسي (ت ٥٦١ أو ٥٦٢) (ومراكب هذا البحر كلها مؤلفة بالدر<sup>(٤)</sup> ومخروزة بحبال الليف مجلفطة بدقيق اللبان ودهن كلاب البحر المعد لذلك)<sup>(٥)</sup>.

- 
- (١) غوانمة: التاريخ الحضاري لشرقي الاردن، ص ١١٤.  
(٢) الزيلعي: ميناء السرين، ص ١٩٣، وأنظر الفقيه: مدينة السرين، ص ٨١.  
(٣) الخطيب: تاريخ ينبع، ص ١٣٠.  
(٤) الدُّسْر: خيوط تُشد بها ألواح السفينة، وقيل هي المسامير. قال الله تعالى: {وحملناه على ذات ألواح ودسر} ونقل لها ابن كثير في تفسيره عدة معاني منها المسامير وأضلاع السفينة. والدسر الدفع بقوة. انظر مختار الصحاح للرازي، ص ٨٦، وتفسير ابن كثير، ج ٤، ص ٢٦٥.  
(٥) نزهة المشتاق في إختراق الآفاق، ج ١، ص ١٣٦-١٣٧.

وفي موضع آخر يقول : (وبالقلزم تنشأ السفن السائرة في هذا البحر وإنشاؤها شيء طريف وذلك أن الكلكل ينبسط على الأرض عريضاً ثم لايزال اللوح يتركب منه على مالصق به حتى يتهدم ثم يجوز بحبال الليف والدرس ويوصل بينهما بالجسور الماسكة، فإذا كمل ذلك بأسره جلفط بالشحم المتخذ من دواب البحر ودقاق اللبان، وقيعان مراكبه عراض دون تعميق في تركيبها لتحمل بذلك كثير الوسق ولا تدرس على كبير عمق<sup>(١)</sup>).

ويصف هذه السفن ابن جبير وصفاً أكثر وضوحاً فيقول : (والجلاب التي يصرفونها في هذا البحر الفرعوني<sup>(٢)</sup> ملفقة الإنشاء لا يُستعمل فيها مسمار البتة إنما هي مخيطة بأمراس من القتيار وهو قشر جوز النارجيل يدرسونه إلى أن يتخيظ ويفتلون منه أمراساً يخيظون بها المراكب ويخللون بها بدسر من عيدان النخل، فإذا فرغوا من إنشاء الجلبة على هذه الصفة سقوها بالسمن أو بدهن الخروع أو بدهن القرش، وهو أحسنها وهذا القرش حوت عظيم في البحر يبتلع الغرقى فيه، ومقصدهم في دهان الجلبة ليلين عودها ويرطب لكثرة الشعاب المعترضة في هذا البحر ولذلك لا يصرفون فيه المركب المسماري. وعود هذا الجلاب مجلوب من الهند واليمن، وكذلك القتيار المذكور، ومن أعجب أمر هذه الجلاب أن شرعها منسوجة من خوص شجر المقل، فمجموعها متناسب في اختلال البنية ووهنها، فسبحان مسخرها على تلك الحال والمسلم فيها لا إله سواه<sup>(٣)</sup>).

(١) المصدر السابق، ج ١، ص ٣٤٨-٣٤٩.

(٢) البحر الفرعوني: الذي ورد في وصف ابن جبير والتجبيي يُقصد به البحر الأحمر.

(٣) رحلة ابن جبير، ص ٤٦-٤٧.

ورغم الوهن الذي يشير إليه ابن جبير إلا أن هذه السفن كانت تحمل أعداداً ليست بالقليلة من الحجاج، وكانت تحمل أيضاً الجمال لتباع في أسواق مكة والمدينة خاصة لأشراف مكة فيذكر ابن بطوطة (ت ٧٧١ أو ٧٧٩) أنه ركب من جدة في مركب يسمى الجلبة، وركب الشريف منصور بن أبي نمي في جلبة أخرى وطلب من ابن بطوطة ان يرافقه لكنه رفض لأن معه في جلبته جمالاً محمولة خاف منها<sup>(١)</sup>. ويوافق المقرئ في وصفه لسفن البحر الأحمر وصف ابن جبير قائلاً : (وجلباتهم التي تحمل الحجاج في البحر لا يستعمل فيها مسمار البتة إنما يخيظ خشبها بالقنبار وهو متخذ من شجر النارجيل ويخللون بها بدسر من عيدان النخل ثم يسقونها بسمن أو دهن الخروج أو دهن القرش وهو حوت عظيم في البحر يبتلع الغرقى، وقلاع هذه الجلاب من خوص شجر المقل)<sup>(٢)</sup>.

وقد حاول عدد من المؤرخين القدامى والمحدثين إيجاد تفسير لاستعمال الخيط بدل المسمار في هذه السفن، فهناك من يذكر أن هذه الطريقة الخيطية في بناء السفن مستفادة من الهند التي يستورد منها أخشاب الساج واستخدام الحبال والخشب أكثر من المسامير لأن المسامير لم تكن قد صنعت بكثرة بعد، ورغم الضعف الذي أشار إليه عدد من المؤرخين والرحالة في هذه السفن إلا أنها عاشت فترة طويلة من الزمن تمخر عباب البحر الأحمر والمحيط الهندي، إلا أنه كان على أهل صناعة هذه السفن صناعة سفن كبيرة كالسفن الصينية لأنها ستكون عرضة لصدّات الرياح والأمواج العاتية، وظهر سبب تغلب عليه المبالغة نقله عدد من المؤرخين عن كاتب هندي يزعم فيه أن سبب الابتعاد عن المسامير في صناعة السفن في البحر الأحمر هو وجود صخور من المغناطيس تجذب السفن المثبتة

(١) تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (رحلة ابن بطوطة): تحقيق عبدالهادي التازي، ج ٢، ص ٩٨.

(٢) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: ج ١، ص ٢٠٣.

بالحديد وتغرقها<sup>(١)</sup>، وحاول المسعودي تقديم سبب آخر بدعوى أن مراكب البحر الحبشي "الأحمر" لا يثبت فيها مسامير الحديد لأن ماء البحر يذيب الحديد، فترق المسامير في البحر فتضعف، لذا اتخذ أهلها الخياطة بالليف بدلا عن المسامير<sup>(٢)</sup>، ورغم ما يبدو من منطقيته إلا أنه علمياً غير مقبول لأن البحرين المتوسط والأحمر لا يختلفان في درجة الملوحة أو غيرها من الخصائص الكيميائية إلا بنسبة محدودة جداً، كما عُرف أن ألواح خشب الساج الهندي لا تتلف الحديد كما تتلفه ألواح البلوط في البحر المتوسط<sup>(٣)</sup>. ويرى حوراني أن هناك سبباً هاماً وهو الغلاء النسبي لبناء سفن الحديد دفع إلى بقاء السفن الخيطية رغم وجود الحديد في مناطق متعددة كالهند وإيران ومصر<sup>(٤)</sup>. ويستمر البحث عن الأسباب لهذه الطريقة من بناء السفن فينفرد ابن جبير بأن هذه السفن يتم جلفطتها أي سد ما بين ألواحها بدسر من عيدان النخل، والآخرين يذكرون فقط أن هذه السفن كانت تسد بالقار أو دهن الحوت كما سبق ذكر ذلك في نصوص الرحالة.

(١) حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص ٢٥٢-٢٥٥، وانظر سعاد: البحرية في مصر الإسلامية، ص ١٩٤-١٩٥.

(٢) حوراني: المرجع السابق، ص ٢٥٦، وسعاد: المصدر السابق، ص ١٩٦، وانظر تفاصيل عن البحر الحبشي: المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ١، ص ١٠٥-١١٠.

(٣) حوراني: المرجع السابق، ص ٢٥٧، وسعاد: المرجع السابق، ص ١٩٦.

(٤) العرب والملاحة في المحيط الهندي: ص ٢٥٧-٢٥٨. وأنظر عبدالعزيز العبيدي: التجارة والملاحة في البحر الأحمر في عصر المماليك، رسالة ماجستير، ص ٢٧٨-٢٨٧.

ومن الباحثين من يشير إلى أن صناعة سفن البحر الأحمر الخيطية لم تظهر من الهند فقط أو من بنات أفكار أهل موانئ البحر الأحمر فقط بل لعل لها أصولاً مصرية فرعونية مشيراً إلى التشابه الكبير بينها وبين طريقة السفن الفرعونية وخصائصها فكلاهما يعتمد في تثبيت الألواح على الخيوط أو الحبال وعلى الدسر الخشبية وكان يطلق الفراعنة على هذا النوع من السفن اسم "كبت أو كبنى" وهو اسم آخر للميناء اللبناني "جبيل" الواقع شمال بيروت بعدة كيلو مترات، ويعود سبب ذلك لاستفادتهم من خشب الارز الذي يستورد من لبنان، كما ظهر من الآثار الفرعونية رسوم لنجارين يخطون هذه السفن ومكتوب بجوارهم كلمة هيرغليفية تقرأ "سبت" وتنتهي بحبل ملفوف وكلمة "سبت" تطلق على السلة في هذه الأيام مما يوحى بالتشابه بين الطريقتين صناعة السلال؛ وصناعة السفن الخيطية، ويؤكد الباحث أن دعوى صناعة السفن الخيطية في مصر الفرعونية لم يكن مجرد استنتاجات بل ثابتة بالأدلة الأثرية، فقد كشفت بعثة حفائر في عامي ١٩٧٦-١٩٧٧ عن موقع ميناء فرعوني في منطقة تسمى "مرسى جواسيس" جنوب سفاجة بـ (٢٢ كم)، ووجدت مجموعة من الآثار الحجرية المنقوشة بالكتابات الهيروغليفية عليها نصوص تشير إلى تكاليف ميناء سفن على شاطئ النيل لإرسالها إلى ساحل البحر الأحمر الإفريقي وكذلك الإشارة إلى بناء هذه السفن أيضاً على ساحل البحر الأحمر ثم إرسالها عبره<sup>(١)</sup>.

وطريقة بناء هذه السفن سواء في البحر الأحمر أو السواحل العربية الأخرى تتمثل في وضع قاعدة المركب فوق عدد من الكتل الخشبية ذات أطوال وارتفاعات متساوية،

(١) عبد المنعم عبد الحليم سيد: الأصول المصرية القديمة للسفن الإسلامية في البحر الأحمر، دورية اتحاد المؤرخين العرب، سبق ذكره، ص ٧٠-٧٤.

وتوضع على أرض شاطئ مستوية ليسهل إنزال السفينة إلى البحر بعد صناعتها.

وتتكون القاعدة من خشب الساج أو اللبخ أو السنط لقوة هذه الأخشاب وتجلب عيدان سبق أعدادها وترقيمها فيحفر لها في القاعدة قواعد أو كراسي تعتمد عليها ثم تثبت هذه العيدان بكوابيل من الخشب بدل المسامير، بالإضافة إلى ربطها بحبال قوية مجدولة من شجر جوز الهند (القنب) بعد أن تكون قد سُقيت هذه الحبال ونقعت في دهن الحوت أو ماشابهه من الدهون ولمزيد من التثبيت تشد هذه العيدان بأحزمة أفقية تمتد من المؤخرة إلى المقدمة من الألواح الخشبية العريضة والسميكة، ثم يدعم هذا الهيكل بعارضتين أو ثلاثة إحداها في المقدمة والأخرى في المؤخرة، والثالثة قد تكون في منتصف السفينة وتكون في مستوى أفقي واحد. ويأتي بعد ذلك إعداد الألواح الخشبية التي تغطي العيدان وتكسوها من الخارج، ويُقدر عرضها ما بين ١٤ و ١٨ سم، وبسمك ٣-٥ سم، فتثقب ثقوب رفيعة على مسافات متساوية عند حافتي اللوح وتعد ممرات عمودية مع هذه الثقوب على الألواح حتى يسهل مرور الحبال المتينة عبرها، ثم ينطلق بناء السفينة في تغطية الهيكل من الخارج بتثبيت هذه الألواح بدءاً بالقاعدة، حتى أعلى السفينة مع تزامن عملية الجلفطة، ثم تركيب الدفة في مؤخرة السفينة، وتدهن السفينة من الخارج بدهن الحوت منعاً لتسرب المياه بداخل السفينة، وبعد الإنزال البحري يتم تركيب الصواري والشرع، وتعد المجاديف<sup>(١)</sup>، فتجري في البحر وترسي بسم الله وعلى بركته.

(١) أحمد الشامي: العرب وصناعة السفن، سبق ذكره، ص ١٣٩-١٤١.



ويجدر بالذكر ان هذه السفن تتميز بانتهائها بطرف حاد في المقدمة والمؤخرة خلاف ما ظهر فيما بعد القرن التاسع كظهور المؤخرة المربعة نتاج التأثير الأوروبي منذو الغزو البرتغالي في القرن العاشر الهجري<sup>(١)</sup>.

كما كانت السفن تحمل فوق ظهرها مراكب صغيرة من مثل القارب والدوينج، ويستفاد منها للنجاة أو الملاحة على الشاطئ، وفي الأوقات الحرجة تزود بصار وشرع، كما كان العرب يحملون معهم أحياناً مراكب صغيرة للبيع قد تصنع فوق ظهر السفينة<sup>(٢)</sup>.

ومن أهم أجزاء السفن العربية ومعداتھا في البحر الأحمر والمحيط الهندي بسواحلہ العربية:

١ - الهراب: وهو تلك الخشبة الأساسية التي تقام عليها السفينة<sup>(٣)</sup>.

٢ - القلع بالكسر "الشرع" والجمع قلاع<sup>(٤)</sup>، وتنسج هذه الشرع من أوراق جوز الهند أو سعف النخيل أو من نسيج الأشرعة القطني، وقد تميزت السفن العربية بالشرع المثلث الشكل<sup>(٥)</sup>. كما أطلقت تسميات أخرى على الشرع في موانئ الحجاز مثل "ينبع" "الكبيري" وهو شرع السفينة الكبير و"الفتيني" وهو الشرع المتوسط للسفينة<sup>(٦)</sup>.

(١) حوراني: العرب والملاحة، ص ٢٤٢.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٦٣.

(٣) الخطيب: تاريخ ينبع، ص ١٣٠.

(٤) الحموي: تاريخ الأسطول العربي، ص ٥٠.

(٥) حوراني: المرجع السابق، ص ٢٦٥-٢٦٦.

(٦) الخطيب: تاريخ ينبع، ص ١٣١.



- ٣ - الصواري: ويسمى الدّقل أو الدّقل، ومعناه "جذع النخلة" وبالتالي يصنع من جذوع النخل أو شجر جوز الهند أو خشب الساج أيضاً وقد يكون للسفينة أكثر من صاري<sup>(١)</sup>.
- ٤ - دفة السفينة (السُّكان) وكانت دفات السفن تحرك بحالين<sup>(٢)</sup>. وتوجد دفة على كل جانب خشية ميل أحد الجالبيين بفعل الرياح فترتفع بذلك الدفة عن سطح الماء فيندم أثرها<sup>(٣)</sup>.
- ٥ - الدسار أو الدسر وهي الخيوط التي تشد بها ألواح السفينة، وتعرف أيضاً بالمسامير<sup>(٤)</sup>، وقد تسمى أيضاً هذه الخيوط بـ"القلباط" وهي الخيوط العازلة بين أخشاب السفينة بعد مزجها بالزيت أثناء صناعة السفينة<sup>(٥)</sup>.
- ٦ - القلّس: وهو حبل السفينة، ويطلق عليه الجمل لضخامته، ومكون من ليف أو خوص<sup>(٦)</sup>. وقد يطلق عليه "المدة": أي حبال السفينة<sup>(٧)</sup>.
- ٧ - الشلمان: وهي الأخشاب التي تربط ألواح السفينة<sup>(٨)</sup>.

(١) حوراني: العرب والملاحة، ص ٢٦٣-٢٦٤.

(٢) الحموي: الاسطول، ص ٥٠.

(٣) حوراني: العرب والملاحة، ص ٢٦١.

(٤) الحموي: المرجع السابق، ص ٥١.

(٥) الخطيب: تاريخ ينبع، ص ١٣١.

(٦) الحموي: المرجع السابق، ص ٥١.

(٧) الخطيب: المرجع السابق، ص ١٣١.

(٨) المرجع السابق، ص ١٣١.

- ٨ - المجذاف: أو المجذاف، ومأخوذة من جدف الطائر<sup>(١)</sup>.
- ٩ - النحر: ويطلق على موقع في قلب السفينة<sup>(٢)</sup>.
- ١٠ - الجؤجؤ: ويمثل صدر السفينة<sup>(٣)</sup>.
- ١١ - الميدة: عبارة عن خشبة كبيرة في قلب السفينة<sup>(٤)</sup>.
- ١٢ - الكوثل: ذنب السفينة<sup>(٥)</sup>.
- ١٣ - البروسي: عبارة عن الثقالة التي ترسو عليها السفينة<sup>(٦)</sup>، أو الأجر (معرب لنكر) أي المرساة الغليظة<sup>(٧)</sup>.
- ١٤ - السلوقية: ويطلق على مقعد ربان السفينة<sup>(٨)</sup>.
- ١٥ - العقربان: وهي مجموعة من خيوط قماش مزركش ترفع على ظهر السفينة عند عودتها أو في الأعياد<sup>(٩)</sup>.

- 
- (١) الحموي: الأسطول، ص ٥٠.
  - (٢) الخطيب، تاريخ ينبع، ص ١٣١.
  - (٣) الحموي: الأسطول، ص ٥١.
  - (٤) الخطيب، المرجع السابق، ص ١٣١.
  - (٥) الحموي: المرجع السابق، ص ٥١.
  - (٦) الخطيب: المرجع السابق، ص ١٣١.
  - (٧) حوراني: العرب والملاحة، ص ٢٦٢.
  - (٨) الحموي: المرجع السابق، ص ٥١.
  - (٩) الخطيب: المرجع السابق، ص ١٣١.

### (٣) - طاقم السفينة:

سيتبين لنا من المصطلحات الملاحية التالية تأثرها بمسميات فارسية وهندية ولاتينية:

- ١ - اشتيام أو استيام: رئيس ملاح السفينة<sup>(١)</sup> أو الملاح والمرشد<sup>(٢)</sup>.
- ٢ - ربان السفينة: القائد أو الرئيس<sup>(٣)</sup> أو النوخذا أو الناخذا. وقد تطلق كلمة النوخذا على صاحب السفينة<sup>(٤)</sup>.
- ٣ - الفرادي : مساعد قائد السفينة<sup>(٥)</sup>.
- ٤ - كراني او قراني : من يقوم بالكتابة ومسك دفاتر السفينة<sup>(٦)</sup>.
- ٥ - المقدم : وهو من يتولى المسؤولية عن إدارة الأعمال داخل السفينة من أكل أو شرب<sup>(٧)</sup>.
- ٦ - الصقير : هو من يقوم بخدمة طاقم السفينة<sup>(٨)</sup>.

- 
- (١) حوراني: العرب والملاحة، ص ٢٧٩ (تعليق المترجم)، وانظر أنور عبدالعليم: الملاحة وعلوم البحار، ص ٢٨.
  - (٢) أحمد الشامي: العرب وصناعة السفن، ص ١٤١.
  - (٣) أنور عبدالعليم: الملاحة، ص ٢٨.
  - (٤) أحمد الشامي: العرب وصناعة...، ص ١٤١.
  - (٥) الخطيب: تاريخ ينبع، ص ١٣٠.
  - (٦) أحمد الشامي: العرب وصناعة السفن، ص ١٤١.
  - (٧) الخطيب: تاريخ ينبع، ص ١٣٠.
  - (٨) المرجع السابق، ص ١٣٠.

- ٧ - بانيلي أو بنجري : مراقب المركب<sup>(١)</sup>.  
٨ - ساهانج / رايس : موجه الدفة (السكان) وهم ما بين ٢ - ٣<sup>(٢)</sup>. وأما البحارة يقدر عددهم ما بين ١٠ - ٢٠ بحاراً على ظهر السفينة<sup>(٣)</sup>.

#### (٤) - أنواع السفن العربية:

ظهرت سفن عديدة صالت وجالت في البحر الأحمر والمحيط الهندي في الفترة الإسلامية حتى سقوط السلطنة المملوكية عام ٩٢٣هـ - منها ما اختفى قبل القرن العاشر الهجري، ومنها ما بقي واستمر ما بعد القرن العاشر الهجري وشمله التطوير والتجديد.

ومنها :

١ - جلبية : وتجمع على جلاب وجلب وجلبات، وقد امتطأها أهل مصر والحجاز واليمن في نقل الحجاج والمؤن، وذكرها الرحالة العرب، وتحدثوا عن طريقة بنائها دون مسمار، فكانت تنقل البضائع فيما بين أيلة "العقبة" وعيذاب وبلاد اليمن<sup>(٤)</sup>.

٢ - خيطي وخيطية : نوع آخر من الجلاب، وتجمع خياطي، وخيطيات وتصنع من خشب الساج الهندي، ولا يدخل المسمار في تثبيت ألواحها.

---

(١) أحمد الشامي: العرب وصناعة السفن، ص ١٤١.

(٢) المرجع السابق، ص ١٤١.

(٣) المرجع السابق، ص ١٤١.

(٤) النخيلي: درويش، السفن الإسلامية على حروف المعجم، جامعة الإسكندرية، ١٩٧٤م، ص ٢٢٧. الشامي: العرب وصناعة السفن، ص ١٥٢، وسعاد: البحرية في مصر الإسلامية، ص ٣٣٨.

وتقوم بمهمة نقل المسافرين والبضائع والتجارات المختلفة من وإلى الهند والصين كما استخدمها المماليك في أسطولهم الحربي<sup>(١)</sup>.

٣ - الهوري : والجمع هواري، ويعتقد أن أصل الكلمة هندي، وتطلق على القوارب الصغيرة، وتتراوح أطولها ما بين ١٠ - ٢٠ قدماً، وتستخدم في نقل البضائع لمسافات قصيرة، وله شهرة كبيرة في السواحل العربية<sup>(٢)</sup>.

٤ - السنبوك أو البنوق أو الصنبوق:

وهو من أكبر وأشهر السفن العربية في السواحل العربية في البحر الأحمر وبحر العرب والخليج العربي والمحيط الهندي، وكان يصنع في الخليج العربي والبحر الأحمر ويستخدمه أهل الحجاز في نقل المواد التجارية بين موانئ الحجاز بخاصة وموانئ البحر الأحمر بعامة، وقد يحمل من تسعين طناً إلى مائة طن، ويساهم في نقل المنتجات المحلية في الحجاز كالقمح والحناء والتمور إلى موانئ البحر الأحمر الأخرى كعدن والسويس، إضافة إلى دوره في نقل السلع والبضائع من المحيط الهندي والخليج العربي إلى الحجاز<sup>(٣)</sup>.

---

(١) النخيلي: السفن الإسلامية، ص ٤٣، سعاد: المرجع السابق، ص ٣٤٢، الشامي: المرجع السابق، ص ١٥٤.

(٢) الخطيب: تاريخ ينبع، ص ١٣٠، الشامي: المرجع السابق، ص ١٦١، الأنصاري: موسوعة تاريخ مدينة جدة، ص ٤٥٨، النخيلي، المرجع السابق، ص ١٥٣.

(٣) الخطيب: تاريخ ينبع، ص ١٣٠، سعاد: البحرية، ص ٣٤٨، الشامي: العرب، ص ١٥٦، الأنصاري: موسوعة، ص ٤٥٨.

- ٥ - القطيرة : وجمعها قطائر وهي نوع آخر من السنبوك، وتستعمل في البحر الأحمر ونيل مصر، وتستعمل في الشحن من الموانئ القريبة<sup>(١)</sup>.
- ٦ - برعاني : استعمل في البحر الأحمر، ولبراعة بحارته في استعمال المجاديف وسط أهوال البحر حمل اسم برعاني<sup>(٢)</sup>.
- ٧ - ترانكي : من السفن الصغيرة التي استخدمت في سواحل الجزيرة العربية<sup>(٣)</sup>.
- ٨ - جرم : زورق من زوارق اليمن، ويجمع بـ جروم وجرومات وعرف في مصر والشام أيضاً<sup>(٤)</sup>.
- ٩ - حدوج : من مراكب النساء، واستخدم في البحر والمحيط الهندي وعرف قبل الاسلام وورد ذلك في معلقة طرفة بن العبد:
- كان حدوج المالكية غدوة . : . خلايا سفين بالنواصف من دد<sup>(٥)</sup>
- ١٠ - داو، وداوة : وتجمع داوات، وهي ذات الشراع الواحد وتقدر حمولتها بـ ٢٠٠ طن، واستخدمت في السواحل العربية والهندية والإفريقية في شرق أفريقية، واستخدمت في تجارة العبيد، كما كانت تنقل التجارة الشرقية إلى موانئ اليمن والحجاز ومصر على البحر الأحمر<sup>(٦)</sup>.

(١) الخطيب: تاريخ ينبع، ص ١٣٠، الأنصاري: المرجع السابق، ص ٤٥٨، النخيلي: السفن الإسلامية، ص ١٢٧.

(٢) سعاد: المرجع السابق، ص ٣٣٤.

(٣) النخيلي: المرجع السابق، ص ١٩، والشامي: المرجع السابق، ص ١٥٠.

(٤) النخيلي: المرجع السابق، ص ٢٢.

(٥) التبريزي: شرح القصائد العشر، ص ٧٥.

(٦) النخيلي: السفن الإسلامية، ص ٤٥.

١١- الذهبية : كانت تستخدم في البحر الأحمر، وتقدر حمولتها ما بين ١٠٠-٤٠٠ طن، وهي ذات ساريتين وأشعة، ثم استقر بها المقام أن أصبحت سفينة نيلية بل منازل نيلية تجرها سفينة أخرى إذا أرادت الانتقال من مكان إلى آخر<sup>(١)</sup>.

١٢- عشاري أو عشيري : بضم العين المهملة، والجمع عشاريات، استخدمت في البحر المتوسط، إلا أنها أيضاً استخدمت في البحر الأحمر ونيل مصر، واشتهرت في العهد العبيدي "الفاطمي" بمصر، وهي من القوارب الصغيرة<sup>(٢)</sup>.

١٣- مسبحية : استخدمت في البحر الأحمر والمحيط الهندي<sup>(٣)</sup>.

١٤- البوت : تقدر حمولتها من ٣ - ٥ أطنان فقط<sup>(٤)</sup>.

١٥- القرقور : وهو من السفن الكبيرة، واستخدم لحمل البضائع والسلع التجارية، كما استخدم لنقل الحجاج من شمال أفريقية إلى مصر إلى الحجاز ومن السفن المساندة للأسطول الإسلامي<sup>(٥)</sup>.

(١) سعاد: المرجع السابق، ص ٣٤٧، والنخيلي: المرجع السابق، ص ٥٠.

(٢) الشامي: المرجع السابق، ص ١٥٩، والنخيلي: المرجع السابق، ص ٩٥.

(٣) سعاد: المرجع السابق، ص ٣٦٨.

(٤) الأنصاري: المرجع السابق، ص ٤٥٨.

(٥) الحموي: الأسطول، ص ٣١، والنخيلي: السفن الإسلامية، ص ١٢١،

والشامي: المرجع السابق، ص ١٦١، وسعاد: المرجع السابق، ص ٣٦٢.



١٦- الحراقة : وتجمع على حراقات وحراريق، وهي من السفن الحربية التي استخدمها المسلمون في أسطولهم في العصور الوسطى، واستخدمت في مياه البحر المتوسط والنيل خلال الحروب الصليبية، ولكنها أيضاً دخلت مياه البحر الأحمر، وهي عربية المنشأ، فيها مرامي نيران على العدو، واسمها أشتق من مهمتها في إحراق سفن العدو بالنفط<sup>(١)</sup>.

تلك بعضاً من أشهر السفن والمراكب التي عبرت البحر الأحمر.

وقد سبق ذكر أن البحر الأحمر منذ فتح مصر والشام في عهد الراشدين وانتهاءً بعهد المماليك كان بحيرة إسلامية، يمنع غير المسلمين من عبوره إلا في حدود ضيقة ولشئون تجارية فقط، لذا لم تقم في موانئه دور صناعة متخصصة لأساطيل حربية، مثل دور الصناعة الحربية التي أنشئت في بعض مدن مصر والشام والمغرب والاندلس، إلا أن ذلك لم يمنع من دخول الأساطيل الحربية الإسلامية للدولة الإسلامية إلى موانئ البحر الأحمر عندما تعرضت هذه الموانئ وخاصة موانئ الحجاز للغزو الصليبي في القرن السادس الهجري، والغزو البرتغالي في القرن العاشر الهجري. وقد شاركت سفن صنعت في موانئ البحر الأحمر الشرقية والغربية الأسطول الإسلامي لدولة الأيوبيين، ودولة المماليك الدفاع عن الأراضي المقدسة كما سبق تبيان ذلك في الفصل السابق.

(١) الحموي: الأسطول، ص ٣٤، والنخيلي: المرجع السابق، ص ٣٢، والشامي: المرجع السابق، ص ١٥٣، وسعاد: المرجع السابق، ص ٣٣٩.

## ٥) التاريخ الملاحي للمسلمين حتى نهاية القرن العاشر الهجري:

ما إن تدفقت موجات الإسلام تملؤها راياته الخفاقة داخل وخارج الجزيرة العربية حتى تدافع المسلمون فرادى وجماعات للرحلة والبحث والتنقيب بدافع قوي من دينهم الذي حثهم على السير في الأرض والاعتبار بآثار الأمم السالفة<sup>(١)</sup>، فقد ورد في كتاب الله تعالى في عدة مواضع الأمر بالسير للنظر في عاقبة الغابرين من المكذبين والمجرمين<sup>(٢)</sup>. فتنوعت الرحلات فمن رحلة فرار بالدين من أرض الشرك إلى أرض إسلام أو أمان على الدين كالهجرة إلى الحبشة، ثم الهجرة النبوية إلى المدينة، والرحلة السنوية إلى الديار المقدسة رحلة الحج<sup>(٣)</sup>، وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم {وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق}<sup>(٤)</sup>.

(١) حميدة: عبدالرحمن: أعلام الجغرافيين العرب، الطبعة الثانية، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، دار الفكر، دمشق، ص ٣٤.

(٢) الآيات الكريمة في سور يوسف (١٠٩)، الحج (٤٦)، الروم (٩)، فاطر (٤٤)، غافر (٨٢-٢١)، محمد (١٠)، آل عمران (١٣٧)، الأنعام (١١)، النحل (٣٦)، النمل (٦٩)، العنكبوت (٢٠)، الروم (٤٢).

(٣) نواب: عواطف محمد يوسف: الرحلات المغربية والأندلسية، مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، ص ٣٥-٣٦.

(٤) سورة الحج، ص ٢٧.

وانطلاق الفتوحات الإسلامية داخل وخارج الجزيرة العربية شرقاً وغرباً حتى وصلت إلى أطراف الصين شرقاً، وأطراف فرنسا غرباً، وكذلك رحلة التجارة<sup>(١)</sup>. برأً وبحراً بشهادة الحق جل وعلا في كتابه الكريم في سورة قريش، وفي آيات أخر منها قوله تعالى: لربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله إنه كان بكم رحيماً<sup>(٢)</sup>. ورحلات لطلب العلم التي وردت الآيات والأحاديث المتعددة في فضلها إذا قصد بها وجه الله عز وجل فقد قال المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم "... من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده"<sup>(٣)</sup> وتتوعد الرحلة في طلب العلم من طلب حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرغبة في معرفة بديع صنع الله سبحانه في الأرض والبحار والجبال ومعرفة الطرق والمسالك، وتقدير أبعاد البلاد بالفراسخ والأميال إلى معرفة الأماكن والجبال والأودية والأنهار والقفار، ومعرفة الأنساب، إلى المعرفة الفقهية في حكم البلاد المفتوحة صلحاً أو عنوة وما في حكمها من جزية أو خراج أو فئ، وما ارتبط بالسفر من أحكام شرعية في الصوم والصلاة إلى غير ذلك<sup>(٤)</sup>. فظهرت كتب المسالك والممالك والبلدان والرحلات وخاصة التي اهتمت بالبحر سواء بشكل مستفيض أو بشكل مقتضب، ففي القرن الثالث الهجري ظهر مؤلف ابن خرداذبه أبو القاسم عبداً لله بن عبد الله الجغرافي والأديب الفارسي "المسالك والممالك" وتضمن كتابه دليلاً للطرق البرية والبحرية، حيث يعتبر من أوائل من تحدث عن الطرق البرية

(١) عواطف نواب: الرحلات المغربية والأندلسية، ص ٣٦.

(٢) سورة الإسراء: آية رقم (٦٦).

(٣) مسلم: بشرح النووي، ج ١٧، ص ٢١، وانظر نواب: الرحلات المغربية، ص ٣٧.

(٤) حميدة: أعلام الجغرافيين العرب، ص ٤٤-٤٥.

والبحرية خاصة، ثم تلاه ابن رسته ابو علي أحمد بن عمر الجغرافي والمعماري والاديب الفارسي، الذي اشتهر بموسوعته الضخمة "الأعراق النفسية" التي كتبها حوالي ٢٩١هـ، ولا يتوفر منها إلا الجزء السابع، وذكر أن البحار المعروفة في المعمورة خمسة هي بحر الهند، وبحر الروم وبحر الظلمات، والبحر الأسود، وبحر الخزر، كما أشار إلى الأقاليم التي تشرف على هذه البحار متحدثاً عن حالة المد والجزر وأفضل أوقات الملاحة. كما ظهر في نفس القرن ابن الفقيه أحمد الهمداني الجغرافي والموسوعي والأديب العربي. وله "كتاب البلدان" مورداً فيه كثيراً مما ذكره ابن خرداذبه وابن رسته عن البحار، مشيراً إلى أن البحار اثني فقط هما بحر فارس وبحر الروم. ومن المؤلفات في هذا المجال أيضاً "المسالك والممالك" للإصطخري، و"صورة الأرض" لابن حوقل، و"تقويم البلدان" لليعقوبي وهي من أواخر القرن الثالث : وأواخر القرن الرابع الهجري، ويعتبر مؤلف المسعودي، "مروج الذهب ومعادن الجوهر" من المؤلفات الجغرافية التاريخية الهامة ففيه فصول عن البحار والمد والجزر، كذلك للمقدسي كتابه الهام في هذا المجال "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" وقد تناول في كتابه هذا أخبار البحار والمد والجزر بأحسن ممن سبقوه. وتحدث عن البحر كل من محمد بن سنان البتاني في كتابه (الزيج الصابي) وسهراب في كتابه (عجائب الأقاليم السبعة) ومحمد بن أحمد البيروني في كتابه (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة). حتى ظهر الشريف الإدريسي صاحب كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" أوائل القرن السادس وحقق كتابه شهرة واسعة في المشرق والمغرب، وتميز الكتاب بجمع مادة جغرافية فلكية ووصفية واعتمد على عدد كبير من الخرائط توضح الأقاليم التي وصفها، كما عُرِف عنه قيامه بعمل مجسم للكرة الأرضية من الفضة مبيناً عليه مواقع البلدان في الأرض المعمورة آنذاك، وذلك بطلب من حاكم صقلية روجر الثاني.

وفي كتابه تقويم البلدان "أورد أبو الفدا عماد الدين إسماعيل (٦٧٢-٧٣٢) معلومات هامة عن البحار والمد والجزر، مشيراً إلى بلاد بعيدة زارها مثل بريطانيا وإيرلنده، ويعاصره شمس الدين محمد بن أبي طالب الأنصاري المعروف بالدمشقي أو شيخ الربوة، ومن كتبه (نخبة الدهر في عجائب البر والبحر). ويعتبر كتاب ابن بطوطة الرحالة المغربي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي المتوفي ما بين (٧٧١ أو ٧٧٩) "تحفة الأنظار في غرائب الأمصار" من أمتع كتب الرحلات، وقد سبقه من الرحالة المغاربة ابن جبير المتوفى (٦١٤هـ) في رحلته المشهورة من الأندلس إلى الديار المقدسة<sup>(١)</sup>. وقد وجدت العديد من المؤلفات التي تحدثت عن البحار بشكل أو بآخر، وليس هذا مقام إحصائها، إنما الهدف الإشارة إلى هذا التراث الجغرافي الضخم الذي خلفته الأمة الإسلامية على مر العصور.

(١) غيثان بن علي بن جريس: البحر في كتب التراث الإسلامي، بحث في دورية اتحاد المؤرخين العرب "الحضارة الإسلامية وعالم البحار"، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ص ٩٨-١٠٥، وانظر: أنور عبدالعليم: الملاحة وعلوم البحار عند العرب، ص ٤٥-٤٨. وانظر موسوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين، ص ٧٣، ٨١، ٨٣، ٩٠، ٩٦، ١٤٣.

ومما يجدر ذكره كتب القصص البحري والتي تعتبر مصدراً من مصادر تاريخ الملاحة العربية، والتي ارتبطت بالملاحة في الخليج العربي (الفارسي) منطلقاً من "سيراف"<sup>(١)</sup> مروراً بالهند وانتهاءً بالصين، وهي أخبار مما يتداوله البحارة وربابنة السفن مما تعرضوا له من أهوال وأخطار ومغامرات، ومن تلك "رحلة التاجر سليمان" ويقدر تأليفها بعام ٢٣٧هـ، وتصف الطريق البحري بين سيراف وكاتون، وقد درس هذه المخطوطة كلا المستشرقين الفرنسيين رينو وفران ثم سوف جيه من بعدهما، وهذه الرحلة وكذلك رحلة ابن وهب القرشي التي كانت إلى الصين أيضاً ووافقت ثورة الزنج في جنوب العراق، جمعها أبو زيد حسن بن اليزيد السيرافي من أهل البصرة وقد قابله المسعودي عام (٣٠٤هـ)، ثم تلا هذا المخطوط مخطوط لربان يدعى بزرك بن شهریار الرام هرمزي الفارسي هو "كتاب عجائب الهند" جمع قصصه مما سمعه من الربابنة والتجار في سيراف والبصرة وعمان قصصاً عن الهند والشرق الأقصى وشرق إفريقيا، وأخباراً دقيقة عن حياة البحر في زمانه<sup>(٢)</sup>. ومن الربابنة إلى المعالمة وهم في اصطلاح رجال البحر أمهر الملاحين في قيادة المراكب الشراعية في أعالي البحار أو بمحاذاة السواحل، لذا فإن درجة المعلم في الترتيب المهني البحري أعلى من درجة الربان، وفي أواخر العصور الوسطى خاض المحيط الهندي معالمة من العرب الهرامزة والهنود والشوليان والزنوج<sup>(٣)</sup>. ومن أشهر من يذكر في هذا المقام من المعالمة العرب "ابن ماجد" و"سليمان المهري".

(١) سيراف: على الساحل الإيراني من الخليج العربي (الفارسي) مدينة كبيرة بها تجار مياسير، انظر الحميري: الروض المعطار، ص ٣٣٣.

(٢) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ١، ص ١٣٧-١٤٠، وأنظر حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص ٢٠٣-٢٠٤، وأنور عبدالمعالم، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، ص ٣٤-٣٥.

(٣) شهاب: فن الملاحة عند العرب، ص ٥٣-٥٤.



— المعلم ابن ماجد:

هو شهاب الدين وأسد البحر أحمد بن ماجد بن محمد بن عمرو بن فضل بن دويك بن يوسف بن حسن بن حسين بن أبي معلق السعدي ابن أبي الركائب النجدي<sup>(١)</sup>، "من جلفار بالخليج العربي"<sup>(٢)</sup> وابن ماجد من أسرة ربانة فأبوه ربانٌ يلقب بربان البرين (بر العرب وبر العجم) وكذلك جدّه، فقد كانا مهرة في الملاحة في البحر الأحمر، وسجلا ملاحظتهما وأثبتها ابن ماجد وزاد عليه بل أن لوالده منظومة شعرية تزيد على ألف بيت إسمها "الحجازية" في الملاحة بالبحر الأحمر، ويقر ابن ماجد لأبيه في هذه الأرجوزة بنجاته هو من أخطار البحر الأحمر والسير فيه<sup>(٣)</sup>. إلا أنه يعترف أيضاً أنه لم يكن أول المعالمة في المحيط الهندي والخليج العربي والبحر الأحمر بل يذكر عن نفسه أنه رابع ثلاثة من المعالمة المشهورين في البحر وهم محمد بن شاذوان وسهل بن أبان وليث بن كهلان، الذين ألفوا "رهمانج" أو كما يسميه البحارة العرب (رحماني) ويطلق على كل كتاب في القواعد والإشارات الملاحية، لكنه يرى أنه يتفوق عليهم، وأن خبرتهم محدودة فهم لم يركبوا البحر إلا من سيراف إلى بر "ساحل" مكران، ويقول انه لا يعلم لهم رابعاً في إعداد كتب الملاحة غيره، ويرى أنه عظمهم بذكره أنه رابعهم<sup>(٤)</sup>،

(١) شهاب: فن الملاحة عند العرب، ص ٦٢، وانظر أنور عبدالعليم:

الملاحة وعلوم البحار عند العرب، ص ١٣٩.

(٢) المرجع السابق، ص ٦٢، وأنور عبدالعليم، المرجع السابق، يذكر أنها "ظفار" المدينة العمانية.

(٣) شهاب: فن الملاحة عند العرب، ص ٦٣.

(٤) شهاب: المرجع السابق، ص ٦٠.



وبلا شك فقد كان ابن ماجد معلماً ماهراً محيطاً بكثير من فنون الملاحة وعلم الفلك والهيئة إضافة إلى شاعريته، فقد كان أديباً مطلعاً على كثير مما توفّر له من كتب الأدب والفلك والجغرافيا "فاستفاد واهتدى المعالمة في زمانه ومن بعده بما ابتكره من قياسات، وما صححه من دبر، وما وصل إليه من معرفته من النجوم والأرياح والأمواج وعلامات البرور وإشاراتها<sup>(١)</sup>، إلا أنه لم يعرف على وجه الدقة والتحقيق تاريخ ميلاد هذا المعلم المشهور، ولا تاريخ وفاته، ولكن نشاطه البحري انحصر (في أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العاشر الهجري) أي (في القرن الخامس عشر الميلادي)<sup>(٢)</sup>.

ويرجح أنور عبدالعليم تاريخ ميلاده على وجه التقريب ما بين ٨٣٥-٨٤٠هـ بالرجوع إلى قصيدته ضريبة الضرائب<sup>(٣)</sup>. ومن أشهر مؤلفات ابن ماجد كتابه "الفوائد في أصول علم البحر والقواعد" وله منظومات وأراجيز شعرية ومنها "حاوية الاختصار في أصول علم البحار" وهو يعارض فيها أرجوزة والده "المسماة الحجازية"، ويبلغ عدد أبياتها (١٠٨٢) بيتاً، وكذلك "المعربة" أرجوزة من (١٧٨) بيتاً، ومنظومة شعرية أخرى من (٢٩٥) بيتاً وصف فيها القبلية في جميع أقطار العالم القديم انتهى من نظمها عام (٨٩٣هـ).

وأرجوزة "بر العرب في خليج فارس"، وأرجوزة "كنز المعالمة ونخيرتهم" وأرجوزة: القصيدة المكية" في وصف السفر من جدة إلى فرتك، فكالكوت ودابول، وكنكن، وجوزرات، والاطوح، وهرمز، وأراجيز أخرى<sup>(٤)</sup>. ويلاحظ على أراجيز ابن

(١) شهاب: ، المرجع السابق ص ٦٤.

(٢) أنور عبدالعليم: المرجع السابق، ص ١٤٠.

(٣) المرجع السابق، ص ١٤١.

(٤) شهاب: فن الملاحة عند العرب، ص ٦٦-٦٨.

ماجد عدم تقيده بالوزن والقافية في مواضع متعددة، إلا أن هذا لا يقلل من عبقريته وكفاءته الفذة في الملاحة<sup>(١)</sup>.

إلا أن هذا الملاح الماهر والعبقري الفذ وأسد البحر شاب تاريخه الملاحي نقطة سوداء التصقت بهذا التاريخ الناصع، وهي دعوى مساعدته للملاح البرتغالي "فاسكو دي جاما" حتى عبر المحيط الهندي إلى الهند بلاد التوابل، فيذكر حوراني أنه في عام (١٤٩٨م - ٩٠٤هـ) كان هذا الملاح البرتغالي في ملندي بشرق إفريقية يبحث عن دليل يرشده إلى الهند، ولم يجد إلا ابن ماجد، فاستطاع اقناعه بقيادة السفن البرتغالية عبر المحيط إلى كلكتا، ويعلق ساخرًا (فكان من سخریات التاريخ أن ملاحاً عربياً كبيراً ساعد على القضاء على الملاحة العربية، إذ لم يستطع العرب إبعاد البرتغاليين ومن تبعهم من الشعوب الأوروبية الأخرى أو منافستهم!)<sup>(٢)</sup> إلا أن حسن صالح شهاب، وأنور عبدالعليم، ينفيان هذه التهمة ويبرئان ساحة هذا العبقري الفذ بحجج قوية، ومنها تعليق أنور عبدالعليم على وصول داجاما إلى ماليندي في كينيا، بأنه أقام علاقة جيدة مع ملكها وطلب منه أن يدلّه على مرشد يوصله إلى الهند، إلا أن الملك تردد في ذلك فما كان من الملاح البرتغالي إلا أن أسر أحد أقرباء الملك كرهينة، فاضطر إلى أن أرسل له رباتاً "مسلماً من جوازات" اسمه "كاناكا" كما ذكر ذلك مؤرخ برتغالي يدعى "دي باروش"، واختلفت الروايات حول تفاصيل رحلة دا جاما، فمن بين المؤرخين البرتغاليين من قال اسم الربان كان المعلم "كانا"، ومنهم من ذكر أنه "كاناكا" وأيضاً من ذكر أنه "ربان مسلم من جوازات" وكذلك من ذكر أنه عربي من المغرب.

(١) أنور عبدالعليم: المرجع السابق، ص ١٤٢.

(٢) العرب والملاحة في المحيط الهندي: ص ٢٣٧.

ويعتبر المؤرخ "فران" (١٩٢٢م) أول من أوجد علاقة بين من أرشد داجاما وبين ابن ماجد، معتمداً على ماورد في مؤلف لقطب الدين النهروالي بعنوان "البرق اليماني في الفتح العثماني" الذي يرجع تاريخه إلى عام (٩٨٥هـ - ١٥٧٧م) يذكر فيها النهروالي أن أحمد بن ماجد دل كبير الفرنج حتى توغل في المحيط الهندي، إلا أن رواية النهروالي عن ابن ماجد ضعيفة ولا يعتبر بها خاصة وأنه سجلها بعد رحلة داجاما بنحو ٨٠ عاماً، فاعتمد على الإشاعات المتواترة وقد سبقه في التأليف عن ابن ماجد والمهري، على حسين الربان التركي في كتابه "محيط" (عام ١٥٥٧م - ٩٦٥هـ) بعشرين سنة ولم يشر إلى هذه الحادثة بشكل أو بآخر، ولم ينقل عن الربانة العرب الذين التقى بهم شيئاً يذكر عن هذه الحادثة، كما أشار النهروالي إلى أن ابن ماجد دل داجاما في حالة سكر والقول غير مقبول لما عُرِف عن ابن ماجد من الاستقامة والورع مما ورد في كثير من أراجيزه، إضافة إلى أن الملاح البرتغالي لن يقبل رأياً بحرياً من رجل في حالة سكر، كما أن ابن ماجد لم يكن له دراية ولا تجربة حقيقية بالساحل الإفريقي، وأخيراً فإن ابن ماجد نفسه لم يشر من قريب أو بعيد في كتاباته إلى ركوبه مركباً برتغالياً أو إرشاد ملاحهم أو حتى الالتقاء بملاحي البرتغال رغم أنه عاصر حملاتهم الأولى إلى الهند، وأشار إلى شرورهم وعدواتهم للإسلام والمسلمين. فيقرر المؤلف وبكل ثقة أن ابن ماجد لم يكن هو الدليل أو المرشد الملاحي لمراكب دي جاما ولا لغيره من الأميرالات البرتغاليين<sup>(١)</sup>. ويشاركه نفس الرأي وبالقوة نفسها حسن صالح شهاب، مؤكداً أن المصادر البرتغالية لا تذكر أن الذي قاد داجاما إلى الهند ملاحاً عربياً وأهم هذه المصادر في رأيه، هو سجل سفينة (داجاما) Logbook وورد فيه أن حاكم (ماليندي) عندما طلب إليه داجاما أن يمهده بمرشد إلى الهند أرسل إليه رباناً نصرانياً،

(١) الملاحة وعلوم البحار عند العرب: ص ١٢٦-١٣٩.

مشيراً إلى أن سبب إصاق هذه التهمة بابن ماجد هو شهرته في الأوساط البحرية، وجراته في خوض البحار، كذلك كان ابن ماجد أثناء رحلة دي جاما في سن متقدمة وقد تجاوز ( ٧٤ عاماً ) قد لا تسمح له هذه السن بقيادة المراكب وخوض غمار البحر<sup>(١)</sup>.

نتتهي من ذلك إلى أن ابن ماجد كان يوصي المعلم بالعدل وطاعة الله، وتقواه<sup>(٢)</sup>، مما يوحي بأن الرجل كان على درجة من الاستقامة، وفي قصيدته المكية يقول :

(ركبت على اسم الله مجرى سفينتي . وعجلت فيها بالصلاة مبادراً)<sup>(٣)</sup>

### — المعلم سليمان المهري :

أما سليمان بن أحمد بن سليمان المهري المعلم الآخر فهو ينتسب إلى مهرة إحدى القبائل العربية الجنوبية (مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاة) وتتحكم هذه القبيلة في بلاد الشحر، وتشرف على خفارة القوافل التجارية التي كانت تقصد سوق الشحر (ومنطقة الشحر تمثل الجزء الغربي من حضرموت حتى ظفار غرباً)، وكان من سكان بلدة "سقطري"،

(١) فن الملاحة عند العرب: ص ٦٨-٧١.

(٢) ابن ماجد: كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد، "الفائدة الثانية" تحقيق إبراهيم الخوري، ص ٢٩-٣٠.

(٣) أنور عبدالعليم: المرجع السابق، ص ١٣٣.

ويعد من تلاميذ ابن ماجد، وله مؤلفات عدة منها "العمدة المهرية في ضبط العلوم البحرية" و"المنهاج الفاخر في علم البحر الزاخر" و"تحفة الفحول في تمهيد الأصول في أصول علم البحر" و"شرح تحفة الأصول .." و"رسالة قلادة الشمس واستخراج قواعد الأسوس"، وقد حقق هذه الكتب ابراهيم خوري. والمهري من المعالمة المتأخرين الذين عايشوا الغزو البرتغالي للسواحل العربية، وما تعرض له الملاحين العرب من اعتداءات وقتل ونهب على يد الغزاة، وقد أدرك ابن ماجد في سنوات عمره الأخيرة؛ ونقل عنه، لذا يرجح أنه عاش في النصف الأول من القرن العاشر الهجري، وكانت وفاته تقدر بنحو عام ٩٦١هـ تقريباً<sup>(١)</sup>.

والحديث عن المعالمة العرب يجرنا للحديث عن أهم المصطلحات الملاحية والمرشديات وآلات الرصد والقياس التي استخدمها واستفاد منها وتداولها الملاحون المسلمون بعامية والعرب بخاصة في المحيط الهندي والبحر الأحمر على مدار التاريخ الإسلامي وفي العصور الوسطى على وجه الخصوص وقد استفاد الملاحون من التراث الفكري للمسلمين في علوم الفلك والنجوم وحساب المثلثات التي ازدهرت كثيراً في العهد العباسي الأول، وازدهار الترجمة من مؤلفات الأمم والشعوب الأخرى، وبناء المراصد في مناطق عدة من العالم الإسلامي كبغداد ودمشق وجنديسابور وغيرها، وصناعة الأسطرلابات، والبوصلة البحرية<sup>(٢)</sup>. وتأثرت المصطلحات الملاحية بلغات شعوب عدة، وكان للغة العربية أثر واضح، ومن ذلك كلمات مثل جؤجؤ السفينة (أي مقدمتها) وكوئلها (أي مؤخرتها)، وكذلك إقلاع، وإشراع، وإرخاء، وإرساء وجذف، وجدف،

(١) الزركلي: الأعلام، ج٣، ص١٢١، وانظر شهاب: فن الملاحة عند العرب، ص٧١-٧٤، وأنور عبدالعليم: الملاحة وعلوم البحار عند العرب، ص١٤٦-١٤٧.

(٢) حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص٢٧٥-٢٧٧.

ومجداف، ومقذاف، وخطف، وصاري، وشحن، وندخ، ونتخ، وأيضاً دم السفينة أي طلائها بالقار، وقلط السفينة أي سد خروقتها، والحقه أو بيت الإبرة أو البوصلة الملاحية. ومن غير العربية دخلت كلمات ملاحية من اللغة اللاتينية من مثل أسكله أي رصيف رسو السفن، وأسطول، ونوتي وهو البحار<sup>(١)</sup>، ومن اللغة الفارسية دخلت مصطلحات من مثل البلنج (بلنك) أي حجرة السفينة، والبندر أي الميناء أو المرسى، والدفتر وهي الصحف التي تتضمن إرشادات ملاحية، والدوينج أي زورق السفينة، والخن: أي النقطة في البوصلة، والناخذة أو النواخذة، وجمعه النواخذة أو النواخذة: أي رب السفينة، والرهمني أيضاً دفتر إرشادات للملاح<sup>(٢)</sup>. واشتيايم أي رئيس ملاحي السفينة، وربان: أي قائد السفينة، والجاه قطب الشمال<sup>(٣)</sup>. ومن الكلمات العربية التي دخلت اللغات الأجنبية في مجال الملاحة مثل أميرال وأصلها أمير البحر، وأرسينال أي دار صناعة السفن، ثم عادت إلى العربية محرفة عن الأجنبية بلفظ "ترسانة"، وكذلك رايس: أي رئيس البحارة، وكابل Cable، أي حبل، وغير ذلك<sup>(٤)</sup>.

أما أشهر آلات الرصد والقياس لدى البحارة فهي:

- ١- الإسطرلاب وهو عبارة عن قرص معدني مقسم إلى ٣٦٠ درجة ويعرف بميزان الشمس، ومن المسائل التي يمكن إنجازها عن طريق الإسطرلاب معرفة ارتفاع الشمس والأجرام السماوية والميل والبعد وعرض البلد وسعة المشرق إلى غير ذلك.

(١) أنور عبدالعليم: الملاحة وعلوم البحار، ص ٢٦-٢٧.

(٢) حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص ١٩٨-١٩٩.

(٣) أنور عبدالعليم: المرجع السابق، ص ٢٨-٢٩.

(٤) أنور عبدالعليم: المرجع السابق، ص ٣٠-٣١.



٢ - ربع الدائرة أو "المربع" وهو قوس قدره ٩٠ درجة من دائرة الإسطرلاب مثبت عليه خيط يتصل بثقل من الرصاص، ويكون هذا الخيط ضلع الزاوية التي تحدد ارتفاع النجم فوق الأفق. ٣ - القياس بالأصابع.

ويمكن بهذه الطريقة قياس ارتفاع النجم لثمانية أصابع أو أكثر باستخدام راحتي اليد معاً وبالتناوب تثبت الواحدة وتضاف الأخرى فوقها وهكذا إلا أن هذه الطريقة بدائية، وأدخل عليها تحسينات فيما بعد عرفت بالخشبات أو الألواح.

٤ - آلة الكمال: أو خشبات ابن ماجد وهي عبارة عن خشبة على شكل متوازي المستطيلات يتصل من وسطها خيط مدرج بعقد تختلف المسافة بين كل عقدة وأخرى حسب ظل تمام زاوية الارتفاع، ويوضح ارتفاع النجم بالأصابع، وهي مبنية على حساب مثلثات، وتتفق هذه الآلة مع خطوات الملاحة في المحيط الهندي.

٥ - آلة البلستي: وهي تشبه الخشبات السابقة غير أنه استبدل بالخيط المعقود مسطرة مضلعة من الخشب.

٦ - آلة الاربلت: عصا قياس لرصد ارتفاع النجوم.

٧ - بيت الإبرة "البوصلة البحرية": وهي كلمة إيطالية تعني الصندوق أو الحق، وتوضح الاتجاه في البحر بخاصية انجذاب الإبرة المغناطيسية نحو الشمال، ويسمى ابن ماجد باسم بيت الإبرة أو الحقة أو الديرة، ومن المؤكد أن ابن ماجد هو أول من قام بتركيب الإبرة الممغنطة على محور تتحرك حركة حرة، كما ذكر ذلك بنفسه في كتابه وأنه لم يسبقه فيها أحد، وشاركت أمم أخرى في تطوير البوصلة البحرية<sup>(١)</sup>.

(١) أنور عبدالعليم: الملاحة وعلوم البحار، ص ١٦٩-١٨٩، وانظر شهاب: المصدر السابق، ص ٧٩-١٣٥، لمزيد من التفاصيل انظر سليمان المهري: العمدة المهرية في ضبط العلوم البحرية، تحقيق ابراهيم خوري، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دمشق ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م، ص ٦-٧.



وكان البحارة قبل البوصلة أو بيت الابرّة يصعب عليهم تمييز الجهة المقصودة من الجهة الأخرى في حالة الليالي غير القمرية والملبدة بالغيوم، وكل اعتمادهم في مساراتهم البحرية ليلاً على رؤية النجوم<sup>(١)</sup>. ومن معارف الملاحين "الدير" وهو ما يُعرف اليوم بالخطوط البحرية الموازية للبر، فإذا مالت السفينة عن هذا الخط إلى داخل البحر، ولم يعد يشاهد البر أو مالت السفينة إلى البر ودخلت بين رؤوسه، عُرف عند البحارة بأن السفينة لم تعد تجري في الديرة الحقيقية<sup>(٢)</sup>.

وللمعاملة ورجال البحر العربي مهارات وقدرات متعددة أبرزتها بعد توفيق الله رحلاتهم ومغامراتهم وأسفارهم، فمن تلك الإبداعات العلامات والإشارات التي يستدلون بها على الاقتراب من الأماكن التي يريدون الوصول إليها، فهي تماثل الكواكب في الليل، ومن هذه العلامات ثعابين البحر، وبعض الحيتان، والطيور والجبال، والجزر، والأعشاب، وطين قاع البحر، ولون الماء، والتيارات، ويشترط لصحة هذه العلامات أن يكون من رآها من أهل الثقة والمعرفة، وقد أجمل ابن ماجد هذه العلامات والإشارات في أرجوزته الحاوية ومنها قوله:

والطين والحيات والأطيّار . . والحوت والحشيش خذ أخباري  
لا تعتبر إلا بما جربته . . أو يكن الوصف قد حققته<sup>(٣)</sup>

(١) شهاب: فن الملاحة، ص ١١٧، وانظر المهري، المصدر السابق، ص ١٢-٧.

(٢) شهاب: المرجع السابق، ص ١٢٦، وانظر المهري، المصدر السابق، ص ٢٨-٢٩ عن دير الحجاز..

(٣) شهاب: فن الملاحة عند العرب، ص ١٩٣-١٩٦.

## الفصل الرابع

الهجرات العربية ورحلة الحج وعمارة الحرمين  
عبر الثغور

أولاً - الهجرات العربية عبر الثغور الحجازية

١ - مواطن القبائل العربية المهاجرة في شرقي  
إفريقية

٢ - دور القبائل العربية في نشر الإسلام واللغة  
العربية

٣ - دور القبائل العربية في السياسة والتجارة.

ثانياً - رحلة الحج عبر الثغور

١ - أهم الثغور على الساحل الإفريقي للبحر الأحمر

التي يرتادها الحجاج ورأي الرحالة العرب فيها

٢ - رحلة الحاج المصري  
الحج

٣ - رحلة الحاج المغربي ٥ - المحمل

ثالثاً - نقل المؤن وعمارة الحرمين الشريفين

وكسوة الكعبة عبر الثغور

١ - في العهد العبيدي "الفاطمي"

٢ - في العهد الأيوبي

٣ - في العهد المملوكي

## أولاً - الهجرات العربية عبر الثغور الحجازية:

لعل من أهم القبائل العربية التي ارتحلت إلى أفريقيا عامة ووادي النيل "مصر والسودان" وكذلك الحبشة بخاصة، من الحجاز خاصة ومن باقي مناطق الجزيرة العربية عامة هي:

١ - قريش (بفروعها المختلفة). ٢ - جهينة.

٣ - بلي. ٤ - بنو سليم.

٥ - بنو هلال. ٦ - ربيعة.

٧ - جذام. ٨ - الأنصار.

٩ - كنانة. وآخرون أفراداً وجماعات.

وقبل الحديث عن منازلهم الجديدة من وادي النيل والحبشة سنتعرف على أهم دوافع هذه الهجرة، وأهم معابرها ومنافذها.

### أ) - دوافع الهجرة:

#### ١ - الدافع الديني:

منذ بعثة المصطفى محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم في مكة البلد الأمين دبّت روح جديدة في الجسد العربي، فكانوا خير أمة أخرجت للناس، وأعز الله العرب بالإسلام، فكانت أول هجرة في الإسلام بسبب هذا الدين وفراراً به من أذى مشركي قريش، وكانت الهجرة عبر الساحل الحجازي من الشعية إلى الساحل الأفريقي إلى الحبشة فكانت أفريقيا أول البلاد خارج جزيرة العرب تستقبل المهاجرين بالدين الجديد، ونصر الله الإسلام في الجزيرة، وقامت دولة الإسلام في المدينة النبوية، وما زال الإسلام هو المحرك للتنقل والهجرة، وتمثل ذلك في الفتوحات الإسلامية الكبيرة التي انطلقت شرقاً وغرباً من عاصمة الإسلام الأولى (المدينة النبوية) من عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن ثم خلفائه الراشدين ومن بعدهم.

ومن بين تلك الفتوحات فتح مصر وبلاد النوبة وباقي  
أفريقية في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن أتى  
بعده، والتي رافقها انتقال عدد من القبائل العربية التي سرعان  
ما استقرت في مناطق الإسلام الجديدة<sup>(١)</sup>.

## ٢ - الدافع الاقتصادي:

لعل قلة الموارد الاقتصادية في جزيرة العرب عامة  
والحجاز بخاصة، واستقرار الأوضاع بعد فتح مصر، وما  
تناقلته الأخبار للقبائل من مزايا وخيرات تترى في أرض مصر  
والسودان، وماتسامع به العرب من وجود المعادن وتبر الذهب  
في جنوب مصر وأرض السودان، كان له أثر في هجرة أعداد  
من القبائل العربية إلى وادي النيل.

حيث ازدهرت تجارة الرقيق، والعمل بالتعدين في الصحراء  
الشرقية، وممارسة التجارة البحرية مع الهند والصين ونقل  
حجاج بيت الله إلى الأراضي المقدسة ذهاباً وإياباً عبر الموانئ  
المصرية والسودانية إلى مايقابلها من الموانئ الحجازية<sup>(٢)</sup>.

---

(١) المقرئزي: البيان والإعراب عما بارض مصر من الإعراب، تحقيق  
عبدالمجيد عابدين، الطبعة الأولى، ١٩٦١م، عالم الكتب، ص٩٥-٩٩،  
د. ربيع محمد القمر حاج: انتشار الإسلام في بلاد البجة (رسالة  
دكتوراة) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، شعبان  
١٤١٨هـ، ص٩٢-٩٥. وأنظر: محمد سعيد ناود: العروبة والإسلام  
بالقرن الأفريقي، ص٢٩.

(٢) يوسف فضل حسن: دراسات في تاريخ السودان، الطبعة الأولى،  
١٩٧٥م، دار التأليف والترجمة والنشر، جامعة الخرطوم، ص٣٦-٤٠،  
، وأنظر ربيع محمد القمر حاج، انتشار الإسلام في بلاد البجة، ص  
١٠٢، ١٠١، وناود: العروبة والإسلام، ص٢٩.

### ٣- الدافع السياسي:

ويأتي هذا الدافع في الأهمية بعد الدافعين السابقين فبعد فتح مصر تواصلت الفتوحات في عهد الأمويين في شمال أفريقيا، شجع الأمويون وولاتهم في مصر هجرة القبائل القيسية بهدف تدعيم حكمهم فيها، ورغبة في تقليل نفوذ القبائل اليمنية في مصر.

ومما شجع هجرة القبائل العربية من مصر إلى السودان سياسياً العباسيين وميلهم إلى العنصر الفارسي والتركي، ووصل الأمر بالخليفة العباسي المعتصم بالله أن قطع العطاء عن العرب وأسقطهم من الديوان، واستبدلهم بعناصر غير عربية، مما أدى إلى نفور العرب واستياءهم، وثوراتهم على الحكم العباسي، والانسحاب تدريجياً إلى الجنوب.

كما واصل الطولونيون سياسة العباسيين في تقريب العناصر الغير عربية. كذلك ما وقع من صراعات مسلحة بين العرب والأيوبيين والمماليك، مما دفع بكثير من القبائل إلى الانسحاب إلى جنوب مصر والسودان والحبشة. حسب رأي بعض الباحثين<sup>(١)</sup>.

---

(١) المقرئزي: البيان والإعراب، ص ٩٩-١٠٤، وانظر أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ٢٢٣، وربيح حاج: انتشار الإسلام في بلاد البجة، ص ٩٥-١٠٠، وانظر محمد صالح ضرار: تاريخ السودان (البحر الأحمر - إقليم البجة)، ١٩٦٥م، مكتبة الحياة، ص ٤٠.

## ب) - معابر الهجرة:

لقد عبرت القبائل العربية من جزيرة العرب إلى وادي النيل (مصر والسودان) والحبشة عن طريق معبرين هامين هما:

(١) المعبر البري: الذي تمثل في اجتياز عمرو بن العاص رضي الله عنه والفاحين معه شبة جزيرة سيناء لفتح مصر في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سنة عشرين للهجرة وقيل سنة ست عشرة<sup>(١)</sup>. وماتلا ذلك من هجرات عبر هذا المعبر.

(٢) - المعبر البحري: الذي تمثل في انتقال القبائل العربية إلى السودان والحبشة عن طريق البحر الأحمر انطلاقاً من الموانئ الحجازية مثل ينبع وجدة والسرين، وما بينهما من مرافئ أمثال الحوراء وعينونا وصولاً إلى الموانئ السودانية والحبشية مثل عيذاب، وسواكن، ومصوع "باضع"، وزيلع، ودهلك<sup>(٢)</sup>.

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية (خلافة عمر بن الخطاب) ترتيب وتهذيب محمد بن صامل السلمي، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، دار الوطن، ص ٧٩-٨٢، والمقريري: البيان والإعراب، ص ٩٥-١٠٠.

(٢) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٥٣، والمسعودي: مروج الذهب، ج ٢، ص ٢٢، ٢٣، وانظر ضرار صالح ضرار: هجرة القبائل العربية إلى وادي النيل مصر والسودان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، مكتبة التوبة، الرياض، ص ٩٧. وناود: العروبة والإسلام، ص ٢٩، ويوسف فضل حسن: تاريخ السودان، ص ٦٤، وربيع حاج؛ انتشار الإسلام في بلاد البجة، ص ١٠٣-١١١.

## ١ - مواطن ومنازل القبائل العربية في مصر والسودان والحبشة:

اختطت قريش بالفسطاط حول مسجد عمرو بن العاص رضي الله عنه هم والأتصار وأخذت قريش منذ الربع الأخير من القرن الأول ترحف نحو الجنوب وتقيم في مدن الصعيد الأدنى مثل حلوان، حتى كان القرن الثالث تكاثرت قريش بصعيد مصر، وتجمعوا في أسوان، وامتلكوا الأراضي في بلاد النوبة في العهد الأموي والعباسي، حتى أصبحت منطقة الأشمونيين (في مركز الروضة "محافظة أسيوط") يطلق عليها بلاد قريش ومن أشهر بطونها في صعيد مصر بنو مخزوم، وبنو تميم بن مرة، وبنو زهرة، وبنو عبدالدار، وبنو أسد بن عبدالعزيز، وبنو نوفل بن عبد مناف، وبنو المطلب، وبنو أمية وبنو هاشم (من آل علي، وآل جعفر، وآل العباس) وبنو أسامة بن لؤي وبنو عامر بن لؤي، وبنو سهم، وبنو جمح، وبنو عدي بن كعب<sup>(١)</sup>.

وزحفت بطون من قريش باتجاه السودان، إما عن طريق مصر أو عن طريق البحر الأحمر منتقلة من جدة إلى عيذاب ويؤكد المسعودي<sup>(٢)</sup> انتقالهم من الحجاز مباشرة بقوله: (وأكثرهم ناقلة من الحجاز وغيره). ومن هناك انتشرت في الأراضي السودانية، ومن أوائل من وصل منهم إلى السودان بنو أمية الذين نزلوا في بلاد النوبة بقيادة عبدالله بن مروان وأخوه عبيدالله بن مروان إلى مملكة النوبة إلا أن آثار الأمويين فقدت مع الأيام وسط سكان المنطقة من البجة، ولم يعد لهم خبر، حتى كان القرن العاشر الهجري عندما قامت لهم سلطنة حوت معظم أراضي السودان الحالية وسميت بالسلطنة الزرقاء

(١) المقرئزي: البيان والإعراب، ص ٣٣-٤٣، وانظر عبدالله خورشيد البري: القبائل العربية في مصر، ١٩٦٧م، دار الكتاب العربي، ص ٦٩-٩٤.

(٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٢، ص ٢٣.



"الفونج"<sup>(١)</sup>. ويرجع مؤرخوا السودان المعاصرون أنساب كثير من قبائل السودان الحالية إلى أسر عربية من قريش وغيرها والتي رحلت إلى السودان في فترات مختلفة، وأكبر هذه الأسر العباسيون، ويسمون في السودان إلى اليوم "الجعليون كما يُدعى، ولهم مكانة كبيرة في تلك البلاد.

ومن الأسر المسلمية ويذكر أنهم ينتمون إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ويعيشون في شرق السودان، ويمتدون حتى داخل إريتريا، ولهم مركز المسلمية المسمى باسمهم، وأسرة الدقناب إحدى قبائل الهدندوة وتسكن في أركويت والمنطقة التي حولها ويرجعون بنسبهم إلى هارون الرشيد الخليفة العباسي، كما يُزعم، وقبيلة الحسناب التي تذكر أنها ذات أصول قرشية وتسكن في سواكن، ومن الأسر القرشية الشادلياب التي استوطنت بين قبائل البجة في شرق السودان، وقبيلة السيقولاب والتي يُذكر أنها من قبائل البجة إلا أن قادتها من أبناء أبي بكر الصديق رضي الله عنه واستوطنت كسلا، وكذلك الملهيتكناب، والعجياب، والأفلندة، وماريا، والهدندوة، والنابتاب، وقبيلة ألمدة البجوية أو البجاوية ويذكرون أن زعماءهم من بني أمية، والجعافرة نسبة إلى جعفر الطيار رضي الله عنه، وقد كانت بصعيد مصر فقادت صراعاً مسلحاً ضد المماليك انتهى بهزيمتها، وبالتالي فرار بعضهم إلى داخل الأراضي السودانية ومنهم بطون تسكن كردفان، كما تنتمي قبيلة العليقات أو العقيلات إلى عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه، وقبيلة البشارين التي ترجع بأصولها إلى بني أسد من قريش، وقدموا إلى السودان مع أقاربهم من الكواهلة حيث سكنوا حول سواكن، والأمّار أو أبناء عمار ويدعى أنهم من سلالة الأسدي وجده الزبير بن العوام رضي الله عنه<sup>(٢)</sup>.

(١) الفونج: سياّتي الحديث عنها لاحقاً في دور العرب السياسي.

(٢) محمد صالح ضرار: تاريخ السودان (البحر الأحمر - إقليم البجة)، ص ٣٩-٤٢، وضرار صالح ضرار: هجرة القبائل العربية إلى وادي

وفي الحبشة، وإرتريا بوجه خاص تدعي بعض الأسر والقبائل انتسابها إلى قريش مثل بيت الشيخ محمود المنتسبون إلى الزبير بن العوام رضي الله عنه، وعد الشيخ حامد ودنا مغوتاي المنتسبين إلى أشراف قريش، وقبائل بني عامر والبلو تنتسب إلى بني العباس، وقبائل الحباب المتعددة تنتسب إلى بطون متعددة من قريش، والاساورتا ويَزعم انتسابهم إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والمنيفري ينتسبون إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما يدعون. والماريا وسنعد قلى في المرتفعات الإرترية و قبيلة طروعه وحذو ومنسح ينتسبون إلى الأمويين، والجبرته يُزعم انتسابهم إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقبائل العفر تدعى انتسابها إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه<sup>(١)</sup>. كما هاجر من قريش إلى القرن الأفريقي ود بن هشام المخزومي وجماعة من أسرته في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكذلك هجرة الزيدية الشيعة سنة ١٢٣هـ في عهد هشام بن عبد الملك بعد مقتل زيد بن علي فرحل انصاره إلى الصومال ونزلوا في موقع مقديشو الحالي، وانتشروا على طول ساحل بنادر حتى كونوا لهم دولة في تلك الديار<sup>(٢)</sup> واتخذت جهينة<sup>(٣)</sup> القبيلة الكبيرة

النيل مصر والسودان، ص ٣٤٦-٣٤٧ ومزيد من التفاصيل عن قريش في السودان، وانظر كذلك عبدالمجيد عابدين: محقق كتاب البيان والإعراب للمقريزي في دراسات حول تاريخ العروبة في السودان، ص ١٥٥-١٦٠.

- (١) ناود: العروبة والإسلام بالقرن الأفريقي، ص ١٥٠.
- (٢) غيثان: الهجرات العربية إلى ساحل شرقي أفريقية في العصور الوسطى (المبحث الثالث من كتاب بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية)، ج ٢، ص ٥٨، ٦٣.
- (٣) منازل جهينة بالحجاز جبال الأشعر، والأجرد، وقنس، وآروه، ورضوى وأودية ذا خشب، وبندر، والحاضرة، والقفاء، والعيص، وبواط، والمصلى، وبدار وجفاف، وودان، وينبع، والوراء. انظر

الواسعة الانتشار منازل لها في مصر في الصعيد في بلاد قريش فأخرجتها قريش بمساعدة عساكر الخلفاء الفاطميين، واضطروا للنزول في بلاد إخميم أعلاها وأسفلها<sup>(١)</sup> ويذكر ابن خلدون أن جهينة غلبوا النوبة على مواطنهم وملكهم وزاحموا الحبشة في بلادهم وشاركوهم في أطرافها، وجهينة الذين يقطنون جنوبي أسوان يعرفون بأولاد الكنز، كان جدهم كنز الدولة<sup>(٢)</sup>. وعن قبيلة<sup>(٣)</sup> بلبي التي سبق وان هاجر أعداد منها إلى مصر والسودان قبل الإسلام، وعند ظهور الإسلام انتقلت في عهد عمر بن الخطاب، وكانت متفرقة في أرض مصر، ثم اتفقت مع جهينة، فصار لبلي من جسر سوهاي غرباً إلى قريب غرب قمولة، وصار لها من الشرق عقبه قاو الخراب إلى عيذاب<sup>(٤)</sup>

الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٨٦، البلادي: معجم قبائل الحجاز ص ٩٥، أو صالح العلي، الحجاز في صدر الإسلام ص ١٨٥.

(١) المقرئزي: البيان والاعراب، ص ٣٢.

(٢) تاريخ ابن خلدون، ج ٦، ص ٧.

ولمزيد من التفاصيل عن حال جهينة في السودان "انظر ضرار: هجرة القبائل العربية، ص ٣٠٦ - ٣٢٣.

(٣) منازل بلبي بالحجاز: كانت تسكن في صدر الإسلام حول وادي القرى "وادي العلا حالياً" إلى ديار جذام في الشمال من الحجاز إلى سيف البحر الأحمر، انظر السويدي: سبائك الذهب: ص ٨٣، وصالح العلي: الحجاز في صدر الإسلام، ص ١٨٢.

(٤) المقرئزي: البيان والاعراب، ص ٢٩-٣٠.

ولم تستقر بلي بمصر، وتوجهت جماعات منهم إلى معادن التبر في جنوب مصر وبلاد السودان<sup>(١)</sup>. ويذكر السويدي أن منازلهم بالصعيد ومنهم باداما وهي مادون عيون القصب إلى أكرى، ويضيف أن عليهم درك الحاج هناك، ومنهم في أخميم وما تحتها<sup>(٢)</sup>.

أما عن وضع بلي في السودان، فإن المؤرخين السودانيين يشيرون إلى أن بلي كانت القبيلة العربية الأولى التي هاجرت إلى السودان من الجزيرة العربية عبر البحر الأحمر قبل الإسلام وبعده<sup>(٣)</sup>.

لذا يرجح الباحث أن بلي قد تكون استخدمت ميناء الجار أو مرفأ العونيد<sup>(٤)</sup> أو ينبع فيما بعد في رحلتها باتجاه الأراضي السودانية، ومن المرجح أنهم قد استخدموا عدة موانئ ومرافئ في حدود موطنهم في الحجاز عبوراً إلى منازلهم الجديدة في بلاد البجة شرقي السودان. وقد أطلقت البجة كلمة "بلوييت" على اللغة التي يتحدث بها أفراد و قبيلة بلي وهي اللغة العربية، فهي لم تكن معلومة لديهم، ولذلك نسبوها لأول من تكلمها في ديارهم، واعتبر البجة أفراد قبيلة بلي سادة عليهم حتى أصبحت

(١) عبدالله البري: القبائل العربية في مصر، ص ١٨٥-١٨٧.

(٢) سبائك الذهب، ص ٥٤.

(٣) محمد صالح ضرار: تاريخ السودان، ص ٣٠، وضرار صالح ضرار: هجرة القبائل العربية، ص ٢٨٠، ويوسف فضل حسن، تاريخ السودان، ص ٤٥، ٤٣.

(٤) العونيد: تقع في مرسى عنتر على بعد ٥٠ كم شمال الوجه، وكانت العونيد مرفأ لمدن بلي الداخلية، وهو مرسى مأمون، واستمر كذلك طوال العهدين العباسي والفاطمي. انظر علي غبان: مراكز الاستيطان بشمال الحجاز، الدارة، العدد الثاني، السنة العشرون، محرم وصفر وربيع أول، ١٤١٥هـ، ص ٧١.

ورغم إشارة حمد الجاسر إلى أن العونيد من تحريف النساخ والأصح العونيد إلا أن المصادر الجغرافية تقدم النون على الياء. هامش كتاب المناسك، ص ٤٠٢.

كلمة "بلويون" تعنى رئيسنا أو سيدنا واختلطوا مع البجاة وصاهروهم<sup>(١)</sup>.

ونزل بنو سليم<sup>(٢)</sup> مصر سنة ١٠٩ هـ وأمير مصر في ذلك الحين الوليد بن رفاعه بن خالد بن ثابت بن طاعن الفهمي، وطلب عامل الخراج بمصر عبيد الله بن الحباب من الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك أن ينقل إلى مصر بعض قبائل قيس فألحق ثلاثة آلاف من قيس بديوان مصر وأنزلهم الحوف الشرقي وفرقهم فيه، وكان يستقدم مائة أهل بيت من بيوت قيس مثل بني نصر بن معاوية وبني عامر بن صعصعة، ومن هوازن، وسليم، فأنزلهم بلبيس، وأمرهم بالزرع وصرف فيهم الصدقة حتى اشتروا إبلًا وخيلاً، وكانوا يحملون الطعام إلى القلزم، وتتابع هجرات قيس إلى مصر، وسكن بنو سليم في برقة باتجاه ليبيا<sup>(٣)</sup>. وهاجر عدد منهم إلى منطقة العلاقي بالسودان<sup>(٤)</sup>. وانتشروا حتى صحراء عيذاب<sup>(٥)</sup>.

(١) محمد صالح ضرار: تاريخ السودان، ص ٣١-٣٢، ضرار صالح ضرار: هجرة القبائل العربية، ص ٢٨٠-٢٨٤.

(٢) مواطنهم بالحجاز: تمتد ما بين مكة والمدينة متجهة شرقاً إلى الدفينة وحره كشب وشمالاً جنوب شرقي المدينة، وجنوباً حره رهاط ونخلة الشامية، ولهم حره الحجاز، وتسمى حره سليم. وانظر السمعاني: الأنساب، ج ٣، ص ٢٧٨، والسويدي: سبائك الذهب، ص ٨٣، البلادي: معجم قبائل الحجاز، ص ٢٢٦.

(٣) المقرئزي: البيان والإعراب، ص ٦٥-٦٩، وابن خلدون، ج ٦، ص ١٨-٢٠.

(٤) عبدالله البري: القبائل العربية في مصر، ص ١٠٩.

(٥) يوسف فضل حسن: تاريخ السودان، ص ٤٥.

وبنوا هلال<sup>(١)</sup> كانوا من أهل الصعيد إلى عيذاب، وبأخميم  
وبساقية<sup>(٢)</sup>.

ويتحدث ابن خلدون عن هجرتهم الشهيرة إلى بلاد المغرب  
وما أحدثوه من فساد ودمار في طريقهم إليها، وربط خروجهم  
من بلاد الحجاز بقصة تزوج إحدى نسائهم من أمير مكة  
الشريف ابن هاشم، مشيراً إلى أنها قد التفت عليها كثير من  
المبالغات والمزاعم، إلا أنه لا يستبعد صحتها<sup>(٣)</sup>.

وقد أوردها أيضاً الفاسي المؤرخ المكي عند ترجمته  
للأمير شكر بن أبي الفتوح الذي توفي ٤٥٣هـ<sup>(٤)</sup>.

وبصعيد مصر أيضاً أولاً الكنز أصلهم من ربيعة بن نزار،  
وقد قدمت ربيعة<sup>(٥)</sup> مصر في خلافة المتوكل على الله العباسي ( ٢٣٢ - ٢٤٧هـ ) بأعداد كبيرة، ونزلت طائفة منهم بأعلى  
الصعيد، وقد كانت البجة تهاجم قرى مصر الشرقية وتخربها  
فتولت ربيعة التصدي لها بل وزحفت على أراضي البجة  
واستولت على معدن الذهب بالعلاقي حتى كثرت أموالهم؛  
وتحسن أحوالهم؛ وصارت لهم مرافق في بلاد البجة، واختطوا  
قرية النمامس، وكانت عيذاب لبني يونس من ربيعة<sup>(٦)</sup>.

(١) منازلهم بالحجاز: في المنطقة الممتدة ما بين الطائف ورنية وبيشة،  
وكانت لهم جلدان وتربة، وبيشة، وحره بني هلال جنوب شرقي  
الطائف. انظر الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٣٠، والسمعاني:  
الأنساب، ج ٥، ص ٦٥٧، والبلادي: معجم قبائل الحجاز، ص ٥٥٢.

(٢) المقرئزي: البيان والإعراب، ص.

(٣) تاريخ ابن خلدون، ج ٦، ص ١٨-٣٥.

(٤) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين: ج ٤، ص ٢٦٣.

(٥) مواطنهم بالحجاز: قرن المنازل، وحضن وركبة، وحنين، وغمرة،  
وأوطاس، وذات عرق، والعقيق، ووقعت بينهم حروب فرقتهم،  
فهاجرت بطون منهم إلى مناطق عدة في الجزيرة العربية مثل البحرين  
وهجر ونجد والحجاز. انظر البكري: معجم ما استعجم، ج ١، ص ١٨،  
الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٤٦-٢٤٧، البلادي: ص ١٧٥.

(٦) المقرئزي: البيان والإعراب، ص ٤٤.

ويتحدث كلاً من المسعودي<sup>(١)</sup> وابن حوقل<sup>(٢)</sup> عن مكانة ربيعة في بلاد البجة في شرقي السودان ودورهم السياسي ومملكتهم، وسيطرتهم على أرض المعدن وتبر الذهب، كما أورد المؤرخون السودانيون تفاصيل موسعة عن دور قبيلة ربيعة في السودان؛ مشيرين إلى أن من قبيلة ربيعة من قدم من مصر، ومنهم من قدم عبر البحر الأحمر مثل بني يونس عن طريق ميناء ينبع الحجازي إلى ميناء عيذاب<sup>(٣)</sup>.

وجذام<sup>(٤)</sup> أول من سكن مصر من العرب فقد جاعوا مع الفتح مع عمرو بن العاص رضي الله عنه، ومن اقطاعاتهم هربيط وتل بسطه ونوب ورم وغيرها وسكنوا أيضاً بالإسكندرية، وكانوا يسكنون الحوف الشرقي الدلتا.

(١) مروج الذهب، ج ٢، ص ٢٠.

(٢) صورة الأرض، ص ٥٢-٥٤.

(٣) محمد صالح ضرار: تاريخ السودان، ص ٣٤، يوسف فضل حسن: تاريخ السودان، ص ٤٠، ص ٥٤ - ٦٣، وضرار صالح ضرار: هجرة القبائل العربية ص ٩٦ - ١٠٥.

(٤) مواطنهم بالحجاز: أشهر مدن جذام أيلة، وقد كان سكانها قبل الإسلام أخلاط، كما أن أيلة سوق لهذه القبيلة، ومن ديار جذام في العهد الأموي، مدين ومقتا، وقيال، وعينونا، وتريم، وسرخ، ومعان، ويذكر المقرئ أن لبنى عقبة من جذام من عقبة أيلة إلى داما قرب عينونه. انظر البيان والاعراب، ص ١٩، السويدي: سبائك الذهب، ص ١٠٧، البلادي: معجم قبائل الحجاز، ص ٨١، وعلى غبان: مراكز الاستيطان الشمالي الحجاز في عصر بني أمية، ص ٧٢ - ٧٣. ويورد السمعي في الأنساب، ج ٢، ص ٣٣ (حديثاً عن أبي هريرة رضي الله عنه) → لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في فضل بني جذام، وعن نصرتهم لله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.



والعايز بياء آخر الحروف وذال معجمه بطن من جذام من القاهرة إلى عقبة أيلة<sup>(١)</sup> وفروع من هذه القبيلة هاجروا إلى بلاد النوبة وكردفان ودارفور حتى البرقو في أواسط السودان<sup>(٢)</sup>.

وينزل فئة من الأنصار صعيد مصر، ومنهم بنو محمد وبنو عكرمة وديارهم بحرى منفلوط<sup>(٣)</sup>.

أما كنانة<sup>(٤)</sup> فقد سكنت في مصر بساقية قلته وما يليها<sup>(٥)</sup>، ومنها فروع توجهت إلى السودان<sup>(٦)</sup>.

---

(١) المقرئزي: البيان والإعراب، ص ١١ - ٢٠.

(٢) يوسف فضل حسن: تاريخ السودان، ص ١٨٦.

(٣) المقرئزي: المصدر السابق، ص ٤٧.

(٤) مواطنهم بالحجاز: تهامة الحجاز، فكنانة تخالط في الديار ضمرة وغفار، وخزاعة في الشمال، وهذيل في الجنوب، وكانت معظم الوديان التي تجري من مرتفعات السراة إلى البحر أعلاها وصدورها لهذيل؛ وأسافلها لكنانة، ويذكر الهمداني أن السرين ساحل كنانة. انظر صفة جزيرة العرب، ص ٢٣٢ البلادي: معجم قبائل الحجاز، ص ٤٤٦، صالح العلي: الحجاز في صدر الإسلام، ص ١٨٧.

(٥) المقرئزي: المصدر السابق، ص ٤٧.

(٦) يوسف فضل حسن: تاريخ السودان، ص ١٨٦.

## ٢ - دور القبائل العربية في انتشار الإسلام واللغة العربية:

بعد أن من الله على بلاد وادي النيل (مصر والسودان) وخاصة مصر بدخول الإسلام في الربع الأول من القرن الهجري الأول على يد الفاتحين من الصحابة رضوان الله عليهم في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حدثت نقله جديدة في حياة المصريين، وبدأ الشعب المصري في التحول التدريجي من النصرانية إلى الإسلام، فتقبلوا الفاتحين العرب، واعتنقوا دينهم في مدة لا تزيد عن قرنين من الزمان، حتى كان عام ٢٣٩هـ إذ أصبحت غالبية الشعب المصري من المسلمين، ومن دلالة ذلك اختفاء الثورات القبطية، كما أن استيطان واستقرار القبائل العربية واختلاطها بالمصريين الذين اعتنقوا الدين الإسلامي بدأ يعمل على صبغ البلاد المصرية بالصبغة العربية، فقد أصبحت مصر داراً كبيرة للقبائل العربية المهاجرة، ومن هذه الدار انطلقت هجرات بعض القبائل جنوباً إلى بلاد النوبة والسودان، وغرباً إلى أفريقيا لنشر الإسلام والثقافة العربية<sup>(١)</sup>. كما أدى استقرار القبائل العربية في السودان خاصة في المنطقة الشرقية منه على سواحل البحر الأحمر "بلاد البجة" إلى إسلام كثير من البجاويين خاصة القبائل الكبيرة منها مثل الحدارية، حتى أصبح المسلمون الجدد زعماء لمن لم يسلم، وأخذ البجاويون يتأثرون بالثقافة العربية والإسلامية، ويقلدون القبائل العربية في عاداتها ولباسها<sup>(٢)</sup>، كما ساهمت سيطرة القبائل العربية خاصة ربيعة، وجهينة على مناطق المعادن واستخدامهم للرقيق السوداني في العمل معهم، واستعانتهم بأهالي تلك البلاد إلى إسلام أعداد من أهل السودان لظروف معاشتهم ومخالطتهم للعرب والعمل معهم، بل وصل الأمر أن أصبح أهل السودان الشرقي جنوداً في

(١) حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة، ص ٩٣ - ١٠١.

(٢) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٥٠ - ٥١.

إمارة ربيعة في تلك الديار، إضافة إلى تمكن القبائل العربية المهاجرة من تأسيس مراكز تجارية أصبحت عامل جذب لأهالي البلاد للعمل فيها والتعامل معها، فقد أسس العرب عدداً من مناطق التعدين مثل النمامس<sup>(١)</sup> وساقية شعبان والمحدثه، وحفرت إلى جوارها الآبار، وأصبحت مدينة صيحة ومدينة هجر البجاويتين مركزين لتسويق المعادن. كما ساهم التصاهر بين العرب والبجة في انتشار الإسلام في تلك الديار<sup>(٢)</sup>.

ويرى يوسف فضل حسن أن للقبائل العربية المهاجرة للسودان دور كبير في نشر الثقافة العربية والإسلامية، وقد اكتملت عناصر الحدث الهام في رأيه إثر استقرار بعض المجموعات العربية واختلاطها وتزاوجها مع العناصر المحلية<sup>(٣)</sup>.

وكان الرعيل الأول من الدعاة يهتمون بتحفيظ القرآن للناشئة، وتدريسهم مبادئ الفقه والتوحيد، وانتشر المذهب المالكي في السودان، وتبعت قلة منهم المذهب الشافعي، وسبب انتشار المذهب المالكي يعود إلى أن غالبية من هاجر إلى السودان من القبائل العربية جاء من صعيد مصر الذي ساد فيه مذهب الإمام مالك رحمه الله<sup>(٤)</sup>. ولم يقتصر الأمر في انتشار

(١) المقرئزي: البيان والإعراب، ص ٤٤.

(٢) ربيع محمد القمر الحاج: انتشار الإسلام في بلاد البجة وآثاره، ص ١١٦-١١٢.

(٣) دراسات في تاريخ السودان: ص ٦٤.

(٤) يوسف فضل حسن: دراسات في تاريخ السودان، ٦٨. ويقطع الدكتور يوسف فضل، وبكل أسف: أن انتشار الإسلام في السودان خضع خضوعاً تاماً للجو الصوفي، بزعم أن الصوفية انتصرت في صراعها الطويل مع أهل السنة في القرن الثاني عشر الميلادي (أي القرن السادس الهجري) !!!، ص ٧٣، بل يورد قصصاً خرافية نقلاً عن طبقات الشعراني لا يقبلها العقل المسلم وتطعن في عقيدة التوحيد المحمدية، مما يزعم أنها من مآثور كرامات الأولياء، ومن ذلك ما أورد (أن فاطمة بنت عبيد مرضت حتى أشرفت على الموت فسأل

الإسلام في الحبشة على القبائل العربية كمجموعات كبيرة بل على الأفراد والجماعات الصغيرة أيضاً من العرب التي عبرت البحر الأحمر إلى أفريقيا في فترات مختلفة خاصة في العصر الأموي، ومن ذلك ما سبقت الإشارة إليه من هجرة اتباع زيد بن علي حفيد الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما إلى الصومال والحبشة بعد مقتل زيد على يد الأمويين، كذلك خروج جماعات من العرب إثر صراعاتها المتعددة مع الأمويين إلى أفريقيا وهم من عرب البحرين، ويتحدث المستشرق جيوم: "أنه في القرن الخامس عشر الميلادي" هاجر من حضرموت جماعة من العرب المسلمين من أربعة وأربعين للدعوة إلى الإسلام عبر البحر الأحمر إلى شرقي أفريقية، وكان يوم هذه الجماعة

أحدهم الشيخ خوجلي بن عبدالرحمن أن يسأل الله ليشفيها فقراً بعض الآيات على ماء فسقوه لها فكتبت لها العافية، ومن بعدها يروى ابنه أن الإعياء كان بادياً على الشيخ خوجلي الذي قال: "أنا غلبان كنا أنا وملك الموت نتنازع في روح بنت عبيد فتركها لي"!!! وغير ذلك من طيران الشيخ من مكان إلى مكان ...!!، ص ٧٩.

ويلق الدكتور حسن أحمد محمود في كتابه (الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا) على تفشي وسيطرة الصوفية على السودان بقوله: "وإذا كانت الصوفية في ذلك الوقت قد انحدرت إلى مستوى الخرافة والشعوذة فذلك لقلة حظ السودان من المدارس الثقافية الراقية أو الطبقة الواعية من الفقهاء الذين في مكنتهم أن يحاربوا الخرافة، وأن يجنبوا الإسلام في السودان ما وقع فيه، فقد أصبح الصوفي يلعب دوراً شبيهاً بدور الساحر في المجتمع الوثني القديم"، ص ٣٤٤، وقد أصاب ولا شك وقد بين القرآن الكريم هذا الأمر بياناً شافياً.

قال تعالى: {ولاتدع من دون الله مالا ينفك ولا يضررك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين} [يونس: الآية ١٠٦].

وقال تعالى: {وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو، وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير} [الأنعام: الآية ١٧].

وقال تعالى: {ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين، وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون} [الزخرف: الآية ٣٦].

الشيخ إبراهيم أبو زرباي الذي أخذ طريقه إلى مدينة هرر حوالي سنة ١٤٣٠م (٨٣٤هـ) وتمكن بمعاونة إخوانه تحويل عدد كبير من الأفارقة إلى الإسلام...<sup>(١)</sup> ولعل القرب الجغرافي للحبشة من الجزيرة العربية وارتداد العرب لها في الجاهلية والإسلام كسوق تجارية هامة، واتخاذ البحر الأحمر جسراً احتشدت فيه عشرات السفن ذهاباً وإياباً للضفتين الشرقية والغربية تنقل السلع ومعها المؤثرات والعادات والتقاليد، ومعها الدعاة والعلماء والحجاج. ولن ندعو الحقيقة إذا قلنا أن أرض الحبشة عرفت الإسلام قبل كثير من مناطق الجزيرة العربية أثناء هجرة الصحابة لها في السنة الخامسة من البعثة، وازدهرت العلاقات التجارية في العهود التالية لعهد الراشدين مع الأحباش فتغلغل الإسلام في تلك الديار، كما ساهم في توطد الإسلام في الحبشة قيام إمارات إسلامية عربية، وظلت هذه الإمارات والمراكز مراكز لنشر الثقافة العربية والإسلامية، ومما ساهم في تطورها وفود العلماء والفقهاء من مكة والمدينة ودمشق وبغداد والقاهرة والقيروان وفاس وغيرها حتى ظهرت مدن ذات شأن علمي في شرقي أفريقية مثل زيلع ومقديشيو وبرأوة ومركة، وممبسة، ومالندي، وكلوة، وسوفالا<sup>(٢)</sup>.

(١) عبد الشافي غنيم عبد القادر: البحر الأحمر طريقاً للدعوة الإسلامية، ص ٨٠-٨٧.

(٢) غيثان: الهجرات العربية وانتشار الإسلام في بلاد شرق أفريقية في العصور الوسطى، بحوث في التاريخ والحضارة، ج ٢، ص ٢٨-٣٥.

ومن الهجرات العربية التي تركت أثراً على الإسلام في الحبشة هجرة جماعة من قريش من الحجاز من ذرية عقيل بن أبي طالب<sup>(١)</sup>، الذين أقاموا في إيفات فقاموا بالتجارة والدعوة إلى الإسلام بل وأسسوا حكومة عربية استمرت إلى القرن الثامن الهجري، واتخذوا من مدينة جبرته بمنطقة إيفات عاصمة لهم. كما تمكن جماعة من بني مخزوم من قريش من تأسيس أول إمارة إسلامية في إقليم شوا بالحبشة (٢٨٣-٢٨٨ هـ)<sup>(٢)</sup>.

ولعل ببطء انتشار الإسلام في السودان والحبشة يعود لبطء حركة الاختلاط بين القبائل العربية وأهالي البلاد، كما أن الهجرات العربية لم تتخذ طابعاً عسكرياً جهادياً في دخولها هذه البلاد إنما كانت في غالبها هجرات سلمية تنساب إلى هذه البلاد شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً، واحتاجت إلى عامل الوقت لتظهر آثارها الإسلامية العربية، ولكن ما إن شارف القرن التاسع الهجري على الأفول حتى دخلت أعداد كبيرة من سكان السودان والحبشة الأصليين في الإسلام<sup>(٣)</sup>.

(١) أحمد الحفني القنائي: الجواهر الحسان في تاريخ الحبشان، الطبعة الأولى، ١٣٢١، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، مصر، ص ١٦.

(٢) محمد الطيب بن محمد بن يوسف اليوسف: إثيوبيا والعروبة والإسلام عبر التاريخ، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، المكتبة المكية، مكة المكرمة، ج ٢، ص ١٩-٢٠.

(٣) حسن محمود: الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، ص ٢٩٦.

وأدى انتشار الإسلام إلى انتشار اللغة العربية كلغة للحديث والمخاطبة والمكاتبة وقد دخلت اللغة العربية إلى مصر مع الفاتحين العرب الذي توطدوا في مصر وكانت مصر أكثر البلدان الأفريقية تأثراً باللغة العربية وتقبلاً لها وقد كانت الوثائق الإسلامية الأولى من أوراق البردي تكتب بالإغريقية ثم تكتب باللغتين العربية والإغريقية، ولما تم تعريب الدواوين في عهد الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان أصبحت لاتكتب إلا باللغة العربية، في حدود العام ٩٠هـ فأصبحت اللغة العربية اللغة الرسمية للحكومة في مصر ثم بدأت تضعف اللغة القبطية وتختفي من الساحة المصرية حتى دخلت اللغة العربية الكنيسة القبطية، وأصبحت تتلى بها صلوات النصارى الأقباط. وما أن شارف القرن الرابع الهجري على التمام حتى أصبحت اللغة العربية لغة المصريين جميعاً عرباً وأقباطاً مسلمين ونصارى<sup>(١)</sup>.

واتخذت مصر موقعها المتميز ودورها الرائد في الحضارة الإسلامية، ويقول ضرار صالح ضرار "كانت أرض الكنانة مصنعةً ضخماً لتعريب العناصر الأفريقية ونشر الإسلام بينهم. وكانت السودان هو البحيرة التي تتبع منها أعداد كبيرة من الأفارقة من شتى أنحاء القارة للرحيل إلى مصر، والاستيطان بها والعمل في جيوش الدولة العربية الإسلامية"<sup>(٢)</sup>.

أما في بلاد البجة فكان انتشار اللغة العربية يسير ببطء شديد، بل إن اللغة العربية تأثرت باللغات المحلية في تلك الديار، وقد يعود ذلك إلى عدم تركيز الجهود الدعوية والثقافية من العرب في تلك المناطق، إلا أن اختلاط العرب بالبجة ساهم في نشر لغة العرب بينهم، وخاصة في المناطق الحضرية الواقعة على طريق القوافل مثل صيحة وهجر والنمامس وغيرها، وطغى استخدام البجة لأسماء عربية من بداية القرن

(١) حسن محمود: الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، ص ١٠٤-١٠٦.

(٢) هجرة القبائل العربية إلى وادي النيل مصر والسودان، ص ٦١٦.



الثالث الهجري، وظهرت مدن بجاوية تحمل أسماء عربية كسواكن وعيذاب وصيحة وهجر، كما أن مناطق التعدين حملت أسماء عربية، وكذلك الآبار والمراسي بل حتى ملوك البجة تسموا بأسماء عربية، فذاك ابن حوقل<sup>(١)</sup> يذكر أن لهم ملك مسلم يتكلم بالعربية. وقد وجدت آثار وحفريات في بلاد البجة تحمل التواريخ الهجرية والأسماء العربية<sup>(٢)</sup>.

كذلك الحال في الحبشة فقد ساعد تغلغل القبائل العربية فيها واختلاطهم بأهلها بالمصاهرة على انتشار اللغة العربية والإسلام وتأثرت قبائل متعددة في شرقي أفريقية مثل الأمهرة والدناقل والأثريين والأحباش والصوماليين، كما ساهمت الحركة التجارية في انتشار اللغة العربية في الحبشة والبحيرات وماجاورها، وقد امتدت طرق القوافل التجارية إلى داخل أثيوبيا، وساهمت قبائل عربية مثل ربيعة وقحطان والأرد في انتشار الإسلام واللغة العربية. على أن قمة مجد اللغة العربية في الحبشة ارتبط بقيام الإمارات الإسلامية في تلك النواحي، فقد كانت اللغة العربية هي اللغة الرسمية السائدة فيها<sup>(٣)</sup>.

(١) صورة الأرض: ص ٥٧.

(٢) ربيع محمد القمر حاج: إنتشار الإسلام في بلاد البجة، ص ١٥٦-١٦٠.

(٣) غيثان: الإسلام واللغة العربية في دول الطراز الإسلامي، بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية، ج ٢، ص ١٠٣-١١١.

### ٣- دور القبائل العربية في التجارة والسياسة:

وقد سبقت الإشارة إلى جوانب من هذا الدور في مواضع متفرقة في الفصل الثاني عند الحديث عن التجارة الشرقية عبر ثغور البحر الأحمر الشرقية والغربية مع شرق آسيا وشرق أفريقيا، وعند الحديث فيما سبق من صفحات عن دور القبائل في نشر الإسلام واللغة العربية فقد كان للتجارة دور هام في ذلك.

وقد ازدهرت التجارة في مصر منذ الفتح الإسلامي لها على يد عمرو بن العاص رضي الله عنه والفاطحين العرب، كما أن حكام مصر في العصور المختلفة اهتموا كثيراً بالبحر الأحمر، فأصلحوا الطرق الصحراوية التي تمر بها قوافل التجارة بين البحر الأحمر والنيل، كما عنوا بإقامة الحاميات فيها، وحفروا الآبار على طول تلك الطرق، واهتموا بالقضاء على القراصنة في البحر الأحمر وازدهمت صحراء عيذاب بالرحلات التجارية، ورحلات حجاج بيت الله وتسابق التجار العرب في الغدو والآصال على ارتياد الموانئ الشرقية والغربية للبحر الأحمر بتجارته منطلقين شرقاً إلى الصين والهند وإلى شرق أفريقيا فكان البحر الأحمر شرياناً حيوياً للتجارة بين الشرق والغرب، وتميزت مصر بموقعها الجغرافي التجاري الذي ربط بين أوروبا وآسيا وأفريقيا<sup>(١)</sup>. وتحكم العرب خاصة والمسلمين عامة في تجارة البحر الأحمر<sup>(٢)</sup>.

(١) سيدة إسماعيل كاشف: البحر الأحمر والفتح العربي لمصر، البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة، ص ١٠٠-١٠٤.

(٢) حسنين محمد ربيع: البحر الأحمر في العصر الأيوبي، المرجع السابق، ص ١٠٥.

وانعكست هذه التجارة على مصر ازدهاراً ورخاءً، فقامت في مدنها منذ الفتح الإسلامي الأسواق، وتطورت كثيراً، وقد اختط عمرو بن العاص للخليفة عمر بن الخطاب داراً عند المسجد الجامع إلا أن الخليفة أمره أن يجعلها سوقاً للمسلمين. ووجدت أسواق متنوعة مثل سوق العيارين، للعطارين والبزازين، وسوق الفاميين للجزارين والبقالين والشوابين، وسوق الطباخين ويجمع الصيارف والخبازين والحلوانيين. وفي العهد العبيدي الفاطمي ظهرت أسواق كبيرة، مثل سوق الشرايين في القاهرة وسوق أمير الجيوش، وسوق القماحين، وسوق المحاريين، وفي عهد الأيوبيين ظهرت أسواق منها سوق المهامزين، وسوق السلاح، وسوق باب الفتوح وغيرها، وفي الإسكندرية وجدت أسواق كثيرة متخصصة حتى وجد حي خاص لبيع التوابل، وسمي بشارع القفل، وفي دمياط فقد استوطنتها كثير من التجار وأصحاب الأموال، وكذلك صعيد مصر من أشهر أسواقه منفوط والأسسيوطية وقوص واسنا واسوان، وعرفت مصر منشآت تجارية متعددة مثل القياسر والتي تتكون من مجموعة من المباني العامة بها حوانيت ومصانع ومخازن، وأحيانا مساكن وبها كذلك أروقة، وعرفت منذ العهد الأموي، كذلك وجدت الخانات وهي المباني الضخمة التي تحتوي على مجموعة من الحوانيت الكبيرة والصغيرة ومستودعات البضائع، وكذلك الفنادق وهي بناء ضخم مربع الشكل على شكل حصن أدواره العليا للتجار والسفلى لتخزين البضائع، وكذلك أنشئت الوكالات التي تشبه الفنادق في نظامها، ولم تقتصر إقامتها على الحكومة بل أنشأها بعض كبار التجار، وأنشئت المتاجر لخرن بعض السلع<sup>(١)</sup>.

(١) القوصي: تجارة مصر في البحر الأحمر، ص ١٨٣-٢٠٥.

وبالرغم من أن القبائل العربية احتكرت في بدء دخولها مصر الخدمة في الجيش الإسلامي، وتولت المناصب الادارية والعسكرية، وتنازل العطاء من بيت المال إلا أنه وفي العصر العباسي عندما انقطع العطاء عن العرب، اضطر كثير منهم إلى التوجه إلى الزراعة والتجارة، ونزحوا إلى ريف مصر<sup>(١)</sup>، وخاصة بعد توارد الأخبار عن المعادن والذهب في جنوب مصر وبلاد البجة شرقي السودان. وتحدث الجغرافيون والرحالة المسلمون عن أرض المعادن وتبر الذهب والزمرد في جنوب مصر من أسواق (بلاد النوبة) شمالاً إلى مصوع ببلاد الحبشة جنوباً، وتركزت هذه المناطق وهذه الثروات في شرقي السودان وما عُرف ببلاد البجة فيذكر اليعقوبي (٢٨٤هـ) أن من أراد المعادن والتبر خرج من أسواق إلى الضيقة والبويب والبيضية، وبيت ابن زياد، ثم عذيفر ثم جبل الاحمر ثم جبل البياض، وقبر أبي مسعود، ووادي العلاقي، مشيراً إلى أن رواد هذه المواقع هم طلاب تجارة الذهب والمعادن من العرب وغيرهم وأشار إلى أن أغلب ساكني العلاقي من قبيلة ربيعة ويعمل معهم في تجارة الذهب عبيد لهم من أهالي البلاد، كما ذكر منازل جهينة وبلي في تلك البقاع وممارستهم لهذه التجارة، وعن طريق ميناء عيذاب في بلاد البجة ينقل التبر والعاج في المراكب إلى أماكن شتى<sup>(٢)</sup>. كما أشار إلى مواضع المعادن والزمرد في بلاد البجة، المسعودي<sup>(٣)</sup> وابن حوقل<sup>(٤)</sup>.

(١) حسن محمود: الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، ص ١٠٣.

(٢) كتاب البلدان: الملحق بكتاب الاعلاق النفسية لابن رسته، ص ٣٣٤.

(٣) مروج الذهب، ج ٢، ص ٢٠ و ٢٤.

(٤) صورة الأرض: ص ١٦٢.

كما تحدث عن هذه المواضع وانتشار العرب فيها الإدريسي (ت ٥٦٠هـ) <sup>(١)</sup>، إلا أن هذه المعادن لم تكن سهلة المنال للقبائل العربية، فقد قاتلت البجة دون أراضيها كثيراً بل هاجمت حدود الدولة الإسلامية في أسوان قتلاً وسلباً ونهباً، ليس هذا بدافع الحرص على استثمار المعادن بقدر ما كان دفاعاً عن أراضيهم ومراعيهم فقد كانوا بدواً رعاة أبل حتى أن إبلهم تشتت بنجابتها وإقبال العرب على شرائها. ومن تلك الحروب التي وقعت بين العرب والبجة حتى تمكن العرب على إثرها من دخول تلك الأراضي واستثمار معادنها وتبرها، عندما هاجم البجة وأهل النوبة مصر في الأعوام التي سبقت عام ٣١هـ، فاضطر المسلمون للدفاع عن أنفسهم لوقف هذه الهجمات، وتقدموا في بلاد النوبة والبجة بقيادة عبدالله بن سعد بن أبي السرح في حملة ثانية حتى توغل إلى دنقلا من بلاد النوبة وجرت معركة قوية لم تكد تحسم إلا بالمنجنيق فاضطر البجة إلى طلب الصلح، وعقدت معاهدة "البقط" وهي تعني الالتزامات المتبادلة ومايتبعها من مدفوعات، واتفق الطرفان على أن يدفع النوبة أربعمائة من أواسط رقيقهم كل عام على أن يتسلموا مقابل ذلك سلعاً غذائية وثياباً، والأهم في هذه المعاهدة الحرية التجارية للمسلمين في بلاد النوبة دون أن يتعرضوا لأذى <sup>(٢)</sup>. ووقعت عدة حروب ومعارك بين البجة والعرب في عدة فترات، ففي العهد العباسي وفي خلافة المأمون سنة ٢١٦هـ كانت نتيجة هذه الحرب أن اندفع العرب باتجاه مناجم الذهب في وادي العلاقي كما قاموا بشراء أراضي زراعية في بلاد النوبة، إلا أن وصول ربيعة بأعداد كبيرة إلى تلك الديار عبر البحر الأحمر قادمين من اليمامة بنجد إلى شرقي السودان كان في خلافة المتوكل العباسي، وإثر حروب متعددة مع البجة حتى عام ٢٣٢هـ دانوا بعدها للحكم

(١) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج ١، ص ٤٠.

(٢) يوسف فضل حسن: تاريخ السودان، ص ٢٧.

الإسلامي فتدفقت جماعات كبيرة من قبيلة ربيعة<sup>(١)</sup>، ويذكر المسعودي أنه في سنة ٣٣٢هـ كان صاحب المعدن أبو مروان بشر بن إسحاق، وهو من ربيعة<sup>(٢)</sup>. وكان بأسوان بعد كنز الدولة وهم خليط من الحدارب وربيعة، وأبناء كنز الدولة قاتلوا النبوة وملوكها ثم اندمجوا فيها<sup>(٣)</sup>. وأصبح معدنا الذهب والزمرد من أهم السلع التجارية التي يصدرها التجار إلى خارج بلاد البجة، وأدت وفرته إلى ازدهار النشاط التجاري، واستفاد التجار العرب من الأوضاع المستقرة في المنطقة خاصة في خلافة المتوكل العباسي حتى بلغ ما يصل بغداد من الذهب والزمرد والفضة خمس ما يتم استخراجها من وادي العلاقي. وأصبحت مصر التي كانت تشرف على تلك التجارة منافساً قوياً لبغداد في ضرب العملة، وأصبحت العملة المضروبة في بغداد أقل قيمة من نظيرتها المصرية فأنشئت في مصر عدة دور لسك العملة منها دار في صعيد مصر بقوص، ولهذه المدينة أهميتها لأنها تقع على الطريق التجاري الهام الذي يربط بين عيذاب والموانئ البجاوية الأخرى، وقربها من مركز التعدين في وادي العلاقي؛ وشجع الولاة التجار والقبائل العربية على تطوير وتوسيع أعمالهم في مجال التعدين فانتشرت الدنانير الذهبية، والحلي والجواهر الذهبية، والمصاحف المذهبة والسيوف والملابس الفاخرة والعمائم والأواني النحاسية والسروج

(١) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٥٣، وانظر: ضرار صالح ضرار، هجرة القبائل العربية، ص ١٠٠-١٢٠، وانظر: يوسف فضل حسن: المصدر السابق، ص ٣٦.

(٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٢، ص ٢٠.

(٣) محمد صالح ضرار: تاريخ السودان، ص ٣٤.

وبلغ ثراء بعض التجار حداً فاحشاً من الذهب<sup>(١)</sup>، ومع الذهب كان معدن الزمرد في بلاد البجة أيضاً، ويصف المسعودي أنواعه بالقول أن "النوع الأول منها يعرف بالمر وهو أجودها وأغلاها ثمناً، وهو شديد الخضرة كثير الماء .. والنوع الثاني يدعى بالبحري .. والنوع الثالث يعرف بالمغربي .. والنوع الرابع هو المسمى بالأصم.." <sup>(٢)</sup>. إلا أن تجارة العرب لم تقتصر على استثمار المعادن بل هناك من تاجر في جلب المواد الغذائية والثياب والخزف وريش النعام والعاج والماشية والرقيق، بل أصبحت تجارة الرقيق من التجارات الهامة لدى العرب في الجزيرة العربية وفي أراضي أفريقيا وفي مدن وعواصم الدولة الإسلامية التي تطلب الرقيق السوداني. وكان الرقيق فئتين فئة من النساء تتخذ كجواني وحاضنات وخداماً، ومن الرجال كخدم وعمال، وفئة اتخذت كجند، ومثال ذلك ما جرى في مصر في عهد أحمد بن طولون الذي اتخذ من هؤلاء ما يقدر بـ ٤٠ ألفاً في جيشه، وتزايد هذا الجند في عهد الإخشيديين والعبيديين وكان التجار العرب يعتمدون على التجار من أبناء هذه البلاد لجلب الرقيق<sup>(٣)</sup>.

(١) ربيع حاج: إنتشار الإسلام في بلاد البجة، ص ٢٨٤-٢٨٧.

(٢) مروج الذهب، ج ٢، ص ٢٤.

(٣) يوسف فضل حسن: تاريخ السودان، ص ٣٦.



وراجت تجارة أخرى قادها العرب هي إبل البجة التي وصفت بنجابتها وجودتها وخاصة التي عرفت باسم "الجمال البختية" نسبة إلى قرية بختة من قرى البجة ويصفها الإدريسي بقوله: "وإلى هذه القرية تُنسب الجمال البختية وليس يوجد على وجه الأرض جمال أحسن منها ولا أصبر على السير ولا أسرع خطأ، وهي بديار مصر معروفة بذلك" (١).

وقد أشار إلى هذه التجارة ابن بطوطة (ت ٧٧١ أو ٧٧٩ هـ) في رحلته بقوله: "ثم ركبنا من جدة في مركب يسمونه الجلبة، وكان لرشيد الدين الألفي اليمني الحبشي الأصل، وركب الشريف منصور بن أبي نمي في جلبية أخرى ورغب مني أن أكون معه فلم أفعل لكونه كان معه في جلبته الجمال فخفت من ذلك ولم أكن ركبت البحر قبلها..." (٢).

وسيطر العرب على التجارة في الحبشة خاصة الجزء الشرقي منها على السواحل الإرتيرية والصومالية حتى عزلت الحبشة النصرانية عن العالم الخارجي خاصة، وقد مد المسلمون نشاطهم إلى ميناء زولا الثغر الوحيد لتجارة الحبشة على البحر الأحمر ولقى التجار العرب في الحبشة تقبلاً وترحيباً من سكان البلاد، وكانت منطقة القرن الإفريقي تشتهر بالأخشاب والتوابل والبن والعاج والجلود، بل إن انتشار الإسلام في تلك البقاع يعود الفضل فيه بعد الله عز وجل للتجار، وللنشاط التجاري الكبير الذي صاحب النشاط الدعوي الإسلامي في شرقي أفريقية، وسيطر التجار العرب على طرق القوافل الداخلية في تلك البلاد مما انعكس أثره على الإسلام فدخل منطقة جوبا أقصى منطقة داخلية جنوبية (٣).

(١) نزهة المشتاق، ج ١، ص ٤٧.

(٢) تحفة النظار، ج ٢، ص ٩٨.

(٣) غيثان: الهجرات العربية إلى ساحل شرقي أفريقية، بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية، ج ٢، ص ٦٩-٧٤.

وتمثل نشاط القبائل العربية السياسي في ثلاثة أدوار هامة:

- (١) - فتح مصر
- (٢) - الصراعات والمواجهات العسكرية مع حكومات مصر.  
(من العهد الأموي إلى العهد المملوكي).
- (٣) - إقامة الإمارات الإسلامية في شرقي أفريقيا (القرن الإفريقي والسودان).

#### (١) - فتح مصر

فتحت مصر على يد عمرو بن العاص رضي الله عنه في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ١٦هـ في شهر ربيع الأول<sup>(١)</sup>، وكان برفقته من القبائل العربية ٣٥٠٠ ثم ألحقه عمر بن الخطاب بالزبير بن العوام بعشرة آلاف وقيل اثنا عشر ألف من العرب. واختط الزبير، بمصر الإسكندرية خطتين<sup>(٢)</sup>، ثم اختطت قبائل العرب حول مدينة الفسطاط في سنة ٢٠هـ، ثم اتسعوا في البلد فاختلفوا على النيل واختطت قبائل العرب في المواضع المنسوبة إلى كل قبيلة، وبنى عمرو بن العاص مسجده ودار الإمارة وجعل الأسواق محيطة بالمسجد، وجعل لكل قبيلة محرساً وعريفاً<sup>(٣)</sup>.

- 
- (١) ابن كثير: البداية والنهاية: ترتيب وتهذيب محمد بن صامل السلمي، خلافة عمر بن الخطاب، ص ٧٩.
  - (٢) أحمد بن يحيى البلادي: فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ، ص ١٥-١٦.
  - (٣) اليعقوبي: البلدان: ص ٣٣٠.

## (٢) - الصراعات والمواجهات العسكرية مع حكومات مصر

امتدت العصبية القبلية التي ثارت في الشام بين السبئية والقيسية في العهد الأموي إلى مصر، والتي كانت من عوامل زوال حكم بني أمية، ففي عهد مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية وقفت القبائل السبئية في مصر ضد بني أمية فبعث لهم الخليفة الأموي والياً قيسياً هو حوثره به سهيل الباهلي<sup>(١)</sup> ودخل مصر بعرب من أهل الشام وتمكن من القضاء على الثائرين وقتلهم عام ١٢٨هـ<sup>(٢)</sup>. وزاد وضع العرب سوءاً في عهد المعتصم بالله العباسي عندما أسقطهم من ديوان مصر وقطع عنهم العطاء، فثارت ثائرة العرب من لخم وجذام بقيادة يحيى بن الوزير الجروي، فكلف المعتصم كيدر والياً على مصر إلا أنه توفي قبل القضاء على الثائرين العرب، وتولى ابنه المظفر ولاية مصر، وتمكن من القضاء على ثورة العرب وأخذ يحيى أسيراً وضعف شأن العرب، وكثرت الأتراك في جيش الدولة العباسية<sup>(٣)</sup>.

(١) حوثره بن سهيل الباهلي، قائد أموي ممن ولي مصر، كان بدوياً قحاً كما يصفه الزركلي، وفصيح اللسان، وسفاكا للدماء، ولي مصر سنة ١٢٨، وقتله السفاح العباسي، انظر الاعلام، ج ٢، ص ٢٨٨.

(٢) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج ١، ص ٢٩، وانظر عبد المجيد عابدين: البيان والإعراب، ص ١٠٢.

(٣) أبو المحاسن: المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٢٣، وانظر عبد المجيد عابدين، المرجع السابق، ص ١٠٤.

وفي خلافة المتوكل العباسي (٢٣٢-٢٤٧هـ) كانت هجرة قبيلة ربيعة من نجد عبر البحر الأحمر إلى شرق السودان (وادي العلاقي) كما سبقت الإشارة<sup>(١)</sup> إلى ذلك، وتمثل دورهم السياسي في التصدي لغارات البجة على مناطق الصعيد الأعلى ذات الأكثرية المسلمة<sup>(٢)</sup>. والمشاركة في الحملات العسكرية، ومن ثم إقامة إمارة عربية لهم في أرض السودان الشرقي، وقد سبقت الإشارة في دور العرب التجاري إلى بعض ماوقع من حروب بين العرب والبجة منذ عهد الراشدين حتى العهد العباسي، فقد تمكن المأمون العباسي عام (٢١٦هـ) الحد من شرور وأذى البجة على بلاد المسلمين وغاراتهم المتواصلة عليها. وكانت لقائده عبدالله الجهم أو عبيد بن الجهم معاهدة معهم، خاصة وأن الإسلام لم ينتشر بينهم كثيراً ولم يضبطوا كثيراً من شرائعه<sup>(٣)</sup>. وساهمت هذه المعاهدة في فتح الباب للقبائل العربية في استثمار المعادن في بلاد البجة، إلا أن البجة ماكانوا ليستكينوا فترة حتى يعاودوا ثوراتهم وغاراتهم على بلاد المسلمين، فكان ذلك في خلافة المتوكل العباسي<sup>(٤)</sup>. وألح المسلمون على الخليفة العباسي بالشكوى من أذى البجة وكانت ربيعة قد تدافعت إلى بلاد البجة في تلك السنين، فسير المتوكل قائداً اسمه محمد بن عبدالله القمي من ولد أبي موسى الأشعري عام ٢٤١هـ، وأمدّه بالمال والسلاح، وكان جيشه من القبائل العربية من ربيعة ومضر واليمن ثلاثة آلاف رجل، والتقى بملك البجة على بابا ومعه مائتي ألف من البجة، واتصف القمي بالمهارة والحنكة الحربية وأحسن إعداد جيشه، وكان معه

(١) اليعقوبي: البلدان: ص ٣٣٣، والمسعودي: مروج الذهب، ج ٢، ص ٢٠.

(٢) المقرئزي: البيان والإعراب، ص ٤٤.

(٣) عبدالمجيد عابدين، البيان والإعراب، صص ١٠٦.

(٤) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٥٣.

حسك<sup>(١)</sup> الحديد واجراس كثيرة، وطبول زنجية ضخمة وأسلحة جيدة، وسار بمحاذاة ساحل البحر الأحمر ليتلقى الإمدادات من المؤن التي حُمِلت له في سبع سفن أبحرت من القلزم ورسّت قريباً من عيذاب محملة بالمواد الغذائية، وبتلقيه المؤن ارتفعت معنويات جيشه رغم فارق العدد بين الطرفين، وبدأ رجاله يلقون في الساحة في طريق البجة بحسك الحديد الذي سيكون معوقاً لهم ويضر بأخفاف الإبل التي كانت تقدر بثماتين ألفاً من النجب.

ولجأ إلى حيلة حربية برفعة كتب في طوامير كتان بالذهب وجعلها بخيط جليل على الأسنة، ونادى عند طلوع الشمس هذه كتب أمير المؤمنين اليكم معاشر البجة، وهم يشاهدون الأمر، فأستحسنوه، وتوجهوا إليه لاستطلاع الأمر وبينما هم كذلك أمر القمي بضرب الطبول الزنجية التي كانت معه وأمر الخيالة بالهجوم وقد ربط حول اعناق خيل رجاله الأجراس بهدف بث الذعر في إبل البجة، وكان له ما أراد فهاجت الإبل وولت مدبرة تجاه الداخل وتطأ في طريقها من يعترضها، وتمكن جيش القمي من ملاحقتهم وضربهم بالسيوف حتى حلت بهم الهزيمة، وقضى الأمر واستسلم ملكهم علي بابا طالباً الصلح، ونقل علي بابا إلى بغداد للقاء المتوكل الذي أحسن استقباله وخلع عليه، وتم الاتفاق على أن تترك الحرية الكاملة للمسلمين في استثمار المعدن واستخراج الذهب في بلاد البجة دون أن يعترضهم أحد من البجاة، ونجم عن حملة القمي بمن رافقه من القبائل العربية وعلى رأسها ربيعه استقرار العرب في تلك الديار<sup>(٢)</sup>. إلا أن

(١) الحسك: ما يعمل من الحديد على مثاله، وهو من آلات العسكر. انظر الرازي: مختار الصحاح، ص ٥٧. ومن المرجح أنها نوع من السلاسل والكلاليب التي تعوق حركة جيش العدو.

(٢) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٥٣، وضرار صالح ضرار: هجرة القبائل العربية، ص ١١١-١١٧.

القمي هذا قتل على يد كبير ربيعة ويدعى أشهب ربيعة أو هو يزيد بن بشر اغتيالاً<sup>(١)</sup>.

ولم تقف غارات البجة عند هذا الحد بل عاودت البجة غاراتها على بلاد المسلمين في مصر من بعد عام ٢٥٥هـ فنهبوا وقتلوا، وفعلوا ذلك عدة مرات، فتصدى لهم رجل من قریش من بداية سيطرة الطولونيين على مصر، وذلك الرجل هو أبو عبد الرحمن عبد الحميد بن عبدالعزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، ودخل بلاد البجة فنهبها وقتل فيهم فأكثر، وسبى عدداً لا يحصى منهم، وتابع عليهم الغارات حتى أدوا إليه الجزية ويصف ابن الأثير خروج العمري بأنه غضب لله وللمسلمين، حتى قوى أمره واشتدت شوكته فما كان من ابن طولون إلا أن تصدى للعمري خشية قيام إمارة عربية أو نفوذ عربي يقضي على نفوذ الأتراك في مصر، فأرسل له جيشاً إلا أن العمري طلب من قائد جيش ابن طولون أن يبين للأمير أن العمري خرج طلباً للجهاد ولم يخرج للفساد، ولم يتأذى به مسلم ولا ذمي إلا أن قائد الجيش رفض، وقاتل العمري، فتمكن العمري من هزيمته وتزايد نشاط العمري في شرق السودان وبلاد النوبة جنوب مصر، ودخل في عدة صراعات مسلحة كان الانتصار حليفه في كثير منها وكاد أن يقيم له إمارة لولا دخوله في صراعات متعددة مع القبائل العربية التي استوطنت تلك الديار، وبعد فترة هجم عليه غلامان له وقتلاه غدرًا وحملًا رأسه إلى أحمد بن طولون، فلما حضرا عنده سألهما عن سبب قتله فقالا: أردنا التقرب إليك بذلك فقتلهما، وأمر برأس العمري فغسل وكفن ودفن عام ٢٥٩هـ<sup>(٢)</sup>، إلا أن موت العمري وانتهاء محاولاته لبناء إمارة عربية في بلاد النوبة والبجة في

(١) ابن حوقل: المصدر السابق، ص ٥٤، ضرار: المرجع السابق، ص ١١٧.

(٢) الكامل في التاريخ، ج ٥، ص ٣٦٩-٣٧٠، وانظر: عبد المجيد عابدين، البيان والإعراب، ص ١٢٠.



شمال السودان وشرقه أراح كثيراً ابن طولون والنوبة والبجة وربيعة<sup>(١)</sup>. وتواصل دور ربيعة السياسي، وتمكنت من تأسيس إمارة عربية لها في العهد العبيدي "الفاطمي" متخذة من أسوان عاصمة لها وأقرهم الحاكم الفاطمي "العبيدي" الحاكم بأمر الله على إمارتهم وأطلق على أميرهم لقب "كنز الدولة" وتوارث هذا اللقب أبناؤه من بعده، خاصة بعد مساعدتهم للفاطميين في القبض على أبي ركة الأندلسي، وهو رجل أموي يدعي الوليد بن هشام بن عبد الملك بن عبد الرحمن سعى إلى بناء دولة له في مصر، ورغم نجاح أولى حروبه مع الفاطميين إلا أنه هُزم في عدة معارك مع الفاطميين وهرب إلى بلاد النوبة فدلّت ربيعة على موقعه، فقبض عليه الفاطميون وقتلوه<sup>(٢)</sup>. واستمر أبناء كنز الدولة يتوارثون الإمارة واللقب حتى كان آخرهم قُتل على يد الأيوبيين عام ٥٧٠هـ<sup>(٣)</sup>. وكما دعم العبيديون إمارة ربيعة شجعوا هجرة بني هلال وبني سليم من الجزيرة العربية إلى مصر الذين كانوا عوناً للقرامطة في البحرين<sup>(٤)</sup>.

وقد تغلب بنو سليم على البحرين بدعوة الشيعة<sup>(٥)</sup>، فلما تغلب بنو الأصفر على البحرين في سنة ٣٧٨هـ باسم العباسيين وأخرجوا منها بني سليم، رأى العبيديون الفرصة سانحة لتشجيع هذه القبيلة وقبيلة بني هلال بالاتجاه إلى مصر للاستعانة بهم على خصومهم، إلا أنهم أكثروا الشغب في مصر، فشجعهم الفاطميون على الهجرة إلى بلاد المغرب لمحاربة ابن باديس واتباعه خصوم العبيدين بالقيروان والمهدية من بلاد

(١) ضرار صالح ضرار: هجرة القبائل العربية، ص ١٣٤.

(٢) المقرئزي: البيان والإعراب، ص ٤٤-٤٦، ص ١٢٤، وانظر ضرار صالح ضرار، المرجع السابق، ص ١٤٤-١٤٦.

(٣) المقرئزي: البيان والإعراب، ص ٤٦. ولمزيد من التفاصيل عن إمارة ربيعة في السودان، انظر ضرار صالح ضرار: المرجع السابق، ص ٩٦، وما بعدها.

(٤) عبدالمجيد عابدين: البيان والإعراب، ص ١١٦، ص ١٢٦-١٢٧.

(٥) الأنصاري: بين التاريخ والآثار، ص ٥٠.



المغرب، وقد كان المعز بن باديس قد أعلن انفصاله عن الفاطميين وخلع طاعتهم، لذا عزم الفاطميون على تسيير بني هلال وحلفائهم لقتال المعز، وكان ذلك في العام ٤٤٢هـ. وقد توسع ابن خلدون في الحديث عن دور بني هلال وبني سليم السياسي والعسكري والاجتماعي في بلاد المغرب<sup>(١)</sup>. وكذلك اصطدم الفاطميون ببني قرّة من جذام الذي سكنوا البحيرة من مصر الذين ساندوا أبا ركة الأندلسي عام ٣٩٧هـ، إلا أن قضاء الفاطميين عليه جعل بني قرّة يتفرقون عنه، ولكنهم عادوا إلى الشغب، فهاجمهم الفاطميون مستعينين بقبائل عربية أخرى مثل طي وكتب، فهزم بنو قرّة عام ٤٤٣هـ وانسحبوا إلى الصعيد واستقروا في قرية في مديرية أسيوط<sup>(٢)</sup>.

وفي العهد الأيوبي والمملوكي الذي اتصف بالطابع التركي وتزايد الأعاجم وسيطرتهم على مقاليد الأمور في مصر والشام اتخذت القبائل العربية دورين هامين أحدهما خارجي تمثل في المشاركة في الجهاد ضد الصليبيين والمغول والدفاع عن حدود مصر بخاصة والدولة الإسلامية بعامّة. وآخر داخلي تمثل في صراعات عسكرية عنيفة مع الأيوبيين بشكل أقل ومع المماليك بشكل أكبر وأكثر حتى قضى على سلطان القبائل ومكانتها في مصر. ففي حروب صلاح الدين (٥٦٤-٥٨٩هـ) مع الصليبيين تمثل دور العرب في عدة مواقع منها ففي عام ٥٦٩هـ من شهر ذو الحجة هاجم ملك صقلية وليم الثاني الإسكندرية بحرياً، وهاجم الصليبيون المدينة وحاصروها، فاضطر أهلها للدفاع عن أنفسهم وبرز فيهم أبناء القبائل العربية من لخم وجذام وكندة والأزد وخزاعة وكانوا يسكنون أحياء الإسكندرية مثل كوم الدكة وبركة جذام والبراك وحارة الأزدي وشارع الحضارمة، وأبي قير شرقي الإسكندرية، ووصل جيش صلاح الدين وساهم في طرد المعتدين من الإسكندرية

(١) تاريخ ابن خلدون: ج٦، ص١٨-٦٠.

(٢) عبدالمجيد عابدين: البيان والإعراب، ص١١٦-١١٧.

ومتابعة فلولهم<sup>(١)</sup>. وأثناء هجوم الفرنج على دمياط عام ٦١٥ هـ — برز دور القبائل العربية فأمر الملك الكامل الأيوبي والي الغربية أن يجمع العربان، ويشيد المقرضي بدور العرب بأنهم كان يتخطفون الفرنج في كل ليلة مما أثار الرعب فيهم؛ حتى وصل بهم الأمر أنهم يتخطفونهم نهائياً فيأخذون الخيمة بمن فيها<sup>(٢)</sup>. وفي عام ٦٤٧ هـ أثناء حملة لويس التاسع<sup>(٣)</sup> على دمياط أظهر العرب بطولات وأعمالاً فدائية، وأخذوا يتخطفون جنود الأفرنج ويأسرونهم<sup>(٤)</sup>. كذلك توالى دور القبائل العربية الجهادي في عهد المماليك، وخير مثال على ذلك معركة عين جالوت التاريخية ضد المغول عام ٦٥٨ هـ — فعندما نادى منادي الجهاد للمشاركة في حرب المغول اجتمعت قبائل العرب من لخم وجذام وسنابس، وبرز عرب الشرقية والغربية لموقعهما القريب من أرض المعركة<sup>(٥)</sup>. واستمرت مشاركات العرب في حروب المماليك مع المغول والصليبيين حتى كانت نهاية دولة المماليك عام ٩٢٣ هـ — عندما شارك العرب في معركة الريدانية ضد العثمانيين<sup>(٦)</sup>، وانتهت المعركة بدخول مصر تحت الحكم العثماني.

(١) المقرضي: السلوك، ج ١، ص ١٦٤، وانظر محمود السيد: تاريخ القبائل العربية في عصر الدولتين الأيوبيه والمملوكية، ١٩٩٨م، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ص ٨٠.

(٢) المقرضي: السلوك، ج ١، ص ٣١٣، ومحمود السيد: المصدر السابق، ص ٨٨.

(٣) لويس التاسع: أحد ملوك فرنسا وقائد الحملتين الصليبيتين السابعة والثامنة، أسر في معركة المنصورة، ١٢٥٠م، وتوفي بالطاعون في تونس. انظر المنجد في اللغة والأعلام، الطبعة الثامنة والعشرون، ص ٥٠١.

(٤) المقرضي: السلوك، ج ١، ص ٤٤٠، محمود السيد: تاريخ القبائل العربية، ص ٩١.

(٥) المقرضي: السلوك، ج ١، ص ٥١٣-٥٢٠، محمود السيد، تاريخ القبائل العربية، ص ٩٩.

(٦) محمود السيد: المرجع السابق، ص ١٠٥-١١٠.

إلا أن هذا الدور الجهادي لم يمنع الاصطدام المسلح بين العرب والأيوبيين والمماليك، من ذلك عندما هاجم الأيوبيون بني الكنز من ربيعة في جنوب مصر وهزموهم، فاضطر بنو ربيعة إلى الاتسحاب إلى داخل السودان، وتوالت هجمات الأيوبيين على أسوان حتى خربوها عام ٨٠٦هـ وذلك لما يراه الأيوبيون من تشيع ربيعة للفاطميين<sup>(١)</sup>.

وكانت الثورات والصراعات العربية مع المماليك أقوى وأشد عنفاً، وقد كان العرب يرون أنهم أحق بالبلاد من هؤلاء المماليك المجلوبون إلى بلادهم، ولكن وطأة المماليك كانت عليهم حادة، واشتد العداء بين الطرفين وفقدت الثقة بينهما، وأصدر المماليك الأوامر تلو الأوامر بمحاصرة العرب وأن لايمكنوا من ركوب الخيل ولا اقتنائها ومن خالف من العربان ذلك المرسوم الشريف ضربت عنقه وأرهب بالبطش<sup>(٢)</sup>. فكانت أول ثورة ضد حكم المماليك قام بها رجل قرشي من آل جعفر الطيار ويسمون الجعافرة الأشراف، وهو الشريف حصن الدين ثعلب بن الأمير الكبير بن نجم الدين بن الأمير الشريف فخر الدين اسماعيل بن حصن الدولة مجد العرب، وأخذ يردد تحن أصحاب البلاد، والتفت حوله مجموعات عربية مختلفة ومنع الأجناد وتناول الخراج، وكان ذلك سنة ٦٥١هـ، وتم الالتقاء بناحية دهروط صربان؛ واقتتل الفريقان؛ فكانت معركة كبيرة انتهت بانتصار المماليك فأوقعوا بالعربان قتلاً وسبياً لحريمهم وقتلاً لرجالهم، حتى قتلوا زعيمهم، وتفرق أمرهم<sup>(٣)</sup>.

(١) عبدالمجيد عابدين: البيان والإعراب، ص ١٢٥.

(٢) محمود السيد: تاريخ القبائل العربية، ص ١٢٥.

(٣) المقرئزي: السلوك، ج ١، ص ٤٧٩-٤٨٠.

وكان من نتائج هذه السياسة العنيفة ضد العرب أن تفرق شمل العرب في مصر وخمدت ثوراتهم؛ فاختلطوا بالمصريين حتى لا يعرفون حتى أصبح قبضيّ أميراً على قبيلة عرب جذام، وعانى أمراء العرب وشيوخهم من المماليك الكثير من العنت والجور والتعسف، فكان المماليك يستولون على ثروات العرب وممتلكاتهم دون مبرر يذكر<sup>(١)</sup>. إلا أن الثورات لم تنقطع نهائياً، وكانت أغلبها ينطلق من أسيوط ومنفلوط بالصعيد، ففي عام ٦٩٨هـ شكل مجموعات من العربان حلفاً كان ميدان معاركه منفلوط وأسيوط حتى تمكن المماليك من القضاء على هذه الثورة بعد ثلاث سنوات<sup>(٢)</sup>.

وقامت حركة لجهينة بقيادة محمد بن واصل العركي الذي يلقب بالأحذب ثورة كبيرة استمرت مايزيد على خمس سنوات (٧٤٩-٧٥٤هـ) وأعلن نفسه أميراً وأحاط نفسه بالعرب، وهاجمه المماليك في عام ٧٥٤هـ، وتصدى لهم بجيش قوام رجاله عشرة آلاف فارس سوى الراجلة، ووقعت عدة معارك حامية قتل فيها عدد كبير من الطرفين المملوكي والعركي والجهني وانتهت بهزيمة العركيين والعرب الذين معه، ففروا هاربين إلى بلاد السودان<sup>(٣)</sup>. حتى من تحالف مع المماليك من العرب لم يأمن جانبهم، فكان ذلك حال بني هلال الذين كانت لهم نزاعات مع العركيين من جهينة، ولما دخل العركيون في حرب مع المماليك دعا المماليك بني هلال لمناصرتهم في هذه الحروب ضد العركيين، ولكن ذلك لم يكن حبل النجاة لهم من المماليك الذي كادوا لهم بحيلة وجمعوا من بني هلال أربعمئة فارس بسلاحهم، فجردهم المماليك من السلاح وانهالوا عليهم

(١) محمود السيد: تاريخ القبائل العربية، ص ١٣٣.

(٢) عبدالمجيد عابدين: البيان والإعراب، ص ١٢٨.

(٣) المقرئزي: السلوك، ج ٤، ص ١٨٣، وعبدالمجيد عابدين: المرجع السابق، ص ١٣٠.

قتلاً حتى أفنوهم<sup>(١)</sup>. وتوالت ثورات عربية محدودة في مناطق مختلفة من مصر وشمال السودان لأسباب متنوعة على رأسها الأسباب الاقتصادية السيئة للعرب، وكانت تنتهي بالقمع الشديد من المماليك حتى نهاية العهد المملوكي عام ٩٢٣هـ - على يد العثمانيين<sup>(٢)</sup>.

---

(١) عبدالمجيد عابدين: المرجع السابق، ص ١٣٠، وضرار صالح  
ضرار: هجرة القبائل العربية، ص ١٨٥.  
(٢) محمود السيد: تاريخ القبائل العربية، ص ١٣٩، وما بعدها.

### (٣) - إقامة الإمارات الإسلامية في شرقي أفريقيا (القرن الإفريقي والسودان):

قامت سبع إمارات وسلطنات إسلامية في القرن الإفريقي، سُميت بدول الطراز الإسلامي لأنها شكلت ما يشبه الطراز على ساحل البحر الأحمر المحاذي لبلاد اليمن، ودخلت منذ نشأتها في أواخر القرن السابع الهجري في صراع مع النصاري الأحباش وكذلك البرتغاليين فيما بعد وبدأت هذه الإمارات في التساقط منذ منتصف القرن العاشر الهجري في عهد الدولة العثمانية.

ولعلنا نتساءل ما أهم أسباب قيام هذه الإمارات، وما علاقتها بالحجاز وهي محاذية للساحل اليمني؟  
ونذكر أن من أهم عوامل نشأة هذه الإمارات في القرن الإفريقي:

١ - الهجرات العربية المتواصلة إلى إفريقيا عامة، والشرق منها خاصة.

٢ - البعد عن قلب الأحداث في الولايات الإسلامية الكبيرة مثل العراق والشام ومصر.

٣ - انتشار اللغة العربية والدين الإسلامي بين سكانها.

٤ - وفرة الموارد التجارية التي دفعت بالعرب للتوطن في هذه البلاد وتكوين ممالك وإمارات لحمايتها واستثمارها.

ومما يلفت النظر أن المصادر والمراجع التي تحدثت عن هذه الإمارات لم تذكر أسماء أو تواريخ محددة لنشأة هذه الإمارات الإسلامية.

أما علاقة إمارات ساحل القرن الإفريقي بالحجاز فيتمثل في عدة جوانب منها:

١ - الجانب السياسي: فقد ذكرت مصادر هذه الإمارات أن لبعض عرب الحجاز وخاصة قريش أدوار هامة في نشأة وتأسيس هذه الإمارات.

٢ - الجانب التجاري: حيث كان لعرب الحجاز علاقات تجارية هامة أيضاً بل وسيطروا على طرق القوافل التجارية إلى تلك الإمارات، إلى جانب إخوتهم باقي عرب الجزيرة.

وقد سبق إيضاح ذلك في دور العرب في نشر اللغة العربية والإسلام، وحركة التجارة.

وكانت قد سبقت الإمارات السبع لفترة زمنية مبكرة سلطنة "شوا" داخل الهضبة الأثيوبية وفي الجزء الشرقي منها حيث موقع (أديس أبابا المعاصرة) عام ٨٩٦ م (٢٨٣هـ)، وأنشأها جماعة من بني مخزوم من قريش، والتي قيل أنها عاشت قرابة أربعة قرون، وعلى أنقاضها قامت أولى دور الطراز "سلطنة أوفاف أو إيفات"<sup>(١)</sup>.

#### ١ - سلطنة أوفاف أو إيفات:

ويقال لها جبره بفتح الجيم والباء الموحدة والراء المهملة ثم هاء في الآخر والنسبة إليها جبرتي، وموقعها بين الأقليم الأول وخط الاستواء، ويقدرها أبو الفداء بأنها من حيث الطول سبع وخمسون درجة والعرض ثمان درجات مشيراً إلى أنها من أكبر مدن الحبشة. وهي بقراها عامرة أهله بالسكان وهي أقرب إلى الديار المصرية والسواحل المسامتة لليمن، بل هي أوسع الممالك السبع أرضاً وعسكراً، وتحكمت في الطريق التجاري الذي يربط الداخل بميناء زيلع، وقد أسس هذه السلطنة رجال من قريش من بني عبد الدار وقيل من بني هاشم من ذرية عقيل بن أبي طالب، وقدموا من الحجاز واستوطنوا أوفاف،

(١) عبد الشافي غنيم: البحر الأحمر طريقاً للدعوة الإسلامية، ص ٩٠، وانظر ناود: العروبة والإسلام بالقرن الإفريقي، ص ٩٤.



وحكموها فيما بعد وأول حاكم لها يقال له (عمرو أو يشمع)، ولم يعلم تاريخ هذه السلطنة إلا في حوالي (٧٠٠هـ) ولكنهم يخضعون لملك الحبشة النصراني، مثل باقي إمارات الطراز<sup>(١)</sup>.

## ٢ - سلطنة دوارو:

بفتح الدال المهملة وواو ثم ألف وراء مهملة وواو، وطولها خمسة أيام وعرضها يومان وتقع في إقليم سيدمو وكانت تمتد بين هوامش وأعالي نهر "وأبي شبيلي" المنطقة المعروفة باسم "أتو" شمال بالي ورغم هذه المساحة الضيقة إلا أن بها جيشاً كبيراً يعدل جيش أوفات السابقة الذكر، ولا تختلف هذه الإمارة عن سابقتها فأهلها مسلمون يتبعون مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، ومعاملاتها التجارية بالمبادلة<sup>(٢)</sup>.

(١) أبو الفداء: تقويم البلدان، مكتبة المثنى - بغداد، ومؤسسة الخانجي بمصر، ص ١٦٠-١٦١، المقرئزي: رسائل المقرئزي: الإمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، تحقيق رمضان البدرى وأحمد مصطفى قاسم، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، دار الحديث، القاهرة، ص ٢٣٥. وانظر: الأمير شكيب أرسلان: حاضر العالم الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٣م، دار الفكر، المجلد الثاني، الجزء الثالث، ص ٨٣. وناود: العروبة والإسلام بالقرن الإفريقي، ص ٩٤-٩٥، ومحمد الطيب بن محمد بن يوسف اليوسف: إثيوبيا والعروبة والإسلام عبر التاريخ، ج ٢، ص ٢٨، وعبد الشافي غنيم: البحر الأحمر طريق للدعوة الإسلامية، ص ٩١، وغيثان: الإسلام واللغة العربية في دول الطراز خلال العصور الوسطى، سبق ذكره، ص ٩٦، وحسن محمود: الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، ص ٤٠٩.

(٢) رسائل المقرئزي: الإمام بأخبار من بأرض الحبشة، ص ٢٣٥، الأمير شكيب أرسلان: المرجع السابق، ص ٨٣، ناود: المرجع السابق، ص ٩٦، محمد الطيب: المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٨-٢٩، غيثان: المرجع السابق، ص ٩٩.

### ٣ - سلطنة أرابيني:

طولها أربعة أيام وعرضها كذلك، وعسكرها يقارب عشرة آلاف فارس أما الراجلة فكثير. وأهلها مسلمون أحناف<sup>(١)</sup>.

### ٤ - سلطنة هدية:

بالهاء والذال والمهملة والياء المثناة التحتية ثم هاء في الآخر، وتقع بين الأقليم الأول وبين خط الاستواء، ويقدر طول مملكتها ثمانية أيام وعرضها تسعة أيام. وهي أقوى السلطنات السبع وأكثرها عدداً وعدة، وبالرغم من أن حكامها مسلمون إلا أن أغلب سكانها من الوثنيين. وتشتهر هذه السلطنة بتجارة الخصيان<sup>(٢)</sup>.

### ٥ - سلطنة شرخا:

بفتح الشين المعجمة وسكون الراء المهملة وخاء ثم ألف وهي مدينة تلي هدية، وطول مملكتها ثلاثة أيام وعرضها أربعة أيام، ويقدر عدد جيشها بثلاثة آلاف فارس، ورجالة الضعف، وسكانها أحناف<sup>(٣)</sup>.

---

(١) رسائل المقرئزي: المصدر السابق، ص ٢٣٥، وشكيب أرسلان، المرجع السابق، ص ٨٣، ومحمد الطيب: المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٩، وغيثان: المرجع السابق، ص ٩٩.

(٢) أبو الفداء: المصدر السابق، ص ١٦٠-١٦١، رسائل المقرئزي، المرجع السابق، ص ٢٣٥، شكيب أرسلان: المرجع السابق، المجلد الثاني، ص ٨٣، غيثنان: المرجع السابق، ص ٩٧، ناود: المرجع السابق، ص ٩٦، وعبد الشافي غنيم: المرجع السابق، ص ٩٢، ومحمد الطيب، المرجع السابق، ص ٢٩.

(٣) رسائل المقرئزي: الإمام بأخبار من بأرض الحبشة، ص ٢٣٦، شكيب أرسلان: المرجع السابق، نفس الصفحة، غيثنان: المرجع السابق، ص ٩٩، محمد الطيب: المرجع السابق، ص ٣٠، وناود: المرجع السابق، ص ٩٧.

## ٦ - سلطنة بالي:

تلى شرخا السابقة ولكنها أكثر خصباً وأطيب سكوناً وأبرد هواء. ويحدها شمالاً نهر وأبي شبيلي، وسكانها أحناف<sup>(١)</sup>.

## ٧ - سلطنة دارة:

تلي سلطنة بالي السابق ذكرها، ولكن هذه السلطنة أضعف الإمارات السبع وأقلها خيلاً ورجالاً وعسكراً لايزيد على ألف فارس وراجل<sup>(٢)</sup>.

ويجدر بالملاحظة أن اشتداد الصراع بين الممالك الإسلامية وملوك الأحباش النصارى والبرتغاليين ومن ثم القضاء على هذه الممالك الإسلامية يخرج عن فترة البحث ليدخل في العهد العثماني من منتصف القرن العاشر الهجري.

وفي أواخر القرن التاسع والقرن العاشر الهجريين ظهرت في السودان إمارات أو سلطنات إسلامية عربية، وكانت أهمها سلطنة الفونج أو الفنج أو سلطنة سنار أو السلطنة الزرقاء التي قامت في العام ٩١٠هـ على يد جماعة من العرب يذكرون أنهم يعودون بنسبهم إلى بني أمية، وخرجوا بقيادة زعيمهم عمارة دنقس وسيطروا على الجزء الشمالي من السودان الشرقي، وامتد نفوذهم من مدينة مشو بجانب الشلال الثالث حتى جنوب عاصمتهم سنار الواقعة على النيل الأزرق، وشملت سلطنتهم أجزاء كبيرة من بلاد البجة في الشرق

(١) رسائل المقرئزي: المرجع السابق، ص ٢٣٦، شكيب أرسلان: نفس المرجع، نفس الصفحة، ناود: المرجع السابق، ص ٩٧، غيثان: المرجع السابق، ص ٩٧، محمد الطيب، المرجع السابق، ص ٣٠.

(٢) رسائل المقرئزي: المرجع السابق، ص ٢٣٦، شكيب أرسلان: المرجع السابق، المجلد الثاني، ص ٨٤، غيثان: المرجع السابق، ص ٩٨، (ولكن يلاحظ على الدكتور غيثان جريس أنه خلط بين دارة ودوارو، وتحدث عن دوارو باسم دارة والعكس هو الصحيح)، وناود: المرجع السابق، ص ٩٦، ومحمد الطيب: المرجع السابق، ص ٣١.

وكردفان في الغرب، واستمرت دولتهم حتى قضى عليها الحكم العثماني عام ١٢٣٧هـ<sup>(١)</sup>. الموافق لعام ١٨٢١م.

وقد سبقتها سلطنة الفور أو "دارفور" في أقصى الجزء الغربي من السودان، وسكانها أفارقة زنوج، وهاجرت إليهم في فترات مختلفة بعض العشائر البربرية من شمال أفريقيا وبلاد المغرب، وكان يحكمها ملك سوداني أفريقي، حتى ظهر في منتصف القرن التاسع الهجري رجل عباسي قرشي من تونس أسمه أحمد سفيان المعفور الذي أصبح مقرباً من الملك السوداني وتزوج ابنته الوحيدة وأنجب منها ابناً أسماه سليمان وبوفاة والده، وجده لأمه أصبح سليمان أول ملوك الغور العرب الذين يعود نسبهم إلى العباسيين، عام ٨٤٨هـ واستمرت هذه السلطنة حتى استولت عليها الحكومة المصرية عام ١٨٩٨م (١٣١٦هـ)<sup>(٢)</sup>.

---

(١) ضرار صالح ضرار: هجرة القبائل العربية، ص ٣٤٨، ويوسف فضل حسن: مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، ص ٤٣، وانظر حسن محمود، الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، ص ٣١١-٣١٢.

(٢) ضرار صالح ضرار: هجرة القبائل العربية، ص ٥٨٨-٥٩٢، وانظر يوسف فضل: مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي، ص ٧٩-٨٤، وانظر حسن محمود، الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، ص ٣٢٣.

## ثانياً - رحلة الحج عبر الثغور:

(١) - أهم الثغور على الساحل الإفريقي للبحر الأحمر التي يرتادها الحجاج، ورأى الرحالة العرب فيها.

١ - القلزم (السويس):

القلزم بالضم ثم السكون ثم زاي مضمومة، وميم. والقلزمة ابتلاع الشيء.

وهو ميناء قديم يقع على الطرف الشمالي للبحر الأحمر، ويبعد مسافة نصف كيلو شمالي مدينة السويس الحالية، وظهرت أهميته بعد الفتح الإسلامي لمصر فأصبح ميناء مصر الرئيسي في البحر الأحمر، كما زادت أهميتها بعد حفر خليج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الواصل بين القسطنطينية والقلزم، وتبوأ هذا الثغر مكانة كبيرة حتى منتصف القرن الخامس الهجري عندما هجرت البلدة وشملها الخراب، وحلت محلها السويس، فيذكر ياقوت أنها كانت في زمانه خراباً، وحل محله السويس، وتولت هذه المدينة الوليدة نفس المهمة من الدور التجاري إلى الدور الديني في نقل حجاج بيت الله إلى الديار المقدسة في الحجاز<sup>(١)</sup>.

---

(١) الحموي: معجم البلدان: ج ٤، ٣٨٧-٣٨٨، وانظر اليعقوبي: البلدان، ص ٣٤٠، والاصطخري، المسالك والممالك، ص ٣٠، وابن حوقل: صورة الأرض، ص ٤٧، والقوصي: تجارة مصر في البحر الأحمر، ص ٤٠، والعبيدي: التجارة والملاحة في البحر الأحمر في عصر المماليك، رسالة ماجستير، ص ١٧٥.

وما بين القلزم وعيذاب يرد ذكر مينائي القصير والطور  
كمرفأين صغيرين ولم يكونا بأهمية القلزم وعيذاب.

## ٢ - عيذاب:

بافتح ثم السكون وذل معجمة وآخره باء موحدة<sup>(١)</sup>.

ويتحدث عنها ناصر خسرو في رحلته عام ٤٤٢هـ في  
عهد (الخليفة الفاطمي العبيدي المستنصر) بأن بها مسجد جامع  
وسكانها لايزيدون على خمسمائة نفس ذاكراً أنها تتبع سلطان  
مصر، وهي مركز تجاري مزدهر من مراكز جمع الخراج  
السلطاني يؤخذ من السفن القادمة إليها من الحبشة وزنجبار  
واليمن، ويصف أهلها البجة بالبدواة والوحشية، ولايدينون  
بدين<sup>(٢)</sup>! إلا أنهم في رأيه لايسرقون ولايغيرون على القوافل،  
كما تحدث عن سمات جمال البجة، وكذلك نوع السمك في بحر  
عيذاب<sup>(٣)</sup>.

وفي العهد الأيوبي يتحدث عنها ابن جُبَيْر في رحلته  
بتاريخ ٥٧٩هـ، ويصفها بأنها أحفل مراسي الدنيا بسبب أن  
مراكب الهند واليمن تحط فيها وتقلع منها إضافة إلى مراكب  
الحجاج الصادرة والواردة، بالرغم أنها مدينة تقع في طرف  
صحراء لا نبات فيها، ولا يؤكل فيها شيء إلا مجلوب، ويعمل  
أهلها على نقل الحجاج براً من وإلى عيذاب، وبحراً إلى الديار  
المقدسة. مشيراً إلى أن أهلها لايدينون بدين سوى مايطهرونه  
من ترديد كلمة التوحيد إظهاراً للإسلام!<sup>(٤)</sup>.

(١) ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ١٧١.

(٢) إذا كانوا يقولون كلمة التوحيد ويعترفون بالإسلام، فلايقال أنهم  
لايدينون بدين وإنما يقال لايعرفون من الدين الحق غير كلمة الشهادة.

(٣) سفرنامه: ص ١٣١.

(٤) رحلة ابن جُبَيْر، ص ٤٥.

ولا يختلف كثيراً وصف الرحالة التجيبي (ت ٧٣٠هـ) (١) وكذلك ابن بطوطة في رحلته (ت ٧٧١هـ) (٢). ويذكر المقرئزي (ت ٨٤٦هـ) أن حجاج مصر والمغرب أقاموا زيادة على ٢٠٠ سنة يعبرون بحر عيذاب إلى جدة، وكذلك تجار الهند واليمن والحبشة. مبنياً بدايتها باتجاه الحجاج والتجار إليها كميناء هام من عهد الخليفة العبيدي المستنصر بالله حتى عهد السلطان المملوكي الظاهر ركن الدين بيبرس (٦٥٩-٦٧٨هـ) والذي استخدم الطريق البري عبر سيناء لقوافل الحجاج سنة ٦٦٦ هـ، ومن ثم بدأ يتلاشى أمر عيذاب حتى سنة ٧٦٠هـ (٣).

وقد تعرضت عيذاب للغزو الصليبي في عام ٥٧٨ هـ، وتعرض الحجاج والتجار للقتل والسلب والنهب على أيدي الصليبيين الغزاة ومنها عبروا إلى الحجاز، حتى أدركتهم الجيوش الأيوبية وتمكنت من القضاء عليهم قبل وصولهم إلى مدينة المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبعد اتخاذ طور سيناء طريقاً للحاج المصري والمغربي أخذت عيذاب في الاندثار والزوال حتى غزاها ملك نوبي يدعي داود سنة ٧٦٠ هـ وقتل أهلها وأسر أعيانها، وضرب دورها (٤). إلا أنها استمرت ميناءً بحرياً عادياً حتى زمن ابن إياس، وتبع انهيار هذا الميناء انهيار الموانئ المقابلة له على النيل، فهجرت عيذاب لتندثر نهائياً في القرن العاشر الهجري، ويتلاشى طريقها التجاري ويتحول عنها التجار والحجاج (٥).

(١) مستفاد الرحلة والاعترا ب: ص ٢٠٥.

(٢) تحفة النظر، ص ٤٢.

(٣) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج ١، ص ٢٠٢.

(٤) محمد صالح ضرار: تاريخ السودان (البحر الأحمر - إقليم البجة)، ص ١٤٦-١٥٣.

(٥) نعيم زكي فهمي: طرق التجارة ومحطاتها بين الشرق والغرب، ص ١٤٣-١٤٤.



## ٣ - سواكن :

تقع على بعد ٣٤٩ ميلاً جنوب عيذاب على ساحل البحر الأحمر في بلاد السودان<sup>(١)</sup>، وترفاً إليها السفن القادمة من جدة<sup>(٢)</sup>، وبرزت أهميتها بعد بدء تضعض دور ميناء عيذاب التجاري من القرن الثامن الهجري، ويهتم ميناؤها بنقل تجارة الحبشة والنوبة، وتصلها بحراً سفن الحبشة، وبراً قوافل النوبة محملة بالرقيق والشمع والعسل وقد ورد ذكرها في عدة حوادث أثناء الصراع التجاري بين عدن وجدة في العصر المملوكي، فسوء المعاملة التي يتعرض لها التجار في عدن أو جدة تدفعهم للتوجه إلى سواكن<sup>(٣)</sup>.

ويصفها ابن بطوطة بأنها لا يوجد بها ماء ولا زرع ولا شجر، والماء يجلب إليها في القوارب وفيها صهاريج يجتمع بها ماء المطر، وبها لحوم النعام والغزلان وحمر الوحش والمعزى، والألبان والسمن وتجلب هذه المنتجات وكذلك الحبوب إلى مكة، وكان سلطانها حين وصوله إليها الشريف زيد بن أبي نمي<sup>(٤)</sup>، وصارت إليه من قبل البجاة فاتهم أخواله، ومن عسكره البجاة وعرب جهينة<sup>(٥)</sup>.

(١) محمد صالح ضرار: تاريخ سواكن والبحر الأحمر، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، ص ٢٣.

(٢) ياقوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٧٦.

(٣) نعيم زكي فهمي: طرق التجارة، ص ١٤١.

(٤) هو زيد بن أبي نمي محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة الحسني المكي، يكنى أبا الحارث، وينكر الفاسي في العقد الثمين، ج ٤، ص ١٥٣ أنه لا يعلم هل هو زيد الأكبر أم زيد الأصغر وأنه يملك سواكن، أما عز الدين عبدالعزيز فهد في غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، ج ٢، ص ٤٢، فإنه يشير إلى أن الاثنان من أبناء أبي نمي، والأكبر قتله بعض العرب.

(٥) تحفة النظار في غرائب الأمصار، المجلد الثاني، ص ١٠٠-١٠١.

## ٢ - رحلة الحاج المصري ( \*١ )

قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ (٢).

تتطلق رحلة الحاج المصري إلى الحجاز من القسطنطينية القاهرة فيما بعد (٣)، ويتجمع الحجاج في بركة الحاج أو "الجب" جب عميرة وتقع إلى الشمال الشرقي من القاهرة، ثم تليها محطة البويب وهي مضيق بين جبلين صغيرين به تل رملي مستطيل، وتقدر المسافة بينها وبين بركة الحاج بـ ١٥ كم أو ثلاث ساعات، ويصل الحاج إلى عجروود وهي إلى الغرب من السويس على مسافة ٢٠ كم تقريباً، وتتبع عجروود السويس

( \*١ ) من أهم مصادر طريق الحاج المصري: الجزيري: عبدالقادر بن محمد بن عبدالقادر الأنصاري: درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، تحقيق حمد الجاسر، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، منشورات دار اليمامة، الرياض، ج ٢، ص ١٣٠٣-١٤٢٧ (عن منازل ومحطات طريق الحاج المصري ومسافاتها ومقاساتها وأبعادها بالتفصيل، ويرجع ذلك لشغل الجزيري سنة ٩٤٤ مناصب كاتب ديوان الحج، كما شغله أبوه قبله منذ مطلع القرن العاشر الهجري، فكانت له معرفة مفصلة بالطريق) وانظر: كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة المنسوب للحربي، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة، ١٤٢٠هـ، (وهي طبعة جديدة بعد تعديل نسبة الكتاب إلى القاضي وكيع). ص ٣٩٩-٤٠٢. وانظر كذلك: ابن خرداذبة المسالك والممالك، ص ١١٩، وابن قدامة: نبذ من كتاب الخراج وصناعة الكتابة، ص ١٩٠، وانظر علي السليمان: العلاقات الحجازية المصرية، ص ٦٥-٦٦. وسيد عبدالمجيد بكر: الملامح الجغرافية لدروب الحج، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ص ١٠٤-١٤٤، وأمنة حسين محمد علي جلال: طرق الحج ومراقفه في الحجاز في العصر المملوكي، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة أم القرى، ١٤٠٧هـ، ص ٢٣.

(٢) سورة الحج: آية ٢٧، ٢٨.

(٣) المقرئزي: السلوك: ج ٣، ص ٢٨٠، حوادث سنة ٧٤٠.

حالياً<sup>(١)</sup> مع العلم أن مسير الحاج المتجه إلى سيناء لا يمر بمدينة السويس، متخذاً ممراً بشمالها يدعى بجسر السويس ومنه يُعبر إلى سيناء، ومن جسر السويس إلى نخل، وتنتقل المسيرة المباركة بعد الجسر بمصب وادي الحاج مروراً بالنواطير الثلاثة وهي عبارة عن ثلاثة أعمدة من الحجارة بين كل منها مسافة ساعة ونصف، ويتواصل المسير حتى يصل إلى مفرق وادي الحاج، وبعد المفرق يطلق على الوادي وادي الحيطان لإحاطة الجبال به ومنه صعوداً إلى شرفة الحاج بقدر ساعة ونصف من المفرق السابق ومن ثم هبوطاً إلى سهل التيه، ويتواصل المسير من مفرق الحيطان إلى وادي السحيمي بعد مروره بوادي الاغيدة، ثم يلتقي بوادي النتيلة ووادي أبو جذل حتى الوصول إلى نخل وهي من أهم محطات الحاج المصري عبر شبه جزيرة سيناء والتي تبعد عن القاهرة بمسافة ٢٧٤ كم، ومن نخل إلى العقبة ١٧ كم، ويسير منها الحاج إلى العقبة على مراحل، ويواصل الحاج طريقه نحو الشرق بميل قليل نحو الجنوب الشرقي حتى يصل إلى وادي رحية "المشاش"، حتى يمر بجنوب جبال الحمراء الواقعة في جنوب شرقي سيناء، وشمال نقب العقبة، وهذا النقب يعد أصعب مراحل طريق الحاج المصري، ويطلق عليها رأس النقب وله عدة قمم ومرتفعات مثل جبل الشناتة وجبل أبو جدة وجبل الرادادي، وقد جهد الحكام في هذه العقبات حفرأً ونقباً ليسهل طريق الحاج، ويدل على صعوبته ووعورته أنه متعرج شديد الانحدار فرأس الطريق عند المفرق بالقرب من نهاية العقبة يرتفع بما يقدر بنحو ٦٢٠ م عن نقطة المرشش ونقب العقبة يبعد عن مدينة العقبة بنحو ٢٢ كم.

ويتواصل السير صعوداً من نخل الجبل مع وادي المحسرات، حتى وادي المصري منه إلى قنطرة ومنها إلى منطقة مقعد الباشا، ثم إلى منطقة رجم الدرك، حتى وادي

(١) سيد عبدالمجيد: المرجع السابق، ص ١٠٦.

القريقرة حتى جبل المسان ومنه الى المفرق، وبذلك تم عبور  
نقب العقبة، فيستخدم الحاج طريق شاطئ العقبة ماراً ببلدة  
"المرشرش" أم الرشراش على رأس الخليج قاطعاً وادي عربه  
حتى يصل إلى مدينة "أيلة" "العقبة" ثم يتواصل المسير ساحلاً  
حتى بلدة حقل الواقعة على الشاطئ الشرقي لخليج العقبة،  
وتقع هذه البلدة في وادي المبرك، ومن حقل نحو الشرق بقليل  
وصولاً إلى جبل جنوب حقل هو ظهر الحمار، ويستمر الطريق  
في وادي أم جرفين ماراً بين عدة جبال حتى يصل إلى بئر  
مجفل، ومنه إلى الشرف أو شرفة وهي مرتفعات جبلية جنوب  
شرقي حقل وتبعد عنها ٤٥ كم، ويقدر ارتفاعها بنحو ١٧٦٣ م  
ومن هذه المنطقة الوعرة يسير الطريق من مجرى وادي عفال  
(مغائر شعيب مدين - البدع) ويقدر طوله ١٩٠ كم نزولاً من  
الشرف<sup>(١)</sup>.

(١) سيد عبدالمجيد بكر: الملامح الجغرافية، ص ١٢٥.

وقد كان للحاج المصري في الفترة الإسلامية المبكرة بعد خروجهم من مدين طريقين: أحدهما داخلي والآخر بمحاذاة الساحل، فأما الطريق الذي يبتعد عن الساحل فيتوجه جنوباً بشرق ماراً على شغب، ثم بدا مروراً بعدد من المنازل حتى يتمكن من الوصول إلى وادي القري ملتقياً بذلك في السقيا (الخشبية) بطريق الحاج الشامي ليسيروا إلى المدينة المنورة وقد كان هذا الطريق الأكثر استخداماً خلال القرنين الهجريين الأول والثاني، ومن القرن الثالث كثر استخدام الطريق الساحلي، حتى أهمل نهائياً الطريق الداخلي<sup>(١)</sup>.

ويتواصل الطريق الساحلي بعد مدين إلى عينونا ماراً بطريق شرمة وتريم والنبك (المويلح) ووادي الغال (وادي القسطل) وضباء، والأزلم، وبركة عنتر، والوجه، وبين النهدي. ووادي العرجا، وبركة أكرى وبئر القروي، والحوراء<sup>(٢)</sup> وينبع البحر<sup>(٣)</sup>، إلى المدينة ويسمى الطريق المنطلق من الحوار إلى ينبع الفرع الساحلي ويمر ببئر قنير ويواصل سيره نحو الجنوب ويمر بوادي خماس ثم جبل البوانة ثم يمر بوادي نبط قرب مصبه في البحر الأحمر، ويمر بجبل جربول شمال شرم الخور، ويتجه شرقاً ماراً بوادي كمال، وفي شمال شرم ينبع يميل نحو الجنوب الشرقي ليصل ينبع البحر سيراً على السهل الساحلي<sup>(٤)</sup>، مع العلم أن الجار<sup>(١)</sup> كانت أيضاً

(١) علي إبراهيم غبان: الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة، الكتاب الثاني، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/١٩٩٣م، ص ٢٠٩، وللمؤلف بحوث ودراسات أثرية هامة على منازل هذا الطريق وبعض مدن وموانئ شمال المملكة على ساحل البحر الأحمر. (موانئ شمال الحجاز)، ص ٢١٩-٢٥٩.

(٢) علي غبان: الآثار الإسلامية، المصدر السابق، ص ٢١٥.

(٣) وكذلك ينبع النخل من محطات طريق الحاج المصري الذي يستريح في العشيرة، انظر الجزيري: درر الفرائد، ج ٢، ص ١٤١٤.

(٤) سيد عبدالمجيد بكر: الملامح الجغرافية، ص ١٤١.

طريقاً للحاج المصري في الفترات المبكرة حتى كان العهد الأيوبي الذي ظهر في عهده ميناء ينبع بشكل بارز. ويتجه الطريق إلى جنوب شرقي ينبع البحر حتى يصل إلى آبار المسيحلى ثم إلى آبار سعيد عبر وادي الصفراء، حتى بئر عباس بوادي الصفراء، ثم المسيجيد فيخرج من وادي الصفراء باتجاه الشرق إلى بئر الروحاء إلى الشمال الشرقي حتى يصل المدينة المنورة.

ومن بدر إلى رابغ، فخليص، فعسفان، ومنها إلى وادي فاطمة (مر الظهران). "الجموم" ومنها إلى سرف إلى التنعيم ومنه إلى وادي الزاهر، وذي طوى ويسير الحاج إلى وادي الأبطح حيث يتفرق الحاج بنواحي مكة شرفها الله<sup>(١)</sup>.

وقد انقطع هذا الطريق فترة من الزمن وهي أواخر القرن الخامس الهجري في عهد العبيديين أو ماسمي بالشدة العظمى حيث عجز العبيديون عن دفع نفقات الطريق وتأمين سبله، وكذلك بسبب احتلال الصليبيين لأيلة "العقبة" أهم محطات هذا الطريق ومدخله الوحيد إلى الحجاز، وتحول طريق الحاج المصري إلى عيذاب ومنها إلى جدة، والذي استمر قرابة ٢٠٠ عام حتى عاد الطريق البري الساحلي مرة أخرى في عهد السلطان المملوكي الظاهر بيبرس في سنة ٦٦٦ أو ٦٦٧ هـ<sup>(٣)</sup>.

(١) الحربي أو القاضي وكيع: المناسك أو كتاب الطريق: ص ٤٠٢، وابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص ١٤٩، وابن قدامة، ص ٦٥.

(٢) أمانة جلال: طرق الحج ومرافقه في الحجاز في العصر المملوكي، رسالة دكتوراة سبق ذكرها، ص ٦٦-٧١.

(٣) علي غبان: الآثار الإسلامية، سبق ذكره، ص ٢١٢.

## — رحلة الحاج المصري (القاهرة — عيذاب — جدة) (١)

وتبدأ الرحلة من ميناء الفسطاط جنوبي القاهرة عبر نهر النيل حتى الوصول إلى أسكر على الضفة الشرقية للنيل ومنها إلى منية ابن الخصيب وتستغرق الرحلة إليها عبر النيل خمسة أيام، ثم يتجه الطريق النهري إلى أنصف، ثم إلى مرسى جبل المقلّة أو المقلّا، ويقع بالشط الشرقي للنيل، ويمثل نصف الطريق إلى قوص، ومنه إلى مدينة منفوط وتقع على الشاطئ الغربي لنهر النيل، ثم إلى مدينة أسيوط على الشاطئ الغربي لنهر النيل، وهي من أهم مدن الصعيد ومنها إلى بلدة أبي تيح، وتمر السفن بمدينة أخميم من مدن الصعيد ومنها إلى البلينا على الشاطئ الغربي للنيل، ومنها إلى الشاطئ الشرقي لنهر النيل إلى بلدة وشنا، ومنها إلى قنا من المدن الهامة بصعيد مصر ثم يتجه الطريق إلى قوص حيث المحطة النهائية عبر النيل وهي مدينة كبيرة وهامة وملتقى حجاج مصر والمغرب، ومنها يبتدئ الطريق البري إلى عيذاب على البحر الأحمر عبر صحراء مصر الشرقية من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي لتقطع صحراء عيذاب من قوص إلى جنوب رأس بغدادي على ساحل البحر الأحمر، فتسير الرحلة بموازة ساحل البحر حتى تصل إلى عيذاب، بمقدار ١٧ يوماً، وهي رحلة برية شاقة لقلة المياه، وقسوة سكان تلك القفار وهم البجاة الذين اتصفوا بالقسوة والغلظة، وتحدث عن أخلاقهم وسوء معاملتهم كثير من الرحالة الذين عبروا هذا الطريق ممن سبقت الإشارة إلى آرائهم أمثال ناصر خسرو، وابن جبير، والتجيبى، وابن بطوطة، وغيرهم.

(١) ابن جبير: الرحلة، ص ٣٢-٥٢، وسيد عبدالمجيد بكر: الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، ص ١٤٩-١٥٩.



وينطلق الراكب من قوص إلى المبرز ويجتمع فيها الحاج لشراء جميع حاجاتهم استعداداً لرحلة برية شاقة، تليها رحلة بحرية شاقة أيضاً فيبدأون من المبرز إلى مكان يسمى الحاجر، ومنه إلى اللقيطة، ومنها إلى وادي دندان، ويتواصل المسير الشاق إلى منطقة المحدث ثم الميراد، ويمر الحاج بوادي منيح، ووادي الشلول، ثم ينتقل إلى ماء يدعى الدغيج، وينزل بمكان يسمى الجهندي، وهو منهل للحاج، ومنه إلى منطقة الحريفاء ثم إلى دنقاش وبها ماء كثير ثم إلى منطقة شعتان وبها بئر أم قيور، ويواصل الحاج طريقه غربي سواحل البحر الأحمر نحو الجنوب حتى يصل إلى منطقة أمتان ويوجد بها بئر ماء عذب، ويرتحل منها إلى منطقة حميثة، ومنها إلى منطقة سلا، وتعرض قافلة الحاج بعض مرتفعات البحر الأحمر، وتتواصل المسيرة إلى مكان يعرف بمجاج وهو مورد ماء ومنه إلى الحسا وإلى شهاب حتى منطقة العشاء، ومنها إلى منطقة الخبيب بالقرب من عيذاب، حتى تصل القافلة إلى عيذاب على ساحل البحر الأحمر، وينتقل الحاج المصري والمغربي خاصة والإفريقي بعامة عبر هذا الميناء إلى ميناء جدة بحراً. ومن جدة إلى القرين "بحرة" ومنها إلى مكة المكرمة<sup>(١)</sup>.

(١) ناصر خسرو: سفرنامه، ص ١٢٧-١٣٥، وانظر ابن جبیر: في رحلته، ص ٣٢-٤٩، وسید عبدالمجید بکر، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، ص ١٤٩-١٦٤، وانظر خرائط الطريق ص ٣٩٥-٣٩٦.

### ٣ - رحلة الحاج المغربي:

للبحث في أهم مراحل ومنازل الحاج المغربي إلى الديار المصرية ليستكمل الرحلة مع أخيه الحاج المصري إلى الديار المقدسة اطلعت على عدد من الرحلات المغربية المشهورة<sup>(١)</sup> إلى أرض الحجاز ومما يلاحظ أن الحج إلى مكة كان سبباً هاماً في تميز الرحلات الأندلسية والمغربية، مما دفع بالمغاربة والأندلسيين لأن يهتموا بتدوين رحلاتهم، كما ساهم تحسن وسائل النقل البحري وبناء السفن لدى المغاربة والأندلسيين في ازدهار هذه الرحلات، وتفوقهم في علم الجغرافية وتحديد المواقع والبلدان، واستثمار معرفتهم بالبوصلة البحرية. كما أن معرفة المغاربة الجيدة بمفاوز ومجاهل أفريقيا، دفعهم إلى الارتحال والتنقل.

ولعل من أشهر الرحلات المغربية الحجازية رحلة أبي الحسن محمد بن ابن جبير ٥٤٠ - ٦١٤، ورحلة ابن سعيد المغربي ٦٠٥ - ٦٨٥ (النفحة المسكية في الرحلة المكية) ورحلة العبدري ٦٨٨هـ، ورحلة أبي عبيد الله بن رشيد ٦٥٨ - ٧١١، ورحلة البلوي في القرن الثامن الهجري، ورحلة ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ)، ورحلة أبي العباس أحمد بن الحسن بن قنفذ القسطنطيني المتوفي (٨٠٩هـ) ورحلة العياشي (ت ١٠٩٠هـ)، إلى غير ذلك.

(١) رحلة بن جبير، ورحلة العبدري، ورحلة ابن بطوطة، ورحلة البلوي.

وتفوق المغاربة في أدب الرحلات برز في رحلاتهم إلى الحجاز، ولعل مرد ذلك هو الحنين إلى مهبط الوحي والتنزيل، وأداء فريضة الحج، والاتصال بعلماء المسلمين في الحرمين الشريفين وفي مصر والشام<sup>(١)</sup>.

وبالرغم من أن رحلة الحج المصري تميزت بالتنظيم والترتيب والإشراف والإدارة المباشرة من حكام مصر بتعيينهم أميراً للحج وخروج ركب منظم تنظيمًا متكاملًا، واشتهار الركب المغربي بخروجه جماعات صغيرة للحج، إلا أن ذلك لا يعني أنه لم تكن هناك رحلات حجيج منظمة، فقد ظهرت هذه الرحلات المنظمة في ركب أبي محمد صالح المتوفى (٦٣١هـ)، وشرح عن تلك الرحلة الكانوني في كتابه (اسقى وما إليه) بل أن أتباعه كانوا يبنون المنازل للحجاج في طريقهم الطويل التي تبتدئ ببلاد حاحة بالمغرب الأقصى إلى الإسكندرية، والعمل على بناء مراكز إيواء للحجاج المغاربة. وقد اتخذ المغاربة عدة طرق للحجيج منها طريق صحراوي عبر سجلماسة<sup>(٢)</sup>، وطريقين آخرين، بحري وساحلي<sup>(٣)</sup>.

وكان الحجاج المغاربة يلقون معاملة حسنة من حكام مصر، فقد ذكر ابن جبير أن صلاح الدين الأيوبي جعل مسجد

(١) السائح: العلامة الحسن: محقق كتاب: (تاج المفرق في تحلية علماء المشرق: خالد بن عيسى البلوي)، طبع اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين المملكة المغربية ودولة الإمارات العربية المتحدة، ج ١، ص ٨٠-٩٠.

(٢) سجلماسة: في صحراء المغرب، على نهر زيزن من أعظم مدن المغرب، وتقع على طرف الصحراء، ويقصدها الكثير، بها القصور والعمارات وقد بنيت في سنة ١٤٠هـ وأسسها مدرار بن عبدالله، وبها كان قيام الدعوة العبيدية. ولمزيد التفاصيل انظر الحميري: الروض المعطار، ص ٣٠٦. وتقع جنوب المغرب الحالية وهي مهد دولة الأشراف العلوية، المنجد في اللغة والأعلام، ص ٢٩٧.

(٣) السائح: العلامة الحسن: محقق رحلة البلوي: المصدر السابق، ص ٨٣.

ابن طولون مأوى الغرباء من المغاربة يسكنونه ويحلّقون فيه، وأجرى عليهم الأرزاق في كل شهر<sup>(١)</sup>. وسهل حكام مصر المماليك أداء الفريضة للحجاج المغاربة وباقي مناطق إفريقيا عبر الأراضي المصرية إلى الحجاز ففي عام ٧٦٤هـ حج سلطان المغرب عبد الرحيم في محمل كبير<sup>(٢)</sup>.

كما قدم حجيج مغربي إلى مصر عام ٧٨٨ وبرفقه هدية قيمة من الخيول المغربية من سلطان تونس ورسالة إلى السلطان المملوكي برقوق، فاهتم بهم السلطان وجهزهم للحج وأوصى بهم أمراء المحمل المصري، بل أثناء عودتهم أرسل معهم هدية للسلطان الحفصي<sup>(٣)</sup>.

ويخرج الحاج الأندلسي للبحر من مدن الأندلس الجنوبية مثل غرناطة<sup>(٤)</sup> عبر البحر المتوسط إما إلى مدن المغرب الأقصى أو المغرب الأوسط كالجزائر ومنها إلى تونس ومدن ليبيا إلى مصر، أو عبر البحر مباشرة إلى الإسكندرية الميناء المصري على البحر المتوسط ومنها براً إلى القاهرة ويمر الحاج الأندلسي في البحر بعدة جزر وحصون منها للروم ومنها للمسلمين ومن ذلك رحلة ابن جبير عام ٥٧٨هـ التي انطلقت من غرناطة إلى جيان، فحصن بقتداف وحصن قبيرة، إلى مدينة إستجه وحصن أشونة، وشلبر، إلى حصن أركش إلى قرية القشمة إلى جزيرة طريف<sup>(٥)</sup>، وعبر البحر المتوسط

(١) الرحلة، ص ٢٦.

(٢) الرشيدى: حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج، تحقيق، ليلي عبداللطيف أحمد، ١٩٨٠م، مكتبة الخانجي بمصر، ص ١٣٦.

(٣) علي السليمان: العلاقات الحجازية المصرية، ص ٦٧.

(٤) غرناطة: معناها رمانة بلسان عجم الأندلس، وسميت بذلك لحسنها، وهي أقدم مدن كورة البيرة من أعمال الأندلس. انظر ياقوت: ج ٤، ص ١٩٥.

(٥) مجموعة مواقع وقرى جنوب الأندلس.

وعلى ظهر مراكب للروم إلى قصر معمورة<sup>(١)</sup>، وإلى سبتة<sup>(٢)</sup> على الساحل المغربي، ومواصلاً السير بحراً إلى الإسكندرية مروراً بعدة جزر منها جزيرة ميورقة، وجزيرة منورقة، وجزيرة سردانية، وجزيرة أقریطش<sup>(٣)</sup> حتى الإسكندرية<sup>(٤)</sup>، والتي ينتقل منها ابن جبیر إلى دمنهور مجتازاً النيل إلى قرية بصا، وقرية برمہ، وطنطا، وقلیوب والمنیا - فالقاهرة، ومن القاهرة إلى جنوب مصر "الصعيد" إلى قوص، وهي ملتقى حجاج مصر والمغرب العابرین طریق عیذاب جدة<sup>(٥)</sup>.

إلا أن رحلة العبدري عام ٦٨٨هـ أكثر توضيحاً لطریق الحاج المغربي، فقد انطلق الرحالة المغربي أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن مسعود العبدري الحیحي من بلاده حاحه بالمغرب الأقصى، ومنها إلى أنسا من أعلى بلاد السوس الأقصى<sup>(٦)</sup>، متجهاً قبالة عبر صحراء

(١) قصر معمورة: حصن كبير بينه وبين سبتة اثنا عشر ميلاً، ويقع على الساحل المغربي على البحر المتوسط، وتتطرق منه المراكب مسافرة إلى الأندلس. انظر: الحميري: الروض المعطار، ص ٤٧٦.

(٢) سبتة: تقع على الساحل المغربي على البحر المتوسط، ويحيط بها الماء من ثلاث جهات إلا من جهة الغرب، ولمزيد من التفاصيل انظر: الحميري: الروض المعطار، ص ٣٠٣. وهي الآن تخضع للاحتلال الأسباني.

(٣) تلك مجموعة جزر في عرض البحر المتوسط.

(٤) الإسكندرية: ميناء مصري هام على ساحل البحر المتوسط بناه الاسكندر.

(٥) رحلة ابن جبیر: ص ٧-٤١.

(٦) السوس الأقصى: أقصى بلاد المغرب، مدينة كبيرة، وأهلها أخلاط، بها يصنع السكر، وتضم مدن عديدة، ويشقها نهر كبير يصب في المحيط، وذات فواكه وحبوب كثيرة. انظر: الحميري: الروض المعطار، ص ٣٢٩.

المغرب الشرقية، حتى يصل إلى تلمسان<sup>(١)</sup> ومنها إلى مليانة<sup>(٢)</sup>، ومنها إلى الجزائر<sup>(٣)</sup>، وإلى بجاية<sup>(٤)</sup>، وبني رار ثم إلى ميلة<sup>(٥)</sup>، ثم إلى مدينة قسنطينة<sup>(٦)</sup>، ومنها إلى مدينة قابس<sup>(٧)</sup>، وقطع البرية بين قابس وطرابلس<sup>(٨)</sup>، كما قطع البرية من طرابلس إلى

(١) تلمسان: بكسرتين، وسكون الميم، ويقال أيضاً تتمسان بالنون، وهي بالمغرب، وهما مدينتان متجاورتان مسورتان، إحداهما قديمة والأخرى حديثة، والأخيرة اختطها المثلثون ملوك المغرب. ياقوت: ج ٢، ص ٤٤، والآن هي مدينة جزائرية، وقد ازدهرت في عهد المرابطين.

(٢) مليانة: بالكسر على السكون، مدينة في آخر أفريقية، وهي مدينة رومية قديمة. انظر ياقوت: ج ٥، ص ١٩٦، وهي الآن مدينة جزائرية مركز دائرة بولاية الشليف، وبها جامع أثري، انظر المنجد، ص ٥٤٦.

(٣) الجزائر: مدينة ساحلية على ساحل البحر المتوسط وعاصمة الجمهورية الجزائرية، تعتبر من عواصم بني حماد بن زيري بن منهاد الصنهاجي كما تعرف بجزائر بني فرغاي. انظر ياقوت: البلدان، ج ٢، ص ١٣٢.

(٤) بجاية: ميناء جزائري على البحر المتوسط بولاية سطيف، المنجد، ص ١١٣.

(٥) ميلة: أو الميلية مدينة جزائرية، مركز دائرة في ولاية قسنطينة على الوادي الكبير.

(٦) قسنطينة: في شمال شرقي الجزائر، ويصفها ياقوت نقلاً عن البكري أنها مدينة أزلية كبيرة أهلة ذات حصانة ومنعة ليس يعرف أحسن منها. انظر معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٤٩.

(٧) قابس: مرفأً تونسي على خليج قابس على البحر المتوسط، المنجد، ص ٤٣٠. ويصفها البكري: بأنها مدينة جلييلة مسورة بالصخر ذات حصن حصين وأرباض وفنادق وجامع وحمامات كثيرة، وساحلها مرفأً للسفن، وحولها قبائل من البربر. انظر ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٨٩.

(٨) طرابلس الغرب: عاصمة ليبيا الحالية وميناء على البحر المتوسط، المنجد، ص ٣٥٦. غزاها عمرو بن العاص رضي الله عنه سنة ٣٠هـ تملكها عنوة. ياقوت، ج ٤، ص ٢٥.

سرت<sup>(١)</sup>، ثم إلى برقة<sup>(٢)</sup>، وعبر البرية إلى الإسكندرية (التي تشكل محطة هامة للحاج المغربي والأندلسي ثم الوصول إلى القاهرة<sup>(٣)</sup>).

أما رحلتا ابن بطوطة (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي) والبلوي (أبو البقاء خالد بن عيسى) فكانتا في زمن متقارب، فبينما وصل ابن بطوطة إلى مكة للمرة الثانية عام ٧٣٢هـ وصلها البلوي سنة ٧٣٧هـ، وفي هذه السنة كان ابن بطوطة يتنقل في الهند، وقد عبر الرحالتين طريقاً واحداً من أفريقيا إلى تونس، حيث انطلقا معاً عن طريق تلمسان ومليانة والجزائر وبجاية وقسنطينة وبونة<sup>(٤)</sup> وتونس<sup>(٥)</sup>، إلا أنهما افترقا ليسافرا البلوي إلى الإسكندرية بحراً عن طريق جزيرة قوسرة<sup>(٦)</sup> فمالطة<sup>(٧)</sup> فاقريطش<sup>(٨)</sup> فجزيرة

(١) سرت: في معجم البلدان بضم أوله وسكون ثنيه، وهي مدينة على ساحل البحر الرومي بين برقة وطرابلس الغرب، ياقوت، ج ٣، ص ٢٠٦. وفي العصر الحاضر تلفظ بكسر السين، وهي مرفأً ليبي على خليج سرت أو سدره على البحر المتوسط. المنجد، ص ٢٩٨.

(٢) برقة: شبه جزيرة بليبيا شرقي خليج سرت من مدنها بنغازي وطبرق، ودرنة، البيضاء، المرج أو برقة قديماً. المنجد، ص ١٢١.

(٣) الرحلة المغربية: تحقيق محمد الفاسي، جامعة محمد الخامس، الرباط، ١٩٦٨م، ص ١٥٢-٧.

(٤) بونة: أو العناب أهل العناب النخل الطويل، وهي مدينة على مقربة من قسنطينة، العلامة الحسن السائح، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق للبلوي، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ١٢٣.

(٥) تونس: عاصمة تونس الحالية على ساحل البحر المتوسط. عمرت على انقاض مدينة قريبة منها قرطاجة أو قرطاجنة الفينيقية، لمزيد من التفاصيل، ياقوت، ج ٢، ص ٦٠.

(٦) قوسرة: أو قوسرة جزيرة ايطالية تقع بين تونس وصقلية، المنجد، ص ١٣٧.

(٧) مالطة: جزيرة في البحر المتوسط جنوب صقلية، وهي الآن دولة، المنجد، ص ٥١٤.



أشغرابطة<sup>(٢)</sup> فقبرص<sup>(٣)</sup> فالاسكندرية، بينما يتابع ابن بطوطة طريق سوسة<sup>٤</sup> فصفاقس<sup>(٥)</sup>، واتفق الرحالتان في وصف منار الاسكندرية وعمود السواري بها<sup>(٦)</sup>.

وكان ملتقى الحاج المصري والحاج المغربي في القاهرة وقوص وكذلك أيلة "العقبة" حيث يلتقون أيضاً بالحاج الشامي إلى الديار المقدسة.

ولعل قوة حكام مصر وحسن تنظيمهم لركب الحج وتوفير الأمن لهم دفعت بالحاج المغربي والحاج الشامي إلى مرافقة الركب المصري في أيلة "العقبة" إلى الحجاز والعودة معه إلى أيلة أيضاً<sup>(٧)</sup>.

بعد التعرف على طريق الحاج المصري والمغربي إلى الديار المقدسة وامتداداً للحديث عن الحج يجدر الإشارة إلى إمرة الحاج وما التحق بها فيما بعد من المحمل وتعدد هذه

---

(١) أقریطش: جزيرة في بحر المغرب يقابلها من بر إفريقيا لوبيا وهي جزيرة كبيرة فيها مدن وقرى وينسب إليها جماعة من العلماء، فتحها جنادة بن أبي أمية، سنة ٥٤هـ، ياقوت: ج ١، ص ٢٣٦. وهي جزيرة كريت اليونانية الحالية في البحر المتوسط وعاصمتها خاندا، المنجد، ص ٤٦٢.

(٢) أشغرابطة: إحدى جزر الروم على مقربة من قبرص: تاج المفرق، ج ١، ص ١٢٢.

(٣) قبرص: أو قبرس جزيرة في شرق البحر المتوسط تبعد ٦٥ كم عن تركيا الحالية، و ٨٥ كم عن سورية. المنجد، ص ٤٣٣.

(٤) سوسة: ميناءاً تونسي على خليج الحمامات، ومركز ولاية، أسسها الفينيقيون، ازدهرت في عهد الأغالبة، وبها آثار رومانية وإسلامية. المنجد، ص ٣١٥.

(٥) صفاقس: ميناء تونسي على خليج قابس، ومرز ولاية، ازدهرت في عهد الأغالبة. المنجد، ص ٣٤٦.

(٦) تاج المفرج في تحلية علماء المشرق: ج ١، ص ٥٥ - ٥٧، سبق ذكره.

(٧) علي السليمان: العلاقات الحجازية المصرية، ص ٩٨.

المحامل تبعاً للتقسيم السياسي وذلك لما لكليهما من ارتباط وثيق بطريق الحاج وكسوة الكعبة الشريفة وعمارة الحرمين.

#### ٤ - إماره قافله الحج:

هي سنة استنها المصطفى محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم، ففي العام التاسع من الهجرة النبوية أرسل أبا بكر الصديق رضي الله عنه أميراً على الحج إلى مكة، وفي حجة الوداع كان هو صلى الله عليه وآله وسلم أمير الحج وقائد المسلمين ومعلمهم ومرشدهم. وتوالى الخلفاء بعد وفاته يتولون هم بأنفسهم إمرة الحج أو ينيبون عنهم من يثقون به من كبار رجال دولتهم.

وغالباً ما يكون أمير مكة أو المدينة هو أمير الحج، ثم بعد تعدد الدول الإسلامية صارت تحرص كل دولة على تعيين أمير لقافلة الحج من دمشق أو بغداد أو القاهرة أو اليمن، ثم أخيراً المحمل الرومي بعد ظهور الدولة العثمانية. ويكون أمير الحج العام حسب نفوذ أحد هذه الدول في الحجاز، ولم تكن هذه الإمارة مهمة سهلة لما

يتعرض له ركب الحاج من متاعب وأخطار متعددة من جوع أو عطش أو أمراض أو موت لهم أو لدوابهم، وما يتعرض له طرق الحج من قطاع الطرق، وما قد يحصل من اصطدامات عسكرية من أمراء المناطق وشيوخ القبائل التي يمر بها الحجيج حتى يصل مكة والمدينة سواء في الذهاب أو الإياب وغالب هذه المهام والأحوال ظهرت بعد تفكك الوحدة السياسية للأمة والتسبب الأمني الذي طرأ على الجزيرة العربية منذ القرن الرابع الهجري. لذا لا تنأط هذه المهمة إلا بمن يثق الخليفة أو السلطان بقدرته على التصدي لمثل هذه المصاعب وماشابهها<sup>(١)</sup>.

وتطورت هذه المهمة مع الأيام لتتخذ نظاماً معيناً وترتيبات متعددة وواجبات محددة يتولاها أمير الحاج، ولعل من أهم ما أورده الجزيري نقلاً عن الإمام النووي في منسكه وعن الماوردي في الأحكام السلطانية من مهام أمير الحج مايلي:

- ١ - جمع الناس في مسيرهم ونزولهم حتى لايتفرقوا فيخاف عليهم التواني والتغدير.
- ٢ - ترتيبهم في المسير والنزول بإعطاء كل طائفة منهم مقادراً حتى يعرف كل منهم مقاده إذا سار، ويألف مكانه إذا نزل فلا يتنازعون فيه ولايضلون.
- ٣ - أن يرفق بهم في المسير حتى لايعجز عنه ضعيفهم ولايضل عنه منقطعهم.
- ٤ - أن يسلك بهم أوضح الطرق وأخصبها ويتجنب أجدها وأوعرها.
- ٥ - أن يرتاد لهم المياه إذا انقطعت والمراعي إذا قلت.

(١) الجزيري: دور الفرائد، ج١، ص٢١٧، وانظر ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ج٢، ص٢٩٥، ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ص١٣٩.

- ٦ - أن يحرسهم إذا نزلوا ويحوطهم إذا رحلوا حتى لا يختلط بهم ذاعر<sup>(١)</sup> ولا يطمع فيهم متلصص.
- ٧ - أن يمنع عنهم من يصدّهم عن المسير ويدفع عنهم من يحصرهم عن الحج بقتال إن قدر عليه أو ببذل مال إن أجاب الحجيج إليه.
- ٨ - أن يصلح بين المتشاجرين ويتوسط بين المتنازعين.
- ٩ - أن يقوم زائغهم ويؤدّب خائنهم، ولا يتجاوز التعزير إلى الحد إلا أن يؤذن له فيستوفيه إذا كان من أهل الاجتهاد.
- ١٠ - أن يراعي الوقت حتى يأمن فوات الحج، ولا يلجئهم ضيقه إلى الحث في السير، فإذا وصل الميقات أمهلهم للإحرام وإقامة سننه<sup>(٢)</sup>.

## ٥ - المحمل:

هذا وقد ارتبط في وقت متأخر بتاريخ قافلة الحج ما عرف باسم "المحمل" وما ارتبط به من عادات وتقاليد وربما كانت بدءاً محدثة لم تكن ترافق قوافل الحج في الفترات الإسلامية المبكرة إنما ظهرت وتطورت مع الأيام في العصور المتأخرة من العهد المملوكي ثم العثماني.

والمَحْمَلُ أو المِحْمَلُ أو المَحْمَل<sup>(٣)</sup>، هو هيكل خشبي على شكل الهودج مربع الشكل ذو سقف يأخذ في الارتفاع من الجوانب إلى الوسط الذي فيه قائم ينتهي بهلال وفي العادة يسدل على هذا الهيكل كسوة من الحرير أو من غيره ويوضع

(١) ذاعر: الذاعر: الخبيث، المنجد، ص ٢٣٥.

(٢) الجزيري: درر الفرائد، ج ١، ص ٢٢٧-٢٥٥، وانظر إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، ج ٢، ص ٢٩٨.

(٣) عنقاوي: عبدالله عقيل: المحمل - نشأته وآراء المؤرخين فيه، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، المجلد الثاني، السنة الثانية، ١٣٩١/١٣٩٢هـ، ١٩٧١/١٩٧٢م، ص ٣٢٤.

على ظهر جمل<sup>(١)</sup>، ويصاحب القافلة من مصر ومن الشام ومن العراق وكذلك من اليمن. ويحمل هذا المحمل الهدايا الى الحرمين الشريفين من الخلفاء والسلاطين والأمراء<sup>(٢)</sup> وكذا كسوة الكعبة. واختلف المؤرخون في نشأة هذا المحمل وتاريخ ظهوره فذكر البتوني ان تاريخه يبتدئ من سنة ٦٤٥ هـ، وأنه هو الهودج الذي ركبت فيه شجرة الدر<sup>(٣)</sup> تريد الحج، وصار بعدها سنوياً يسير أمام قافلة الحج<sup>(٤)</sup>.

ونقل هذا الرأي وسار عليه كثير من المؤرخين من المستشرقين وغيرهم، بينما يفند هذا الرأي عبدالله عنقاوي بقوله:

١ — أن جميع المصادر المعاصرة للعهد المملوكي، بل وجميع المصادر التي كتبت خلال القرون السابقة للقرن التاسع

(١) إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، ج ٢، ص ٣٠٤، وانظر عنقاوي: المحمل، سبق ذكره، ص ٣٢٤.

(٢) الجزيري: درر الفرائد، ج ١، ص ٤١٢، إبراهيم رفعت: المصدر السابق، ص ٣٠٦. انظر: البتوني: الرحلة الحجازية، الطبعة الثالثة، مكتبة المعارف، الطائف، ص ١٤٠.

(٣) شجرة الدر الصالحية: أم خليل، كانت من جواري الملك الصالح نجم الدين أيوب، فأعتقها وتزوجها، ويسمى سبط ابن الجوزي "شجر الدر" ولما توفي الملك الصالح سنة ٦٤٧ هـ بالمنصورة، أخفت خبر موته، وفي العاشر من صفر سنة ٦٤٨ أعلنت نفسها ملكة، ولم يدم ملكها سوى (٨٠) يوماً فقط وقد خطب باسمها على المنابر، وضرب اسمها على السكة. وقد عظم على المسلمين في زمانها تولى امرأة الحكم، وأنشأ العز بن عبدالسلام مقامة ذكر فيها ابتلاء الله المسلمين في مصر بولاية امرأة عليهم، وعارضها حكام الشام، وأرسل الخليفة العباسي المستعصم بالله إلى مصر منكرًا ومتهما: "إن كانت الرجال قد عدمت من عندكم فأعلمونا حتى نسير لكم رجلاً، انظر ابن دقماق: الجواهر الثمين في سير الملوك والسلاطين: تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي، ج ٢، ص ٤٤-٤٦، وانظر: الزركلي: الاعلام، ج ٣، ص ١٥٨.

(٤) الرحلة الحجازية، المصدر السابق، ص ١٤٠.

عشر الميلادي (الثالث عشر الهجري)، خصوصاً تلك التي ألفت للحديث عن حج من الملوك والسلاطين والامراء والاعيان لم تشر بتاتاً إلى أن الملكة شجرة الدر قد قامت بأداء الحج أو صحبت قافلة الحج إلى مكة سواء أثناء حكمها أو قبله أو بعده.

٢ - وهذه الحقيقة يمكن أن تدحض علاقة هودج شجرة الدر بالمحمل بسهولة، وهي أن شجرة الدر اعتلت عرش مصر في آخر يوم من المحرم سنة ٦٤٨هـ بعد مقتل السلطان المعظم تورانشاه، واعتزلت العرش في آخر يوم من ربيع الآخر من نفس العام، أي أن مدة حكمها لم تتجاوز ثلاثة أشهر، وكما هو معروف لا يمكن بأي حال أن يكون هناك حج خلال الثلاثة أشهر المذكورة التي حكمت خلالها.

٣ - وعلى أي حال فالمؤرخ ابن تغري بردي يخبرنا في كتابه "النجوم الزاهرة" أن قافلتى الحج المصري والشامي لم تخرجا من القاهرة أو دمشق في سنة ٦٤٨هـ، وهي السنة التي حكمت أولها شجرة الدر<sup>(١)</sup>.

بينما يرى ابراهيم رفعت أن أول من أحدث المحامل الحجاج بن يوسف الثقفي نقلاً عن كتاب الكنز المدفون للسيوطي<sup>(٢)</sup>، إلا أن حمد الجاسر يفند هذا الرأي وينكره<sup>(٣)</sup>.

(١) المحمل - نشأته وآراء المؤرخين فيه، ص ٣٢٧.

(٢) مرآة الحرمين: ج ٢، ص ٣٠٤.

(٣) هامش درر الفرائد للجزيري، ج ١، ص ٤١٢، حيث يرى الجاسر أن كتاب "الكنز المدفون مملوء بالخرافات" ومؤلفه يدعى يونس المالكي، وليس السيوطي كما ينسب إليه خطأ.

وينفي العنقاوي ما أورده المستشرقون من فكرة قداسة المحمل عند بعض المسلمين ومقارنتها بقداسة التابوت عند بني إسرائيل، لأن تقديس الهياكل والقبور وماشابهها تعتبر من المحرمات عند المسلمين، ويرى أن من يقدر المحمل لا لقداسته في واقع الأمر وإنما لجهل منه بأمر الدين مشيراً إلى أن هذه القداسة ظهرت في العصور المتأخرة وبعد زوال دولة المماليك<sup>(١)</sup>.

وقد صدق العنقاوي فيما ذهب إليه من أن البدع والخرافات حول المحمل هي من جهل العامة لكن مع الأسف سكت عنها الخاصة تهاوناً وتفريطاً حتى صار ذلك تقليداً متبعاً مما يدفع بالعامّة دفعاً إلى التعلق بهذا الحيوان الأعجم، والهيكـل الخشبي المحمول على ظهره، ففي ذهابه يتمسح به الناس بدعوى حصول البركة وعند عودته يذبح الجمل فيختطف الناس لحمه متدافعين اعتقاداً منهم البركة والشفاء من الأمراض. بل وصل الأمر ببعض السلاطين إلى أن فرضوا على أمراء المناطق التي يمر بها جمل المحمل تقبيل خفه في أرض الحجاز حتى أعفاهم من ذلك السلطان جقمق في سنة ٨٤٣هـ<sup>(٢)</sup>. كل ذلك يبين لنا فداحة هذه البدعة التي أضرت وشوهت تاريخ قافلة الحج، ونقل الكسوة والهدايا للحرمين ليست بالضرورة تحتاج إلى هذه التنظيمات والمبتدعات، فما خرج أهل هذه القافلة إلا لأداء شعيرة من شعائر الإسلام، وهي الركن الخامس "شعيرة الحج".

(١) المحمل: ص ٣٣٢.

(٢) ابن فهد: إتحاف الوري بأخبار أم القرى، ج ٤، ص ١٤٥، وانظر عبدالعزيز بن فهد: غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، ج ٢، ص ٤١٥، وانظر: البتوني: الرحلة الحجازية، ص ١٤١-١٤٦.



قال الله تعالى في كتابه الكريم (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ \* لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ، فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ \* ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نَذْرَهُمْ وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ \* ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتُ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ \* حَنْفَاءَ اللَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ، وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ) (١) فالله يأمر الحجاج أن يكونوا حنفاء لله غير مائلين عن توحيده وأن يجتنبوا الرجس من الأوثان ويجتنبوا قول الزور وعمل الفواحش.

---

(١) سورة الحج: من آية رقم ٢٧ - ٣١.

## ثالثاً ( - نقل المون لعمارة الحرمين الشريفين وكسوة الكعبة:

وقد كان للسلطين والأمرء في مصر إسهامات في عمارة الحرمين الشريفين وكانت المون والعمال المهرة والمهندسون يجلبون من هناك مع المون والمواد الخام لندرة العمال المهرة في أرض الحجاز، وهذه المون تجلب عبر الثغور الحجازية غالباً وقد تُجلب عن طريق البر عبر صحراء السويس وفلسطين وشمال الحجاز. وقد شارك طريق الحاج الشامي واليمني في هاتين المهمتين في بعض فترات من التاريخ.

وكانت أول مون تنقل لعمارة المسجد الحرام ما جرى في عهد الوليد بن عبد الملك الأموي عام ٩١هـ، فهو أول من أتى بالأساطين الرخام من مصر، والشام، ونقلها من هناك على العجل، وسقف المسجد بالخشب الساج الهندي الذي ينقل بحراً من بلاده إلى ثغور الحجاز<sup>(١)</sup>.

كذلك فعل الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور في توسعته التي تعد الزيادة الخامسة في الحرم المكي عام ١٣٧هـ عندما نقل أساطين الرخام إلى المسجد الحرام<sup>(٢)</sup>.

ولعل الأمر يكون أكثر وضوحاً لدور طريق الحاج في عمارة الحرم المكي في خلافة المهدي العباسي عام (١٦٠ - ١٦٤هـ) عندما أمر هذا الخليفة بنقل الأساطين الرخام من الشام ومصر، فحملت بحراً إلى ميناء الشعبية الحجازي المكي، وحملت تلك الأساطين على العربات ذات العجل إلى مكة، وقد

(١) الأزرقى: أخبار مكة، ج ٢، ص ٧٢، الفاسي: شفاء الغرام، ج ١، ص ٤١٠، باسلامة: حسين عبدالله، تاريخ عمارة المسجد الحرام، الكتاب

العربي السعودي، تهامة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م، ص ٢٣.

(٢) الأزرقى، المصدر السابق، ج ٢ ص ٧٣، باسلامة: المرجع السابق، ص ٢٦.

كانت الأعمدة ثقيلة حيث يقدر الواحد منها بنحو مائة قنطار، والمسافة بين مكة وساحلها لا تقل عن ٧٠ كيلاً<sup>(١)</sup>.

ويقدر بإسلامة ما صرفه الخليفة المهدي على نقل الاسطوانات الرخام من مصر والشام، وما صرف على جلب خشب الساج قيمة ونقلها من الهند إلى مكة، بحسب قوة أدوات النقل وقدرتها في ذلك الزمان براً وبحراً، إضافة إلى أجور المهندسين والعمال والمؤون والزخرفة ما يزيد على مليوني دينار<sup>(٢)</sup>. بل ويؤكد أن نقل الأساطين من مصر إلى مكة لم يتم إلا للوليد، وأبي جعفر، والمهدي، ولم يتحقق لمن بعدهم حتى سلاطين المماليك الذين ملكوا مصر، مع أن أدوات النقل في زمانهم أرقى وأعظم مما كانت عليه في العهدين الأموي والعباسي<sup>(٣)</sup>.

ورغم اقتصار جهود المماليك في الحرمين وبالذات الحرم المكي على الترميم والتجديد والتحسين إلا أن ذلك لا يقلل مما بذلوه على عمارة الحرمين الشريفين من الأموال الكثيرة والعناية والاهتمام خاصة عندما يتعرض الحرمان الشريفان لحريق أو سيول وأمطار وصواعق تسبب تلفيات كبيرة أحياناً في بعض أجزائه، فيندفع السلاطين والأمراء في الإنشاء والتعمير وبعث المؤن والرجال المختصين من كل حذب وصوب، ساعدهم في ذلك ما توفر لدولتهم من الأموال الطائلة، ورغبتهم في الثواب والأجر، مع شعورهم بالمسؤولية في حماية الدين والحرمين الشريفين<sup>(٤)</sup>.

(١) والأزرقى: أخبار مكة، ج ٢، ص ٧٦، ويذكر الأزرقى: أن الأساطين

أنزلت بجدة. وإسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٣٠

(٢) تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٥٠.

(٣) المرجع السابق، ص ٧٤.

(٤) علي السليمان: العلاقات الحجازية المصرية، ص ١١٥.

ومما تجدر الإشارة إليه أنه لم تجر للحرمين الشريفين عمارة أو توسعة أو زيادة ملحوظة على يد الفاطميين والأيوبيين، وذلك بحسب ما اطلعت عليه من مصادر ومراجع فاطمية وأيوبية، وكذلك مصادر ومراجع عمارة الحرمين الشريفين المكية والمدنية. ولعل ذلك مرده إلى عدة أمور منها:

١ - استمرار الدور العباسي الرائد في التعمير والترميم والتحسين للحرمين انطلاقاً من بغداد حتى سقوط الخلافة العباسية عام ٦٥٦هـ. رغم ضعف الخلافة العباسية عما كانت عليه في خلافة المنصور والمهدي.

٢ - انشغال الفاطميين "العبيديين" في مصر بتثبيت قواعد دولتهم سياسياً ومذهبياً.

٣ - انشغال الأيوبيين بالصراع مع الصليبيين.

ومما وافق العهدين الفاطمي والأيوبي من تعمير وترميم للحرمين الشريفين على يد العباسيين اقتصر جله على الحرم النبوي من خلافة المقتفي بالله العباسي، وكان ذلك في عهد والي المدينة قاسم بن مهنا الحسيني في عام ٥٤٨هـ، وكذلك في خلافة المستضيء بالله العباسي عام ٥٦٦هـ، وفي خلافة الناصر، وما قام به نور الدين زنكي عام ٥٥٧هـ، واستمرت أعمال الإصلاح من قبل الخلفاء العباسيين حتى خلافة المستعصم بالله، وابتدأت العمارة في عهده عام ٦٥٥هـ وتوقفت بسقوط بغداد في يد التتار عام ٦٥٦هـ<sup>(١)</sup>.

---

(١) مصطفى: صالح لمعي: المدينة المنورة تطورها العمراني وتراثها المعماري، بيروت، ١٩٨١م، دار النهضة، ص ٧٨-٧٩.

فأكمل هذه المهمة الجليلة سلاطين المماليك، فتولى السلطان نورالدين بن عزالدين أيبك الصالحي (٦٥٥-٦٥٧ هـ) استكمال عمارة أو ترميم الخليفة العباسي المستعصم بالله للحرم المدني النبوي التي جرت بسبب الحريق الذي شب في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، في رمضان عام ٦٥٤ هـ<sup>(١)</sup>.

وبرز دور السلاطين المماليك في الترميم والتجديد والتحسين والإضافة في الحرم النبوي على صاحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم لما تعرض له من تلفيات جراء عدة حرائق.

ويذكر السهودي وصول الآلات من مصر في عهد الملك المنصور نورالدين وكذلك وصول آلات وأخشاب من صاحب اليمن، وهو الملك المظفر شمس الدين يوسف بن منصور عمر بن علي بن رسول<sup>(٢)</sup>.

وانتقل عبر طريق الحاج المصري براً وبحراً حتى زيت القناديل التي يُضاء بها الحرمين الشريفين، حيث يذكر ابن النجار (ت ٦٤١) مانصه (وفي يومنا هذا يصل الزيت من مصر من وقف هناك ومقداره سبع وعشرون قنطاراً بالمصري، والقنطار مائة وثلاثين رطلاً، ويصل معه مائة وستون شمعة بيضاء وكبار وصغار، وعلبة فيها مائة مثقال ند<sup>(٣)</sup>).

---

(١) مصطفى: صالح لمعي: المدينة المنورة تطورها العمراني وتراثها المعماري، ص ٧٩.

(٢) وفاء الوفاء، ج ٢، ص ٦٠٤.

(٣) الدرة الثمينة في تاريخ المدينة: تحقيق محمد زينهم محمد عزب، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م - ١٤١٦هـ، مكتبة الثقافة الدينية، ص ١٨٤.

وتوالت الآلات والمؤن والصناع تعبر بحر الحجاز وبره للوصول إلى الحرمين الشريفين، ففي عهد الظاهر بيبرس جهز الأخشاب والحديد والرصاص، ومن الصناع ثلاثة وخمسين صانعاً، ومايمونهم بل أنفق عليهم قبل سفرهم، وأرسل معهم الأمير جمال الدين محسن الصالحي لعمارة الحرم المدني النبوي<sup>(١)</sup>.

ويتضح دور ثغور الحجاز في عمارة السلطان قايتباي، فقد كان يكلف أمير جدة بتولي أمر العمارة في الحرم النبوي<sup>(٢)</sup>.

كما فوضت العمارة للجناب الشمسي بن الزمن وكان بجدة، فوصل المدينة بصحبة شاد جدة عام ٨٨١هـ وأحضر معه جماعة من أرباب الصنائع<sup>(٣)</sup>. وبعد حريق رمضان عام ٨٨٦ هـ الذي كان بسبب رعد قصف منارة المسجد النبوي وقتل المؤذن وعدد من ساكني المسجد واحتراق جزء كبير من المسجد، وصل الخبر إلى السلطان المملوكي قايتباي، فبادر في ترميم المسجد النبوي لما رأى في ذلك من مزيد التشريف والإكرام، وقد كانت تجري بمكة بعض العمارة للخدمات والمرافق للمسجد الحرام أوقفها. وأمر الأمير سنقر الجمالي بالتوجه للمدينة وأرسل له مايزيد على مائة صانع من البنائين والنجارين والدهاتين والحجارين والنحاتين والحدادين والمرخمين، وكثير من الحمير والجمال، وتوالى وصول الآلات والمؤن حتى كثرت في الطور وينبع والمدينة النبوية<sup>(٤)</sup>.

(١) السمهودي: وفاء الوفاء، ج ٢، ص ٦٠٤.

(٢) المصدر السابق، ج ٢، ص ٦٠٥.

(٣) المصدر السابق، ج ٢، ص ٦١٨.

(٤) السمهودي: وفاء الوفاء، ج ٢، ص ٦٣٩.

ولم تنقطع المؤن والآلات والرجال، فكلف السلطان الجنب العالي الخواجكي الشمسي شمس الدين بن الزمن، وأرسل معه مائتي جمل ومائة حمار، وأزيد من ثلثمائة من الصناعات وغيرهم من الحماليين والمبيضين والسباكين والجباسين، حتى صارت أحمال المؤن متواصلة قل أن تنقطع براً وبحراً<sup>(١)</sup>.

وفي عام ٨٨٩هـ وصل مجموعة من الدهانين بعث بهم السلطان المملوكي من مصر لاستبدال دهان النيل باللازورد، وجهاز معهم أساقيل لهذا الأمر، ولم يكتفي بذلك بل أرسل رجلاً من خاصته بأحمال من كتب العلوم الشرعية لتوقف في المدينة على طلبية العلم، وكذلك أحمال كثيرة من الحب والدقيق والقدر النحاس، وما تبقى من آلات العمارة مما أعد في المراكب السلطانية إلى ينبع<sup>(٢)</sup>.

(١) السمهودي: وفاء الوفاء، ج ٢، ص ٦٤٠.

(٢) المصدر السابق، ج ٢، ص ٦٤٥.



## — كسوة الكعبة:

فيما يلي نص هام للرحالة الفارسي ناصر خسرو<sup>(١)</sup> عن طريق الكسوة، وكان ذلك عام ٤٣٩هـ في خلافة المستنصر العبيدي (٤٢٧-٤٨٧هـ): (وقد أرسلت الكسوة عن طريق بحر القلزم، وقد رافقت الكسوة وذهبت إلى مكة. غادرت القافلة المكلفة بإيصال الكسوة من مصر في غرة شهر ذي القعدة، وكنت مع القافلة. وصلنا إلى بحر القلزم، وركبنا الباخرة وبعد خمسة عشر يوماً وصلنا إلى ميناء الجار على ساحل الحجاز، ومن "الجار" اتجهنا إلى المدينة فوصلنا بعد أربعة أيام).

يتضح من ذلك النص طريق رحلة الكسوة البحري من مصر، إضافة إلى الطريق البري برفقة الحاج المصري ومن رافقه على طريقه، منذ العهد العبيدي حتى نهاية العصر المملوكي، مع بعض التعديلات من الجار إلى ينبع في العهد الأيوبي. وارتبطت رحلة الكسوة برحلة الحاج والمحمل ارتباطاً وثيقاً وكانت الاحتياطات لحماية قافلة الحج هدفه الرئيسي هو حراسة كسوة الكعبة وإيصالها سالمة إلى الديار المقدسة، وتطورت رحلة الكسوة وهدايا الحرمين من جمل واحد إلى عدة جمال زادت عن عشرين جملاً في العهد المملوكي، ويرافقها عدد من الحراس والفراشين والحمالين والأئمة والمؤذنون، ويشرف عليها الأمراء والقضاة والشهود وموظفوا الديوان والامناء، ويقفوا أثر هذا المحمل الحجاج، وكلّ منهم يحرص على الاقتراب من هذا المحمل بزعم التبرك بالكسوة ومجاورتها حتى تصل إلى مكة المكرمة<sup>(٢)</sup>.

(١) سفرنامه: ص ١١٩.

(٢) علي السليمان: العلاقات الحجازية المصرية، ص ٩٩.

ولنا أن نتساءل ما نوع كسوة الكعبة على مدى التاريخ؟

ذكر عدد من المؤرخين أن الكعبة كُسيت أنواعاً متعددة من الكسب منها الخصف، والمعافر، والملا، والوصائل، والعصب قبل الإسلام، وقيل أن أول من كساها ثبّع الحميري، وذكر أنه كساها المسوح والأنطاع، وكُسيت الحبرات اليمانية، وقد كساها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الإسلام الثياب اليمانية، وكساها عمر وعثمان رضي الله عنهما القباطي من مصر<sup>(١)</sup>.

كما كُسيت الكعبة الديباج الأبيض والأحمر الخراساني، ومن الديباج الأبيض كساها الحاكم العبيدي، وكذلك المستنصر العبيدي.

كما كُسيت الديباج الأصفر من الهند أهداه السلطان محمود بن سبكتكين عام ٤٦٦هـ "وكُسيت في عهد الخليفة الناصر العباسي كسوة خضراء، وأيضاً كسوة سوداء، واستمرت تُكسى بالكسوة السوداء، وفي عام ٨١٠هـ أضيف إلى الجانب الشرقي من الكسوة جامات منقوشة بالحرير الأبيض واستمرت على ذلك حتى عام ٨١٩هـ فجعلت جامات منقوشة بالحرير الأبيض تحت الطراز إلى أسفل الكسوة في كل شقة من الجانب الشرقي، واستمرت هذه الجادات حتى أزيلت واستبدلت بجادات سود في عام ٨٢٥هـ، وكان يُكتب في هذه الجادات عبارة "لا إله إلا الله محمد رسول الله" بالبياض. وفي الكسوة أيضاً طراز

(١) الفاسي: شفاء الغرام، ج ١، ص ٢٣٨، وانظر الأزرقى: أخبار مكة، ص ٢٤٩-٢٥٥، وإبراهيم رفعت: مرآة الحرمين: ج ١، ص ٢٨١، والبتوني: الرحلة الحجازية، ص ١٣٥، وباسلامه: تاريخ الكعبة المعظمة عمارتها وكسوتها وسدانتها، تهامة، الكتاب العربي السعودي، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ص ٢٤٤-٢٥٠. (والقباطي ثوب رقيق أبيض منسوب إلى قبط مصر، أما الوصائل فهي ثياب حمراء مخططة يمانية، كذلك الحبرات جمع حبرة وهي ثياب يمانية، أيضاً العصب برود يمنية يُعصب غزلها أي يُجمع ويشد، والأنماط نوع من البسط واحدها نمط).

من حرير أصفر، وفي هذا الطراز كتبت آيات من كتاب الله الكريم<sup>(١)</sup>. وكانت لمصر الريادة في حياكة ونسج كسوة الكعبة حتى القرن الرابع عشر الهجري، فمن عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخلفائه الراشدين ومن أتى بعدهم كانت تكسى الكعبة بالقباطي الذي يحاك وينسج في مصر، وكانت تحاك الكسوة العباسية بمدينة تنيس المصرية التي كانت ثغراً لمصر في شمال دمياط حتى هدمها الملك الكامل عام ٦٢٤هـ لكثرة غارات الصليبيين عليها، ولاتزال أطلال هذه المدينة موجودة بالقرب من مدينة المطرية (دقهلية)<sup>(٢)</sup>.

وبالرغم من تداول الملوك والأمراء والسلاطين على كسوة الكعبة من ديارهم من اليمن وخراسان والهند إلا أنها تعود لتنطلق من مصر، فقد أوقف السلطان عام ٧٤٣هـ الصالح اسماعيل بن الناصر قلاوون قرية "بيسوس" وتوالى إيقاف القرى على كسوة الكعبة إضافة إلى بيسوس سندبيس وأبي الغيط من قرى القليوبية<sup>(٣)</sup> يصرف ريعها على إنتاج الكسوة.

---

(١) الفاسي: شفاء الغرام، ج ١، ص ٢٤١-٢٤٣، وإبراهيم رفعت: مرآة الحرمين: ج ١، ص ٢٨٢، وباسلامه: تاريخ الكعبة المعظمة، ص ٢٥٥-٢٦١.

(٢) البتوني: الرحلة الحجازية، ص ١٣٥.

(٣) باسلامه: تاريخ الكعبة المعظمة، ص ٢٥٨، وانظر إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ص ٢٨٤. مع ملاحظة أن هذه الأوقاف ليست لكسوة الكعبة فقط بل للكسوات الأخرى ككسوة الحجرة النبوية التي يرقد فيها المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي العهد العبيدي الفاطمي اختلف في أول من بدأ بإرسال الكسوة إلى مكة من حكام العبيديين، ويذكر المقرئ أن المعز الفاطمي الذي كانت خلافته لمصر من عام (٣٤١-٣٦٥هـ) أعد بالفعل ماسمي شمسة أو شمسية، تشبه الشمس ولها اثنا عشر ذراع بهدف تعليقها على وجه الكعبة، إلا أنه لم يبعث بها، وسبقه العباسيون إلى إرسال كسوة للكعبة<sup>(١)</sup>. إلا أن الذي ثبت أنه أرسل كسوة للكعبة من العبيديين هو العزيز بالله (٣٦٥-٣٨٦هـ) في عام (٣٨١هـ) في إمارة أبي الفتوح الحسن بن جعفر بن محمد الحسني لمكة وكساها بالخلعة البيضاء<sup>(٢)</sup>. وتوالى إرسال حكام مصر العبيديين الكسوة في كل عام إلى مكة، إلا أنها لم تصفوا لهم، فقد شاركهم آخرون في إرسال الكسوة، ومن ذلك علي بن محمد الصليحي حاكم اليمن الذي يوالي الفاطميين، فقد وصل إلى مكة عام ٤٥٥هـ وملكها وفعل فيها أفعالاً حسنة، وكسا البيت ثياباً بيضاً حريراً صيفاً، وأظهر العدل والاحسان في أهل مكة<sup>(٣)</sup>. وفي عام ٤٦٦هـ قام أبو النصر إبراهيم بن محمد بن علي الإسترابادي<sup>(٤)</sup> بكسوة البيت ثياباً بيضا من عمل الهند، كما كُسيَت الكعبة في نفس العام من صاحب الهند السلطان محمود بن سبكتكين، وقد ظفر بها نظام الملك وزير السلطان ملك شاه السلجوقي فأرسل بها إلى مكة،

(١) اتعاظ الحنفاء، ج ١، ص ١٤٠ - ١٤١.

(٢) ابن فهد: إتحاف الوري بأخبار أم القرى، ج ٢، ٤٢١هـ.

(٣) ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٢، ص ٤٦٨، وانظر: أبو المحاسن: النجوم الزاهرة: ج ٥، ص ٥٨.

(٤) أبو النصر إبراهيم بن محمد الإسترابادي: قدم مكة سنة ٦٤٦هـ وصنع فيها وبظاهرها مظاهر حسنة، وقام بتعمير مسجد عائشة رضي الله عنها بالتعميم ويذكر الفاسي أن اسمه مكتوب في حجر بدار المسجد الشامي، كما نكر أنه أنفق ثلاثة ألف ديناراً فيما تهدم من المسجد الحرام وأجرى الماء من عرفات إلى مكة في حَقَنَوَات كانت قد عملتها زبيدة وكسي البيت. انظر العقد الثمين، ج ٣، ص ١٦٤، وابن فهد، إتحاف الوري، ج ٢، ص ٤٧٥.

وجعلت فوق الكعبة التي كساها لها أبو النصر الإستراباذي<sup>(١)</sup>. وفي عام ٥٣٢ كسا الكسوة تاجر فارسي يدعى أبا القاسم رامشت عندما لم تصل لها كسوة من الخليفة<sup>(٢)</sup>.

وفي عام ٥٦٤ هـ استقرت الأمور للسلطان صلاح الدين الأيوبي رحمه الله في مصر، وبالرغم من أعماله الجليلية تجاه الحرمين بفرض الأمن ومنع المكوس وإرسال المؤن الغذائية بأنواعها، إلا أن المؤرخين لم يذكروا أنه أرسل كسوة أو شارك في عمارة الحرمين، وقد أشرت فيما سبق أن سبب ذلك لعله انشغال الأيوبيون بالحروب الصليبية. إلا أن إبراهيم حلمي يرى سبباً آخر هو انصراف المؤرخين عن تسجيل وإثبات إرسال كسوة الكعبة من لدن السلاطين الأيوبيين وانشغالهم بالحدث الجلل وهو الغزو الصليبي لبلاد المسلمين وتزايد خطره عاماً بعد عام حتى هدد الحجاز نفسها<sup>(٣)</sup>.

---

(١) الفاسي: شفاء الغرام، ج ١، ص ٢٤١، وابن فهد: المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٧٥، وباسلامه: تاريخ الكعبة المعظمة، ص ٢٥٩، وإبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، ج ١، ص ٢٨٣.

(٢) الفاسي: العقد الثمين، ج ٤، ص ٨٧، وابن فهد: المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٠٥، وإبراهيم رفعت: المصدر السابق، ص ٢٨٣.

(٣) كسوة الكعبة المشرفة وفنون الحجاج، كتاب اليوم، مؤسسة أخبار اليوم، العدد ٣٢٠، شوال ١٤١١ هـ، مايو ١٩٩١ م، ص ٦٨. ويمكن أيضاً تفسير عدم إرسال الأيوبيين الكسوة والمشاركة في العمارة لكونهم تابعين للخلافة العباسية ولم يدخلوا معها في تنافس، فاكثفوا بما قامت به ولم يزاحموها في هذا الميدان.

إلا أن الدور العباسي الذي لم ينقطع في عمارة الحرمين حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد عام ٦٥٦هـ، لم ينقطع في كسوة الكعبة، فقد كسا الخليفة العباسي الناصر لدين الله ( ٥٧٥-٦٢٢هـ ) الكعبة الديباج الأخضر ثم الأسود<sup>(١)</sup>. وفي عام ٦٥٩هـ حج الملك المظفر يوسف بن المنصور صاحب اليمن برفقته الكثير من الصدقات في البر والبحر، بل كان يسير في البر والمراكب تسير في البحر مسائرة له حتى قارب مكة، وكسا الكعبة من داخلها، ولم يسبقه ملك بالكسوة بعد خلفاء بني العباس، وأخذ يكسوها عدة سنوات مع حكام مصر المماليك، وتعلق كسوته بعد سفر الحاج المصري مراعاة لسلطان مصر<sup>(٢)</sup>. ويرجح الباز أن خروج المحمل اليمني بكسوة الكعبة كان في عام ٦٥٩هـ، في محمل رسمي إلى الحرم خاصة وأن الملك الرسولي صعد الموقف يوم عرفة بعلم<sup>(٣)</sup>. ومن المرجح أن السلطان الرسولي مرت قافلته البحرية بثغرين من ثغور الحجاز وهما السرين وجدة، خاصة إذا ما تذكرنا ماسبق تبيانه في الفصل الثاني من العلاقة الوثيقة بين الرسولين حكام اليمن وأمراء السرين الأشراف راجح بن قتادة وأبنائه التي وصلت إلى المشاركات الحربية ضد الأيوبيين وضد أمراء مكة، والهدايا والهبات التي كان يبعثها ملوك اليمن لحاكم السرين. كما أن جدة المحطة البحرية الأخيرة لكل قافلة حجاج بحرية قادمة لمكة المكرمة.

(١) الفاسي: شفاء الغرام، ج ١، ص ٢٤١، وباسلامه: تاريخ الكعبة المعظمة، ص ٢٥٨.

(٢) الفاسي: العقد الثمين، ج ٦، ص ٢٥٣، وابن فهد: إتحاف الوري، ج ٣، ص ٨٣-٨٤.

(٣) عبدالكريم علي باز: المحمل اليمني في عهد بني رسول، مجلة العصور، المجلد السابع، الجزء الأول، ١٩٩٢م، ص ١١.

قبيل هذا العام، وتحديدًا عام ٦٤٨هـ قامت الدولة المملوكية، إلا أن أول كسوة تصل من سلاطين المماليك كانت عام ٦٦١هـ من الظاهر بيبرس<sup>(١)</sup>، وذلك اكتفاءً منهم بدور الخلافة العباسية لكن بعد سقوط الخلافة في بغداد تم إحيائها بمصر قام المماليك بهذا العمل، وهم بذلك يقطعون الطريق على الرسولين ليثبتوا الحق في كسوة الكعبة من مصر مركز الخلافة وحامية الحرمين الشريفين حتى أصبحت الكسوة من مصرًا أمرًا مقررًا وتقليدًا جاريًا في عهد المماليك وكذلك العثمانيين من بعدهم، وسبقت الإشارة إلى الأوقاف التي أوقفت من أراضي مصر على نفقة كسوة الكعبة في عهد الصالح إسماعيل بن الناصر، وأصبحت الكسوة مظهرًا من مظاهر القوة والنفوذ السياسي لدى المماليك، ولم يجيزوا لحكام اليمن أو لغيرهم بكسوة الكعبة إلا في حالة ضعفهم، فلا توضع الكسوة اليمنية إلا بعد نزوح الحاج المصري أو تحت الكسوة المصرية، حتى وصل الأمر إلى الاصطدام العسكري عام ٧٥١ هـ مع الرسولين عندما هُزم الجيش اليمني بمكة واقتيد الملك اليمني إلى مصر ولم يطلق سراحه إلا بعد دفع فدية وتعهدته بالولاء للسلطان المملوكي. كذلك استمرت مقاومة المماليك لكل من يريد كسوة الكعبة سواهم، وأصبحت الكسوة تمثل لهم رمزاً سياسياً إضافة إلى مكانتها الدينية<sup>(٢)</sup>.

(١) ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٣، ص ٨٧.

(٢) علي السليمان: العلاقات الحجازية المصرية، ص ١٠٦ - ١١٣.



## الختامة :

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبقدرته تجري السفن العابرات والصلاة والسلام على هادي الأمة ومعلمها محمد بن عبدالله نبي الرحمات عليه وآله مزيد الصلوات  
أما بعد :

ففي نهاية هذه الرحلة البحرية التي تجولت من خلالها على شواطئ الحجاز الزاهية الثرية وتنفست نسمات الحجاز الندية. حري بي بعد أن وفقني الله عز وجل من الانتهاء من هذه الدراسة التاريخية أن أعرض في ختامها جملة من الاستخلاصات وهي كالتالي:

١ - خلص البحث في الفصل الأول إلى تحديد مناسب لحدود الحجاز التاريخية المتفق عليها بين المؤرخين والجغرافيين والفقهاء القدامى والمحدثين. برغم التفاوت بين الأوضاع السياسية والجغرافية. ( حيث يمتد الحجاز من شمال ميناء أيلة " العقبة " شمالاً إلى جنوب ميناء السرين جنوباً ، ويحده غرباً البحر الأحمر ، ومن الشرق بالقرب من الحناكية )

٢ - أظهر الفصل الثاني من الدراسة مدى الوحدة الجغرافية التي تربط الثغور الحجازية على ساحل البحر الأحمر.

٣ - أبرز البحث في الفصل الثالث الدور الرائد للعرب في التجارة والملاحة، إذا ما أحسن استثمار إمكانات موانئ البحر الأحمر الشرقية والغربية على السواء.

٤ - من خلال الفصل الرابع :

( أ ) - تجلّى دور عرب الحجاز الاجتماعي والثقافي في وادي النيل وشرق أفريقيا عندما هاجروا إلى هذه الديار.

ب) - إضافة إلى كون رحلة الحج فريضة وركناً من أركان ديننا الحنيف، فقد بثت هذه الرحلة في نفوس أبناء الأمة مشاعر جياشة تضطرب اضطراب الأمواج وتتدفق إنتاجاً أدبياً وتاريخياً وجغرافياً غزيراً تمثل في كثير من الرحلات إلى الحجاز الأبي، وازدهار المصنفات والدروس وحلقات العلم في الحرمين الشريفين.

ج) - لم تقتصر ثغور الحجاز على أن تكون جسوراً أو معابر لحجاج بيت الله الحرام وزوار مسجد نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام، بل كانت جسوراً ومعابر لعمارة الحرمين الشريفين وهداياهم وكسوة كعبته المشرفة.

٥ - أظهرت الدراسة بصفة عامة أهمية العامل البشري في نمو الميناء أو نبوله وانتشاره وأثر الصراعات السياسية والعسكرية بجلاء على الموانئ سلباً، والعكس صحيح فاستقرار الأوضاع يساهم بشكل مباشر في نمو الموانئ وازدهارها.

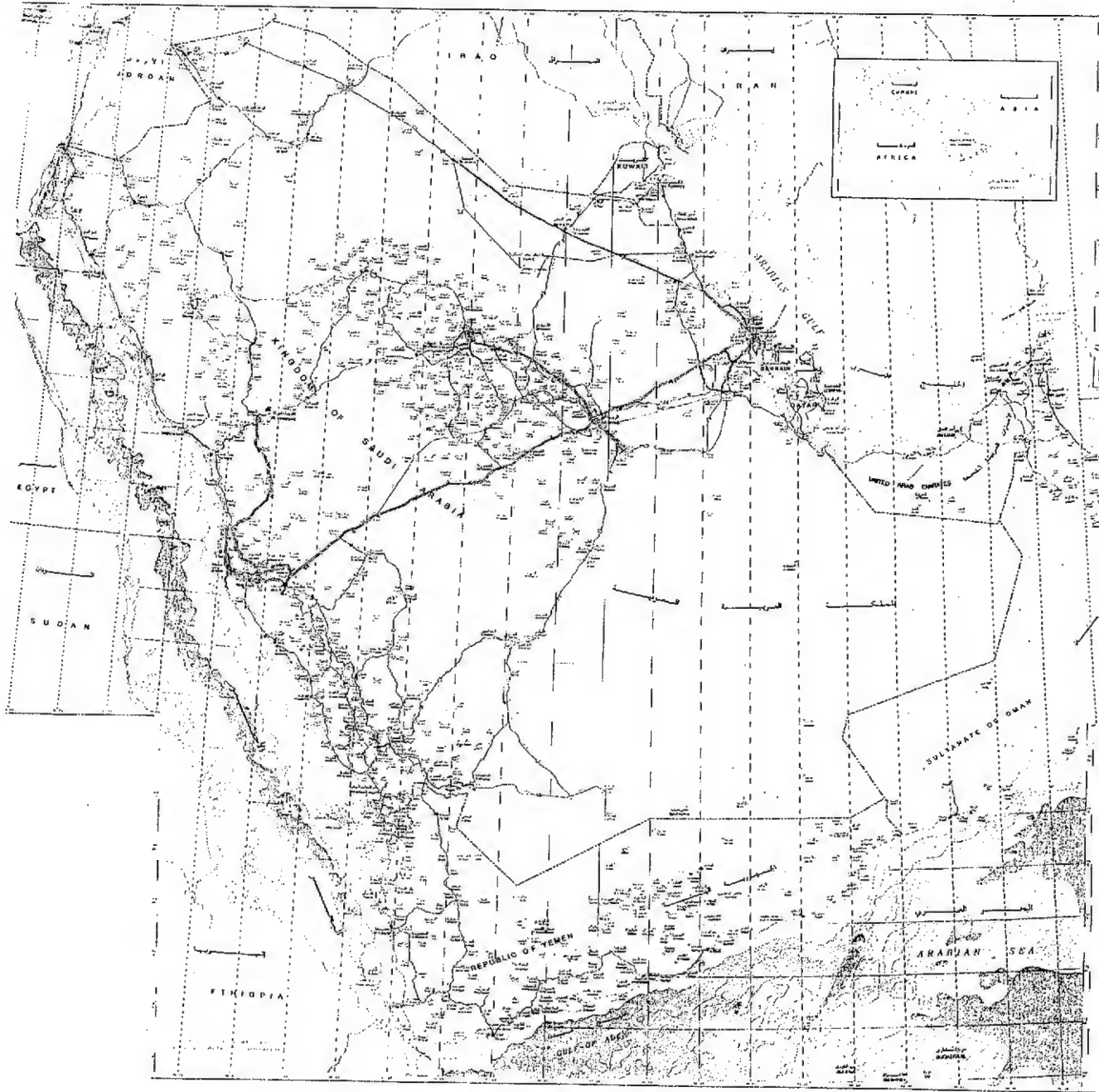
٦ - أبرزت الدراسة ظاهرة التذبذب وتفاوت القيمة والشهرة في التجارة والملاحة التي عاشتها الموانئ الحجازية من حين إلى آخر، فهي تارة مزدهرة مشتهرة وتارة منحصرة أو مندثرة، ويعود كل ذلك للأوضاع السياسية والاجتماعية.

٧ - خلصت الدراسة إجمالاً إلى أهمية موانئ الحجاز خاصة وموانئ البحر الأحمر بشاطئيه الشرقي والغربي عامة، وضرورة الاهتمام بها حاضراً ومستقبلاً ووضع الدراسات والأبحاث، واتخاذ الإجراءات الحاسمة لحماية هذا البحر، والعمل الجاد على تنمية الملاحة العربية الإسلامية، وتأسيس صناعة بحرية تعود بالخير والفائدة على أبناء البلاد المطلة على البحر الأحمر.

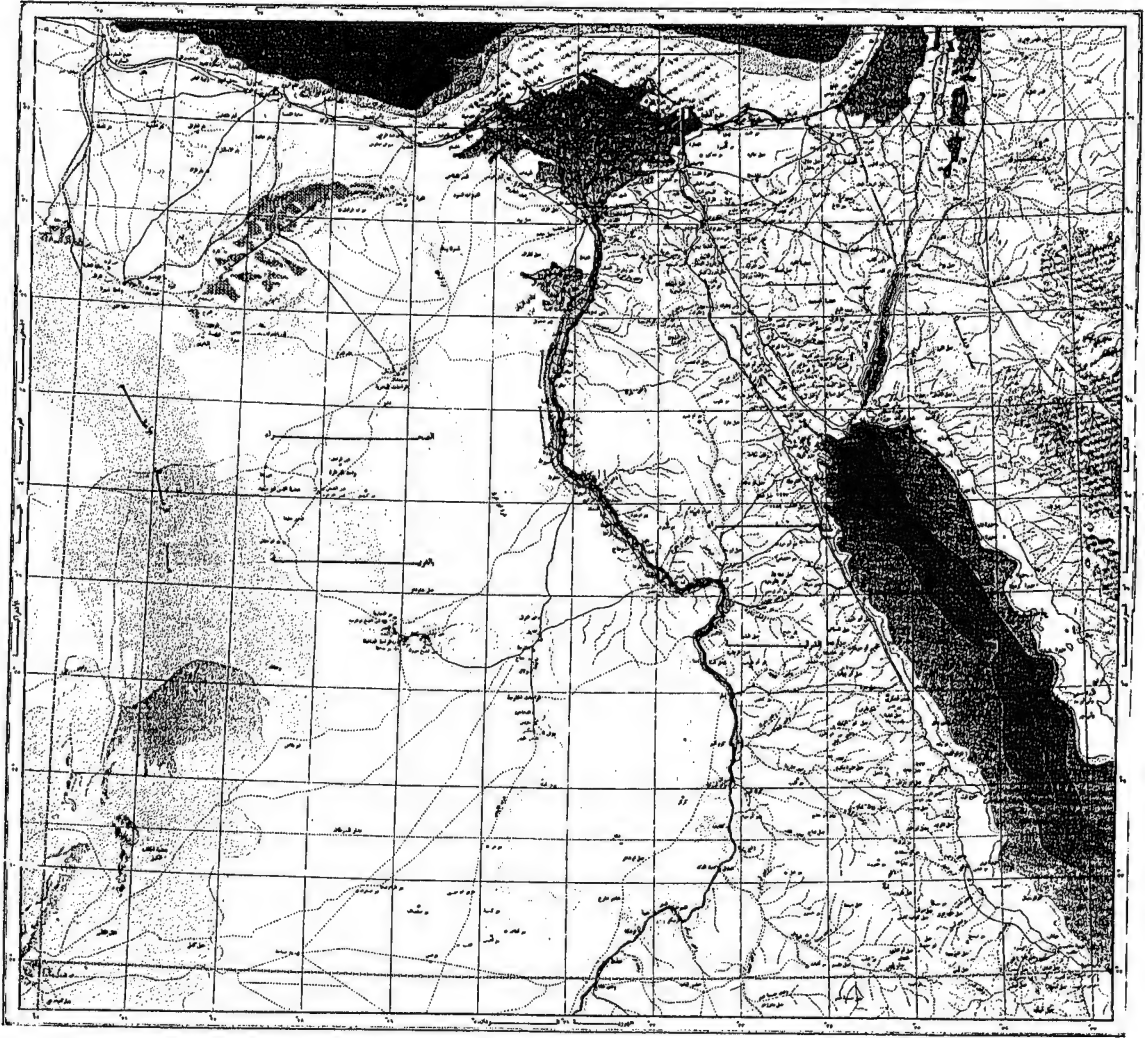
قال الله تعالى: {دعواهم فيه سبحانهك اللهم وتحيتهم فيها سلام} وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين {سورة يونس، آية رقم ١٠}.

... ملحق ... «

الخرائط والصور

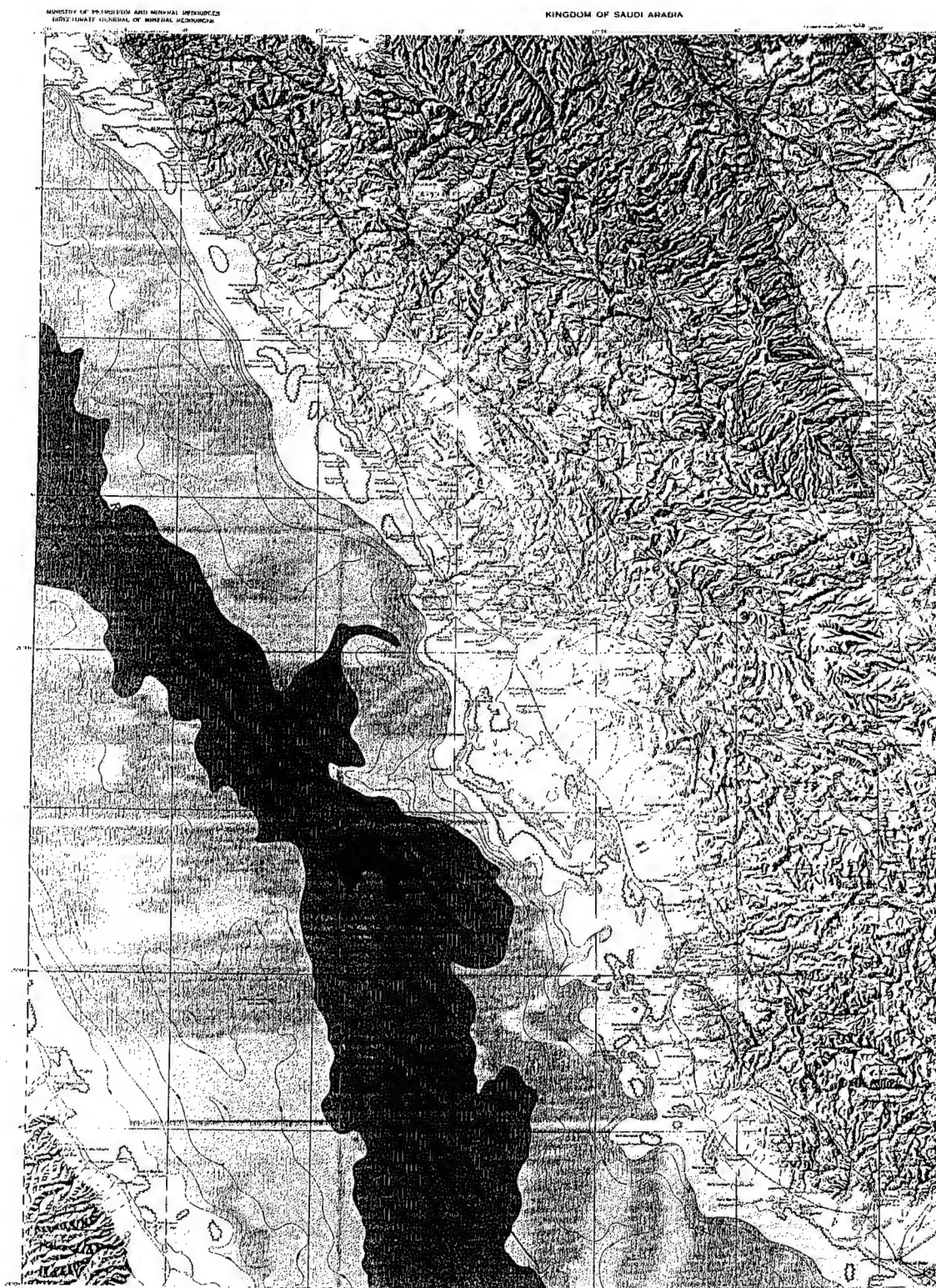


خارطة طرق المواصلات ١:٣٠٠٠،٠٠٠، وزارة المواصلات ، طبعت  
 بإدارة المساحة العسكرية بوزارة الدفاع ، الطبعة الأولى ، عام ١٤١١هـ  
 ، المملكة العربية السعودية. ( نسخة مصغرة "مقاس A4" ).



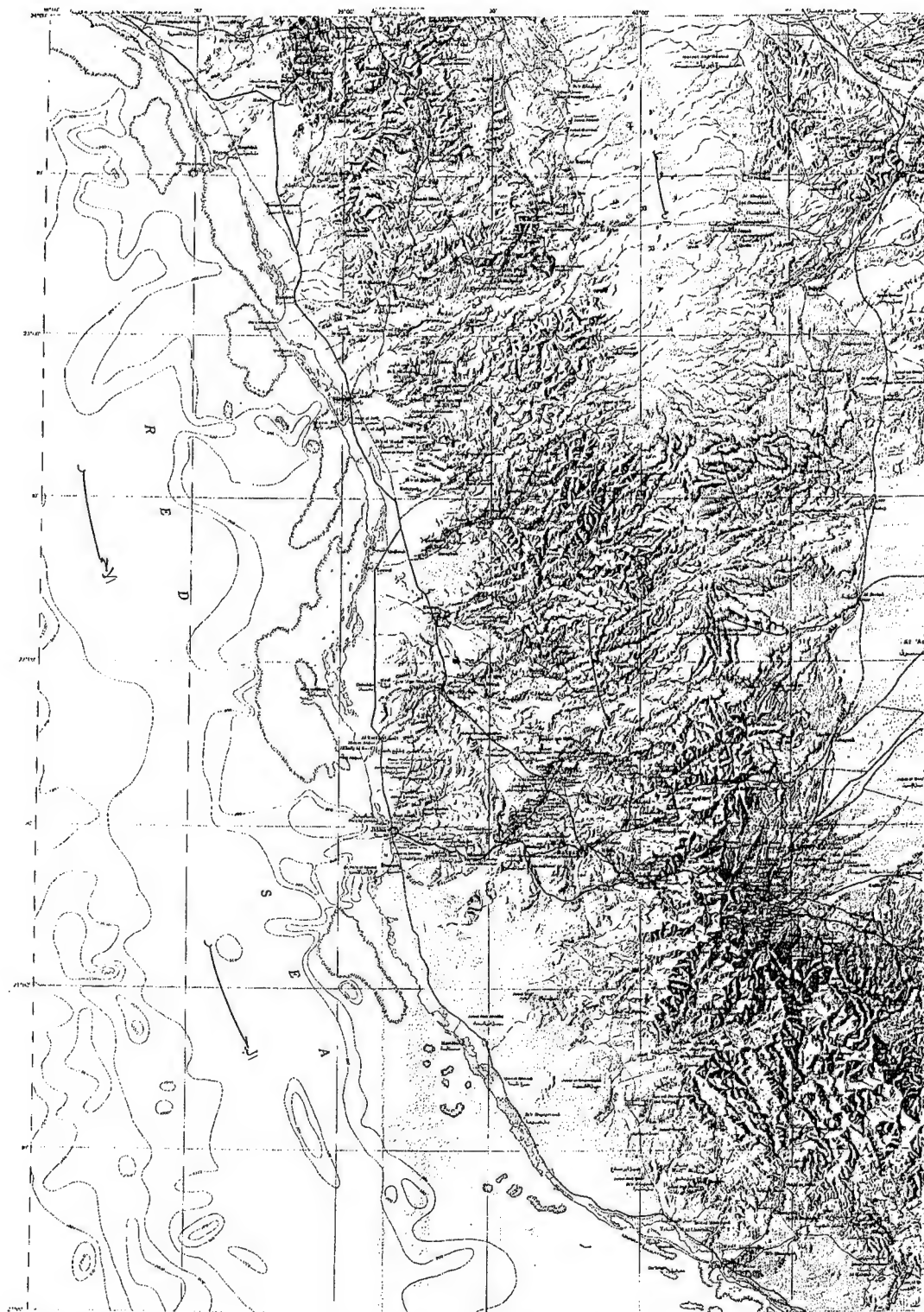
خريطة جمهورية مصر العربية، ١ : ٢٠٠٠٠٠٠، الهيئة العامة للمساحة

المصرية.



لوحة الحجاز الشمالي الغربي ، أبحاث جيولوجية ، خريطة رقم ج م  
—٢٠٤ ب (GM-204B) ، وزارة البترول والثروة المعدنية، الرياض .





GEOGRAPHIC MAP OF THE SOUTHERN HIAZ QUADRANGLE, KINGDOM OF SAUDI ARABIA

By  
Glen F. Brown and Roy O. Jackson

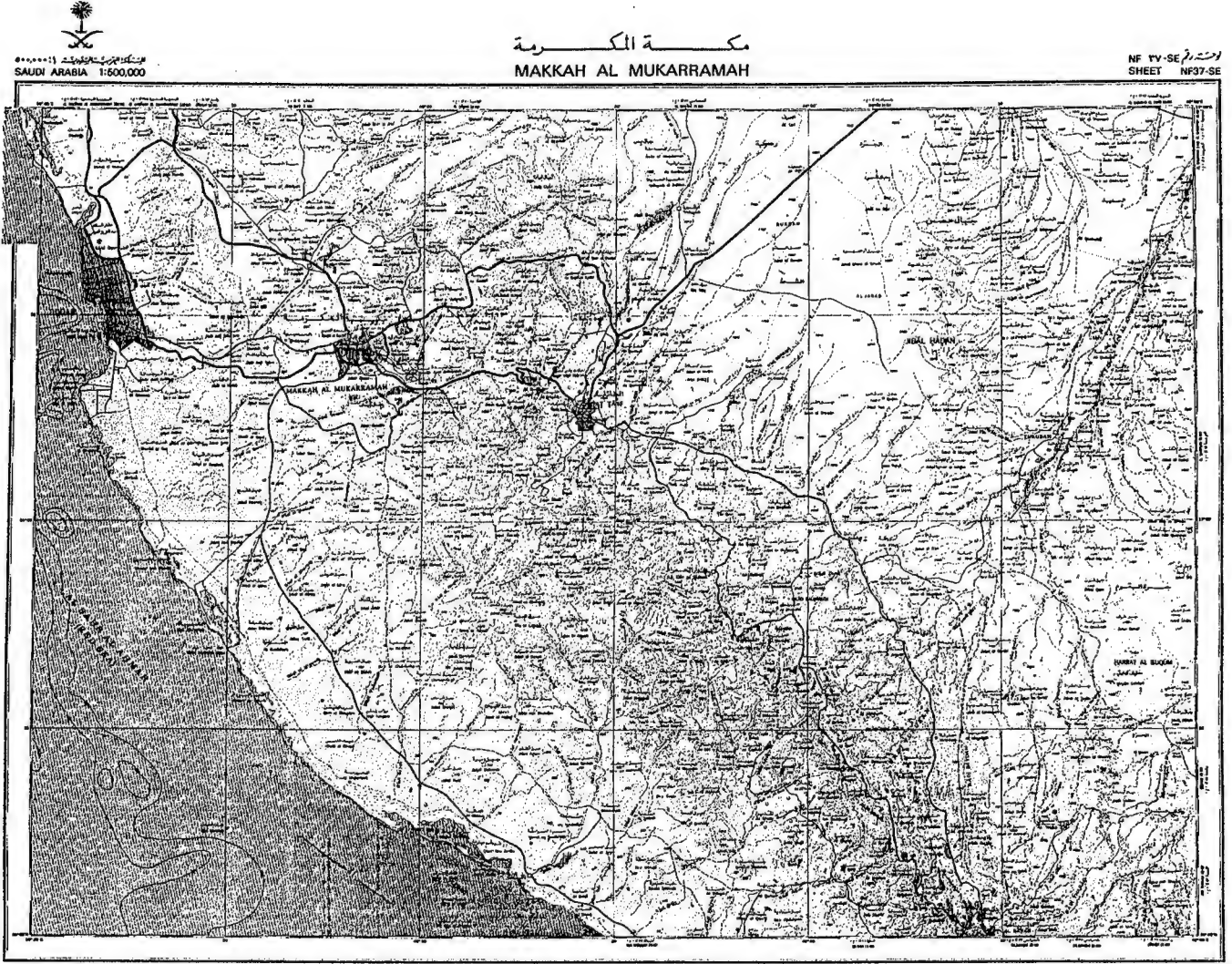
مخرطة جغرافية للمنطقة الجنوبية من المملكة العربية السعودية

إحداثيات جغرافية للمنطقة  
I-C10B  
MISCELLANEOUS GEOLOGIC INVESTIGATIONS  
MAP 1510 D

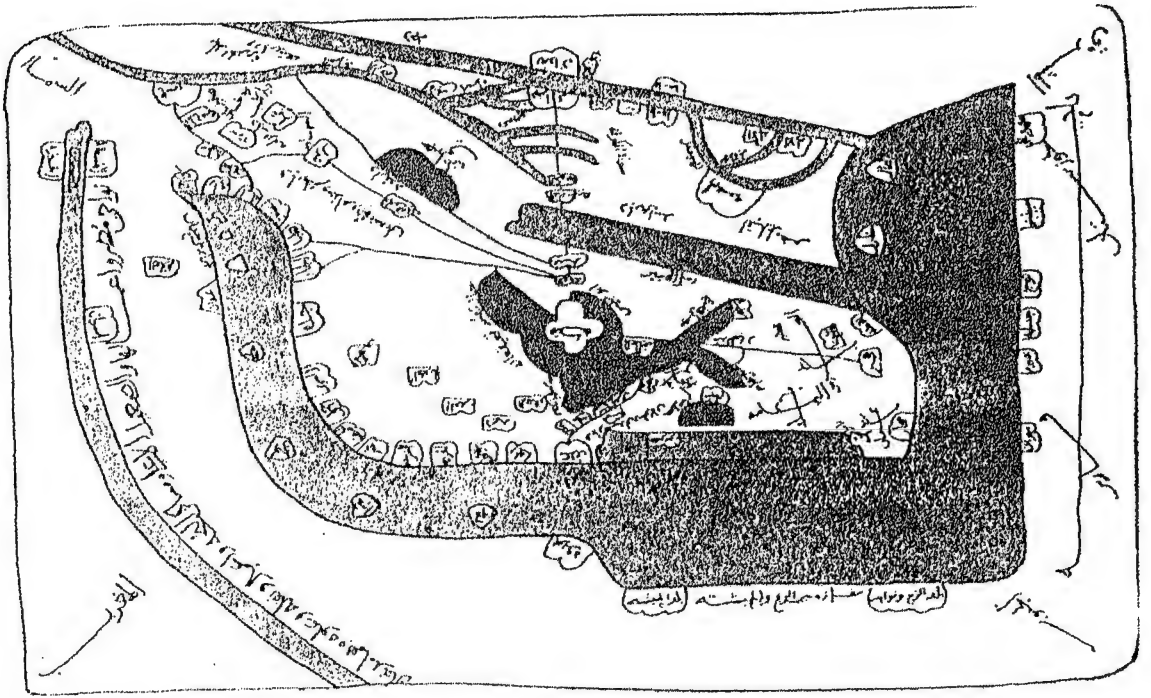
لوحة الحجاز الجنوبي ، أبحاث جيولوجية ، خريطة رقم I-C10B ، وزارة

البتترول والثروة المعدنية ، الرياض .

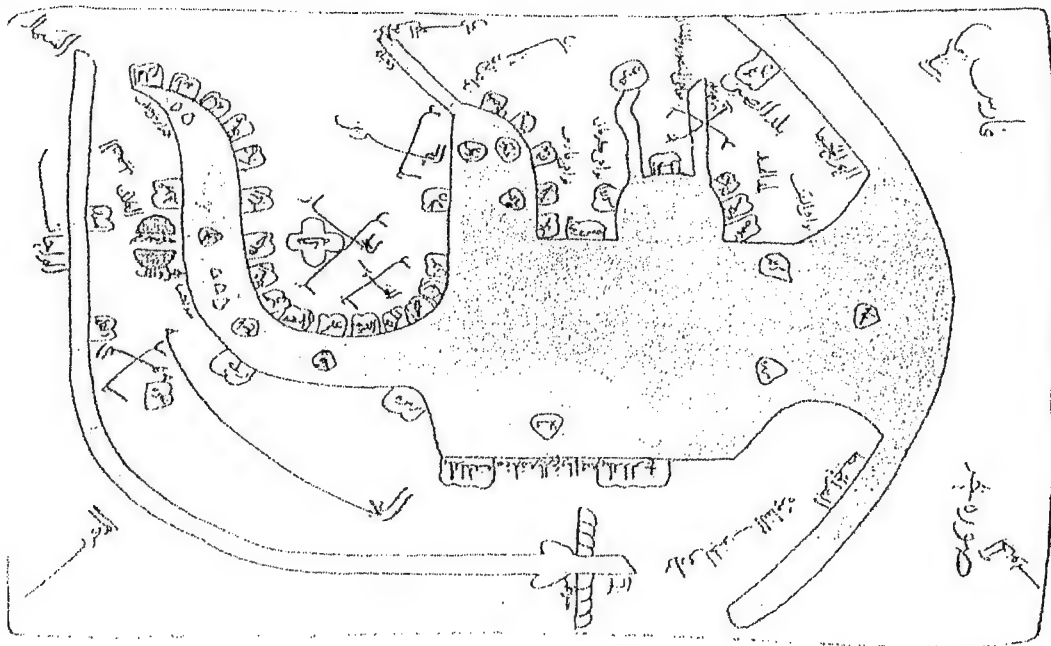




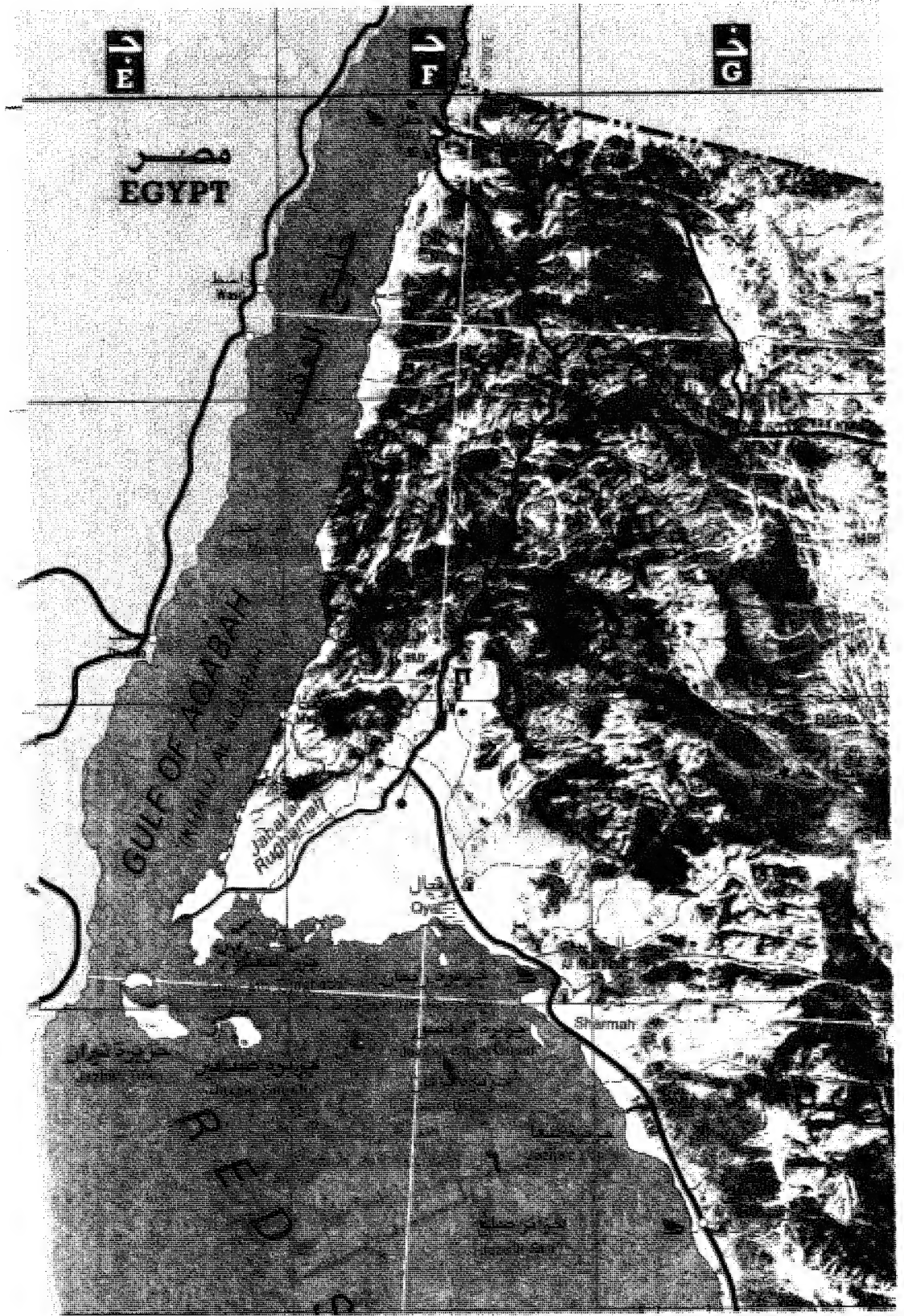
خارطة تخطيطية (مكة المكرمة) ١:٥٠٠,٠٠٠ ، لوحة رقم NG37-SE  
، طبعت عام ١٤١١هـ ، وزارة البترول والثروة المعدنية - الرياض .



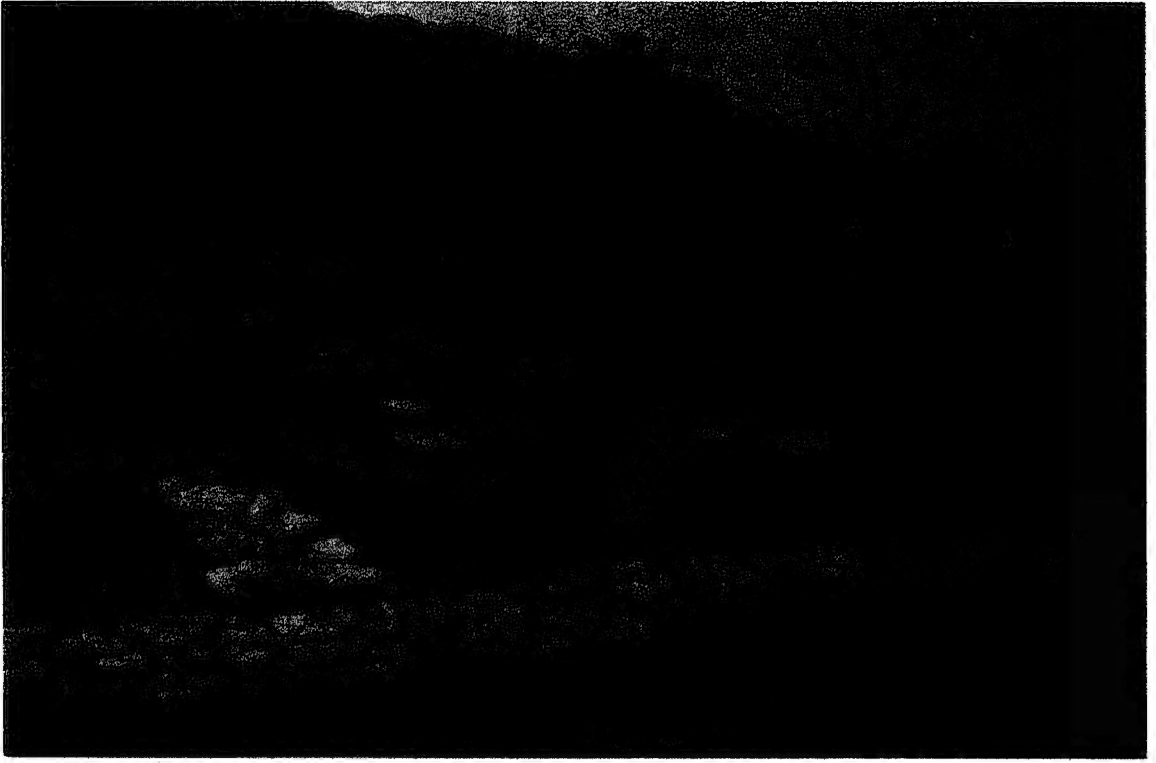
ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٢٠ ( تمثل الخريطة جزيرة العرب )



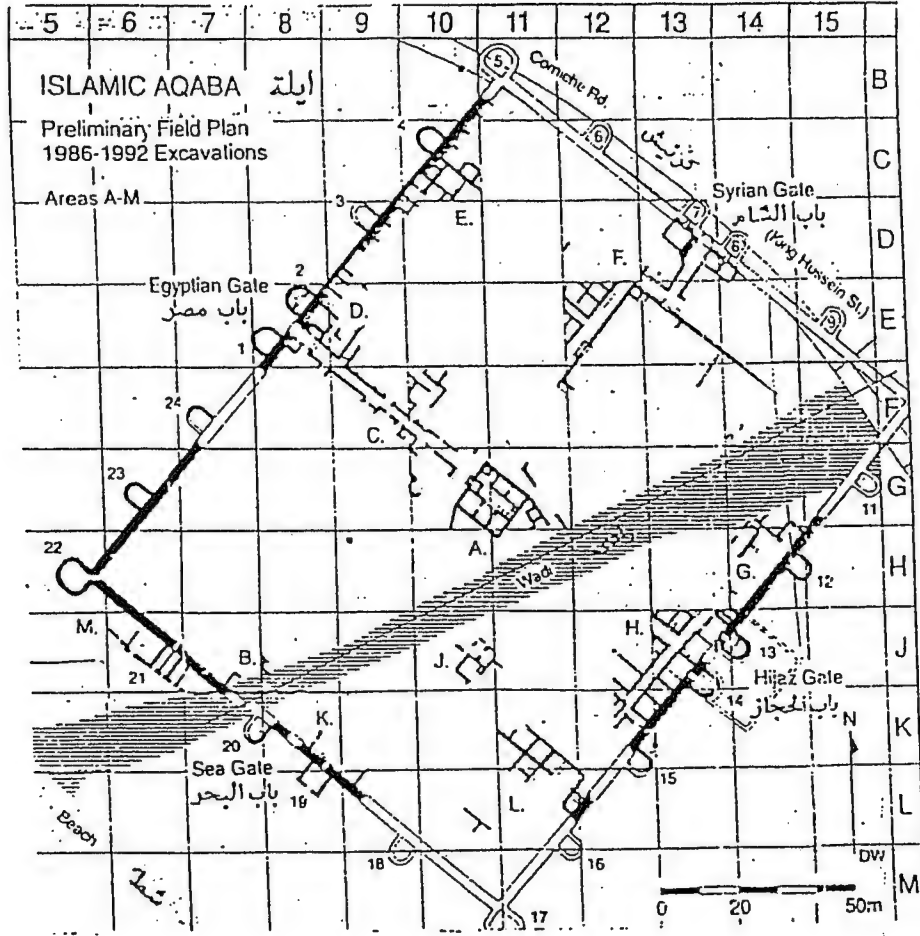
ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٤٥ .



زكي فارسي: دليل الطرق السياحية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ خريطة  
خليج العقبة ، رقم ب ١ .



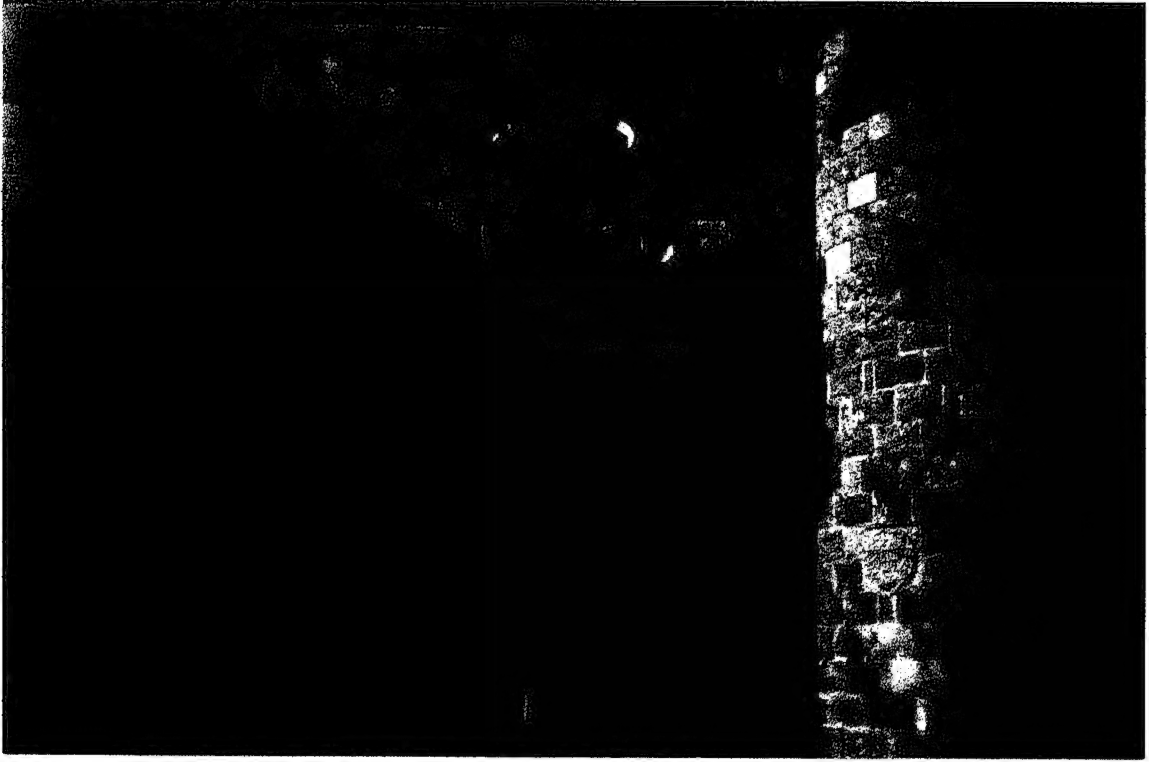
بقايا آثار مدينة أيلة الإسلامية داخل مدينة العقبة ، قام الباحث بتصويرها  
فتوغرافياً بتاريخ ١٤٢٠/٤/٦هـ - ١٩٩٩/٧/١٩م.



العناصر المعمارية التي تم الكشف عنها في مدينة أيلة حتى نهاية موسم  
١٩٩٢. (Whitcomb, 1993 A: 12)

رائد الشرع : مدينة أيلة وتخطيطها في الفترة الإسلامية المبكرة ، رسالة  
ماجستير ، ص ١٢٧.





واجهة القلعة المملوكية بالعقبة ، وصورت بتاريخ ١٤٢٠/٤/٦ هـ —

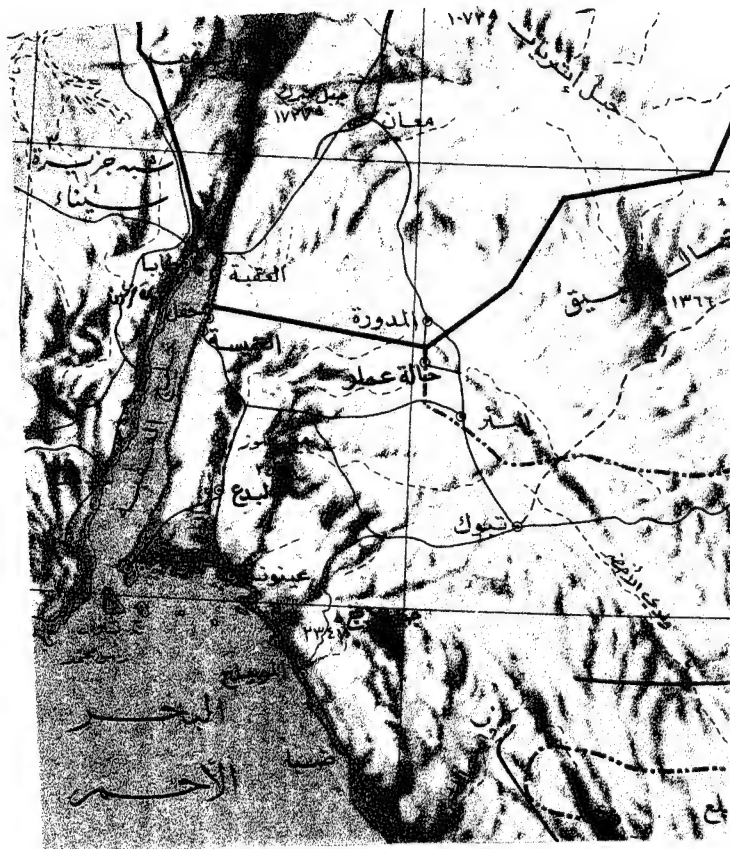
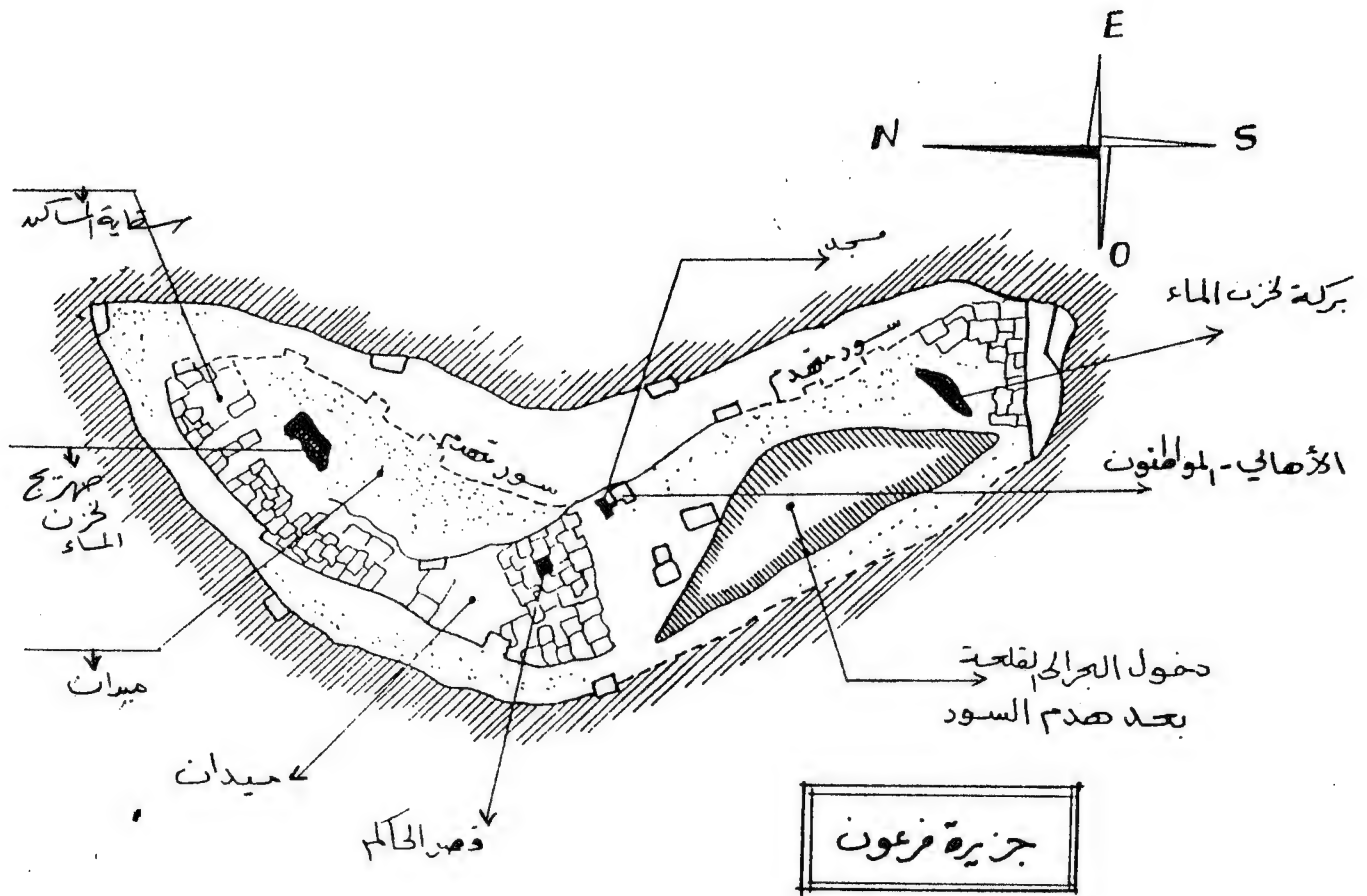


صورة نص عند مدخل القلعة باسم السلطان (قانسوة الغوري)



صورة بئر داخل القلعة المملوكية





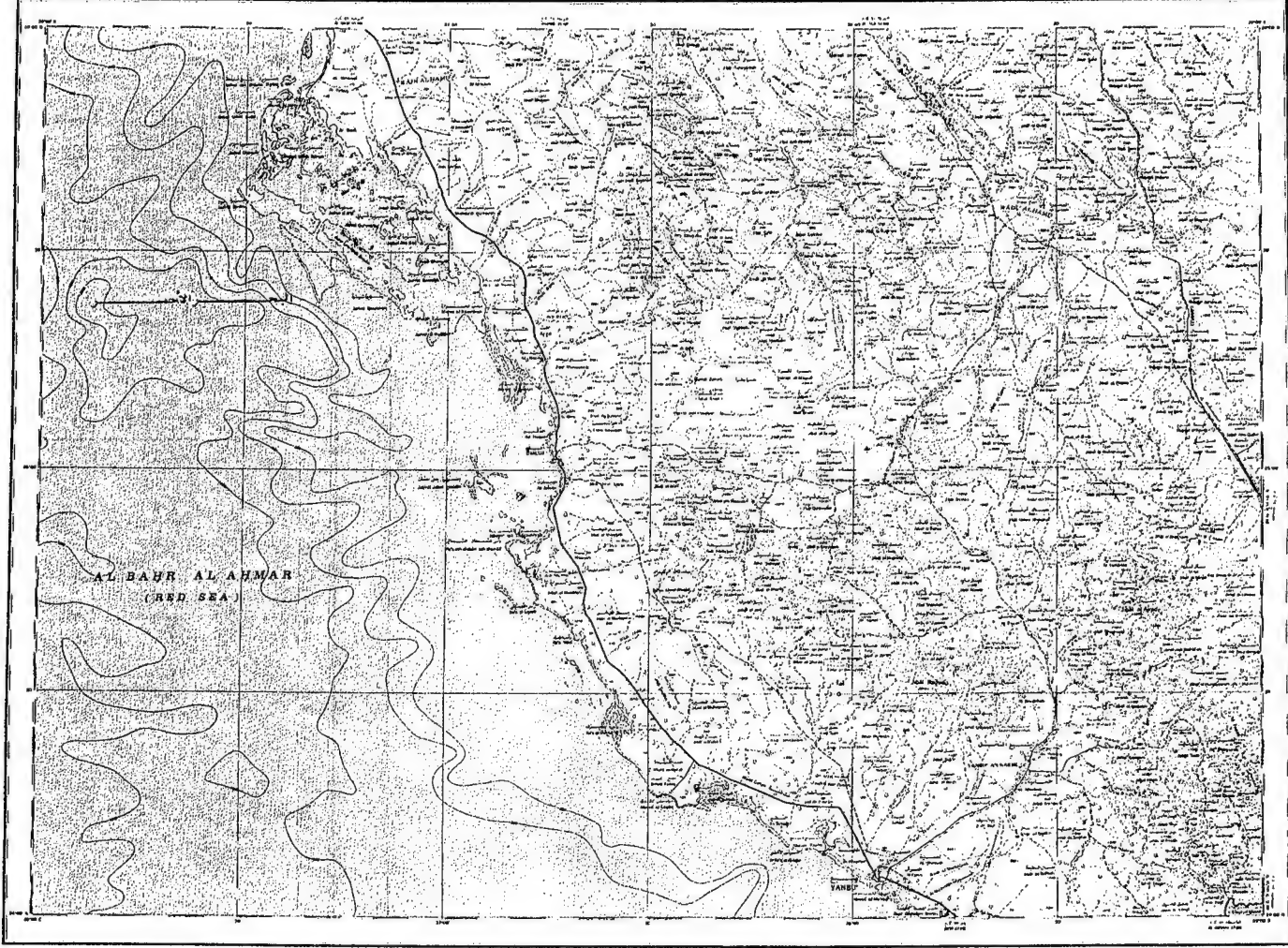
↑  
تقع هذه الجزيرة في خليج العقبة  
جنوب طابا بمسافة ١٢ كم إلى  
الجنوب الغربي من مدينة العقبة ،  
وتبعد ٢٥٠ م عن ساحل سيناء.



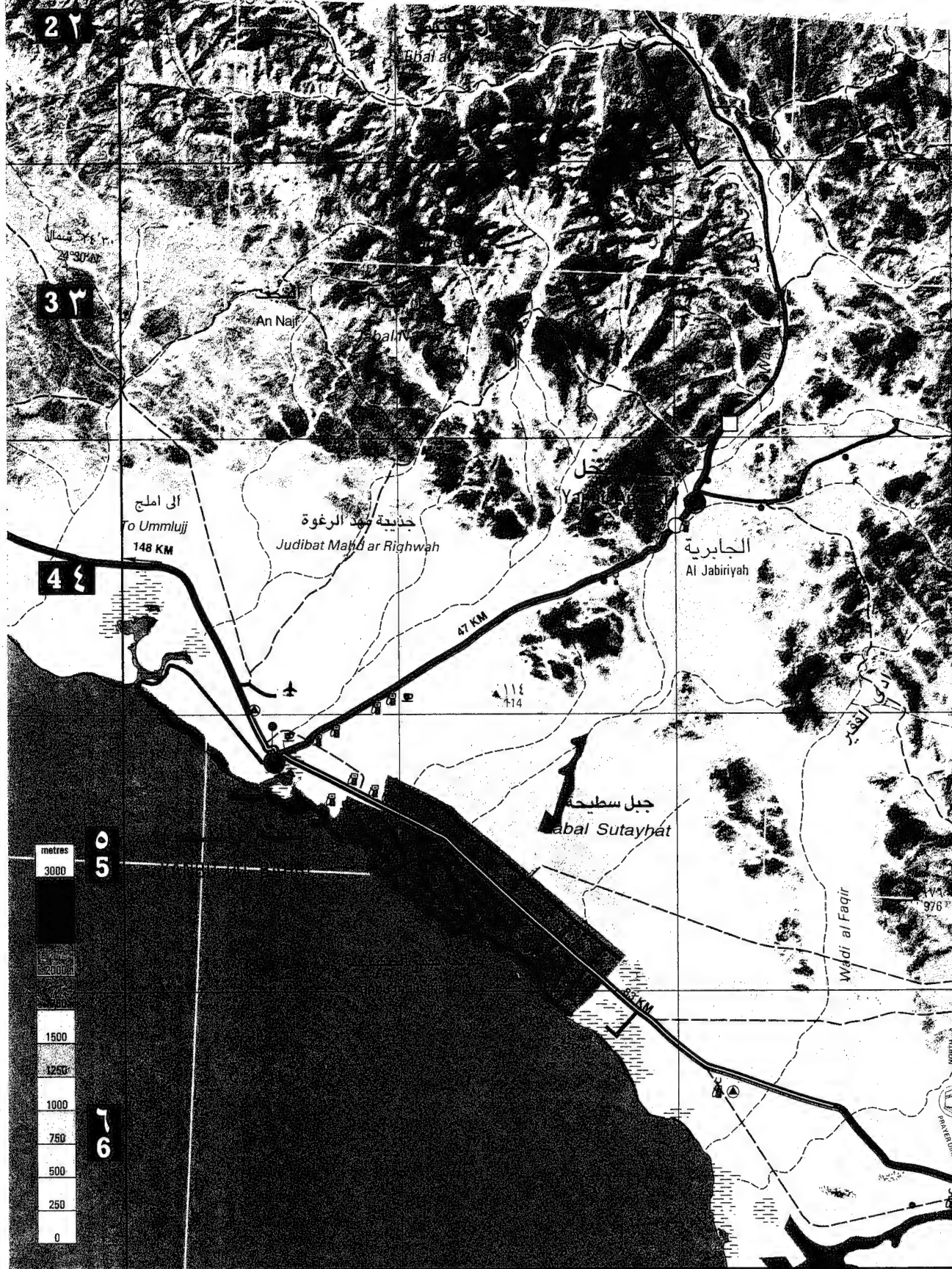
الهيئة العامة للغرف التجارية  
SAUDI ARABIA 1:500,000

ينبع  
YANBU'

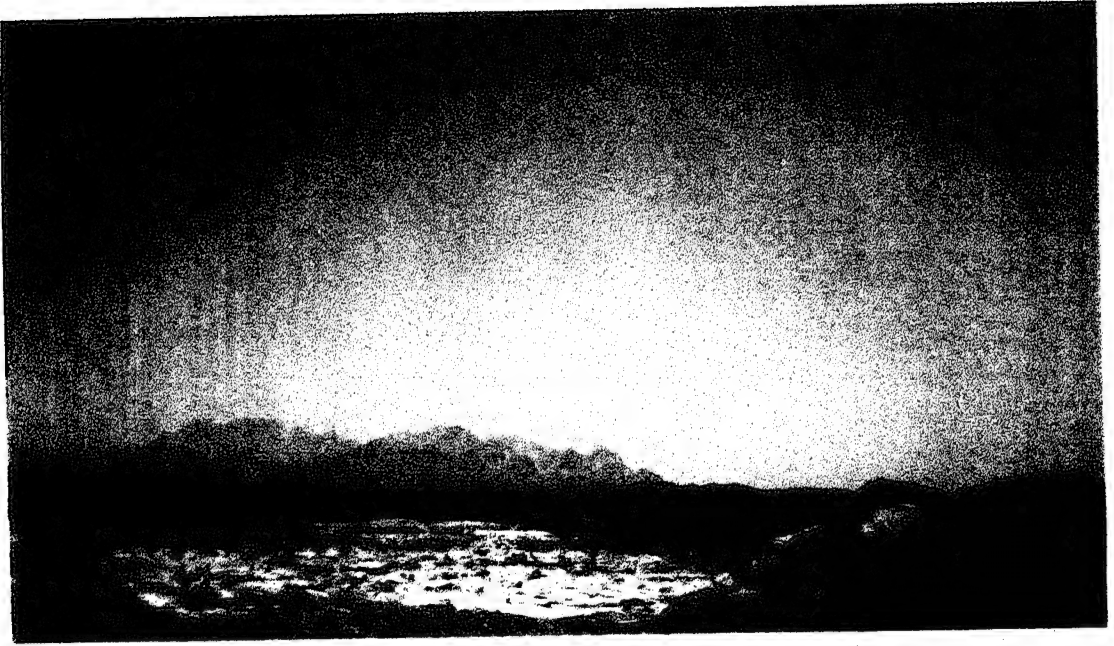
نقطة NG 37-SW  
SHEET NG 37 - SW



خارطة تخطيطية ( ينبع ) ، ١:٥٠٠,٠٠٠ ، لوحة رقم NG 37-SW ،  
طبعت عام ١٤٠٤هـ ، وزارة البترول والثروة المعدنية ، الرياض .



زكي فارسي: دليل الطرق السياحية ، خريطة ينبع ، رقم ب ١٢ .

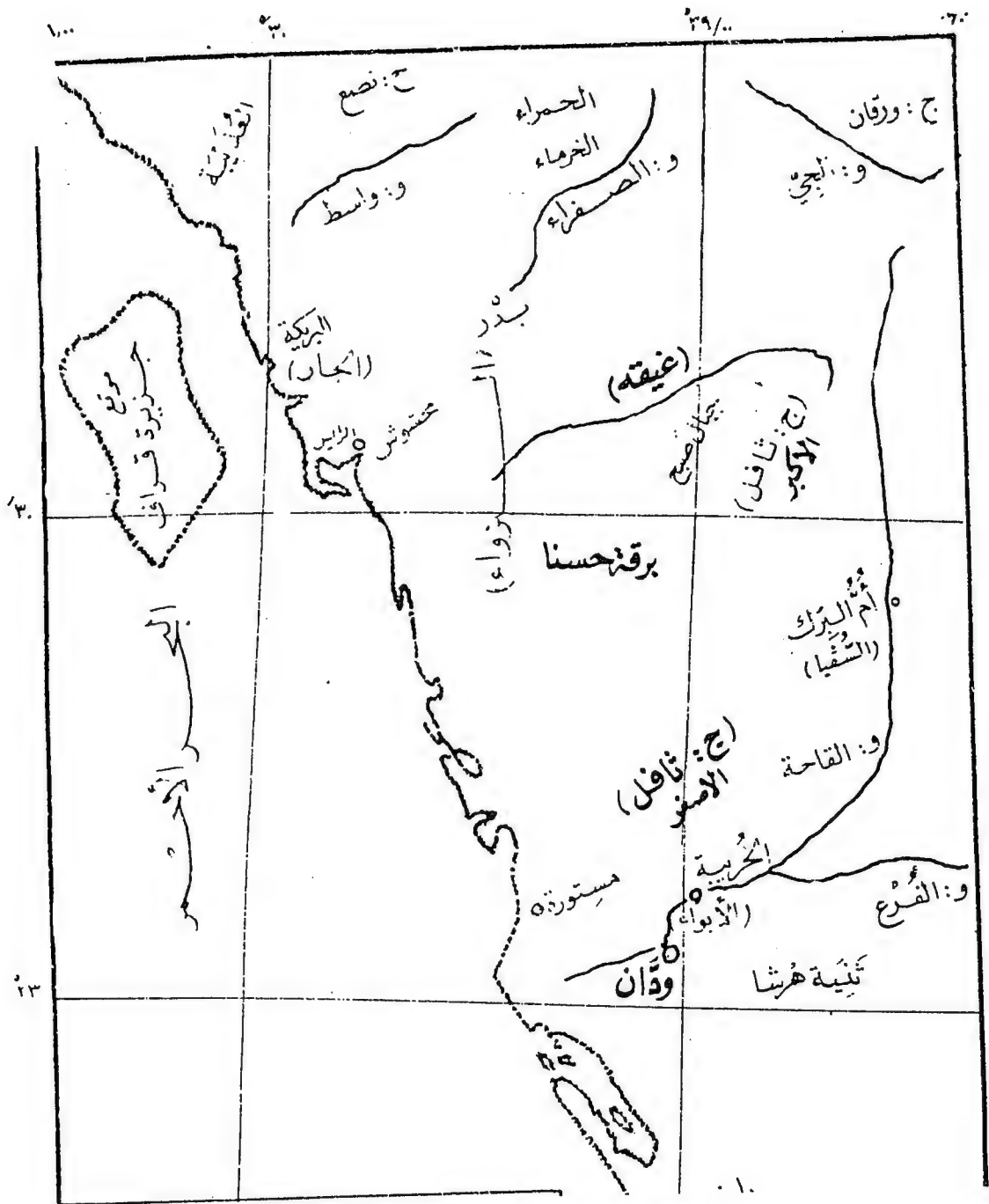


تظهر في الصورة قرية العلقمية بينبع التي انطلق منها الشريف قتادة ليحكم مكة ( مؤسس الطبقة الرابعة من الأشراف أمراء مكة من القرن السادس إلى القرن الرابع عشر الهجري ).  
وخلف القرية يظهر جبل رضوى الشهير.



بقايا آثار ما يُزعم أنه مسجد العشيرة بينبع بالقرية ( قرية الأشراف ) .  
صورت بتاريخ ٢٧/٣/١٤٢٠هـ .



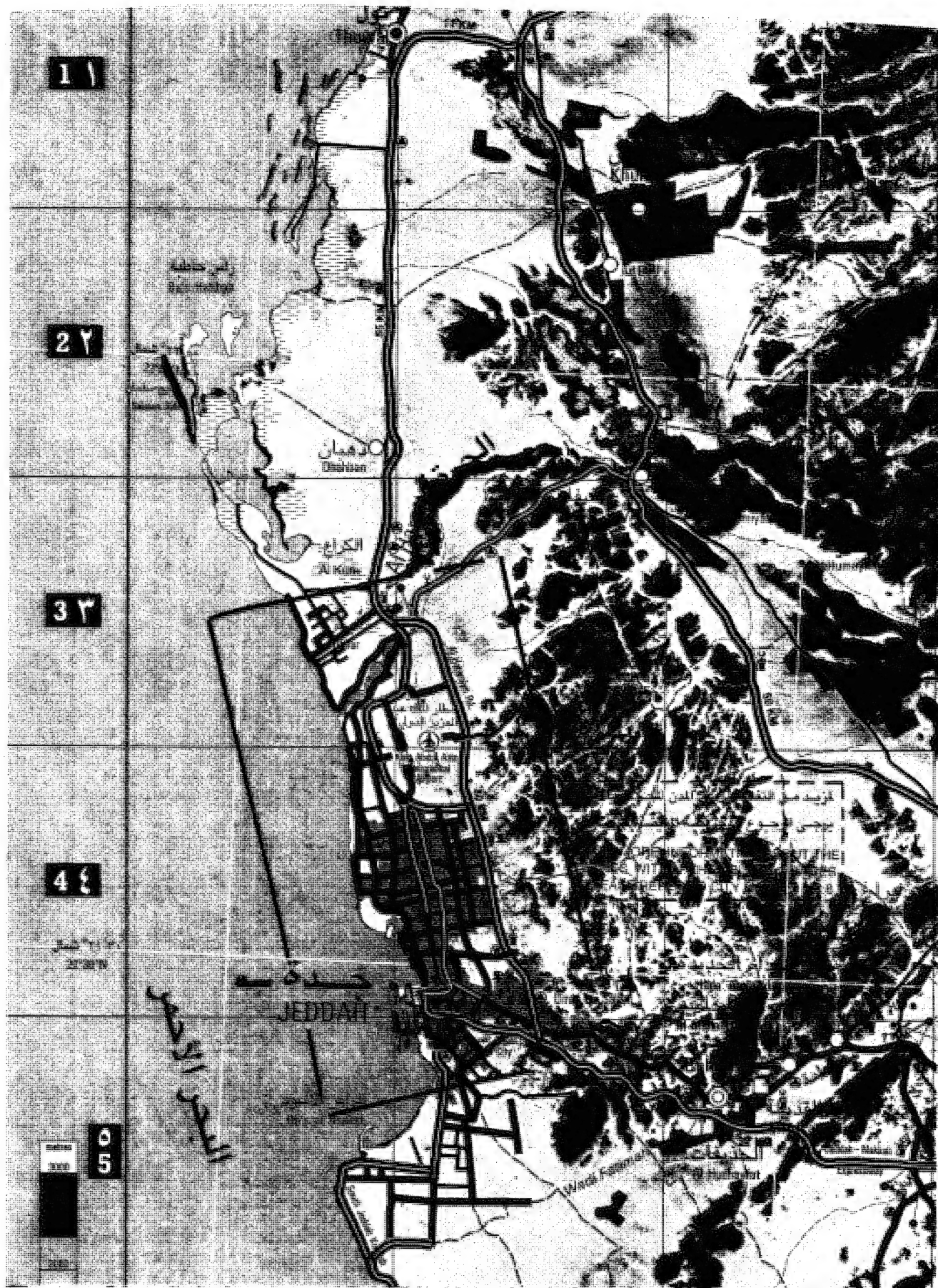


( مخطط تقريبي لميناء الجار وما حوله من المواضع )

خريطة توضيح موقع ميناء الجار على ساحل بحر الحجاز ، من عمل ، محمد الجاسر ، في شمال غرب الجزيرة ، ص ١٩٣ ، مع تعديلات لعاتق بن غيث البلادي ، معجم معالم الحجاز ، ج ٢ ، ص ١٠٧ .

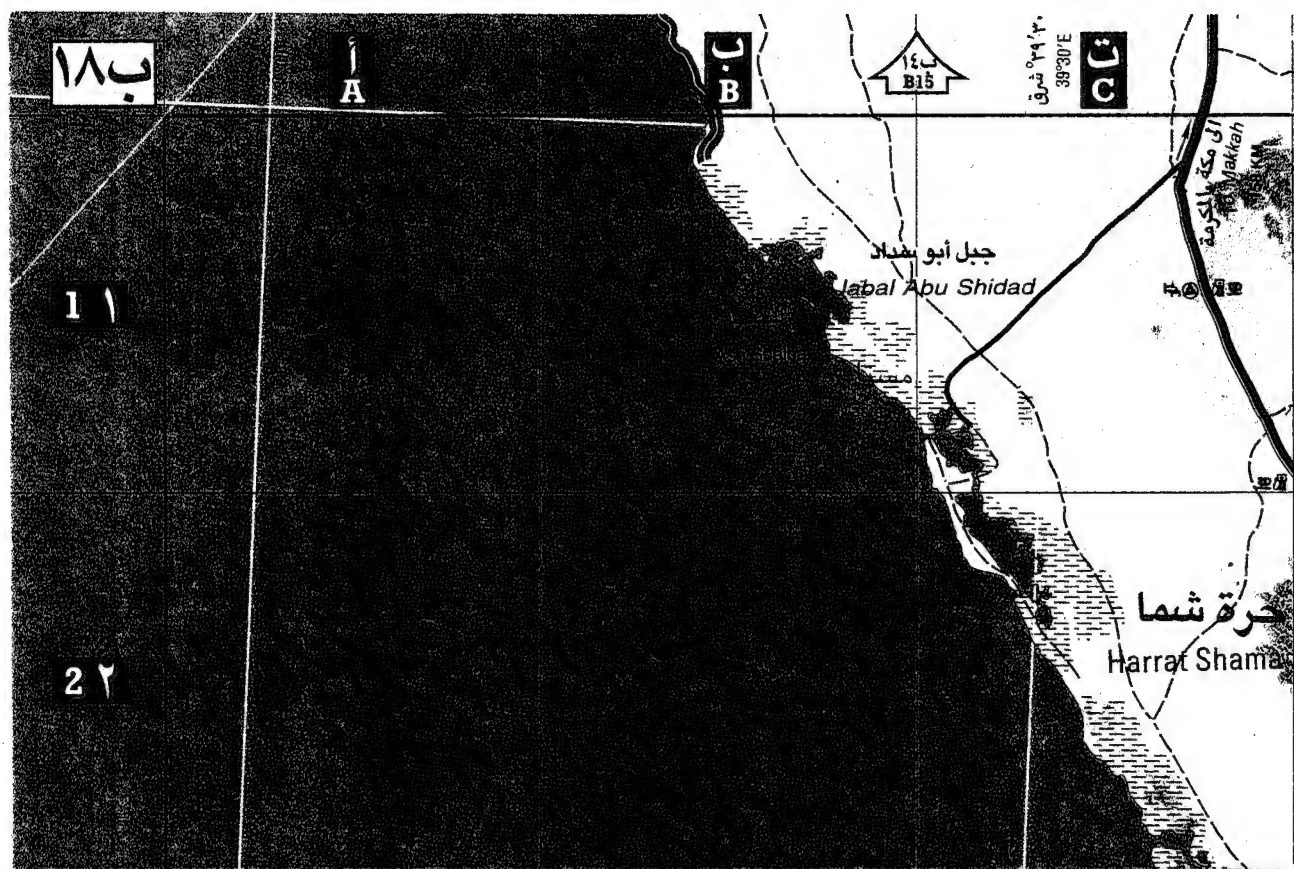


جزء من الهضبة (التلة) التي يُرجح أنها جزء من مدينة الجار الإسلامية ،  
ويظهر السياج الحديدي والبحر، في شرم البريكة جنوب ينبع .  
التقطت الصورة بتاريخ ٢٨/٣/١٤٢٠هـ.



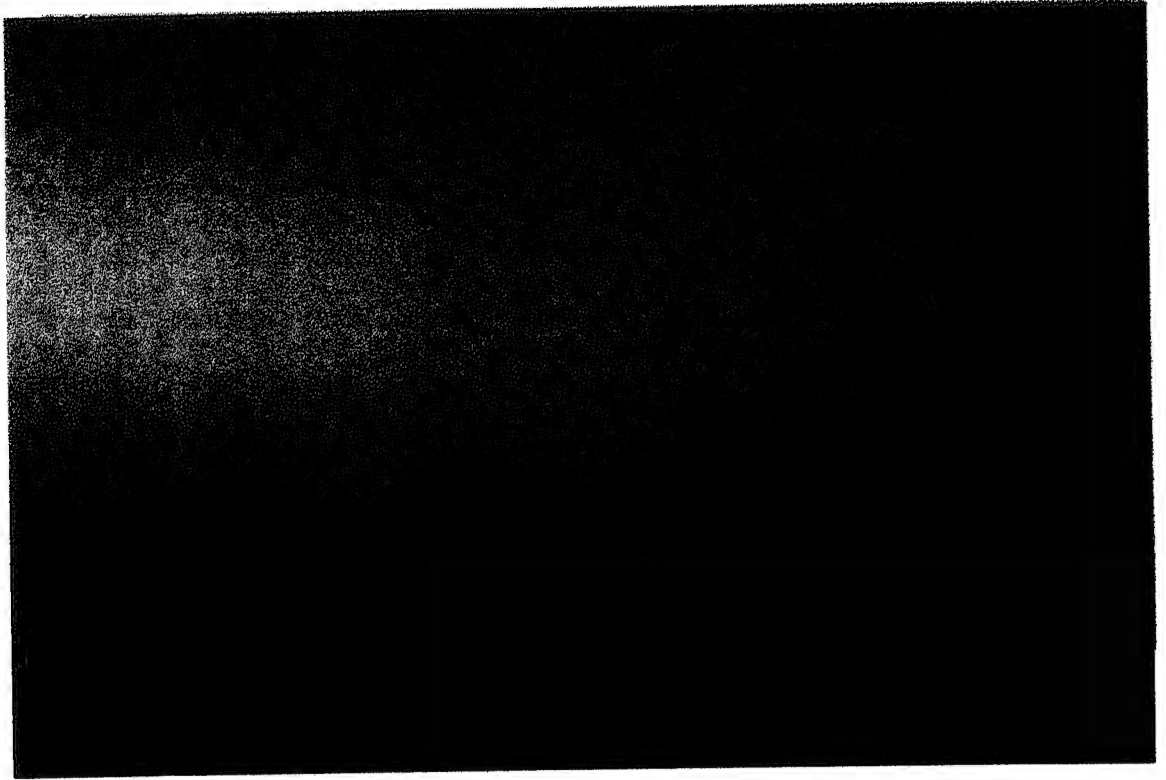
زكي فارسي، دليل الطرق السياحية ، خريطة جدة رقم ب ١٤ .



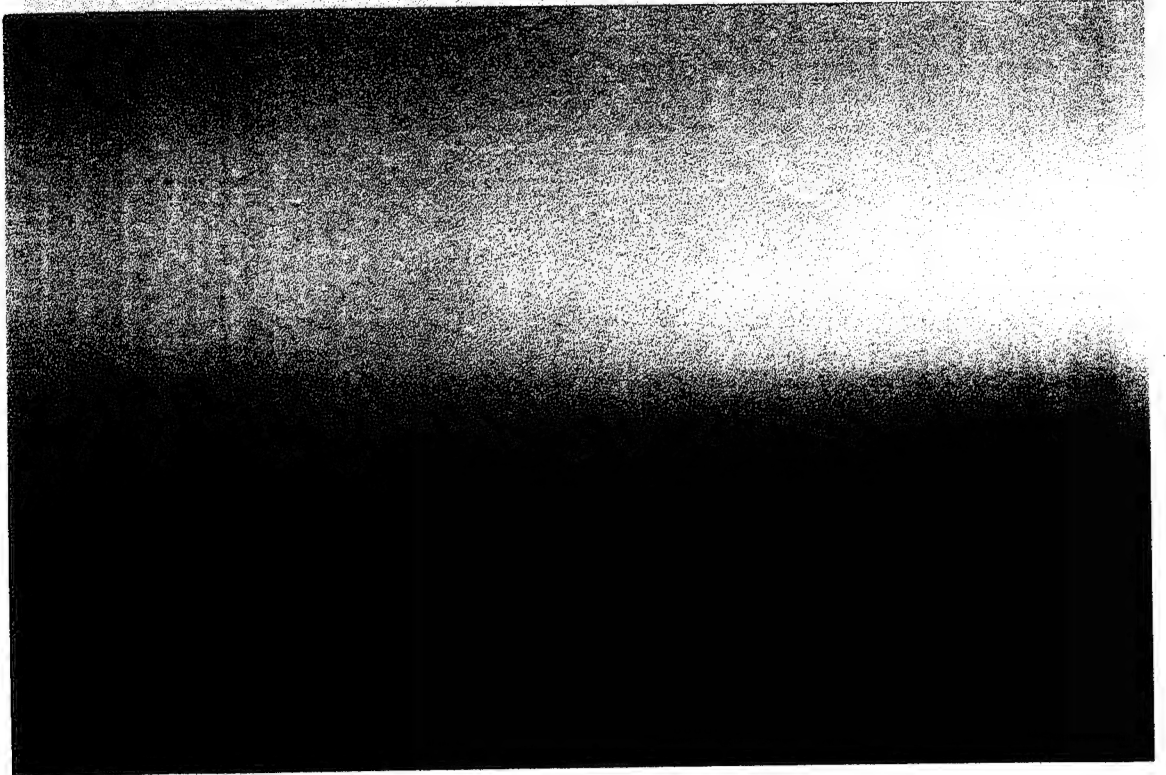


زكي فارسي: خريطة الشعيبة رقم ب ١٨.





تظهر في الصورة أعلاه الشعبية المفتوحة ، وفي الصورة التي تليها الشعبية  
المسدودة ( المقفلة ) ، وتم التقاط المنظرين قبيل غروب يوم الجمعة  
١٤٢٠/٥/٢هـ.

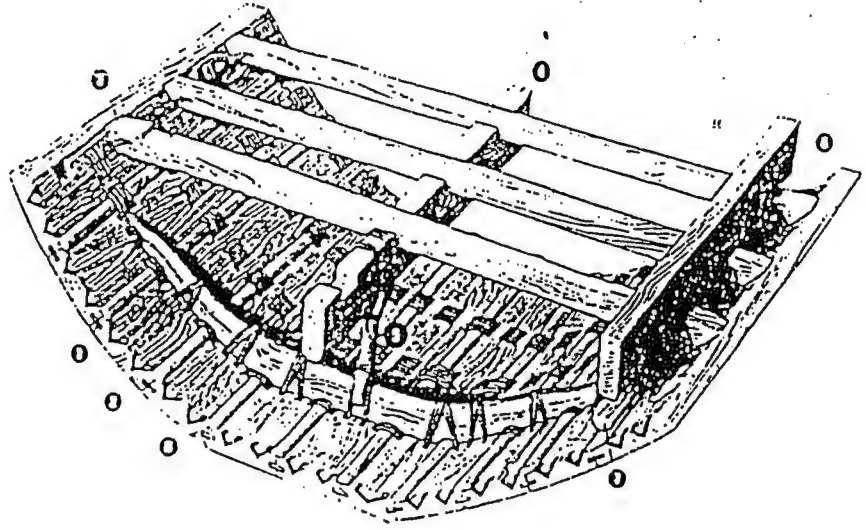




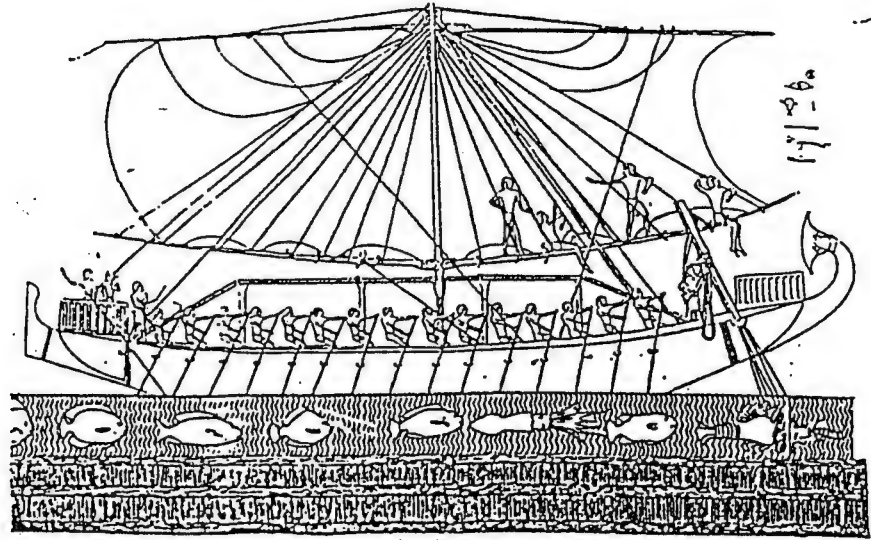




آثار مدينة السرين محاطة بسياج حديدي وتُرى في الصورة غرفة الحارس  
الحكومي. (التقطت الصورة بتاريخ ١٤٢٠/٥/٨هـ).



قطاع فى بدن سفينة خوفو الخيطية يوضح طريقة "خياطة" الألواح بالحبال والتقوب السحرية التى تنخل فيها الحبال.

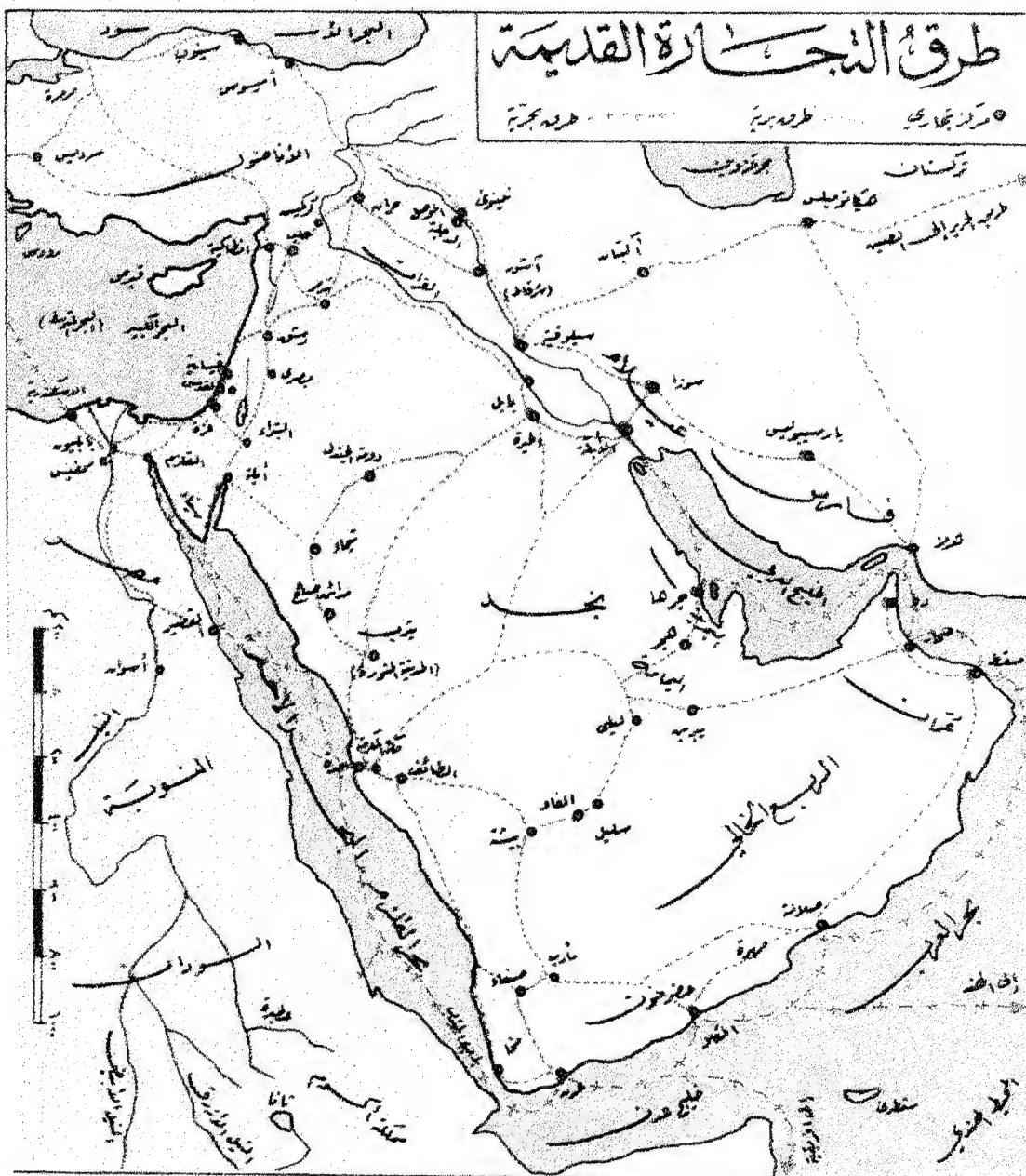


أحدى سفن البحر الأحمر الخيطية

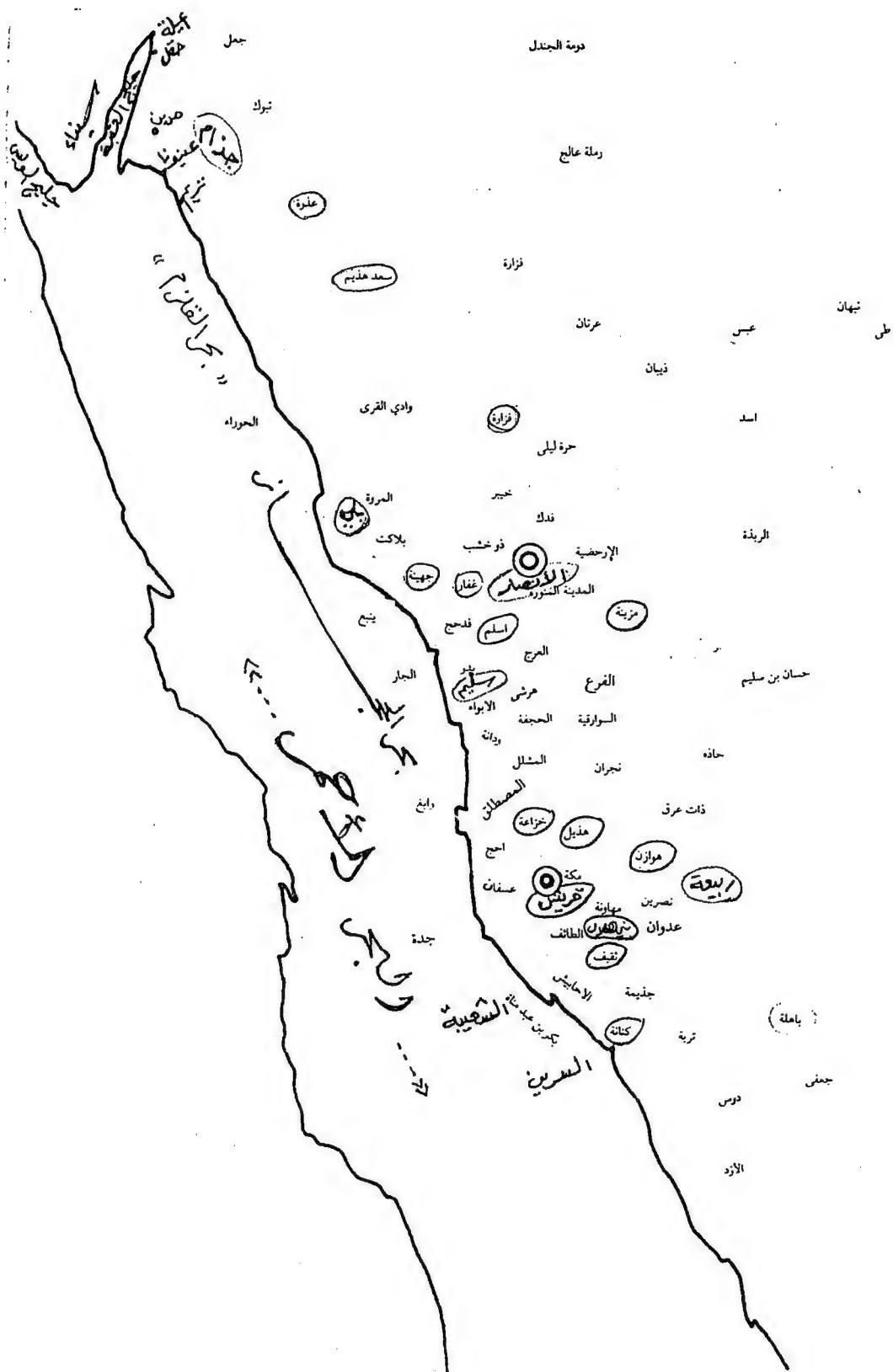
رسم تقريبي للسفن الخيطية التى عبرت بحر الحجاز فى العصور الوسطى.  
 - عبد المنعم عبد الحليم سيد : الأصول المصرية القديمة للسفن  
 الإسلامية فى البحر الأحمر ، ص ٨٤ .



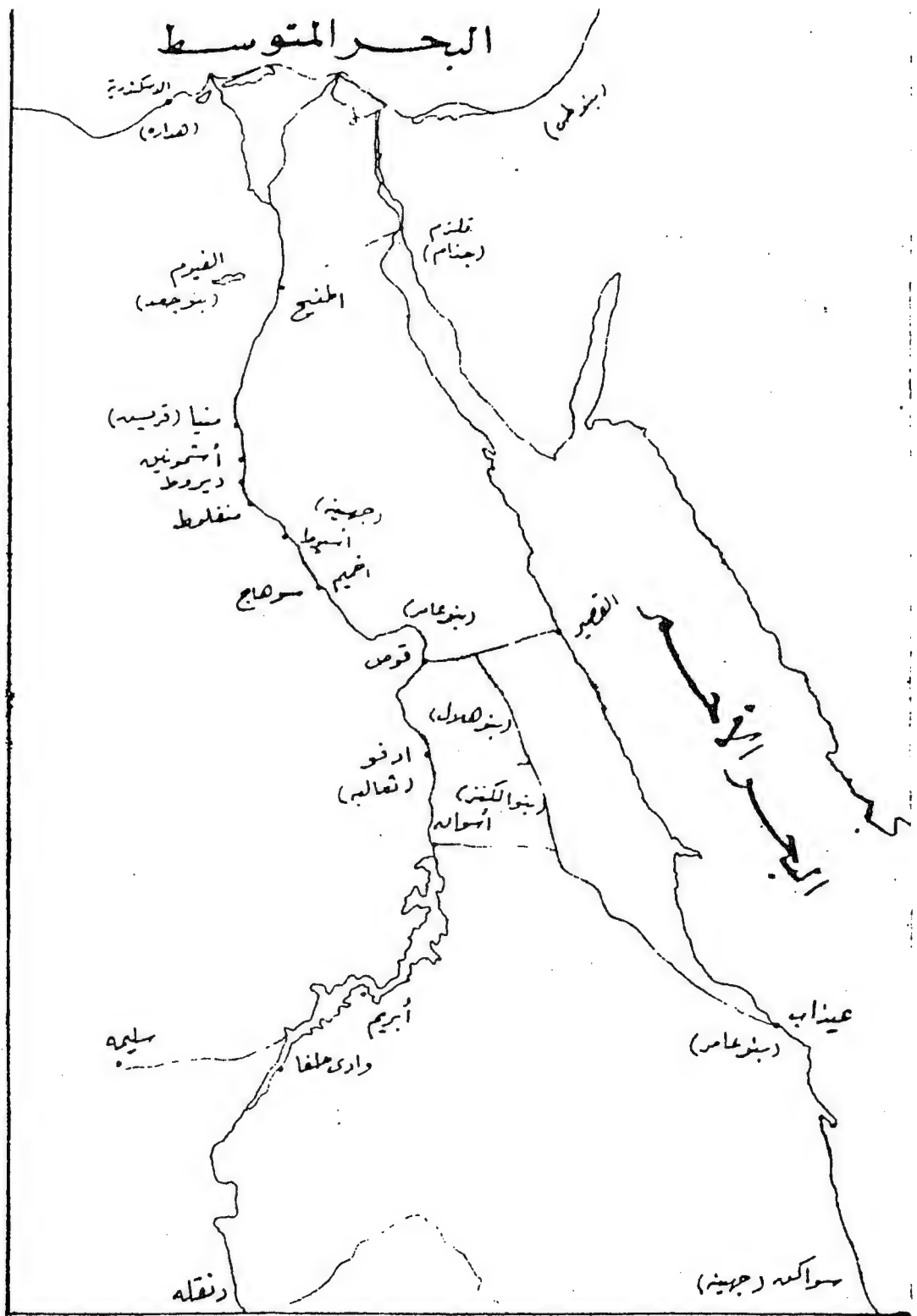
أبو خليل ، شوقي : أطلس التاريخ العربي الإسلامي ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٦ - ١٩٩٦ ، دار الفكر ، دمشق .



شوقي أبو خليل : أطلس التاريخ العربي الإسلامي ، الطبعة الرابعة ،  
١٤١٦ - ١٩٩٦ ، دار الفكر ، دمشق . ص ٢٨ .



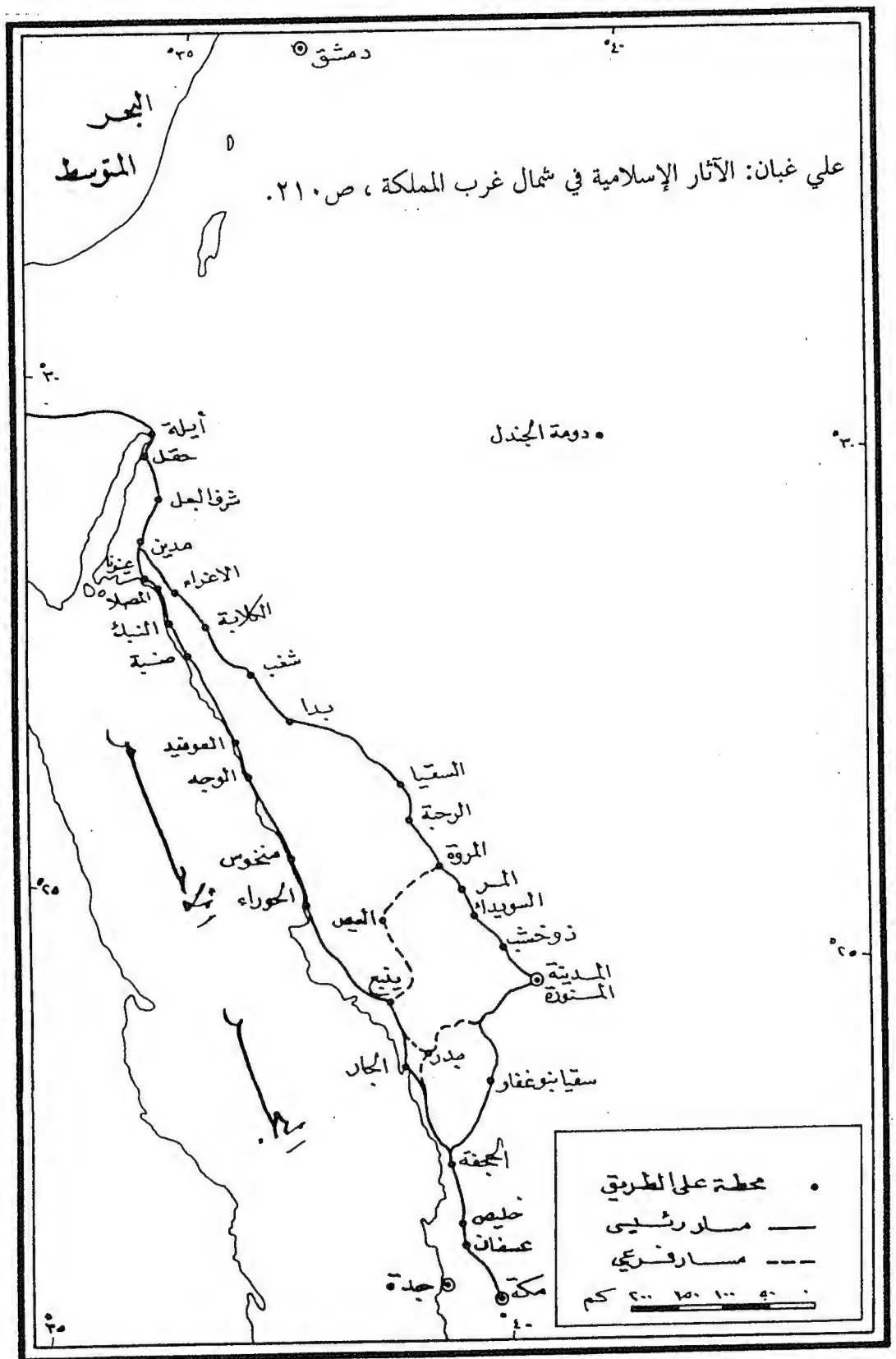
- صالح العلي : الحجاز في صدر الإسلام ، ص ١٩٠ ( تمثل الخريطة مواطن أبرز قبائل الحجاز ) " مع تعديلات وإضافات للباحث " .



العناصر السكانية في وادي النيل في بداية عصر دولة المماليك

- السيد عبد العزيز السالم : البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي ،  
ص ٢٥٩. ( تمثل الخريطة مواطن بعض القبائل العربية في وادي النيل ).







## ثبت المصادر والمراجع (١)

### أولاً : المصادر :

١ - القرآن الكريم

— ابن الأثير :

عزالدين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري : (ت ٦٣٠هـ).

٢ - الكامل في التاريخ، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م، دار الكتاب العربي، بيروت.

— الإدريسي :

أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن إدريس الحموي الحسني المعروف (بالشريف الإدريسي) : (ت ٥٦٠هـ).

٣ - نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م، عالم الكتب، بيروت.

— الأزرقي :

أبي الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد : (ت ٢٤٤هـ).

٤ - أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي الصالح ملحس، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م، مطابع دار الثقافة، مكة المكرمة.

— الإصطخري :

أبو إسحاق إبراهيم بن محمد : (ت ٣٤٠هـ).

٥ - المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر الحسيني، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٣٨١هـ - ١٩٦١ م.

---

(١) جرى ترتيب المصادر والمراجع على عدم اعتبار الملحقات (ابن، وأبو، وآل التعريف)



— ابن إياس:

محمد بن أحمد الحنفي : ( ت ٩٣٠هـ ).

٦ — بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى،  
الطبعة الثانية، ١٣٨٣هـ — ١٩٦٣م، القاهرة.

— البخاري:

محمد بن إسماعيل الجعفي: ( ت ٢٥٦هـ ).

٧ — الجامع الصحيح، مراجعة وضبط الشيخ محمد علي قطب،  
والشيخ هشام البخاري، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ — ١٩٩٧م،  
م، المكتبة العصرية، بيروت.

— ابن بطوطة:

محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي: ( ت ٧٧٩هـ ).

٨ — تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار،  
تحقيق: عبدالهادي التازي، ١٤١٧هـ — ١٩٩٧م،  
مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة "التراث".

— البكري:

أبي عبيد عبدالله بن عبدالعزيز الأندلسي: ( ت ٤٨٧هـ ).

٩ — معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق:  
مصطفى السقا، الطبعة الأولى، ١٣٦٤هـ — ١٩٤٥م،  
القاهرة.

— البلاذري:

أحمد بن يحيى : ( ت ٢٧٩هـ ).

١٠ — فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان، ١٤٠٣هـ،  
دار الكتب العلمية، بيروت.

— البلوي:

خالد بن عيسى: ( ت بعد ٧٦٥هـ ).

١١ — تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق: العلامة  
الحسن السائح، طبع اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي  
بين المملكة المغربية ودولة الإمارات العربية المتحدة.

— التبريزي :

الخطيب أبي زكريا يحيى بن علي : ( ت ٥٠٢ هـ ).  
١٢ — شرح القصائد العشر، ضبطه وصححه عبدالسلام الحوفي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ — ١٩٨٥ م، دار الكتب العلمية، بيروت.

— التجيبي :

القاسم بن يوسف التجيبي السبتي : ( ت ٧٣٠ هـ ).  
١٣ — مستفاد الرحلة والاعترا ب، تحقيق: عبدالحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب بـ ليبيا، ١٩٧٥ م.

— ابن تغري بردي :

أبو المحاسن يوسف : ( ت ٨٧٤ هـ ).  
١٤ — النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مصر.  
— ابن تيمية :

أحمد بن عبدالحليم الحراني : ( ت ٧٢٨ هـ ).  
١٥ — اقتضاء الصراط المستقيم، مطبعة الحكومة، ١٣٨٩ هـ، مكة المكرمة.

— ابن جبير :

محمد بن أحمد بن جبير الكنا ني، الأندلسي : ( ت ٦١٤ هـ ).  
١٦ — رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت.

— الجزيري :

عبدالقادر بن محمد بن عبدالقادر الأنصاري : ( توفي بعد ٩٧٦ هـ ).

١٧ — درر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة، تحقيق: حمد الجاسر، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣ م، منشورات دار اليمامة، الرياض.

— ابن الجوزي:

عبدالرحمن بن محمد بن علي : (٥٩٧هـ).

١٨ — مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن، تحقيق: أبو عبدالله محمد حسن إسماعيل، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ — ١٩٩٦م، دار الكتب العلمية، بيروت.

— ابن حجر:

أحمد بن علي العسقلاني : (٨٥٢هـ).

١٩ — تهذيب التهذيب، دار صادر، بيروت.

— الحربي:

إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم : (٢٨٥هـ).

٢٠ — كتاب "المناسك" وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة (المنسوب له)، تحقيق: حمد الجاسر، من مطبوعات مجلة "العرب" الرياض، دار اليمامة، ١٤٢٠هـ.

— الحفني:

أحمد الحفني القنائي.

٢١ — الجواهر الحسان في تاريخ الحبشان، الطبعة الأولى، ١٣٢١هـ، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، مصر.

— الحميري:

محمد بن عبدالمنعم : (٧٢٧، وورد ٩٠٠هـ).

٢٢ — الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: احسان عباس، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م، مكتبة لبنان، بيروت.

— ابن حوقل:

محمد بن علي الموصلي : (٣٦٧هـ).

٢٣ — كتاب صورة الأرض، الطبعة الثانية، القسم الأول، مطبعة بريل، لندن، ١٩٣٨م.

- ابن خرداذبة:
- أبي القاسم عبيد الله بن عبدالله : (المتوفى في حدود سنة ٣٠٠هـ).
- ٢٤ — المسالك والممالك، مكتبة المثنى ببغداد.
- خسرو:
- ناصر : (ت ٤٨١هـ).
- ٢٥ — سفرنامه، ترجمة: خالد البدلي، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣ م، جامعة الملك سعود.
- الخطيب البغدادي:
- أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت : (ت ٤٦٣هـ).
- ٢٦ — تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن خلدون:
- عبدالرحمن بن محمد : (ت ٨٠٨هـ).
- ٢٧ — تاريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، تحقيق خليل شحادة، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ — ١٩٨١ م، دار الفكر، بيروت.
- دحلان:
- أحمد زيني : (ت ١٣٠٤هـ).
- ٢٨ — خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، الطبعة الأولى، ١٣٠٥هـ، المطبعة الخيرية، مصر.
- ابن دقماق:
- إبراهيم بن محمد أيدير العلائي : (ت ٨٠٩هـ).
- ٢٩ — الجوهر الثمين في سير الملوك والسلطين، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين علي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ — ١٩٨٥ م، عالم الكتب.

— الرازي :

الإمام محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر : ( ت ٦٦٦هـ ).

٣٠ — مختار الصحاح، ١٩٨٧م، مكتبة لبنان، بيروت.

— ابن رُسْتَه :

أبي علي أحمد بن عمر : ( ت بعد ٢٩٠هـ ).

٣١ — كتاب الأعلاق النفيسة، المجلد السابع، طبع في مدينة

ليدن في هولندا، بريل، ١٨٩١م.

— الرشيدى :

أحمد : ( ١١٧٨هـ ).

٣٢ — حسن الصفا والإبتهاج بذكر من ولي إمرة الحاج، تحقيق

ليلى عبداللطيف أحمد، ١٩٨٠م، مكتبة الخاتجي بمصر.

— ابن سعد :

محمد بن سعد بن منيع : ( ت ٢٣٠هـ ).

٣٣ — الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت.

— السِّلْمى :

عرّام بن الأصْبَغ : ( توفي في القرن الثالث الهجري ).

٣٤ — كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها، تحقيق: عبدالسلام

محمد هارون، الطبعة الأولى، ١٣٧٣هـ، مطبعة أمين

عبدالرحمن بالقاهرة.

— السمعاني :

أبي سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي : ( ت ٥٦٢هـ ).

٣٥ — الأنساب، تقديم وتعليق عبدالله عمر البارودي، الطبعة

الأولى، ١٤١٩هـ — ١٩٩٨م، دار الفكر، بيروت.

— السمهودي:

نور الدين علي بن أحمد المصري: (ت ٩١١هـ).  
٣٦ — وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، الطبعة الرابعة، ١٤٠٤هـ — ١٩٨٤م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

— السنجاري:

علي تاج الدين بن تقي الدين: (ت ١١٢٥هـ).  
٣٧ — منائح الكرم في تاريخ مكة والبيت وولاية الحرم، تحقيق: جميل المصري وآخرون، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة.

— السويدي:

محمد أمين العباسي البغدادي: (ت ١٢٤٦هـ).  
٣٨ — سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ — ١٩٩٧م، مكتبة دار حراء، جدة.

— الشافعي:

محمد بن أدريس: (ت ٢٠٤هـ).  
٣٩ — الأم، تصحيح: محمد زهري النجار، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ — ١٩٧٣م، دار المعرفة، بيروت.

— أبو شامة:

عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي الشافعي: (ت ٦٦٥هـ).  
٤٠ — الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزبيق، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٤١ — تراجم رجال القرنين السادس والسابع، المعروف بـ (الذيل على الروضتين)، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، والسيد عزت عطار الحسيني، الطبعة الثانية، ١٩٧٤م، دار الجيل، بيروت.

- ابن شاهين:
- غرس الدين خليل الظاهري : (ت ٦٦٥هـ).
- ٤٢ — زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تحقيق بولس راويس، باريس، المطبعة الجمهورية، ١٩٨٤م.
- الطبري:
- أبو جعفر محمد بن جرير : (ت ٣١٠هـ).
- ٤٣ — تاريخ الأمم والملوك، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ — ١٩٨٨م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن الطقطقا، أو الطقطقي:
- محمد بن علي بن طباطبا : (ت ٧٠٩هـ).
- ٤٤ — الفخري في الآداب السلطانية، والدول الإسلامية، ١٣٨٦هـ — ١٩٦٦هـ، دار صادر، بيروت.
- ابن أبي عاصم:
- أبي بكر عمر : (ت ٢٨٧هـ).
- ٤٥ — السنة، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.
- العباسي:
- أحمد عبد الحميد : (من أهالي القرن العاشر الهجري).
- ٤٦ — عمدة الأخبار في مدينة المختار، تحقيق: الشيخ محمد الطيب الأنصاري، طبعه للمرة الثانية أسعد درابزوني الحسيني.
- العبدري:
- محمد بن محمد الحيحي : (كانت رحلته إلى الحجاز في النصف الثاني من القرن السابع الهجري).
- ٤٧ — رحلة العبدري، المسماة "الرحلة المغربية"، تحقيق: محمد الفاسي، جامعة محمد الخامس، الرباط، ١٩٦٨م.



— العصامي:

عبدالمك بن حسين : (ت ١١٠١هـ).  
٤٨ — سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ١٣٧٩ هـ، المطبعة السلفية، القاهرة.

— عمارة اليمني:

نجم الدين الحكمي : (ت ٥٦٩هـ).  
٤٩ — تاريخ اليمن (المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزيد...)، تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي، الطبعة الثانية، ١٣٩٦هـ — ١٩٧٦م، مطبعة السعادة، القاهرة.

— ابن عنبه:

جمال الدين أحمد بن علي الحسني : (ت ٧٤٨هـ).  
٥٠ — عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

— عياض:

ابن موسى القاضي اليحصبي : (ت ٥٤٤هـ).  
٥١ — الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تحقيق: علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ — ١٩٩٧م، المكتبة العصرية، بيروت.

— الفاسي:

تقي الدين محمد بن أحمد الحسني المكي : (ت ٨٣٢هـ).  
٥٢ — العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ — ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان.

٥٣ — شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، المشرف على التحقيق: سعيد عبدالفتاح، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة.

— الفاكهي:

أبو عبدالله محمد بن إسحاق : ( ت ٢٨٥هـ ).  
٥٤ — تاريخ مكة أو ( أخبار مكة )، تحقيق: عبد الملك بن  
دهيش، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ، دار خضر، بيروت.  
— أبو الفدا:

الملك المؤيد إسماعيل، صاحب حماة ( ت ٧٣٢هـ ).  
٥٥ — تقويم البلدان، مكتبة المثنى، بغداد، ومؤسسة الخانجي  
بمصر.

— الفراهيدي:

الخليل بن أحمد : ( ت ١٧٠هـ ).  
٥٦ — العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي،  
١٩٨٨م، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية — وزارة  
الثقافة والإعلام، سلسلة المعاجم والفهارس.  
— ابن فرج:

عبد القادر بن أحمد بن فرج الجدي : ( ت ١٠١٠هـ ).  
٥٧ — السلاح والعدة في تاريخ جدة، تحقيق: مصطفى  
الحدي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ — ١٩٨٨م، دار ابن  
كثير، دمشق، مكتبة دار التراث، المدينة.  
— ابن فهد:

عزالدين عبدالعزيز بن عمر بن محمد بن فهد : ( ت ٩٢٢هـ ).

٥٨ — غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، تحقيق: فهم  
محمد شلتوت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م، جامعة  
أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية  
الشريعة، مكة.

— ابن فهد:

النجم عمر بن محمد بن فهد القرشي المكي: ( ت ٨٨٥هـ ).  
٥٩ — إتحاف الوري بأخبار أم القرى، تحقيق فهم محمد  
شلتوت، جامعة أم القرى، مركز البحث وإحياء التراث  
الإسلامي، كلية الشريعة، مكة.

— الفيروز آبادي:

محمد بن يعقوب: (ت ٨١٧هـ).

٦٠ — المغانم المطابة في معالم طابة، قسم المواضع، تحقيق: حمد الجاسر، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ — ١٩٦٩م، دار اليمامة، الرياض.

٦١ — القاموس المحيط، القاهرة، دار المأمون، ١٩٣٨م.

— الفيومي:

أحمد بن محمد: (ت ٧٧٠هـ).

٦٢ — المصباح المنير، المكتبة العلمية، بيروت.

— قدامة:

قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي: (ت ٣٢٢٠هـ).

٦٣ — نبد من كتاب الخراج وصنعة الكتابة، الملحق بكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبه، مكتبة المثنى ببغداد.

— القطبي:

عبدالكريم بن محب الدين القطبي: (ت ١٠١٤هـ).

٦٤ — إعلام العلماء بالأعلام ببناء المسجد الحرام، تعليق: أحمد محمد جمال وآخرون، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، دار الرفاعي، الرياض.

— القطبي:

قطب الدين النهروالي: (ت ٩٩٠هـ).

٦٥ — الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، على هامش كتاب (خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام) للدحلان، الطبعة الأولى، ١٣٠٥هـ، المطبعة الخيرية، مصر.

— ابن القيم:

محمد بن أبي بكر الزرعي: (ت ٧٥١هـ).

٦٦ — المنار المنيف في معرفة الحديث الصحيح والضعيف، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب.

— ابن كثير:

أبو الفدا إسماعيل بن عمر : ( ت ٧٧٤هـ ).  
٦٧ — تفسير القرآن العظيم، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ —  
١٩٨٠م، دار الفكر، دمشق.

— الكندي:

أبو عمر محمد بن يوسف : ( ت ٣٥٠هـ ).  
٦٨ — الولاة وكتاب القضاة، تحقيق: رفن كست، مطبعة الأب  
اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨هـ، ومكتبة المثنى ببغداد.  
— ابن ماجد:

شهاب الدين أحمد بن ماجد ابن أبي الركائب النجدي : ( ت  
٩٣٦هـ تقريباً ).

٦٩ — كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد (العلوم  
البحرية عند العرب)، تحقيق: إبراهيم خوري، مطبوعات  
مجمع اللغة العربية، بدمشق، ١٣٩٠هـ — ١٩٧١م.  
— ابن ماكولا:

أبو نصر علي بن هبة الله : ( ت ٤٨٥هـ ).  
٧٠ — الإكمال في رفع الارتياح عن المؤلف والمختلف في  
الأسماء والكنى والأسباب.  
— مالك:

الإمام مالك بن أنس بن مالك الأصبحي : ( ت ١٧٩هـ ).  
٧١ — المدونة الكبرى، دار صادر، بيروت.  
— ابن المجاور:

يوسف بن يعقوب بن محمد : ( ت ٦٩١هـ ).  
٧٢ — صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، المسماة "تاريخ  
المستبصر"، تحقيق: أوسكر لوفزين، طبع في ليدن، ١٩٥١م.  
— محمد بن سليمان: (من أهل القرن الثامن الهجري).  
٧٣ — مفاخرة بين مكة المكرمة والمدينة المنورة، تحقيق:  
محمد الششتاوي، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ — ١٩٩٩م، دار  
الآفاق العربية، القاهرة.

— المسعودي:

علي بن الحسين بن علي المسعودي : (ت ٣٤٦هـ).  
٧٤ — مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: قاسم الشماعي  
الرفاعي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ — ١٩٨٩م، دار القلم،  
بيروت.

— مسلم:

مسلم بن الحجاج القشيري : (ت ٢٦١هـ).  
٧٥ — صحيح مسلم، بشرح النووي: حققه: عصام الصباطي  
وآخرون، دار الحديث، القاهرة.  
— المقرئزي:

تقي الدين أحمد بن علي : (ت ٨٤٦هـ).  
٧٦ — السلوك في معرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبدالقادر  
عطا، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ — ١٩٩٧م، دار الكتب  
العلمية، بيروت.

٧٧ — البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق:  
عبدالمجيد عابدين، الطبعة الأولى، ١٩٦١، عالم الكتب،  
القاهرة.

٧٨ — المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مؤسسة الحلبي  
وشركاه، القاهرة.

٧٩ — إيعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، جـ ١،  
تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٦٧م، جـ ٢، جـ ٣،  
تحقيق: محمد حلمي أحمد، القاهرة، ١٣٩٣هـ — ١٩٧٣م.

٨٠ — الإمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام  
(رسائل المقرئزي)، تحقيق: رمضان البدرى وأحمد مصطفى  
قاسم، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ — ١٩٩٨م، دار الحديث،  
القاهرة.

— المنذري:

زكي الدين عبدالعزيز بن عبدالقوي (ت ٦٥٦هـ)  
٨١ — مختصر صحيح مسلم، تحقيق، محمد ناصر الدين  
الألباني، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ — ١٩٦٩م، الدار  
الكويتية.

— ابن منظور:

جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي: (ت ٧١١هـ).

٨٢ — لسان العرب، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت.  
— المهري:

سليمان بن أحمد بن سليمان : (ت ٩٦١هـ).  
٨٣ — العمدة المهرية في ضبط العلوم البحرية، تحقيق: إبراهيم  
خوري، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٠هـ —  
١٩٧٠م.

— ابن النجار:

محمد بن محمود بن الحسن : (ت ٦٤٣هـ).  
٨٤ — الدرة الثمينة في تاريخ المدينة، تحقيق: محمد زينهم  
محمد عزب، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م — ١٤١٦هـ، مكتبة  
الثقافة الدينية.

— ابن هشام:

عبدالمكك الحميري : (ت ٢١٨هـ).  
٨٥ — السيرة النبوية، تحقيق: طه عبدالرؤف سعد، ١٩٧٥م،  
دار الجيل، بيروت.

— الهمداني:

الحسن بن أحمد بن يعقوب: (ت ٣٣٤هـ).  
٨٦ — صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع،  
الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ — ١٩٩٠م، مكتبة الإرشاد،  
صنعاء.

— ياقوت:

أبو عبد الله ياقوت الحموي البغدادي الرومي: (ت ٦٢٦هـ).  
٨٧ — معجم البلدان، ١٣٩٧هـ — ١٩٧٧م، دار صادر، بيروت.

— اليعقوبي:

أحمد بن واضح الكاتب: (ت ٢٨٤هـ).  
٨٨ — كتاب البلدان، الملحق بكتاب الاغلاق النفسية لابن رسته، المجلد السابع، طبع في مدينة ليدن المحروسة بمطبع بريل، ١٨٩١م.

٨٩ — تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت.



## ثانياً : المراجع :

- أحمد، أحمد رمضان  
٩٠ — شبه جزيرة سيناء، ١٣٩٧هـ — ١٩٧٧م.  
— الألباني، محمد ناصر الدين بن نوح نجاتي (ت ١٤٢٠هـ)  
٩١ — مختصر صحيح البخاري، ج ١، الطبعة الخامسة، ١٤٠٦هـ — ١٩٨٦م، المكتب الإسلامي. ج ٢، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ، دار ابن القيم، الدمام.  
— الأنصاري، عبدالقدوس  
٩٢ — موسوعة تاريخ مدينة جدة، المجلد الأول، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ — ١٩٨٠م، مطابع الروضة بجدة.  
٩٣ — بين التاريخ والآثار، الطبعة الثالثة، ١٣٩٧هـ — ١٩٧٧م، جدة، مطابع الروضة.  
— باسلامة، حسين عبدالله  
٩٤ — تاريخ عمارة المسجد الحرام، الكتاب العربي السعودي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ، تهامة.  
٩٥ — تاريخ الكعبة المعظمة (عمارتها وكسوتها وسدانتها)، الكتاب العربي السعودي، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ، تهامة.  
— باشا، أيوب صبري  
٩٦ — مرآة جزيرة العرب، ترجمة وتعليق، أحمد فؤاد متولي والصفصافي أحمد المرسي، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ — ١٩٩٩م، دار الآفاق العربية.  
— الببتوني، محمد لييب  
٩٧ — الرحلة الحجازية، الطبعة الثالثة، مكتبة المعارف، الطائف.  
— البري، عبدالله خورشيد  
٩٨ — القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، ١٩٦٧م، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر.  
— بكر، سيد عبدالمجيد  
٩٩ — الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ — ١٩٨١م، الكتاب الجامعي، تهامة، جدة.

- أبوبكر، علي الشيخ أحمد  
١٠٠— معالم الهجرتين إلى أرض الحبشة، الطبعة الأولى،  
١٤١٣هـ — ١٩٩٣م، مكتبة التوبة، الرياض.  
— البلادي، عاتق بن غيث  
١٠١— معجم معالم الحجاز، عشرة أجزاء (يختلف تاريخ الطبعة  
الأولى لكل جزء، فالجزء الأول تاريخ طبعته الأولى، ١٣٩٨  
هـ — ١٩٧٨م، والعاشر تاريخ طبعته الأولى، ١٤٠٤هـ —  
١٩٨٤م، دار مكة، مكة).  
١٠٢— معجم قبائل الحجاز، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ —  
١٩٨٣م، دار مكة.  
١٠٣— بين مكة وحضرموت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ —  
١٩٨٢م، دار مكة.  
١٠٤— بين مكة واليمن، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ — ١٩٨٤  
م، دار مكة.  
— الجاسر، حمد بن محمد (ت ١٤٢١هـ).  
١٠٥— شمال غرب الجزيرة، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ —  
١٩٨١م، دار اليمامة، الرياض.  
١٠٦— بلاد ينبع، دار اليمامة، الرياض.  
— جرادات، وليد محمد (الرائد).  
١٠٧— الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر بين الماضي  
والحاضر، دار الثقافة، الدوحة.

- حسن، يوسف فضل (دكتور)  
١٠٨ — دراسات في تاريخ السودان، الطبعة الأولى، ١٩٧٥م،  
دار التأليف والترجمة والنشر، جامعة الخرطوم.  
١٠٩ — مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان  
الشرقي، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ — ١٩٧٢م، الدار  
السودانية للكتب، الخرطوم.  
— حلمي، إبراهيم  
١١٠ — كسوة الكعبة المشرفة وفنون الحجاج، كتاب اليوم،  
مؤسسة أخبار اليوم، العدد ٣٢٠، شوال ١٤١١هـ —  
١٩٩١م.  
— حمزة، فؤاد بن أمين بن علي  
١١١ — قلب جزيرة العرب، الطبعة الثانية، ١٣٨٨هـ، مكتبة  
النصر الحديثة، الرياض.  
— الحموي، محمد ياسين  
١١٢ — تاريخ الأسطول العربي، مطبعة الترقى، دمشق.  
— حميدة، عبدالرحمن (دكتور)  
١١٣ — أعلام الجغرافيين العرب، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ —  
١٩٨٠م، دار الفكر، دمشق.  
— الخطيب، عبدالكريم محمود  
١١٤ — تاريخ ينبع، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ — ١٩٨٥م،  
مطابع الشرق الأوسط، الرياض.  
— الراجحي، عبدالعزيز بن فيصل  
١١٥ — لذة العيش في فضائل قريش، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.  
— رفعت، إبراهيم  
١١٦ — مرآة الحرمين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

- الرويثي، محمد أحمد (دكتور)  
١١٧— الموانئ السعودية على البحر الأحمر، الطبعة الثالثة،  
١٤١٨هـ — ١٩٩٧م، دار الواحة العربية.  
١١٨— التطور المكاني والتاريخي لموانئ شبه الجزيرة  
العربية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ — ١٩٩٤م، المدينة  
المنورة.  
— الزركلي، خير الدين  
١١٩— الأعلام، الطبعة الرابعة عشرة، ١٩٩٩م، دار العلم  
للملايين، بيروت.  
— أبو زيد، بكر بن عبدالله  
١٢٠— خصائص جزيرة العرب، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ —  
١٩٩٧م، دار ابن الجوزي.  
— السالم، السيد عبدالعزيز (دكتور)  
١٢١— البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي، ١٩٩٣م، مؤسسة  
شباب الجامعة.  
— السباعي، أحمد  
١٢٢— تاريخ مكة، الطبعة السادسة، ١٤٠٤هـ، نادي مكة  
الثقافي الأدبي.  
— سرور، محمد جمال الدين (دكتور)  
١٢٣— النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب، دار الفكر العربي.  
— السلطان، عبدالله عبدالمحسن (دكتور)  
١٢٤— البحر الأحمر والصراع العربي الإسرائيلي، الطبعة  
الأولى، ١٩٨٤م، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

- السلمي، محمد بن صامل (دكتور)  
١٢٥— (خلافة عمر بن الخطاب) في كتاب البداية والنهاية لابن كثير (ترتيب وتهذيب)، الطبعة الأولى، ١٩١٨م، دار الوطن، الرياض.
- ١٢٦— منهج كتابة التاريخ الإسلامي مع دراسة لتطور التدوين ومناهج المؤرخين حتى نهاية القرن الثالث الهجري، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ — ١٩٩٨م، دار الرسالة العلمية.
- السليمان، علي بن حسين (دكتور)  
١٢٧— العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك، ١٣٩٣هـ — ١٩٧٣م، الشركة المتحدة للنشر، القاهرة.
- ١٢٨— النشاط التجاري أواخر العصور الوسطى، الطبعة الأولى، مكتبة الأنجلو المصرية.
- سنوك، المستشرق: ك. سنوك هورخرونيه  
١٢٩— صفحات من تاريخ مكة المكرمة، ترجمة علي عودة الشيخ، وآخرون، ١٤١٩هـ — ١٩٩٩م، دار الملك عبدالعزيز (بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة).
- السيد، محمود (دكتور)  
١٣٠— تاريخ القبائل العربية في عصر الدولتين الأيوبية والمملوكية، ١٩٩٨م، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية.
- ١٣١— الشريف، أحمد إبراهيم (دكتور)  
— دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني للهجرة، دار الفكر العربي.
- شكيب، الأمير شكيب أرسلان  
١٣٢— حاضر العالم الإسلامي، المجلد الثاني، الجزء الثالث، الطبعة الرابعة، ١٣٩٤هـ — ١٩٧٣م، دار الفكر.

- شهاب، حسن صالح  
١٣٣- فن الملاحة عند العرب، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م،  
الناشر مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، طبعة دار  
العودة، بيروت.
- الصابوني، محمد علي  
١٣٤- صفوة التفاسير، الطبعة الرابعة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١  
م، دار القرآن الكريم، بيروت.
- ضرار، ضرار صالح  
١٣٥- هجرة القبائل العربية إلى وادي النيل (مصر  
والسودان)، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، مكتبة  
التوبة، الرياض.
- ضرار، محمد صالح  
١٣٦- تاريخ السودان (البحر الأحمر - إقليم البجة)، ١٩٦٥م،  
مكتبة الحياة، بيروت.
- ١٣٧- تاريخ سواكن والبحر الأحمر، الطبعة الأولى، ١٤٠١  
هـ - ١٩٨١م، الدار السودانية للكتب، الخرطوم.
- عاشور، سعيد عبدالفتاح (دكتور)  
١٣٨- الحركة الصليبية، الطبعة الثالثة، ١٩٧٨م، مكتبة  
الأجلو المصرية.
- عبدالباقي، محمد فؤاد  
١٣٩- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، الناشر  
المكتبة الإسلامية، توزيع دار الباز، مكة المكرمة.

- عبدالعليم، أنور (دكتور)  
١٤٠- الملاحاة وعلوم البحار عند العرب، عالم المعرفة،  
المحرم/صفر ١٣٩٩هـ - يناير (كانون ثاني)، ١٩٧٩م،  
الكويت.
- ١٤١- ثروات من البحار، الهيئة المصرية العامة للكتاب،  
١٩٧٧م.
- العلي، صالح (دكتور)  
١٤٢- الحجاز في صدر الإسلام، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ -  
١٩٩٠م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- غبان، علي بن إبراهيم (دكتور)  
١٤٣- الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة، الكتاب الثاني،  
الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- غوانمة، يوسف حسن درويش (دكتور)  
١٤٤- أيلة (العقبة) والبحر الأحمر وأهميتها التاريخية  
والاستراتيجية، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م، دار هشام، أربد.
- ١٤٥- التاريخ الحضاري لشرقي الأردن في العصر المملوكي،  
الطبعة الثانية، ١٩٨٢م، دار الفكر، عمان.
- ١٤٦- إمارة الكرك الأيوبية، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ -  
١٩٨٢م، دار الفكر، عمان.
- غيثان، بن علي بن جريس (دكتور)  
١٤٧- بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية، جزأين، الجزء  
الأول، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، دار المعرفة الجامعية،  
الإسكندرية، والجزء الثاني، دار السماح للطباعة والنشر،  
الإسكندرية.



- الفقيه، حسن إبراهيم  
١٤٨ — مدينة السرين الأثرية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ —  
١٩٩٢م.
- فهمي، نعيم زكي (دكتور)  
١٤٩ — طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب،  
١٣٩٣هـ — — ١٩٧٣م، الهيئة المصرية العامة للكتاب،  
القاهرة.
- القتامي، حمود بن ضاوي  
١٥٠ — الآثار في شمال الحجاز، ج ١، معجم المواضع والقبائل  
والحكومات، ج ٢، ١٣٩٦هـ — — ١٩٧٦م، مطابع الهيئة  
المصرية العامة للكتاب.
- القحطاني، راشد سعد راشد  
١٥١ — أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين، ١٤١٤  
هـ — — ١٩٩٤م، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.
- قطب، سيد بن قطب بن إبراهيم (ت ١٩٦٧م)  
١٥٢ — في ظلال القرآن، الطبعة العاشرة، ١٤٠٢هـ — — ١٩٨٢  
م، دار الشروق.
- القوصي، عطية (دكتور)  
١٥٣ — تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى  
سقوط الخلافة العباسية، دار النهضة العربية.
- كحالة، عمر رضا  
١٥٤ — جغرافية شبه جزيرة العرب، راجعه، أحمد علي، الطبعة  
الثانية، ١٣٨٤هـ — — ١٩٦٤م، مكتبة النهضة الحديثة، مكة.

- لومبارد، مورييس
- ١٥٥ — الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، ترجمة: عبدالرحمن حميدة، دار الفكر، دمشق.
- مالكي، سليمان عبدالغني (دكتور)
- ١٥٦ — بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد، ١٤٠٣هـ — ١٩٨٣م، مطبوعات دار الملك عبدالعزيز، الرياض.
- ماهر، سعاد (دكتورة)
- ١٥٧ — البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ — ١٩٧٩م، دار المجمع العلمي، جدة.
- محمد، عبدالغني عبدالرحمن
- ١٥٨ — مكة أم القرى .. لماذا؟ الطبعة الأولى، ١٤١١هـ — ١٩٩٠م، دار الفكر العربي، القاهرة.
- محمود، حسن أحمد (دكتور)
- ١٥٩ — الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة.
- مصطفى، صالح لمعي
- ١٦٠ — المدينة المنورة تطورها العمراني وتراثها المعماري، ١٩٨١م، دار النهضة، بيروت.
- مصيلحي، محي الدين محمد (دكتور)
- ١٦١ — الوجود العربي الأفريقي في جزر البحر الأحمر عبر التاريخ، ١٩٩١م، مكتبة الأنجلو المصرية.
- مغوف، لويس، وآخرون
- ١٦٢ — المنجد في اللغة والأعلام، الطبعة الثامنة والعشرون، دار المشرق، بيروت.
- مورتيل، ريتشارد (دكتور)
- ١٦٣ — الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ — ١٩٨٥م، عمادة شؤون المكتبات — جامعة الملك سعود، الرياض.

- ١٦٤- موسوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين، حققها  
وراجعها مجموعة من العلماء، مكتبة المعارف، بيروت،  
الناشر، دار ومطابع المستقبل، القاهرة، مطابع روز اليوسف.  
— ناود، محمد سعيد
- ١٦٥- العروبة والإسلام بالقرن الإفريقي.  
— نخبة من المتخصصين بجامعة الإسكندرية
- ١٦٦- تاريخ البحرية المصرية، ١٩٧٣م، جامعة الإسكندرية،  
جمهورية مصر العربية.  
— النخيلي، درويش
- ١٦٧- السفن الإسلامية على حروف المعجم، ١٩٧٤م، جامعة  
الإسكندرية.
- نواب، عواطف محمد يوسف
- ١٦٨- الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ  
الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين، ١٤١٧هـ -  
١٩٩٦م، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.  
— اليوزبكي، توفيق
- ١٦٩- تاريخ تجارة مصر البحرية في العصر المملوكي،  
١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، جامعة الموصل، مؤسسة دار الكتب.
- اليوسف، محمد الطيب محمد بن يوسف
- ١٧٠- إثيوبيا والعروبة والإسلام عبر التاريخ، الطبعة الأولى،  
١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، المكتبة المكية، مكة.

### ثالثاً : الرسائل العلمية التي لم تُطبع :

- بكري، محمد طه صلاح  
١٧١- الحجاز (٨٥٩-٩٢٣هـ)، رسالة ماجستير، ١٤١٠هـ —  
١٩٩٠م، كلية الشريعة، جامعة أم القرى، مكة.  
— جلال، آمنة حسين  
١٧٢- طرق الحج ومرافقه في الحجاز في العصر المملوكي،  
رسالة دكتوراه، ١٤٠٧هـ، كلية الشريعة، جامعة أم القرى،  
مكة  
— حاج، ربيع محمد القمر  
١٧٣- انتشار الإسلام في بلاد البجة، رسالة دكتوراه، ١٤١٨  
هـ، قسم التاريخ، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض.  
— راجح، حمدي محمد  
١٧٤- المحاولة الصليبية لغزو الحجاز، رسالة ماجستير،  
١٤٠٥هـ — ١٩٨٥م، قسم التاريخ، جامعة الملك  
عبد العزيز، جدة.  
— الزهراني، عائض محمد عائض  
١٧٥- الحجاز في عهد الشريف حسن بن عجلان، رسالة  
ماجستير، ١٤١٢هـ، قسم التاريخ، جامعة الملك عبد العزيز،  
جدة.  
— آل سويلم، ابتسام بنت عبدالمحسن  
١٧٦- الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الحجاز من قيام  
الدولة العباسية حتى منتصف القرن الرابع الهجري، رسالة  
ماجستير، ١٤٠٤هـ — ١٩٨٤م، قسم التاريخ، جامعة الملك  
سعود، الرياض.  
— الشرع، رائد رزق محمد  
١٧٧- مدينة أيلة وتخطيطاتها في الفترة الإسلامية المبكرة  
"دراسة معمارية مقارنة"، رسالة ماجستير، ١٤١٤هـ —  
١٩٩٤م، جامعة اليرموك، الأردن.

— العبيدي، عبدالعزيز بن راشد  
١٧٨ — التجارة والملاحة في البحر الأحمر في عصر المماليك،  
رسالة ماجستير، ١٤٠٠هـ — ١٩٨٠م، جامعة الإمام محمد  
بن سعود، الرياض.

#### رابعاً : الدوريات والندوات:

— إبراهيم، أحمد  
١٧٩ — المناخ، (جدة عروس البحر الأحمر تقدم وحضارة)،  
إصدار أمانة مدينة جدة، الدار العربية للموسوعات، القاهرة،  
ص ٦٧.

— الأنصاري، عبدالقدوس  
١٨٠ — رحلة إلى الجار، مجلة المنهل، جمادي الأولى، ١٣٩١  
هـ — ١٩٧١م، السنة السابعة والثلاثون، الجزء الخامس،  
ص ٤٤٨ — ٤٩٥.

— باز، عبدالكريم علي  
١٨١ — المحمل اليمني في عهد بني رسول، مجلة العصور،  
المجلد السابع، الجزء الأول، ١٩٩٢م، ص ١١.

— برج، محمد عبدالرحمن (دكتور)  
١٨٢ — البحر الأحمر عبر التاريخ، ندوة البحر الأحمر (المملكة  
العربية السعودية، وزارة الخارجية، معهد الدراسات  
الدبلوماسية،) عُقدت في الفترة من ١٤/٨/١٤٠٥هـ إلى  
١٧/٨/١٤٠٥هـ، الموافق ٤/٥/١٩٨٥م إلى ٧/٥/١٩٨٥م،  
م، وطبع الكتاب في ربيع الأول ١٤٠٦هـ)، ص ٢١ — ٣٢.  
— البكر، راشد

١٨٣ — حجم التبادل التجاري بين المملكة ودول البحر الأحمر،  
ندوة البحر الأحمر، ص ٦٠ — ٨٢.

— تشونغ، علي لي تشين  
١٨٤ — آثار العرب ومآثرهم في الصين عبر التاريخ، المجلة  
العربية للثقافة، السنة التاسعة عشرة — العدد الثامن  
والثلاثون — ذوالحجة، ١٤٢٠هـ، مارس (آذار) ٢٠٠٠م،  
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ص ١٥٢.

— حسن، يوسف فضل (دكتور)  
١٨٥— الصراع حول البحر الأحمر منذ أقدم العصور حتى القرن  
الثامن عشر، مجلة دار الملك عبدالعزيز، الرياض، العدد  
الثالث، السنة الثامنة، ربيع ثاني، جمادي الأولى والآخرة،  
١٤٠٣هـ — ١٩٨٣م، ص ١١٠.

— الحضراوي، أحمد بن محمد بن أحمد : (ت ١٣٢٧هـ)  
١٨٦— الجواهر المعدة في فضائل جدة، مجلة العرب،  
ج ٥٥ س ١٣ (ذوالقعدة والحجة ١٣٩٨هـ)، ص ٤٠٤، ج ٧  
و ٨ س ١٣ (محرم وصفر ١٣٩٩هـ)، ص ٥٤٣، ج ٩ و ١٠  
س ١٣ (الربيعان ١٣٩٩هـ)، ص ٦٧١، ج ١١ و ١٢، س ١٣  
(جماديان ١٣٩٩هـ)، ص ١٢١.

— حور، محمد  
١٨٧— العرب والصين تاريخ وفن وروابط، المجلة العربية  
للثقافة، السنة التاسعة عشرة، العدد الثامن والثلاثون،  
ذوالحجة، ١٤٢٠هـ، المنظمة والثقافة والعلوم، ص ٩٧.

— ربيع، حسنين (دكتور)  
١٨٨— البحر الأحمر في العصر الأيوبي، البحر الأحمر في  
التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة، (سمنار الدراسات العليا  
للتاريخ الحديث، جامعة عين شمس، أبحاث الأسبوع العلمي  
الثالث، ١٠ — ١٥ مارس ١٩٧٩م، إشراف الاستاذ الدكتور  
أحمد عزت عبدالكريم، القاهرة، ١٩٨٠م)، ص ١٠٤—١٠٥.

— الزهراني، ضيف الله بن يحيى (دكتور)  
١٨٩— الجار ميناء ومدينة، دورية اتحاد المؤرخين العرب  
(الحضارة الإسلامية وعالم البحار)، ١٤١٤هـ — ١٩٩٣م،  
ص ٢٥١.

— الزيلعي، أحمد بن عمر (دكتور)  
١٩٠ — ميناء السرين (بحث منشور) في مجلة (اتحاد المؤرخين العرب)، القاهرة، ١٤١٤هـ — ١٩٩٤م، (الحضارة الإسلامية وعالم البحار)، ص ١٧٦.

١٩١ — أضواء جديدة على الأسرة الموسوية من خلال ثلاثة نقوش كوفية من موقع السرين الأثري، مجلة العصور، المجلد السادس، ج ١، ١٩٩١، ص ١٦٩ — ١٨٩.

١٩٢ — حاكم السرين (راجح بن قتادة) ودوره في العلاقات المصرية واليمنية في مكة، مجلة العصور، المجلد الأول، الجزء الأول، ١٩٨٦م، ص ٢١ — ٢٤.

— زيمين، الرئيس جيانج رئيس جمهورية الصين الشعبية  
١٩٣ — (العلاقات السعودية الصينية، والعلاقات الصينية العربية) من كلمة الرئيس الصيني في مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض، جريدة الرياض، العدد (١١٤٥٤٤)، الأربعاء ٢٥ رجب ١٤٢٠هـ — ٣ نوفمبر ١٩٩٩م.

— سيد، عبدالمنعم عبدالحليم (دكتور)  
١٩٤ — الأصول المصرية القديمة للسفن الإسلامية في البحر الأحمر، دورية اتحاد المؤرخين العرب، (الحضارة الإسلامية وعالم البحار)، ١٤١٤هـ — ١٩٩٣م، ص ٦٩.

— الشامي، أحمد عبدالحميد (دكتور)  
١٩٥ — العرب وصناعة السفن، دورية اتحاد المؤرخين العرب (الحضارة الإسلامية وعالم البحار)، ١٤١٤هـ — ١٩٩٣م، ص ١٣٦.

١٩٦ — العلاقات التجارية بين إقليم الخليج العرب والسواحل الغربية للهند في العصور الوسطى، دورية اتحاد المؤرخين العرب، (إقليم الخليج على مر العصور)، القاهرة، ١٤١٧هـ — ١٩٩٦م، ص ١٠٧.



— الشريف، أحمد إبراهيم  
١٩٧- الحجاز قبيل ظهور الإسلام، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثالث (الجزيرة العربية في عصر الرسول والخلفاء الراشدين)، الجزء الأول، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، جامعة الملك سعود، الرياض، ص ١٩.

— صالح، محمد أمين  
١٩٨- تجارة البحر الأحمر في عصر المماليك الجراكسة، البحر الأحمر في التاريخ والسياسة، ص ١٥٩ - ١٧٩.  
— صواف، فائق بكر صواف، ومصطفى محمد رمضان  
١٩٩- أهمية ثغر جدة في النصف الأول من القرن العاشر الهجري، مجلة الدارة، العدد الثاني، السنة السادسة، ربيع الأول، ١٤٠١هـ - يناير ١٩٨١م، الرياض، ص ٢٠٠.

— الطيب، عبدالله (دكتور)  
٢٠٠- هجرة الحبشة وما وراءها من نبأ، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثالث (الجزيرة العربية في عصر الرسول والخلفاء الراشدين)، الجزء الأول، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، جامعة الملك سعود، الرياض، ص ٩٥.

— عامر، حمزة إبراهيم  
٢٠١- موقع مدينة جدة وطبيعية أرضها، (جدة عروس البحر الأحمر تقدم وحضارة) إصدار أمانة مدينة جدة، الدار العربية للموسوعات، القاهرة، ص ٦٥.

— عبدالقادر، عبدالشافى غنيم (دكتور)  
٢٠٢- البحر الأحمر طريقاً للدعوة الإسلامية، البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة، ص ٧١ - ٩٢٢.

- عبدالله، علي رضا  
٢٠٣ — جدة على لسان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، (لا تكذب عليه متعمدا صلى الله عليه وعلى آله وسلم)، جريدة المدينة، عدد رقم (١٣٠٦٤)، تاريخ ١٠/٨/١٤١٩هـ.
- العرفج، ناصر عبدالعزيز (دكتور)  
٢٠٤ — أهمية الممرات المائية في البحر الأحمر، ندوة البحر الأحمر، ص ٣٣-٥٨.
- عنقاوي، عبدالله عقيل  
٢٠٥ — المحمل — نشأته وآراء المؤرخين فيه، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، المجلد الثاني، السنة الثانية، ١٣٩١هـ — ١٣٩٢هـ/١٩٧١-١٩٧٢م، ص ٣٢٤.
- غبان، علي بن إبراهيم (دكتور)  
٢٠٦ — مراكز الاستيطان بشمال الحجاز، الدارة، العدد الثاني، السنة العشرون، محرم وصفر وربيع أول، ١٤١٥هـ، ص ٧١.
- غيثان، بن علي بن جريس (دكتور)  
٢٠٧ — البحر في كتب التراث الإسلامي، دورية اتحاد المؤرخين العرب (الحضارة الإسلامية وعالم البحار)، ١٤١٤هـ — ١٩٩٣م، ص ٩٤.
- الفاخري، سوسن  
٢٠٨ — "أيلة"، مجلة آثار الأردنية، العدد الثاني، أيلول ١٩٩٨م، عمان، الأردن، ص ٥٤.
- قناوي، محمد  
٢٠٩ — "المدينة في رحاب الآثار النبوية بالمسجد الحسيني"، جريدة المدينة، العدد (١٣٠٨٣)، السبت ٢٧/١٠/١٤١٩هـ — والعدد (١٣٠٨٦)، الثلاثاء ٣٠/١٠/١٤١٩هـ.

- كاشف، سيدة إسماعيل
- ٢١٠— البحر الأحمر والفتح العربي لمصر، البحر الأحمر في التاريخ والسياسة، ص ٩٣-١٠٤.
- كريم، عبدالكريم (دكتور)
- ٢١١— بلاد الحجاز في المخطوطات المغربية المدونة خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر للهجرة، مجلة التاريخ العربي، الصادرة عن جمعية المؤرخين المغاربة، العدد الخامس، شتاء ١٤١٨هـ — ١٩٩٨م، ص ١٠٥.
- مدني، محمد عمر (دكتور)
- ٢١٢— البحر الأحمر واتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار، ندوة البحر الأحمر، ص ١٦١-١٨٦.

## — خامساً : الخرائط —

- ١- خريطة جزيرة العرب، ١ : ٢,٠٠٠,٠٠٠، وزارة البترول والثروة المعدنية، المساحة الجوية، الرياض، طبعة عام ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، المملكة العربية السعودية.
- ٢- خارطة طرق المواصلات، ١ : ٣,٠٠٠,٠٠٠، وزارة المواصلات، طبعت بإدارة المساحة العسكرية بوزارة الدفاع، الطبعة الأولى، عام ١٤١٤هـ، المملكة العربية السعودية.
- ٣- خارطة تخطيطية، ١ : ٥٠٠,٠٠٠، لوحة رقم NF 37-SE، طبعت عام ١٤١١هـ (مكة المكرمة)، وزارة البترول والثروة المعدنية - الرياض.
- ٤- خارطة تخطيطية (ينبع)، ١ : ٥٠٠,٠٠٠، لوحة رقم NG 37-SW، طبعت عام ١٤٠٤هـ، وزارة البترول والثروة المعدنية - الرياض.
- ٥- لوحة الحجاز الشمالي الغربي، أبحاث جيولوجية، خريطة رقم ج م - ٢٠٤ ب (GM-204B)، وزارة البترول والثروة المعدنية، الرياض.
- ٦- لوحة الحجاز الجنوبي، أبحاث جيولوجية، خريطة رقم I-C10B، وزارة البترول والثروة المعدنية، الرياض.
- ٧- خريطة المملكة العربية السعودية، ١ : ٤,٠٠٠,٠٠٠، وزارة الإعلام بالمملكة العربية السعودية.
- ٨- خريطة جمهورية مصر العربية، ١ : ٢,٠٠٠,٠٠٠، الهيئة العامة للمساحة المصرية.
- خرائط زكي فارسي، المملكة العربية السعودية، دليل الطرق السياحية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ٩- خريطة ينبع، رقم ب ١٢.
- ١٠- خريطة جدة، رقم ب ١٤.

- ١١ - خريطة الشعيبه، رقم ب ١٨.
- ١٢ - خريطة خليج العقبة، رقم ب ١.
- ١٣ - خريطة من ينبع إلى ضبا، رقم ٢٢.

الموضوع	فهرس الموضوعات	الصفحة
المقدمة	.....	٢
— أهمية الموضوع .....	.....	٤
— الدراسات السابقة .....	.....	٧
— أهم المصادر .....	.....	١١
— خطوات البحث ومنهجه .....	.....	١٨
— شكر وتقدير .....	.....	٢٥
<b>الفصل الأول</b>		
<b>( الحجاز والبحر الأحمر )</b>		
— الحجاز (مدخل) .....	.....	٢٨
— تحديد إقليم الحجاز .....	.....	٢٩
— التعريف اللغوي .....	.....	٢٩
— التحديد الجغرافي .....	.....	٣٠
— الحجاز (مكانته وفضله) .....	.....	٣٨
— اثناء على أهل الحجاز .....	.....	٤٧
— البحر في القرآن والسنة .....	.....	٥١
— أهمية البحر الأحمر .....	.....	٦٢
— تحديده عند الجغرافيين المتقدمين .....	.....	٦٢
— تحديده ووصفه عند الجغرافيين المعاصرين ..	.....	٦٥
— أهمية البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي .....	.....	٦٧
— وسطيته وتميزه .....	.....	٦٧
— الأهمية الدينية .....	.....	٦٨
— الأهمية التجارية .....	.....	٦٩
— الأهمية السياسية والعسكرية .....	.....	٧٠

## الفصل الثاني ( نشأة الثغور الحجازية )

٧٢	تمهيد .....
٧٣	تعريف الثغر .....
٧٦	أيلة (العقبة) .....
٩٤	ينبع .....
١٠٢	الجار .....
١٠٩	جدة .....
١١٥	الشعبية .....
١١٩	السرين .....
١٢٧	أهم الأحداث السياسية والعسكرية التي ارتبطت بالثغور .
١٢٧	العهد النبوي .....
١٢٧	الهجرة إلى الحبشة .....
١٣١	غزوة العشيرة .....
١٣٢	عودة مهاجري الحبشة .....
١٣٣	أيلة ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم...
١٣٥	العهد الراشدي .....
١٣٥	عام الرمادة، وحركة الفتوحات .....
١٣٧	جدة وعثمان بن عفان رضي الله عنه..
١٣٨	ينبع وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه
١٣٩	العهد الأموي .....
١٤٠	أيلة ومحمد بن الحنفية .....
١٤٢	العهد العباسي .....
١٤٢	محمد النفس الزكية .....
١٤٦	ينبع وآل علي .....
١٤٧	جدة والجار .....
١٤٩	العهد العبيدي "الفاطمي" .....
١٤٩	صلة العبيدين بالحجاز .....
١٥٠	حكومة الأشراف بالحجاز .....
١٥٣	ظهور السرين .....



- العهد الأيوبي ..... ١٥٥
- الغزو الصليبي ..... ١٥٥
- أيلة والصليبيون ..... ١٥٨
- أرناط وثغور الحجاز ..... ١٦٠
- من مآثر صلاح الدين الأيوبي .. ١٦٥
- ابن جبير في الحجاز ..... ١٦٥
- ينبع والشريف قتادة ..... ١٦٦
- حكام اليمن والحجاز ..... ١٦٨
- العهد المملوكي ..... ١٧٤
- الثغور والصراعات السياسية الداخلية . ١٧٤
- أيلة وإصلاحات السلطان المملوكي .... ١٧٨
- الثغور منطلقاً للأحداث وملاذاً للفرارين .. ١٧٩
- دولة المماليك الجراكسة ..... ١٨١
- بروز الدور الاقتصادي للثغور الحجازية ١٨٥
- جدة بندراً عظيماً ..... ١٩٠
- ينبع والصراع السياسي والعسكري .... ١٩٤
- العقبة وإصلاحات الجراكسة ..... ١٩٦
- الخطر البرتغالي وسور جدة ..... ١٩٩
- إصلاحات الغوري في أيلة وينبع وجدة . ٢٠١

## الفصل الثالث

## ( الملاحة وصناعة السفن، وأنواعها بالبحر الأحمر )

- ٢٠٦ ..... — تمهيد
- ٢٠٧ ..... — الملاحة وعقباتها بالبحر الأحمر
- ٢٠٧ ..... — معنى الملاحة
- ٢٠٨ ..... — عقبات الملاحة في البحر الأحمر
- ٢١١ ..... — أهوال البحر الأحمر والحجاج
- ٢١٧ ..... — مدى ارتباط المسلمين بالبحر الأحمر
- ٢٢٨ ..... — التجارة الشرقية عبر البحر الأحمر
- ٢٤٩ ..... — صناعة السفن وأنواعها بالبحر الأحمر
- ٢٤٩ ..... — نشأة صناعة السفن عند المسلمين
- ٢٥١ ..... — سفن البحر الأحمر
- ٢٦٦ ..... — التاريخ الملاحي للمسلمين حتى نهاية القرن العاشر الهجري

## الفصل الرابع

## ( الهجرات العربية ورحلة الحج وعمارة الحرمين

## عبر الثغور )

- ٢٨١ ..... — الهجرات العربية عبر الثغور الحجازية
- ٢٨١ ..... — دوافع الهجرة
- ٢٨٤ ..... — معابر الهجرة
- ٢٨٥ ..... — مواطن ومنازل القبائل العربية في مصر والسودان والحبشة
- ٢٩٤ ..... — دور القبائل في انتشار الإسلام واللغة العربية
- ٣٠١ ..... — دور القبائل العربية في التجارة والسياسة
- ٣٠٨ ..... — فتح مصر
- ٣٠٩ ..... — الصراعات والمواجهات العسكرية
- ٣١٩ ..... — إقامة الإمارات الإسلامية
- ٣٢٥ ..... — رحلة الحج عبر الثغور
- ٣٢٥ ..... — أهم الثغور على الساحل الأفريقي
- ٣٢٥ ..... — القلزم (السويس)
- ٣٢٦ ..... — عيذاب
- ٣٢٨ ..... — سواكن
- ٣٢٩ ..... — رحلة الحاج المصري

٣٣٦	..... رحلة الحاج المغربي
٣٤٣	..... إمارة قافلة الحج
٣٤٥	..... المحمل
٣٥٠	..... نقل المؤن لعمارة الحرمين
٣٥٦	..... كسوة الكعبة
٣٦٣	..... الخاتمة (مرئيات الباحث، ومستخلصات البحث)
٣٦٥	..... الملاحق
٣٧١-٣٦٦	..... خرائط جغرافية (عن الجزيرة العربية ومصر والحجاز) ..
٣٧٧-٣٧٢	..... خرائط وصور عن أيلة (العقبة)
٣٨٠-٣٧٨	..... خرائط وصور عن ينبع
٣٨٢-٣٨١	..... خرائط وصور عن الجار
٣٨٣	..... خريطة عن جدة
٣٨٦-٣٨٤	..... خرائط وصور عن الشعيبة
٣٨٩-٣٨٧	..... خرائط وصور عن السرين
٣٩٠	..... رسومات عن السفن العربية
٣٩١	..... خريطة عن الطرق التجارية عبر الجزيرة العربية
٣٩٣-٣٩٢	..... خرائط عن مواطن القبائل العربية في الحجاز، ووادي النيل .
٣٩٤	..... خريطة دول الطراز
٣٩٦-٣٩٥	..... خرائط عن طرق الحاج المصري
٣٩٧	..... ثبت المصادر والمراجع
٤٣١	..... فهرس الموضوعات